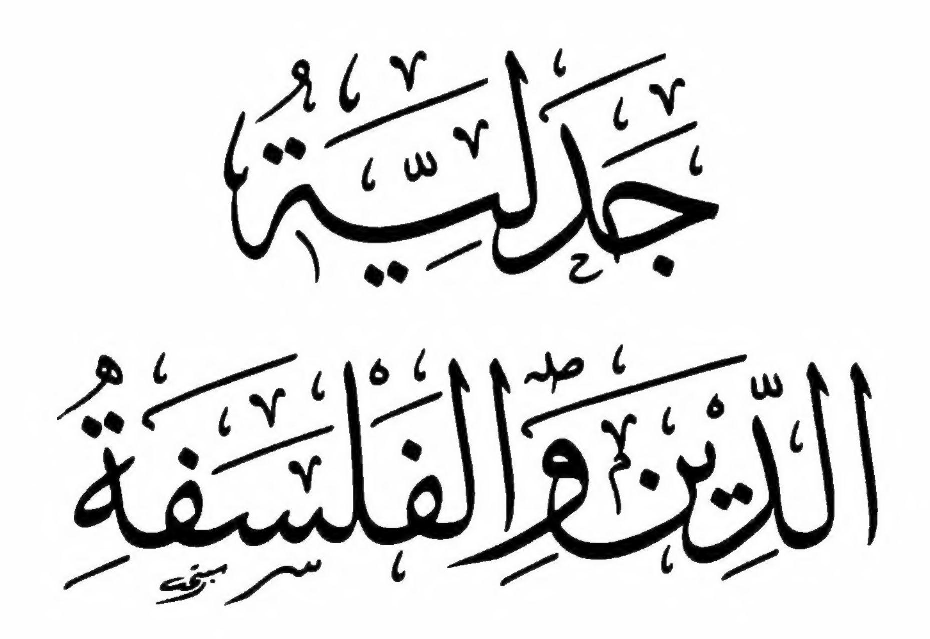
جدلية الدين والفلسفة



الجزء الثاني

حسن الكاشاني



الجزء الثاني



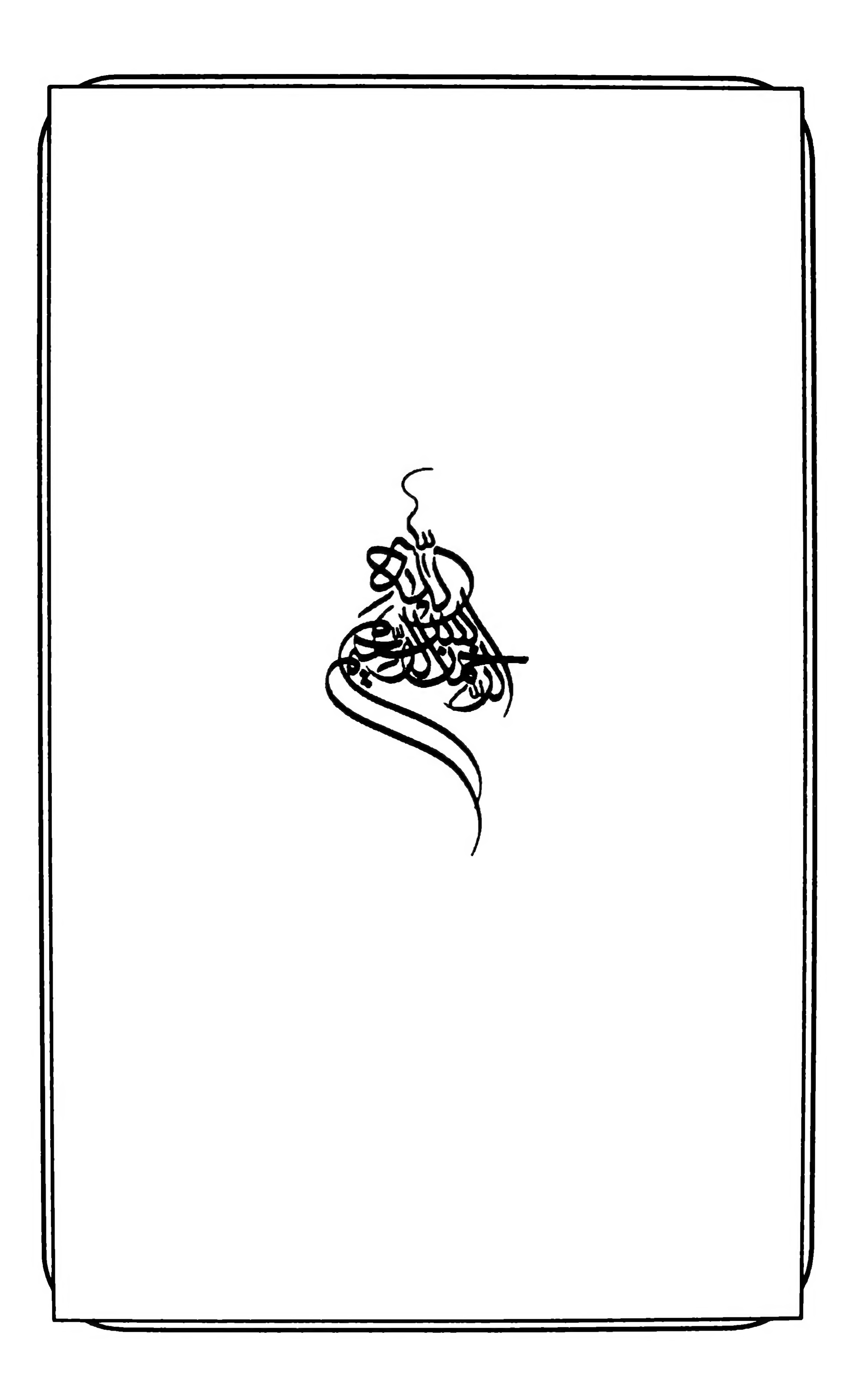
حسن الكاشاني

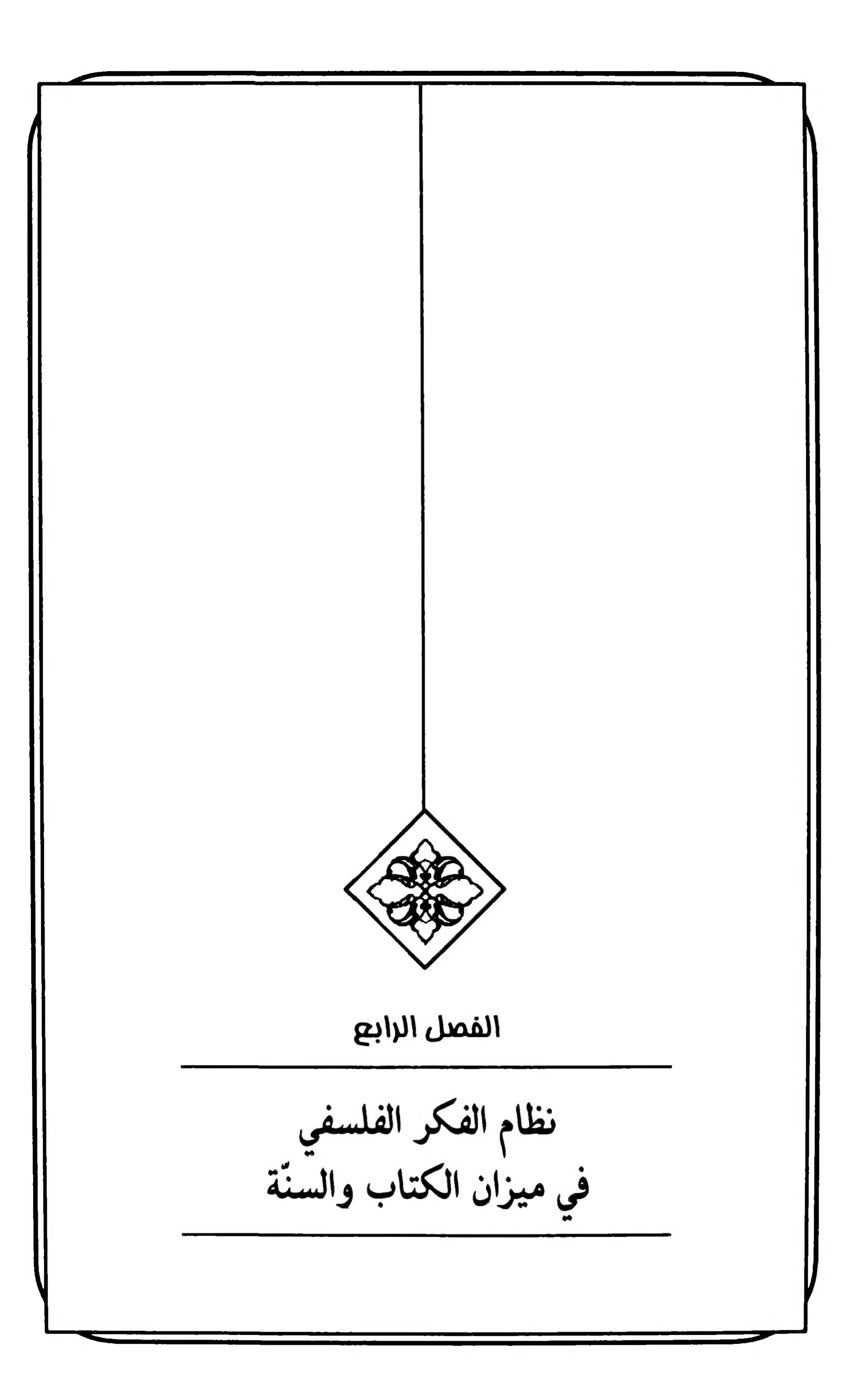
▼
جدليّة الدّين و الفلسفة / الجزء الثاني
تأليف: حسن الكاشاني
منشورات دليل‌ما
الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤ هـ ق ـ ١٣٩٢ هـ.ش.
طبع في ١٠٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
ردمك: ٠ ـ ٧١٦ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ISBN ٩٧٨
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨، ٧٧٤٤٩٨٨ (٢٥١ +٩٨)
العنوان: قم، صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
www.Dalilema.com
Dalilema@yahoo.com



مراكز التوزيع:
١) طهران، شارع إنقلاب، شارع الفخر الرازي، رقم ٦١، هاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٢) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة نادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه الكتاب، الطابق الأول، منشورات دليل‌ما، هاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣
٣) النجف‌الأشرف، سوق‌الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الامام باقرالعلوم ﷺ، هاتف ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩
٤) كربلاء المقدسة، شارع قبلة الإمام‌الحسين ﷺ، مكتبة ابن‌فهد الحلي ﷺ. هاتف ٠٧٨٠١٥٨٨٧٠٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

سرشناسه :كاشانی، حسن، ١٣٦٢ -
عنوان و پدیدآور :جدلیه الدین و الفلسفه / حسن الكاشانی.
مشخصات نشر :قم : دلیل ما، ١٣٩٢.
مشخصات ظاهری : ٢ ج.
شابک : جلد.١: 3 - 715 - 964 - 397 - 978
: جلد.٢: 0 - 716 - 964 - 397 - 978
:دوره ٢ جلدی: 6 - 714 - 397 - 964 - 978
وضعیت‌فهرست‌نویسی : فیپا
یادداشت :عربی
یادداشت :کتابنامه
موضوع :فلسفه و دین
رده بندی کنگره :١٣٩٢ ٤ ج ٢ ک / ٤١ BPR
رده بندی دیویی :١٨٩/١
شماره کتابخانه ملی: ٢٣٠٦٦٦١





الفصل الرابع

نظام الفكر الفلسفي في ميزان الكتاب والسنّة

دراسة إجماليّة في كيفيّة إلقاء المعارف من الائمّة عليهم السلام

الغرض من ايجاد هذا الفصل هو استعلام رأي القرآن والسنّة تجاه المناهج التي وضعها البشر لإيجاد الرؤية الكونيّة الشاملة في معرفة المبدأ والمعاد ولاستثمار العقل في الوصول إلىٰ المعارف التي لاقيمة للإنسان من دونها، التي قد تسمّىٰ بالفلسفة والحكمة أو التصوّف و العرفان. وقد يظنّ أنّه لاتوجد سوىٰ روايتين أو ثلاث تندّد علىٰ منهجيّة الفكر الفلسفي أو أكثر منها بقليل تندّد علىٰ منهجيّة السلوك الصوفي، فينفتح الباب للحكم بالضعف عليها تارة، وعدم وضوح مضمونها أخرى، وطرحها أخيراً.

وهذه القراءة للنصوص الدينيّة مبتنية علىٰ الغفلة عن كيفيّة إلقاء المعارف من النبي والأئمّة عليهم السلام، بل هي مبتنية علىٰ النظرة القشريّة الظاهريّة والجمود وعدم الإنفتاح والموضوعيّة العلميّة، رغم أنّها قد توصف بالدقّة والموضوعيّة والتشدّد العلمي.

ولتوضيح المراد ننبّه إلى أمور:

الأوّل: التواتر المعنوى وضرورة المذهب

ينقسم التواتر إلى أقسام؛ منها التواتر اللفظي والمعنوي، والفرق بينهما أنّ

الأوّل إنّما يكون فيما إذا اتّفقت كلمة جميع رواة الخبر في جميع الطبقات على لفظ واحد، بينما التواتر المعنوي إنّما يحصل إذا اتّفق الرواة على معنى واحد ولو كان ذلك بألسنة مختلفة وألفاظ متغايرة حتى لو كان ذلك في الوقائع المتعدّدة.

ويمتاز الثاني عن الأوّل بأنّ الخبر المروي بالتواتر اللفظي إنّما توفّر فيه أحد شروط حجيّة الخبر يقيناً وهو الصدور، وقد بقي من شروطها تماميّة جهة الصدور والدلالة. فالمتواتر اللفظي وإن كان قطعياً من حيث الصدور إلاّ أنّه ليس بقطعي من حيث الدلالة وجهة الصدور.

ولكنّ التواتر المعنوي يوفّر لنا الجهات الثلاث الدخيلة في حجيّة الخبر بالقطع واليقين؛ أمّا من حيث الصدور فواضح، وأمّا من حيث جهة الصدور فلأنّه إذا تكرّر بيان معنى واحد بألسنة مختلفة وفي أزمنة متعدّدة ووقائع متكثّرة، فلايبقى حينئذ مجال للحمل على التقيّة أو عدم الإرادة الجدّيّة من اللفظ.

وأمّا من حيث الدلالة؛ فلأنّ تكرار مراد واحد بألسنة مختلفة وألفاظ متغايرة لايبقى مجال للشك في المراد، فإنّ التواتر إنّما انعقد على المعنى نفسه لاعلى اللفظ كي يستظهر المعنى منها فيكون الإستظهار ظنيّاً. فالمتواتر المعنوي قطعي من حيث الصدور والجهة والدلالة فيكون ضروريّاً من ضروريّات المذهب وسنّة بيّنة قطعيّة يوزن بها سائر أخبار الآحاد.

فما يقال من أنّ البعد الحاصل بيننا وبين عصر النصوص صار سبباً لحرماننا عن الإطلاع على الوحي بصورة قطعيّة اذ أمره دائر بين ظني الصدور أو ظني الدلالة أو ظني الجهة، مردود؛ إذ أنّ المتواتر المعنوي متكفّل للعلم بالصدور والجهة والدلالة وهو حاصل في أغلب أبواب المعارف والإعتقادات.

الثاني: بين الترادف اللفظي والترادف العقلي

من الأمور الدخيلة في فهم التواتر المعنوي هو الإلتفات إلى الترادف العقلي

المقابل للترادف اللفظي. فإنّه قد يشاهد أنّ البعض يقتصر في عمليّة تجميع الآيات والروايات على ما صرّح فيه بالمطلوب نصّاً أو بضميمة ما يرادفه ترادفاً لفظيّاً، ويستعلم الترادف اللفظي بالرجوع إلى كتب اللغة والقواميس اللفظيّة. لكنّ الذي ينبغي الإلتفات إليه أنّ هناك نوعاً آخر من الترادف يسمّى بالترادف العقلي وهو بأن يحلّل الباحث موضوع بحثه تحليلاً عقليّاً فيميّز الجهات الدخيلة فيه وما به قوام الموضوع، ثمّ يفحص عمّا يوجد فيه هذه الجهات.

بعبارة أخرى: أنّ في عمليّة تجميع الأدلّة الشرعيّة لايجوز الإقتصار على الأدلّة التي ذكر فيها مورد البحث بالنصّ أو بضميمة الكلمات المترادفة له، بل يجب أن يتأمّل في الأمور الدخيلة في تكوّن الموضوع بعد تحليله إلى مقوّماته، ثمّ يرى موقف الشارع تجاه تلك المقوّمات والأمور الدخيلة. وإذا علم رأي المذهب بالتواتر المعنوي أوغيره في جميع تلك الأمور الدخيلة في تكوّن الموضوع فقد علم موقف المذهب تجاه ذلك الموضوع نفسه؛ لأنّ الموضوع إنّما يكون موضوعاً بحقيقته لابإسمه. وهذا ما يسمّى بالترادف العقلي.

وببركة هذا التحليل الصناعي العقلي يستكشف رأي المذهب ضرورةً فيكون من ضروريّات المذهب، بينما لو كنّا نقتصر على الترادف اللفظي لحصلنا على كميّة صغيرة من الأدلّة الشرعيّة فينفتح الباب للرمي بضعف السند أو إجمال الدلالة وغيرهما. وأمّا بعد الإلتفات إلى هذه النقطة الثمينة فقد تربو تلك الأدلّة على التواتر المعنوي فيدخل في ضروريّات الشريعة التي لامحيص عن التسليم والإنقياد لها، وذلك لأنّه بعد تحليل الموضوع إلى مقوّماته قد يشاهد الإنسان أنّه لو أراد أن لايسلّم بالموضوع يلزمه طرح أكثر الأدلّة الشرعيّة إن لم تكن كلّها، وذلك لإنّ هذه الأمور مبثوثة في أكثر الأبواب ممّا لايمكن طرحها.

وسيأتي في الفصل الخامس بعض الإشارات إلى كثرة المرادفات العقليّة

لحقيقة التوسّل بأولياء الله وانتشارها وتبعثرها في جميع أبواب وفصول الدين الحنيف كنموذج للترادف العقلي.

الثالث: بين الضعيف والمجعول

من الأمور المهمّة التي يسبّب التغافل عنها ضياع كثير من التراث الروائي، هو الإلتفات إلى معنى مصطلح خبر الضعيف وقيمته العلميّة والفرق بينه وبين المجعول. حيث إنّ المدسوس والمدلّس هو ما يحكم بوضعه وتزويره بقرائن شاهدة عى ذلك، بخلاف الرواية الضعيفة أو المجهولة السند أو المرسلة أو المرفوعة أو المقطوعة أو الحسنة أو القويّة، فإنّ المراد من ضعفها أنّ هذا الخبر ليس بحجة من ناحية السند وحده، فالسند في حدّ ذاته لم تتوفّر فيه شروط الحجيّة، وهذا لاينافي تماميّة إقتضاء الحجيّة فيه من نواحي أخرى، إذ أنّ صحّة السند هي من إحدى الامارات على حجيّة الخبر.

وحتى لو لم تتّم فيه إقتضاء الحجيّة ولم يبلغ إلى نصابها، فهو يفترق عن المجعول؛ لأنّ المجعول هو ما يقطع بوضعه ولايحتمل صدوره عن المعصوم عليه السلام أبداً، بينما الضعيف يوجد فيه إحتمال الصدور، و هذا الإحتمال له قيمته العلميّة ويترتّب عليه أحكام شرعيّة وعقليّة مختلفة:

أوّلها: حرمة ردّه، وهذا حكم شرعي تكليفي إلزامي قد ثبت بروايات متواترة، وموضوعها كلّ رواية لم يعلم ولم يقطع بوضعها. وهذه الحرمة مسلّمة بين علماء الإماميّة وموضوعها كلّ من الخبر الصحيح والضعيف.

ثانيها: تشكّل وتولّد الخبر المستفيض والمتواتر من كلّ من الخبر الصحيح والضعيف، حيث إنّ التواتر والإستفاضة إنّما يتشكّلان من تراكم الإحتمالات حتى تبلغ إلى درجة قطعيّة الصدور، فكلّ إحتمال لصدور الخبر له قيمته في

تصاعد الإحتمالات وتراكمها. و ليس تصاعد النسبة الإحتماليّة بالعامل الكمّي فقط، بل للعامل الكيفي أيضاً تأثير ليس بالهيّن.

ومن هنا ينبغي أن تلاحظ درجات الضعف أي النسبة الإحتماليّة المئويّة الموجودة في كلّ خبر، فقد يقوىٰ إحتمال الصدور في الخبر، فيكتفى من العامل الكمّي بما لايكتفى به لو لم يكن احتمال الصدور بتلك الدرجة من القوّة.

ومن الخطأ بمكان ما قد يقال من أنّ الضعيف مادام لايكون حجّة فلا يختلف كونه في أي درجة من درجات الضعف. وذلك لأنّ الضعف قد يكون وصفاً للراوي وقد يكون وصفاً للخبر، ولكلّ منهما حيثيّات مختلفة. فقد يوصف الراوي بالضعف لأجل ضعفه في المذهب كما هو الغالب فلايضرّ بقبول خبره لو كان صدوقاً، أو لأجل ضعفه في الجهات العلميّة كالتخليط وعدم الضبط والتثبّت، أو لأجل عدم صدق اللهجة أو حيثيّات أخرى.

كذا الخبر، قد يوصف بالضعف لأجل ضعف السند أو ضعف المضمون، أو إعراض المشهور عنه وغير ذلك من الحيثيّات. وواضح أنّ النسبة المئويّة لإحتمال الصدور في كلّ واحدة منها يختلف مع الآخر، ويمكن جبر بعض هذه الجهات بجهات أخرىٰ دخيلة في الوثوق بالصدور.

وضعف الراوي أيضاً على درجات؛ فقد يكون السند ضعيفاً لأجل الإرسال أو إشتماله على راو لم يظهر حاله، أو ممدوح غير مطعون عليه، أو له كتاب، أو أنّ له روايات كثيرة، أو ورد فيه توثيق إحتمالي من التوثيقات العامّة أو الخاصّة وإن لم يكن ذلك التوثيق بنفسه أمارة كافية للوثاقة. فإنّه لايتوقّع من كلّ امارة أن تكون بمفردها حجّة مستقلّة علىٰ وثاقة الراوي، بل هذه الأمارت انّما هي بمثابة قرائن مختلفة ومتعدّدة يتولّد من تجميعها و ضمّ بعضها إلى بعض الإطمئنان أو الوثوق بوثاقة الراوي. وما قد يقال من أنّ كلّ قرينة اذا لم تتوفّر فيها نصاب الحجيّة في حدّ

ذاتها فتطرح و لايكون لها أي قيمة علميّة، خروج عن منهجيّة البحث العلمي، فإنّها تشكّل إحتمالاً ينضمّ إلىٰ سائر القرائن فتتراكم الإحتمالات وتزداد حتى تصل إلى مرحلة الإطمئنان والوثوق.

وأخرى يكون الراوي مهملاً أو مجهولاً أو موصوفاً بالكذب، أو طعن عليه بالغلو فقط، أو طعن عليه بالتخليط وعدم الضبط وعدم التثبّت، أي أنّه ثقة في نفسه إلاّ أنّ ضعفه إنّما يكون من جهة أخرى. ففرق بين كون الراوي موصوفاً بالكذب وبين عدم تماميّة نصاب الحجيّة في الأمارة الناهضة لإثبات وثاقته. كما أنّ المهمل ليس هو من لم ينصّ عليه بخصوصه في فتاوىٰ علماء الرجال، فإنّ كثيراً ممّن لم يصرّح بأسمائهم في كتب الرجال يمكن استيضاح حالهم بالمراجعة إلى مناهج رجاليّة أخرىٰ، كدراسة مضمون رواياته أو ملاحظة طبقته ومشايخه وتلامذته، حينما نلاحظ تجنّب الأصحاب عن الرواية عن الضعاف فتكون رواية الأجلاء عن راو دليل على اعتمادهم عليه، بل يمكن استظهار حسن ظاهره الذي يكون بدوره أمارة على العدالة، حيث لم يرد فيه قدح مع كونه كثير الرواية، كما هو مفاد موثّقة عبد الله بن أبي يعفور الواردة في طرق أماراة العدالة وحسن الظاهر[1] وغيرها.

---

(١) رواها الشيخ باسناده عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بم تعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى تقبل شهادته لهم وعليهم؟ فقال: «أن تعرفوه بالستر والعفاف وكف البطن والفرج واليد واللسان، ويعرف باجتناب الكبائر التي أوعد الله عليها النار من شرب الخمر، والزنا والربا وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وغير ذلك. والدلالة على ذلك كله أن يكون ساترا لجميع عيوبه، حتى يحرم على المسلمين ما وراء ذلك من عثراته وعيوبه وتفتيش ما وراء ذلك، ويجب عليهم تزكيته وإظهار عدالته في الناس، ويكون منه التعاهد للصلوات الخمس إذا واظب عليهن وحفظ مواقيتهن بحضور جماعة من المسلمين، وأن لا يتخلف عن جماعتهم في مصلاهم إلا من علة، فإذا

←

والإرسال أيضاً على درجات؛ إذ قد يكون الإرسال في طبقة واحدة وقد يكون في طبقات عديدة، وقد يكون المرسِل من الأجلاّء وكبّار الرواة، وهكذا الحال في لفظ الإرسال؛ فتارة ورد التعبير ببعض أصحابنا وأخرى عمّن ذكره وثالثة عن رجاله ورابعة عن رجل.

فإنّ كلّ ذلك تختلف معه درجات إحتمال الصدور، أي أنّ منشأ الضعف تارة يرجع إلى صدق اللهجة من حيث العمد، وأخرى من جهة الإشتباه وعدم الضبط، وثالثة من جهة ضعف الراوي في مذهبه ككونه عامياً أو غاليا، أو من جهة ضعف الخبر في مضمونه ككونه مشتملاً على أمر غريب لم يعهد مثله في سائر الأبواب وإن كان تامّاً سنداً، أو من جهة إعراض المشهور عنه، كما أنّه يمكن أن يكون في سلسلة السند عدّة مجاهيل أو مجهول واحد فقط، إلى غير ذلك ممّا تتنوّع وتختلف معه درجات الضعف في الرواية، وتقوىٰ أو تضعف النسبة الإحتماليّة لصدورها فتكون مقاربة للإعتبار أو بعيدة عنه.

وكذلك قد تكون جميع الروايات وطرقها ـ الصحاح والضعاف ـ من أصحاب مدرسة واحدة، وقد تكون الطرق مختلفة من حيث المدرسة الروائيّة، حيث أنّ بعضها من الرواة القميّين، وأخرى من البصريّين، وثالثة من البغداديّين، ورابعة من الكوفيّين، أو من حواضر أخرى كحاضرة حلب وجوزجان ونيسابور وأستراآباد وشيراز ومصر ومكّة والمدينة ممّا يبّعد تواطئهم على أمر واحد. وهكذا إختلافهم في المدرسة الفكريّة، كالمذهب الفقهي، أو المذهب الكلامي المتشدّد، أو من كان صاحب الأسرار والمعارف، أو الإتّجاه المعاكس كما يشاهد من بعض

← كان كذلك لازماً لمصلاه عند حضور الصلوات الخمس، فإذا سئل عنه في قبيلته ومحلته قالوا: ما رأينا منه إلا خيراً مواظباً على الصلوات متعاهداً لأوقاتها في مصلاه، فانّ ذلك يجيز شهادته وعدالته بين المسلمين». وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٧ / ٣٩١ / ٣٤٠٣٢.

القمّيين، فإنّ إتّفاق جميع أصحاب هذه المدارس والمناهج الفكريّة والجغرافيّة يشدّد إحتمال الصدور حتى لو كانت رواته من الضعاف، فيشكّل التواتر أو الإستفاضة أو الأقلّ يتولّد منه الوثوق بالصدور.

فالإعتناء بهذه الجهات والتقسيمات أمر بالغ الأهميّة في تحديد العامل الكمّي والكيفي للوثوق بالصدور أو حصول الإستفاضة أو التواتر. ومن الخطورة بمكان تضييع التراث الروائي الصادر عنهم عليهم السلام بالغفلة عن هذه الجهات، والحال أنّ المتواتر والمستفيض على درجة من الأهميّة الكبيرة التي لاتقارن بآحاد الأخبار الصحاح، إذ المتواتر والمستفيض مدرك قطعي ومن بيّنات الدين الحنيف فكيف يستهان ويغفل عن منابع تولّده.

ثالثها: أنّ مضمون الرواية المحتمل صدورها عن المعصوم عليه السلام ـ وإن لم يتمّ فيها نصاب الحجيّة الظنيّة ـ يرسم لنا صورة من الواقع، وهذا التصوّر مادام فيه إحتمال المطابقة مع الواقع فله أهميّة كبيرة في أفق البحث المعرفي. وهو جليّ لمن خاض في بحوث المعارف على اختلاف المدارس والمناهج، وقد يسمّونه في هذه الآونة بالفرضيّة وله قيمته علميّة بالغة الأهميّة في المباحث العلميّة؛ لأنّه يرسم لنا صورة يستدعي البحث والتنقيب لرفضها أو قبولها، بعد أنّ واحداً منهما لايمكن إلاّ بدليل.

رابعها: أنّ غالب الروايات الواردة في أبواب المعارف والعقائد ـ مع ما في الأمر الثالث من ترسيم الواقع ـ مشتملة على أسرار وفذلكات دقيقة ترشدنا إلى أدلّة عقليّة برهانيّة، فالتدبّر والتفكّر فيها مثير لدفائن العقول. ألاترى أنّ في البحث الإعتقادي والمعرفي وغيرهما من المباحث يستعرض أقوال نوابغ ذلك العلم، فالباحث الفلسفي لايرضى بأن يمرّ على أقوال الفلاسفة المتقدّمين مرور الكرام، بل يرى على نفسه حتماً أن يستعرضها ويتدبّر فيها بغضّ النظر عن صحّة إنتساب

تلك الكتب والأقوال إلى أصحابها، بل يتمركز البحث والدراسة حول مضمون تلك الأقوال والمقالات، وكذلك في سائر العلوم والفنون.

فكيف الحال للباحث عن معرفة المبدأ والمعاد مع أقوال محتملة النسبة إلى ولاة الملكوت وخزّان مفاتيح الغيب الإلهي، وهم ممّن اطلعهم الله على خفايا وبواطن الأمور وأسرار الملك والملكوت، وقد حمّلهم عرشه وعلمه ودينه، بل إنّ الشأن الأعظم لهم هو إثارة العقول والتعليم والتذكير. فكما أنّ درجة الإحتمال مؤثّرة في درجة التنجيز، فكذلك درجة المحتمل. فكيف أنّ العقل يحكم بلزوم النظر في أقوال محتملة صدورها عن بعض مفكّري البشر مع وضوح قصورهم وتقصيرهم، ولايحكم بنحو اللزوم بضرورة الفحص والتنقيب والإستقصاء في مضامين الأبواب الروائيّة وإطالة التعمّق والغور في بياناتها ودلائل مضامينها، بغية أن يرانا الله تبارك وتعالى ونحن مهتمّين بأقوال ولاة أمره ـ حتى فيما يحتمل صدوره عنهم ـ مع ما فيها من دلائل وإشارات وإرشادات، فيمنّ علينا وينوّر قلوبنا بنور العلم واليقين.

وهنا أمور أخرىٰ في بيان قيمة الخبر المنسوب إليهم عليهم السلام، مادام يحتمل صدوره عنهم، يطول المقام بذكرها وقد أشبع بحثاً في محلّه، وإنّما فصّلنا هنا بعض التفصيل لما يرى من الغفلة والتساهل والتهاون بالنسبة إلى أخبار خزنة علم الله ممّا لايرى بالنسبة إلى كلمات غيرهم.[1]

الرابع: يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم

قد يقال: إنّ البرهان إذا اقيم على أمر ثمّ ظهر في أحد النصوص الدينيّة خلاف

---

(١) راجع ما كتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد السند بعنوان: الإجتهاد والتقليد في علم الرجال وأثره في التراث العقائدي: ٢١٤ و ٢٦٥ و ٢٦٧، وكذا: الغلو والفرق الباطنيّة: الفصل الأوّل.

ذلك فلابدّ من تاويل ذلك النّص أو طرحه، وما ذلك إلا للعقيدة بعصمة صاحب النصّ وأنّه لاينطق عن الهوى بما يخالف العقل. فيكون البرهان العقلي قرينة لُبيّة على صرف الكلام عمّا هو الظاهر فيه.

وهذه قاعدة مسلّمة لدى الجميع حتى الجماعة الأخباريّة كما مرّ من عبارة صاحب الحدائق، فإنّ العقل في تلك الموارد كاشف عن عدم إرادة المعنى المخالف لكشف العقل أو عدم صدوره.

وقد جعل البعض من هذه القاعدة المسلّمة ذريعة لطرح كثير من النصوص الدينيّة أو تأويلها لصالح ما يزعمون أنّه برهان عقلي عندهم، فلا يهتمّون بالنصوص الدينيّة لو خالفت برهانهم. وتشاهد هذه الحالة بوضوح عند جلّ الفلاسفة والمتصوّفة إن لم نقل الكلّ، وقد مرّ نزر يسير من تأويلاتهم للنصوص الدينيّة.

وقد سجّلت عليهم عدّة مؤاخذات:

منها: انّ العقل الذي يقدّم على النقل ليس هو البرهان المصطلح، بل هو العقل الحقيقي الذي هو نور وبرهان من الله تعالى، وهو لايخالف النقل بل يؤيّده كما أنّ النقل يرشد إليه. ويشهد عليه أنّه ليس في حكم العقل خطأ ولا اشتباه مع ما نرى بأمّ أعيننا الأخطاء والإشتباهات و الإختلافات الفاحشة في هذ االذي سمّوه عقلاً. فلو كان قبول النصوص الدينيّة رهن هذا المتزلزل الذي قد تعتريه الأعاصير فتقلعه من أساسه ـكما هو المشاهد في بعض النظريات التي ظلّت سنيناً بل قروناً حاكمة على أفكار المتفلسفة ثمّ بان خطؤها ـ لكان اللازم منه أن يتغيّر الدين و يتبدّل بتبدّل هذه النظريات و الأطروحات.

ومن النماذج الحيّة علىٰ ذلك نظريّة بطلميوس في علم الهيأة التي أوّل وطرح لأجلها الكثير من النصوص الدينيّة، نظير ما دلّت علىٰ عروج النبي صلّى الله عليه وآله بجسمه وروحه الشريف إلى السماوات، حيث كانت ترى أنّ ذلك ممّا

يستلزم منه خرق نظم الأفلاك، لكنّه تجلّىٰ في هذه الآونة بطلان تلك النظريّة. فليس هذا العقل المتزلزل هو الذي يقدّم على النقل، بل العقل الذي هو حجّة من الله على خلقه والذي هو أصل للدين.

ومنها: انّ تلك الموارد التي زعم أنّها مخالفة للعقل من النصوص الدينيّة قد تصدّت الشريعة لعلاجها وبيان المراد الواقعي منها قبل غيرها، كما في ما قد يستظهر منه التجسيم أو الجبر حيث قد وردت النصوص الدينيّة فبيّنت المراد الواقعي منها. فهذه النصوص بمثابة القرينة المنفصلة الصادرة عن المتكلّم، ومعه لاينعقد للكلام ظهور في المراد الجدي. لاسيّما وأنّ القرآن انّما نزل من باب التعويل على المنفصل حيث صرّح بأنّه لايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وأنّما يعرف القرآن من خوطب به، فتكون الآية القرآنيّة مع روايات أهل البيت من باب كلام متكلّم واحد، وعليه فلايوجد في القرآن نصّ أو ظاهر على خلاف العقل؛ وذلك لورود وجه العلاج والمراد الجدي منهما في الأخبار.

ومنها: انّ هناك بعض المناطق المحذورة التي ليس للعقل فيها نصيب، وقد نبّهت إلى ذلك آيات و روايات عديدة، نظير التفكّر في الله، أو العوالم السابقة على العالم الدنيوي، أو تفاصيل الحياة الآخرة، و غيرها من تفاصيل العقيدة، فليس للعقل في هذه الموارد كشف حتى يتعارض مع النصّ الديني. وكثير من الموارد التي يدّعى فيها تعارض العقل و النقل من هذاالقبيل.

ومنها: أنّه ليس كما يزعم أنّ العقل قطعي، والنصوص الدينيّة أمرها دائر بين ظني السند وظني الدلالة، وذلك لوجود التواتر المعنوي الذي يجعل الخبر قطعياً من ناحية السند و الدلالة والجهة، وهو موجود في أغلب أبواب المعارف التي ادعي قيام البرهان العقلي على خلافها.

وهذه المؤاخذات وغيرها ممّا لم نذكرها إنّما هي بصدد بيان أنّ الخلط

الحاصل لدى هذه الجماعة إنّما هو في تشخيص مصداق العقل الحقيقي، وأنّ ما يزعمونه برهاناً عقليّاً ليس هو برهان عقلي، وإلا لو كان ذلك من حكم العقل الذي هو حجّة الحجج بل به قوام سائر الحجج فلامجال لقبول ما يخالفه أو يباينه. فكم من برهان أقيم على أمر ولأجل الإعتماد عليه أوّل كثير من النصوص الدينيّة ولكنّه ليس ببرهان عقلي.

لكن النكتة التي نريد أن نثيرها هنا هي: وجود جملة من المؤشّرات التي تؤشّر على أنّ تلك البراهين القائمة على خلاف النصوص والتي سبّبت تأويل أو طرح جمّ غفير منها، يفتقد في ذاتها حقيقة البرهان. وذلك أنّه يجب أن يراعى في صرف الظاهر أو النص عن معناه لأجل وجود القرينة العقليّة شرطان أساسيّان:

١ ـ أن تكون نسبة الظواهر المنصرفة عن ظهورها لأجل القرينة العقليّة أقلّ بكثير من الظواهر التي يبقى على ظهورها من دون تصرّف، فيكون ذلك من الحالات الطارئة الثانوية.

٢ ـ أن لايكون إبداء الكلام الظاهر في أمر من المتكلّم خارجاً عن حدود الحكمة وداخلاً في نطاق العبث و اللهو. فإنّه لو حملنا الكلام الظاهر في أمر على ما يخالف ذلك الظهور أو يباينه وما كان بين ذلك الظهور وبين الوجه المحمول عليه أي ترابط وتناسب ولم يكن المقام مقام التقيّة وما شابه ذلك، لكان اللازم منه كون المتكلّم عابثاً لاهياً، حيث يتكلّم بما لافائدة فيه بل الفائدة في عكسه.

ولو لم يراع ذانك الشرطان يكون حمل الكلام على خلاف ظاهره عين نسبة اللغو واللهو والعبث و السفه الى المتكلّم، وكونه من الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم.

وتوضيح المراد يستدعي رسم مقدمات:

الاولى: من المقرّر في علم الأصول ان المتكلّم الجادّ توجد عنده ارادتان: ارادة

إستعمالية وارادة جديّة، والمراد الاستعمالي هو استعمال اللفظ في المعنى الموضوع له عند أهل اللغة، والكاشف عن هذه الإرادة انما هو اللغة وعلومها ومايسبق الى الذهن بمجرّد سماع اللفظ، من دون إلالتفات إلى أنّ المتكلّم هل أراد هذا المدلول الاستعمالي بشكل جدّي أم لا، بينما المراد الجدّي هو الذي أراده المتكلّم جدّاً.

فالإرادة الإستعماليّة تكون بانتقال السامع من اللفظ الى معناه الموضوع له بحسب اللغة، أي صرف ايجاد المعنى في ذهن المخاطب، سواء أراد ذلك المعنى جدّاً أم لا. ومن هنا يتّضح ان المرجع الوحيد لفهم المراد الإستعمالي انما هو اللغة وعلومها لاشيء آخر.

أما الإرادة الجديّة فهي القصد الجدي والواقعي من التكلّم، وهذه الإرادة قد توافق الإرادة الإستعمالية وقد تخالفها. والمرجع في ذلك ليس دلالات الالفاظ وعلوم اللغة، وانما القرائن الخارجيّة ومايلتفّ به الكلام من أحوال المتكلّم من كونه في مقام بيان مراده الجدّي، أو أنّه هازل أو خائف وكذا القرائن المقاليّة كالتصريح بعدم إرادته لذلك المدلول الإستعمالي، كما في موارد التخصيص والتقييد.

والغالب توافق الإرادتين؛ الإرادة الجديّة والإرادة الإستعماليّة، فإنّ العقلاء في محاوراتهم حينما يتكلّمون بكلمة لها معنى خاصّ يريدون ذلك المعنى جدّاً. لكنّه قد تخالف الارادة الجديّة الإرادة الاستعمالية، نظير الهازل حينما يقول شيئاً ولايريد ذلك المعنى الاستعمالي حقيقة وواقعاً، أو من يتّقي من عدوّه فيتكلّم بما لايريده جدّاً، أو من كان في مقام التعليم ويذكر بما يظهر منه العموم والإطلاق ثمّ يعوّل في بيان مراده الجدّي ـ الذي هو حصّة خاصّة منه ـ على بيان سيذكره مستقبلاً.

الثانية: رغم أنّ الأصل هو تطابق الإرادة الجدّية مع الإرادة الإستعماليّة إلاّ أنّ تخلّفهما جائز بل واقع، كما لو تكلّم المولى بجملة ظاهرة في العموم ثمّ بعد مدّة

بيّن ـ بمخصّص منفصل ـ أنّ مراده الجدّي ليس هو العموم بل حصّة خاصّة منه، فانّ المدلول الاستعمالي للعام هو العموم والشمول، والمخصّص المنفصل لايتصرّف في المراد الاستعمالي، إنّما المخصّص يكشف النقاب عن المراد الجدّي ويبيّن أنّه حصّة خاصّة من تلك الطبيعة، فهو يتصرّف في المراد الجدّي دون الإستعمالي ولاضير في ذلك.

لكن العمدة أنّ مخالفة المراد الجدّي عن المراد الإستعمالي إنّما هو طابع ثانوي وليس طابعاً اولياً، ولذا انعقد الأصل العقلائي أنّه ما لم ينصب المتكلّم قرينة على تخالف الإرادتين يحكم بوحدتهما. والسرّ في ذلك انّ تخلّف الإرادة الجدّية عن الإرادة الإستعمالية من دون نصب قرينة يعدّ إغراء بالجهل وفعلاً سفهيّاً خارجاً عن حدود الحكمة. بل حتى مع القرينة لايسوّغ العقلاء العدول عن اللفظ الذي يطابق المراد الجدي إلى لفظ آخر لايطابقه إلا لمسوّغ وعذر عقلائي. فانّ الذي تعلّقت ارادته الجديّة بشيء ويريد ابراز هذا المراد لآخر، انما يأتي بلفظ يناسب مراده، لا أن يأتي بلفظ موضوع في معنى آخر لايمتّ إلى مراده بصلة، ثم يكشف عن مراده بقرينة، نعم لو اقتضت المصلحة أن لايصرّح بمراده في مرحلة واحدة أو منع عن ذلك مانع كما لو كان في مقام التدرّج في التعليم، فلابأس بذلك.

ومن هنا ينجلي انّ من ينقلب فيه هذا الطبع الثانوي الى الطبع الاولي لالعذر، فهو لايزال يتكلّم بكلمات تخالف معناه المستعمل فيه عن مراده الجدي من دون سبب، فهو خارج عن إطار الحكمة والعقل وداخل في زمرة السفهاء والهازلين وأرباب الحيل والألغاز الذين يلبّسون ويتلاعبون، والذين يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم.

الثالثة: ان بناء متكلّم على مخالفة أغلب مراداته الجديّة مع مراداته الإستعماليّة

يخالف أساس التعليم والتربيّة، فانّ الذي لايتكلّم بكلمة الا وهو لايريد معناها جدّاً لايصلح لأن يكون معلّم الاجيال ومربّى النفوس. فإنّ نظام التعليم والتعلّم قائم على ايصال المعاني الحقيقية الى المتعلّمين لا التلبيس عليهم واخفاء المعنى الحقيقي عنهم وابراز لفظ لايدلّ على ذلك المعنى، بل يدلّ على خلافه.

الرابعة: ان تخالف المراد الجدّي عن المراد الاستعمالي على درجات: فقد يكون التخالف بنحو العموم والخصوص، فإذا أريد الخاص من الكلام الظاهر في العموم فهو وان حصل التغاير بين المراد الجدّي مع المراد الإستعمالى، إلاّ أنّ ذلك يكون في بعض الأفراد النادرة الخارجة عن تحت العموم بمخصّص منفصل، وأمّا أكثر الأفراد فهي باقية تحت العام. ومن هنا منعوا عن تخصيص أكثر الأفراد حيث يعدّ من التخصيص المستهجن الذي يتنزّه الحكيم عن ذلك. والتغاير بهذا الحدّ اذا اقتضته المصلحة لاضير فيه.

وقد يكون التغاير والتخالف بين الإرادتين بنحو التباين والتضارب، فهو يتكلّم بكلمة ويريد ضدّها. فانّ هذا النحو من التغاير بين الإرادتين لايصدر عن العقلاء الا في غاية القلّة والندرة، كما فى حالات التقيّة والخوف والإضطرار مع عدم إمكان التورية. هل العاقل اذا تعلّقت إرادته بشيء وأراد ابراز ذلك المراد الى الآخرين، لاسيما اذا كان في مقام التعليم، فهل انّه يدع اللفظ الذي هو ظاهر في مراده ويأتي بلفظ ظاهر في ضدّه ويباينه تبايناً كلياً؟!

بعد وضوح هذه المقدّمات نقول: إنّ قيام البرهان العقلي على خلاف مايظهر من آية أو رواية دليل علىٰ تخلّف المراد الجدّي عن المراد الإستعمالي، كما في ما قد يتبادر منه التجسيم للذات الأحدية أو الجبر أو غيره. والجدير بالذكر انّه مع الدليل العقلي على تخالف الإرادتين في هذه الموارد، قد صرّح المتكلّم نفسه -قبل غيره- بانّ المراد ليس ما قد يسبق الى ذهن العوام، وخير شاهد عليه

الروايات الواردة في إبطال مباني العامّة حيث توهّموا التجسيم أوالجبر من بعض الآيات والأخبار.

ولكن ليس هذا طابعاً أوليّاً في كلام الله تعالىٰ وكلام أوليائه عليهم السلام، بل الطبع الأولي هو التعليم والإفادة، وبيان المعارف الإلهيّة، وتذكير البشر بـربّهم، والسير بهم الى أعلى درجات الكمال.

ولو أوّلنا مئات الآيات وألوف الأخبار على خلاف ظاهرها لأجل ما نزعمه من البرهان، فلو كان هذا البرهان برهاناً حقاً لكان اللازم منه الحكـم بأن الله تـعالى ورسله وأوصيائه عليهم السلام من أرباب الحيل والألغاز الذين لايأتون بشـيء يفهمه الناس ويلبّسون عليهم مدّة بعثتهم وخلافتهم، وليسوا فـي مـقام التـعليم والتذكير والإرشاد، بل في مقام التعمية والتلبيس والاغراء بالجهل.

فإنّ العاقل الحكيم اذا كان في مقام التعليم لايترك اللفظ الصريح أو الظاهر في مراده ويأتي باللفظ المخالف لمراده بكثرة كاثرة، وبألسنة مختلفة ومتعدّدة، وفي مواقع متكرّرة فيندرج في التواتر المعنوي ويكون قطعياً من ناحية السند و الدلالة والجهة. ثمّ إنّ هذا الإصرار على إخفاء الواقع و إبداء خلافه يشكّل طابعاً أوليّاً، فلا يأتي نبي و لا وصي إلا وهو يصرّ على عدم بيان مراده باللفظ الظاهر فيه؛ جلّت ساحة قدسهم عن ذلك.

لاسيما إذا كانت المخالفة بين الإرادتين بنحو التباين والتضادّ، فهو يريد أن يبيّن السنخية بين الخالق والمخلوق لكن يأتي بلفظ ظاهر بل صريح في البينونة، ويريد القدم لكن يأتي بلفظ صريح في الحدوث، ويريد الجبر لكن يأتي بلفظ صريح في نفي الجبر، ويريد عدم الخلود لكن يأتي بما هو نصّ في الخلود، ويريد العذب لكن يأتي بالعذاب، ويريد الرحمة لكن يأتي بلفظ النقمة، الى غير ذلك مـما نسبه الفلاسفة و المتصوّفة إلى ساحة قدس الشريعة المطهّرة برّء الله ساحتها عن كلماتهم.

فهل ترى هذا المتكلّم الذي يتكلّم بمثل هذه الكلمات حكيم عاقل يريد تعليم الناس وارشادهم، أو أنّه سفيه هازل يريد التعمية والتلبيس؟!

قال المحقق الدواني رحمه الله:

«ثم التأويلات التي يتمحّلونها في كلام الأنبياء عسى أن يتأتى مثلها في كلام الفلاسفة، بل أكثر تلك التأويلات من قبيل المكابرات للسوفسطائية، فإنا نعلم قطعا أنّ المراد من هذه الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة هي معانيها المتعارفة عند أهل اللسان، فإنا كما لا نشك في أنّ من يخاطبنا بالاستفسار عن مسألة الجزء الذي لا يتجزأ لا يريد بذلك الاستفسار عن حال زيد مثلا في قيامه وقعوده، كذلك لا نشك في أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1] هو هذه المعاني الظاهرة، لا معنى آخر من أحوال المعاد الروحاني الذي يقول به الفلاسفة! وبالجملة: فنصوص الكتاب يجب الحمل على ظاهرها، والتجاوز عن هذا النهج غيٌّ وضلال، والتزامه طريق أهل الكمال»[2].

كما قال الميرزا القمي في ابن العربي ما ترجمته:

«انّه يظهر من بعض عباراته، أنّ قوم نوح انما غرقوا في بحار رحمة الله، مع أنّ صريح القرآن وضرورة الدين تدلان على أنّ الله قد غضب عليهم وهم من أهل النار. ومن كان له أدنى حظّ من علم اللغة العربية، إذا قرأ سورة نوح وتأمّل فيها سوف يقف على مدى بعد كلام هذا الأحمق الزنديق، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[3]

---

(١) يس: ٧٨ و ٧٩.

(٢) نقل عنه العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار: ٥٤ / ٢٥٨.

(٣) إبراهيم: ٤.

والحكمة تقتضي ذلك أيضاً.

فلم يوضع في لغة العرب لفظ السماء للأرض ولفظ الأرض للسماء ! وفهم هذا الأحمق من الكلام الإلهي أبعد مما بين السماء والأرض. ومع هذا كلّه فأيّ وجه يبقىٰ لدعوىٰ الإسلام ومتابعة الرسول والقرآن ؟...

وعلىٰ كلّ حال ، فإنّ ما يفهمه ابن العربي وينسبه إلىٰ الله تعالىٰ ، محض افتراء وبهتان. فإنّ القرآن الذي هو من معجزات خاتم الرسل صلّى الله عليه وآله ، ويعدّ بلاغته أحد وجوه إعجازه حيث عجزت أقوام العرب مع كمال فصاحتهم وبلاغتهم عن أن يأتوا بسورة من مثله ، فآثروا علىٰ أنفسهم القتل والنهب والأسر ، فهذا القرآن يكون مع تفسيرات ابن العربي في غاية الوهن والسخافة وينفر منه كلّ جاهل فضلاً عن العلماء ».[1]

قال الملا صدرا في مبحث خلود الكفّار في نار جهنّم ـ حيث نصّ على ذلك الذكر الحكيم في مواضع متعدّدة وأصرّ عليه، وكذلك السنّة المطهّرة، وقد أنكره هو وزعم أنّ البرهان قاده إلى ذلك ـ ولبئس ما قال:

« و القول بانتهاء مدّة التعذيب للكفّار و إن كان باطلاً عند جمهور الفقهاء والمتكلّمين و بدعة و ضلالة ـ لادّعائهم تحقّق النصوص الجليّة في خلود العذاب ووقوع الإجماع من الأمّة في هذا الباب ـ إلاّ أنّ كلاًّ منها غير قطعيّ الدلالة بحيث تعارض الكشف الصريح أو البرهان النيّر الصحيح.

أمّا النصّ : فما من لفظ إلاّ و يمكن حمله على معنى آخر غير ما هو الموضوع له بأحد الدلالات ، و إن كان الأصل و المعتبر هو المعنى المطابقي ،لكن الكلام هنا ليس في الأصل و الترجيح ،كما في الفروعات

(١) رسالة «ايمان فرعون» بالفارسيّة ، الميرزا القمي :١٥٧ و ١٥٨.

الظنيّة التي يكفي للعمل بها مجرد الأصل و الرجحان، بل في اليقينيات التي لا ينجح فيها إلا العلم بالبرهان، و الشهود بالعيان».[١]

وفي كلامه مواقع للنظر:

١ ـ انّ موضوع كلامه هو حمل النصوص الجليّة المتواترة علىٰ ما لم توضع له من معنىٰ ولاتدلّ عليه بأحد الدلالات، فلايوجد في تلك النصوص إحتمال إرادة ذلك المعنىٰ، مثلاً يحمل لفظ النور على معنى الظلمة، والعذاب على العذب. وهل للتكذيب معنى غير هذا؟

٢ ـ ليس الكلام في الدلالة الظنيّة حتى يرجع إلى الأصول والترجيح، إنّما الكلام في ما انعقد عليه التواتر المعنوي أو ضرورة الدين وهو قطعي صدوراً ودلالةً وجهةً، وحمل هذه النصوص بهذه الكثرة على خلاف المعنى الموضوع له لايمكن إلا بعد الإعتقاد بأنّ جميع المتكلّمين بهذه النصوص الكثيرة من أرباب الحيل والمعميّات.

٣ ـ كيف يحصل اليقين من برهان لايميّز صحيحه عن سقيمه، وكشف لايميّز شيطانيّه عن رحمانيّه، ولايحصل اليقين من التواتر المعنوي أو ضرورة الإديان مع الاعتقاد بعصمة الوحي وكونه تعالى قد أحاط بكلّ شيء علماً؟!

وهنا يتّضح ما قاله العلامة المجلسي رحمه الله:

« ومن أنصف ورجع إلى كلامهم علم أنهم لا يعاملون أصحاب الشرائع إلا كمعاملة المستهزئ بهم، أو من جعل الأنبياء عليهم السلام كأرباب الحيل و المعمّيات الذين لا يأتون بشيء يفهمه الناس، بل يلبسون عليهم في مدة بعثتهم، أعاذنا الله وسائر المؤمنين عن تسويلاتهم وشبههم، وسنكتب إن شاء الله في ذلك كتاباً مفرداً والله الموفق »[٢].

---

(١) تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازي: ٤ / ٣١٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨ / ٣٢٩.

الخامس : قاعدة في تصاعد دلالة الظاهر إلى حدّ الصراحة

إنّ من الامور المهمّة هو الإلتفات إلى أنّ تكرار لفظ ظاهر في معنى وبيان ذلك المعنى بالفاظ متعدّدة كل منها ظاهر فيه يجعل المعنى يقينياً، ويخرجه عن حدّ الظهور إلى حدّ النص والصراحة. لأنّ كلّ واحد من الألفاظ اذا لوحظ مفرداً فقد يحتمل إرادة خلاف ظاهره، وأمّا إذا تكاثرت وتعددت الألفاظ ببيانات مختلفة وألسنة متعدّدة، وفي مواقع متكاثرة فلايبقى حينئذ مجال لإحتمال إرادة خلاف الظاهر، فيكون نصّاً صريحاً جليّاً يقينيّاً ضروريّاً من محكمات الدين الحنيف يوزن به سائر أخبار الآحاد، وهو القسطاس المستقيم الذي به يعلم صدق أقوال البشر عن كذبه، فهو الميزان وإليه المرجع و عليه المعوّل، فلايمكن طرحه أو تأويله فإنّه بمثابة النص الذي لايقبل التأويل أو الطرح.

وهذا نظير حصول اليقين في التواتر حيث أنّ كلّ واحد من الأخبار إذا لوحظ في حدّ ذاته فلايكون يقينيّاً، بل التراكم والتكاثر الناشى من كثرة المخبرين هو الذي أوجب قطع احتمال الخلاف وجعله يقينياً.

نظام الفكر الفلسفي في ميزان الكتاب والسنّة

إذا عرفت الأمور الهامّة التي أشرنا إليها في كيفية إلقاء الأحاديث، وكيفية التعامل مع النصوص، وكيفية حصول التواتر وأقسامه، وفائدة الخبر الذي لايتمّ فيه نصاب الحجيّة من ناحية السند، وشروط الحمل على خلاف الظاهر، وكيفيّة تولّد النصوص وغيرها من الأمور التي يسبّب التغافل عنها ضياع كثير من التراث الديني ممّا هو من محكمات الدين الحنيف ومن ضروريّات الشريعة المحمّديّة على صادعها وآله آلاف السلام والتحيّة، فلنستعرض الطوائف الروائيّة المختلفة كي يظهر موقف الأئمّة المعصومين عليهم السلام مع المتفلسفة والمتصوفة، وهي تنقسم إلى قسمين رئيسيّين:

الأوّل: ما ورد في إبطال معطياتهم من المبدأ إلى المعاد على اختلافها واحداً واحداً، وهي أكثر من أن تحصى. فكثير من متبنياتهم ضدّ الشريعة المطهرة وقد وردت في نفيها و تنفيدها روايات وآيات كثيرة، وقد مرّ بعضها في الفصل الثاني.

الثاني: ما ورد في إبطال منهجهم في تحصيل المعرفة ومسارهم في الوصول إلى المعارف الربانيّة. فإنّ للفلاسفة والمتصوّفة على اختلاف مشاربهم ومدارسهم أسس مشتركة، يجتمعون فيها جميعاً. وقد مرّ في مدخل هذا الكتاب بيان ذلك،

حيث يظهر من كلماتهم في تعريف الفلسفة والعرفان (الحكمة النظريّة والعمليّة) أنّهم يحاولون الوصول إليهما مستندين إلى الطاقة البشريّة ومستغنين عن الطاقات التي تفوق قدرات البشر.

فالفيلسوف والعارف انما يحاولان ان يصلا إلى هدفهما المنشود من دون استعانة بما يخرج عن حيطة استطاعة البشر، والمحاولة الفلسفية انما تكون محاولة فلسفية اذا اتكأت على الطاقة البشريّة دون الطاقة الالهيّة التي تبلغ عبر الرسل والانبياء والحجج الإلهيّة.

فما يجمعهم جميعاً هو استبدادهم بطاقتهم المحدودة ومحاولة الوقوف علىٰ حقائق المبدأ والمعاد بتلك الطاقة مستغنيةً عن العلم الإلهي والمعلّم الرباني، ولذلك اختاروا لأثارة عقولهم معلّمين دون من أرسله واهب العقل لذلك. فالإختلاف ـكما مرـ هو في أنّ معلّم العقول ومثير دفائنها هل هو المرسَل من السماء ويتكلّم بما يفوق القدرة البشرية، أو من هو منقطع عنه ولايتكلّم إلا بقدر القدرة البشريّة؟

كما أنّ هناك نقطة أخرىٰ للإختلاف وهي أنّه هل نحتاج في الإستفادة من تعاليم رجال الوحي وفهمها إلىٰ تعاليم الفلاسفة أم لا؟ أي: أنّه هل يكتفىٰ في بناء الرؤية الدينيّة المتكاملة والعقيدة الصحيحة بما جاء من السماء، أم لابدّ من أن يستمدّ العون في ذلك من الفلسفة أو العرفان البشري؟

وهذه الطائفة من الأخبار تنصّ علىٰ بطلان كل نظام معرفي قائم علىٰ هذين الأصلين، الذي منه نظام الفكر الفلسفي والصوفي بشتّىٰ مدارسهما واتجاهاتهما.

القسم الأوّل:
ما ورد في إبطال معطيات الفلسفة من المبدأ إلىٰ المعاد

فهي طوائف من الآيات والروايات المتواترة التي تنافي وتبطل كثيراً من مباني الفلاسفة ومعطياتهم في معرفة الخلق والخالق، والدنيا والعقبى، وخلق العوالم، والجنة والنار، والتوحيد والعدل، ومعرفة الإنسان، وأفعاله وغير ذلك.

فإنّ أغلب أبحاثهم تباين ضرورة الشّرايع الإلهيّة وصريح الآيات القرآنيّة والروايات الكثيرة المتواترة، كما في القول بوحدة الوجود أو الموجود، والسنخية بين الباري تعالى وخلقه، وكون الإرادة من صفات الذات وإرجاعها إلى العلم، ولزوم صدور الفيض عن الباري جبراً، و إعتقادهم بالجبر في أفعال العباد المخالف لضرورة المذهب، وكقولهم بقدم العالم زماناً، وإنكار المعاد الجسماني، وإنكارهم النشأة السابقة وعالم الذر، وإعتقادهم بتجرّد الملائكة، وغير ذلك ممّا يطول ذكرها، وقد ورد في نقض كلّ منها آيات كثيرة وروايات متواترة بالتواتر المعنوي، فجميع هذه الآيات والروايات ـالتي قد تبلغ المئآت إن لم تكن الآلاف ـ تكون بمثابة الردّ عليهم وإبطال قولهم.

قال العلامة المجلسي قدّس سرّه بعد ذكر أحوال الجنة والنار من الآيات

والأخبار المتواترة:

« فلنشر إلى بعض ما قاله في ذلك الفرقة المخالفة للدين من الحكماء والمتفلسفين ، لتعرف معاندتهم للحق المبين ، ومعارضتهم لشرائع المسلمين ـ إلى أن قال بعد ذكر كلماتهم : ـ ولا يخفى على من راجع كلامهم وتتبّع اصولهم أن جلها لا يطابق ما ورد في شرائع الأنبياء ، وإنّما يمضغون ببعض اصول الشرائع وضروريات الملل على ألسنتهم في كل زمان ، حذرا من القتل والتكفير من مؤمني أهل زمانهم ، فهم يؤمنون بأفواههم وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم كافرون.

ولعمري من قال : بأن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد ، وكل حادث مسبوق بمادة ، وما ثبت قدمه امتنع عدمه ، وبأن العقول والأفلاك وهيولى العناصر قديمة ، وأن الأنواع المتوالدة كلها قديمة ، وأنه لا يجوز إعادة المعدوم ، وأن الأفلاك متطابقة ولا تكون العنصريات فوق الأفلاك ، وأمثال ذلك ، كيف يؤمن بما أتت به الشرائع ونطقت به الآيات ، وتواترت به الروايات ، من اختيار الواجب ، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وحدوث العالم ، وحدوث آدم ، والحشر الجسماني ، وكون الجنة في السماء مشتملة على الحور والقصور والأبنية والمساكن والأشجار والأنهار ، وأن السماوات تنشق وتطوى ، والكواكب تنتثر وتتساقط بل تفنى ، وأن الملائكة أجسام ملئت منهم السماوات ينزلون ويعرجون ، وأن النبي صلّى الله عليه وآله قد عرج إلى السماء وكذا عيسى وإدريس عليهما السلام ، وكذا كثير من معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من شق القمر وإحياء الأموات ورد الشمس وطلوعها من مغربها وكسوف الشمس في غير زمانه وخسوف القمر في غير أوانه ، وأمثال ذلك ؟

ومن أنصف ورجع إلى كلامهم علم أنهم لا يعاملون أصحاب الشرائع إلا كمعاملة المستهزئ بهم، أو من جعل الأنبياء عليهم السلام كأرباب الحيل و المعمّيات الذين لا يأتون بشيء يفهمه الناس، بل يلبسون عليهم في مدة بعثتهم، أعاذنا الله وسائر المؤمنين عن تسويلاتهم وشبههم، وسنكتب إن شاء الله في ذلك كتاباً مفردا والله الموفق »[1].

مراده قدّس سرّه أنّه لايخلو الأمر من وجهين: فإمّا أنّهم يعترفون بأنّ مبانيهم مباينة لما جاء به الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، أو يقولون إنّ آرائهم مأخوذة من الأنبياء والرسل عليهم السلام، و انّ ما جاؤوا به تعبير عمّا ورد في الكتاب والسنّة، وإنّ الآيات والروايات إنّما وردت موافقة لمبانيهم وأصولهم.

والقول الأوّل تكذيب للإنبياء والرسل والقرآن والسّنّة، فإن أظهروا بعد ذلك الإيمان والإسلام فلايكونون إلاّ كالمستهزء بهم.

و الإلتزام بالثاني يجعل الأنبياء عليهم السلام كأرباب الحيل والمعمّيات الذين يتكلّمون بشيء لايفهمه الناس خدعة ومكراً وتلبسياً عليهم، فإنّه من الواضح أنّ بيان القواعد الفلسفيّة ومعطياتهم بالألفاظ الواردة في القرآن والروايات وبما نطقت به الرسل والأئمّة عليهم السلام ليس إلاّ تدليس وتلبيس وتعمية وخديعة.

قال الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله في وصف المتصوّفة:

« ظهر من الرؤساء والأتباع من نفورهم عن الشرع وأهله وإظهار عداواتهم ومجانبة طريقتهم وتغيير كثير من أحكامهم، وقد صرحوا بعدم حجية الأحاديث الصحيحة المروية في الكتب المعتمدة فلا يلتفتون إليها ولا يعولون عليها، بل اخترعوا أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان وأشياء لفقوها ليس لهم عليها برهان مثل العشق والوجد

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨ / ٣٢٩.

والرياضة والشلة والرقص والفتل والغناء وترك الحيوانيات والكشف والوصول والحال والاتحاد ونحو ذلك ما لم يرد الشرع إلا بمذمته ».

ثمّ قال:

« معلوم من أن رؤسائهم كلهم كانوا من أعداء الأئمة عليهم السلام في كل زمان وطريقتهم مخالفة لطريقتهم إلى الآن، فكيف يجوز للشيعة الاقتداء بهم ؟ ! »[١]

قال الشيخ النمازي رحمه الله:

« وحيث إنّه جاء محمّد رسول الله وأوصياؤه المرضيّون صلوات الله عليهم لإبطال الفلسفة اليونانية والحكمة البشرية، كما نسب ذلك إلى قمر سماء الفقاهة صاحب الجواهر قال: « ما بعث رسول الله إلا لإبطال الفلسفة » كما سيأتي، بيّن القرآن والعترة الطاهرة خليفتا رسول الله صلّى الله عليه وآله المعارف الحقّة الإلهية في الخطب والأدعية والأحاديث الواردة عن النبي والعترة، حفظها أهلها وعلّموها طالبها، واقتبسوها من أهلها، وبيّنوها في كتبهم، وقاموا برد الفلسفة البشرية، واقتبسوا الحكمة الإلهية من بيوت النبوة والرسالة، ومعدن العلوم الإلهية الربّانية...

والروايات في ذمّهم أكثر من أن تحصى، ذكرنا جملة وافرة منها في كتابنا « تاريخ فلسفه وتصوف ». وتقدم بعضها في: « أخذ » و« أمر » و« تبع » و« دين » و« بطل » و« مسك » و« علم » و« صوف »، فراجع إليها وإلى: « هدى » و« شبه » و« فسر » و« سين ».[٢]

---

(١) الإثنا عشريّة، الحرّ العاملي: ٥٦.

(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٨ / ٢٩٩.

والبحث في متبنيّاتهم واحداً بعد واحد ممّا يتطلّب مجالاً آخر ولسنا الان بصدده، إلا أنّنا نكتفي بذكر القائمة الإجماليّة التي ذكرها الشيخ العلامّة النمازي رحمه الله من كلماتهم التي تصدّى العلامة المجلسي لنقدها في البحار وذكر الآيات والأخبار المنافية لها. فقال:

« منها: كلماتهم في حقيقة العقل وأنه بزعمهم جوهر مجرد قديم لا تعلق له بالمادة ذاتا ولا فعلا، قال: والقول به كما ذكروه مستلزم لإنكار كثير من ضروريات الدين من حدوث العالم وغيره، وبعض المنتحلين منهم للاسلام أثبتوا عقولا حادثة، وهي أيضا على ما أثبتوها مستلزمة لإنكار كثير من الأصول المقررة، مع أنه لا يظهر من الأخبار وجود مجرد سوى الله تعالى ـ إلى غير ذلك، فراجع البحار.[1]

ومنها: كلماتهم في علم الحق المتعال من نفي العلم عنه تعالى بالجزئيات، وغيره مما زعموه، فراجع إلى البحار. وكلماتهم في صفات الرب.[2]

كلام المجلسي في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، رد على الفلاسفة القائلين بالعقول والهيولا القديمة.[3]

ومنها: كلماتهم في القضاء والقدر[4].

ومنها: كلماتهم في الأنفس، وزعمهم أنها لا يلحقها الكون والفساد، وأنها باقية وإنما تفنى وتفسد الأجسام المركبة ـ الخ[5].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١ / ١٠١.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ٨٧ و ٦٣.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ٢٩٦ و ٥٧ / ٢٨.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥ / ١٢٨.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦ / ٢٥٢.

وكلماتهم في باب فناء الخلق[١].

وكلماتهم في المعاد الجسماني وإعادة الأجساد، وزعموا عدم إمكانها تمسكا بامتناع إعادة المعدوم، مع أن المعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المليين وهو من ضروريات الدين[٢].

وقال العلامة المجلسي: إعلم أن الإيمان بالجنة والنار على ما وردتا في الآيات والأخبار من غير تأويل من ضروريات الدين، ومنكرهما أو مؤولهما بما أولت به الفلاسفة، خارج من الدين، وأما كونهما مخلوقتان الآن فقد ذهب إليه جمهور المسلمين ـ الخ.[٣]...

وكلماتهم في الخلود.[٤]

كلماتهم في الهيولي والصور.[٥]

كلماتهم في المعراج الجسماني وتسويلاتهم، واعتذارهم بعدم قبول الفلك للخرق والالتيام في البحار.[٦]...

الخطب والروايات مضافاً إلى الآيات في ذم الفلاسفة وكلماتهم في حدوث العالم وقدمه.[٧]

وفيه [٨] نقل عن المحقق الدواني في أنموذجه وقد خالف في الحدوث الفلاسفة أهل الملل الثلاث فإن أهلها مجمعون على حدوثه، بل لم يشذ

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦ / ٣٣١.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧ / ٤٧.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨ / ٢٠٥.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨ / ٣٥٠.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٠ / ١٨٦.

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٨ / ٢٨٩.

(٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٧ / ٢٣٣.

(٨) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٧ / ٢٥٧.

من الحكم بحدوثه من أهل الملل مطلقا إلا بعض المجوس. وأما الفلاسفة ، فالمشهور أنهم مجمعون على قدمه على التفصيل الآتي ، ونقل عن أفلاطون القول بحدوثه ، وقد أوله بعضهم بالحدوث الذاتي ـ إلى أن قال : ـ وذهب جمهور الفلاسفة إلى أن العقول والأجرام الفلكية ونفوسها قديمة ، ومطلق حركاتها وأوضاعها وتخيلاتها أيضا قديمة ـ الخ. ويأتي في « قدم » ما يتعلق بذلك. ثم شرع في دفع شبه الفلاسفة الدائرة على ألسنة المنافقين والمشككين القاطعين لطريق الطالبين للحق واليقين[١].

كلماتهم في اللوح والقلم وشطحياتهم في ذلك في البحار.[٢]

كلماتهم في جرم القمر ، وأنه جرم مظلم كثيف يقبل من الشمس الضوء لكثافته وينعكس عنه لصقالته.[٣]

وكلماتهم في الكسوف والخسوف فيه.[٤]

وكلماتهم في وصف الشمس.[٥]

كلماتهم في الملائكة ، وقولهم بتجرد الملائكة ، وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطبايع ، وذم العلامة المجلسي إياهم بذلك في البحار.[٦]

كلماتهم في الرياح وأنها بتحريك الله الهواء. قالت الفلاسفة : هاهنا سبب آخر وهو أنه يرتفع من الأرض أجزاء أرضية لطيفية مسخنة تسخنا

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٧ / ٢٧٨.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٧ / ٣٦٥.

(٣) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٨ / ١٥٠ و ١٥١ و ١٧٤.

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٨ / ١٥٠ و ١٥١ و ١٧٤.

(٥) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٨ / ١٥٠ و ١٥١ و ١٧٤.

(٦) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٩ / ٢٠٢ و ٢٠٩ و ٢١٦.

شـديدا ، فـبسبب تـلك السـخونة الشـديدة تـرتفع وتـتصاعد ـ الخ. بـيان المجلسي في إبطاله في البحار.[١]

كلماتهم في الجبال وأنها من البحار بأنه يتولد من البحر طـين لزج ، ثـم يقوى تأثير الشمس فيها ، فينقلب حجرا. وكلام المجلسي في رده ـ الخ.[٢]

كلماتهم في حقيقة النفس والروح ، وبيان المجلسي في ضعفها.[٣] وفـي حقيقة الرؤيا.[٤] وفي الجن والشياطين.[٥]

كلمات المجلسي في ذمهم ، ونقله كلام جالينوس وما قاله في الفرق بين إيمانه وإيمان موسى بن عمران[٦].

وفيه كيفية ورود الفلسفة في الإسلام بسعي المأمون العباسي ».[٧]

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٩ / ٣٩٧ و ٦٠ / ٢١ و ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦٠ / ٦١.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦١ / ٦٨ و ٩٢ و ٩٧ و ١٠٠.

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦١ / ١٩٦.

(٥) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦٣ / ٢٦٨.

(٦) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦٠ / ١٩١ ـ ١٩٧.

(٧) مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشاهرودي : ٨ / ٣٠٦ ـ ٣١١.

القسم الثاني:

مادلّ على بطلان النهج الفلسفي في الوصول إلى المعارف الربّانيّة

فقد مرّ انّ الجامع بين جميع المدارس الفلسفيّة التي سعت الوصول إلى المعارف الربانيّة، هو ما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾[1] أي محاولة الوصول إلى تلك المعارف مستغنية عن بيّنات الرسل التي تشكّل قدرة فوق القدرة البشريّة، أو تحميل نتيجة الفكر الفلسفي علىٰ التراث الوحياني والقول بإناطة فهم بينات الرسل علىٰ تعلّم هذه العلوم البشريّة.

وهناك الكثير من الآيات والأخبار تنصّ علىٰ لزوم الإقتصار على القرآن والعترة في أخذ المعارف الالٰهيّة، وقد احتوت أبواب كثيرة من موسوعة بحار الأنوار على جملة من تلكم الروايات الكثيرة الناهية عن تلقّي العلوم والمعارف عن غيرهم عليهم السلام، على الباحث أن يتأمّلها بدقّة، نظير:

باب صفات العلماء وأصنافهم[2]، وباب من يجوز أخذ العلم منه ومن لا يجوز، وذم التقليد والنهى عن متابعة غير المعصوم في كل ما يقول، ووجوب التمسك

---

(١) جاثيه: ٨٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٤٥ / باب ١١.

بـعروة اتـباعهم عـليهم السـلام، وجـواز الرجـوع إلى رواة الاخـبار والفـقهاء الصالحين[١]، و باب ذم علماء السوء ولزوم التحرز عنهم[٢]، وباب أنّ لكل شيء حدا وانه ليس شيء الا ورد فيه كتاب أو سنة وعلم ذلك كله عند الامام[٣]،باب أنّهم عليهم السلام عندهم مواد العلم وأصوله، ولا يقولون شيئا برأي ولا قياس، بل ورثوا جميع العلوم عن النبي صلّى الله عليه وآله وأنهم أمناء الله على أسراره[٤]، وباب أنّ كل علم حق هو في أيدي الناس فمن أهل البيت عليهم السلام وصل إليهم[٥]، وباب البدع والرأي والمقائيس[٦]، وباب النهى عن القـول بـغير عـلم، والافتاء بالرأي، وبيان شرائطه[٧] وباب أنّهم عليهم السلام الذكـر، وأهـل الذكـر وأنـهم المسؤولون، وأنّـه فـرض عـلى شـيعتهم المسـألة ولم يـفرض عـليهم الجواب[٨]، وباب انهم أنوار الله، وتأويل آيات النور فيهم عليهم السلام، وباب انّهم عليهم السلام أهل علم القرآن والذين أوتوه والمنذرون به والراسخون فـي العلم[٩] وباب انّهم عليهم السلام آيات الله وبيناته وكتابه[١٠]، وباب أنّ من اصطفاه الله من عباده وأورثه كتابه هم الأئمة عليهم السـلام، وأنّـهم آل إبـراهيم وأهـل

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٨١ / باب ١٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٠٥ / باب ١٥.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٦٨ / باب ٢٢.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٢ / باب ٢٣.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٩ / باب ٢٤.

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٢٨٣ / باب ٣٤.

(٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢/١١١/باب ١٦.

(٨) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٧٢.

(٩) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٨٨.

(١٠) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢٠٦.

دعوته[١]، وباب أنّ الناس لا يهتدون الا بهم، وانهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنّه لا يدخل الجنة الا من عرفهم، وباب فضائل أهل البيت عليهم السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين والسفينة وباب حطة وغيرها[٢]، وباب انّهم عليهم السلام السبيل والصراط وهم وشيعتهم المستقيمون عليها[٣]، وباب أنّهم عليهم السلام النجوم والعلامات، وفيه بعض غرائب التأويل فيهم صلوات الله عليهم وفى أعدائهم[٤]، وباب أنّ الحكمة معرفة الامام[٥]، وباب انّهم عليهم السلام الماء المعين والبئر المعطلة والقصر المشيد وتأويل السحاب والمطر والظل والفواكه وسائر المنافع الظاهرة بعلمهم وبركاتهم عليهم السلام[٦]، وباب أنّهم عليهم السلام الهداية والهدى والهادون في القرآن[٧]، وباب ما نزل من النهى عن اتخاذ كل بطانة ووليجة وولى من دون الله وحججه عليهم السلام[٨]، وباب أنّ مستقى العلم من بيتهم وآثار الوحي فيها[٩]، وباب أنّهم عليهم السلام خزّان الله على علمه وحملة عرشه[١٠]، وباب أنّ عندهم جميع علوم الملائكة والأنبياء وانهم أعطوا ما أعطاه الله الأنبياء عليهم السلام، وأنّ كل امام يعلم جميع علم الإمام الذي قبله

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢١٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠٤.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٩.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٦٧.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٨٦.

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١٠٠.

(٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١٤٣.

(٨) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٢٤٤.

(٩) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٥٧.

(١٠) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٠٥.

ولا يبقى الأرض بغير عالم[١]، وباب أنّهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام[٢].

ولنشر فيما يأتي الى طوائف من هذه الاخبار، وهذا كلّه سوى ما سيأتي في الفصل الخامس من طوائف الآيات والأخبار والبراهين الدالّة على أنّه لاطريق لمعرفة الله تبارك وتعالى إلا من طريق أسمائه الحسنىٰ التي هي المصطفىٰ وآله الطيّبون الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين.

الطائفة الأولى: النهي عن أخذ المعرفة والعلم من غيرهم

١ ـ روى الصفّار عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لرجل: **تمصّون الثماد وتدعون النهر الأعظم؟! فقال له الرجل ما تعنى بهذا يا بن رسول الله؟ فقال: عَلِم النبي صلّى الله عليه وآله عِلْم النبيين بأسره، وأوحى الله إلى محمد صلّى الله عليه وآله فجعله محمد صلّى الله عليه وآله عند علي عليه السلام. فقال له الرجل فعلي عليه السلام أعلم أو بعض الأنبياء؟ فنظر أبو عبد الله عليه السلام إلى بعض أصحابه فقال: إن الله يفتح مسامع من يشاء أقول له ان رسول الله صلّى الله عليه وآله جعل ذلك كله عند علي عليه السلام فيقول علي عليه السلام اعلم أو بعض الأنبياء!**[٣]

٢ ـ وروى الصفار والكليني عن أبي جعفر عليه السلام قال: **يمصون الثماد ويدعون النهر العظيم؟! قيل له، وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله، إن الله**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٩٤.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفار: ٢٤٨.

عز وجل جمع لمحمد صلّى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم وهلم جرا إلى محمد صلّى الله عليه وآله. قيل له: ما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله صلّى الله عليه وآله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام. فقال له رجل: يا ابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول! إن الله يفتح مسامع من يشاء، إنّي حدّثته: أن الله جمع لمحمد صلّى الله عليه وآله علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين![1]

قال المولىٰ صالح المازندراني:

« الثمد ويحرك وككتاب: الماء القليل الذي لا مادة له أو ما يبقى في الجلد وهو الأرض الصلبة أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف، وفيه تمثيل حيث شبّه الخلق في تركهم العلم الكثير الصافي والأخذ بالعلم القليل الذي لا مادة له وهو ينجر بالآخرة إلى الخلط بالشبهات والمفتريات، بالعطاش الذين تركوا الماء الكثير الصافي والنهر العظيم الذي له مادة ومصوا الماء القليل الذي لا مادة له، ولا محالة ينتهي مصهم إلى شرب الماء المختلط بالطين البالغ إلى حد لا يسمى ماء ».[2]

وفي الحديث دلالة على أنّ العكوف على ما خرج من غير أهل البيت عليهم السلام متاركة للنهر الكبير والماء الغزير الصافي وعكوف على الجداول الراكدة الكدرة، فحتّى لو كانت الفلسفة مأخوذة من بعض الأنبياء عليهم السلام فلامسوّغ للعكوف عليها بعد وجود من عنده جميع علوم النبيين بأسرهم. فمن عدل عن

---

(١) بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفار: ١٣٧، الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٢٢٢.

(٢) شرح أصول الكافي، مولى محمدّ صالح المازندراني: ٥ / ٣٠٠.

قطب رحى العلم ومنهل غزير العلوم والمعارف إلى تراث اليونانييّن وغيرهم لعلّه يقف على علم غير خارج من معدن العلوم العلويّة ـحتى لو كان تحت ذريعة احتمال كونها مأخوذة من بعض الأنبياء ـ فلامحالة لايسلّم بأفضليّة سيّد الرسل وأهل بيته المطهّرون عليهم أفضل صلوات المصلين.

٣ ـ وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«وآخر قد تسمّىٰ عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّال وأضاليل من ضلاّل، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب علىٰ آرائه وعطف الحقّ علىٰ أهوائه، يؤمّن الناس من العظائم و يهوّن كثير الجرائم، يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول أعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، لايعرف باب الهدىٰ فيتّبعه ولاباب العمىٰ فيصدّ عنه، وذلك ميّت الأحياء.

فأين تذهبون؟! وأنّىٰ تؤفكون؟! والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم؟! بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟! وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، و ردوهم ورود الهيم العطاش... فلاتستعملوا الرأي فيما لايدرك قعره البصر ولاتتغلغل إليه الفِكَر».[1]

وصراحة الخبر في ضلال من لم يأخذ عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ـوبالذات المتفلسفة والمتصوّفة ـ مما لامجال لإنكارها، فإنّه عليه السلام قد وصف هذا المسمّىٰ بالعالم بأوصاف، منها: أنّه يقتبس جهائل من الجهّال، ومنها:

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة ٨٧.

أنّ الناس يخدعون بظاهر حاله وظاهر كلامه، ومنها: أنّه يحمّل ما توصّل إليها من آراء علىٰ الكتاب، ومنها: أنّه يهوّن الجرائم عند الناس و يؤمّنهم من العذاب، ومنها: أنّه يظهر للناس اجتنابه عن الشبهات وأنّ كلامه مبني علىٰ المحكمات. وهذه الأوصاف منطبقة علىٰ الفلاسفة والصوفيّة أشدّ الإنطباق.

أمّا الأول فواضح أنّ مستقىٰ علومهم هو التراث الدخيل الأجنبي الذي أدخل بين المسلمين. وأما الثاني فليس بضاعتهم سوىٰ الإتيان بكلمات خدّاعة تغري الناس بظاهرها وهم لايتأملون في مغزاها، بل سلوكهم وظاهر حالهم مصيدة للبسطاء. وأما الثالث فحدّث ولاحرج، وقد مرّ بعض ما حمّلوا من آرائهم علىٰ الكتاب والسنّة لاسيما من محي الدين وملاصدرا، بل قال بعض الأعلام فيما مرّ: أنّ كتابه في التفسير وشرح أصول الكافي ليس إلا لغرض تطبيق فلسفته علىٰ القرآن والحديث. وأما الرابع فقد مرّ عليك بعض كلماتهم في أنّ العذاب عذب وأنّ أهل النار يلتذّون بها وأنّها ليست مخلّدة عليهم، بل قولهم بالجبر في أفعال العباد. وأما الخامس فظاهر هتافهم بأنّهم انما يتّبعون البراهين المحكمة و أن من سواهم انما يتبع الظواهر الظنيّة، بل لم يزل يصفون براهينهم بالنيرّ العرشي.

ثمّ حثّ عليه السلام علىٰ اتباع أهل البيت عليهم السلام وأن لايؤخذ الا منهم وشنّع علىٰ هؤلاء المسمّين بالعلماء الذين يستقون معرفتهم من غير بيوتهم عليهم السلام، والجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام في آخر كلامه حذّر عن استعمال الرأي والفكر في الذات الربوبية، وهذا الوصف أيضاً منطبق عليهم كما هو واضح.

٤ ـ وروىٰ الصفار عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رجل ـ وأنا عنده ـ: إن الحسن البصري يروي أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: من كتم علماً جاء يوم القيامة ملجما بلجام من النار.

قال: كذب ويحه فأين قول الله؟ ﴿ وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾[1]. ثم مد بها أبو جعفر عليه السلام صوته فقال: ليذهبوا حيث شاؤوا، أما والله لا يجدون العلم إلا ههنا، ثم سكت ساعة، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: عند آل محمد.[2]

٥ ـ عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: ذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في كتاب مصباح الأنوار بإسناده عن الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنا ميزان العلم، وعلي كفتاه، والحسن والحسين حباله، وفاطمة علاقته، والأئمة من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين الناصبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين.[3]

٦ ـ ومن كتاب الفردوس باسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنا ميزان العلم، وعلي كفتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، و الأئمة من بعدي عموده، يوزن فيه أعمال المحبين لنا والمبغضين لنا[4].

فميزان العلم هو النبي وأهل بيته المعصومون عليهم السلام وبهذا الميزان يوزن الناس، فمن أخذ علومه منهم يدرج في قائمة المحبّين ومن لم يأخذ علومه منهم يدرج في قائمة المبغضين، ﴿ وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تُخْسِرُوا

---

(١) غافر: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٧٠.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠٦ / ٦ عنه.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٣٩ / ٨٧ عنه.

الْمِيزَانِ﴾[١]. ويا لخسارة من يأخذ ميزان العلوم من غيرهم.

٧ـ روى الحسن بن سليمان نقلا من كتاب السيد حسن بن كبش باسناده إلى يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال له: **يا يونس إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت فانا رويناه وأوتينا شرح الحكمة وفصل الخطاب، إن الله اصطفانا وآتانا ما لم يؤت أحدا من العالمين.**[٢]

٨ـ وعن كشف الغمة: قال علي بن الحسين عليه السلام: **قد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد مفارقتها أئمة الدين والشجرة النبوية إخلاص الديانة، وأخذوا أنفسهم في مخائل الرهبانية، وتعالوا في العلوم ووصفوا الايمان بأحسن صفاتهم وتحلوا بأحسن السنة، حتى إذا طال عليهم الأمد وبعدت عليهم الشقة وامتحنوا بمحن الصادقين رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى وعلم النجاة، يتفسخون تحت أعباء الديانة تفسخ حاشية الإبل تحت أوراق البزل.**

ولا تحرز السبق الروايا وإن جرت ... ولا يبلغ الغايات إلا سبوقها

وذهب الآخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا يقتحمون في أغمار الشبهات ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب ولا أثره علم من من مظان العلم بتحذير مثبطين، زعموا أنهم على الرشد من غيهم، وإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام الملة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضا؟! والله تعالى يقول:

---

(١) الرحمن: ٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٥٨ / ٥ عن المحتضر للحسن بن سليمان الحلي.

﴿ وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْبَيِّنٰات ﴾[١] فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة إلا أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة؟ هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب؟

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى   وخير جبال العالمين ونيقها.[٢]

٩ ـ روى الصدوق عن أبيه، عن الحسن بن أحمد المالكي، عن أبيه، عن إبراهيم ابن أبي محمود، عن الرضا عليه السلام في خبر طويل قال: **يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فألزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه. يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة.**[٣]

وليس ملازمة طريق أهل البيت عليهم السلام منحصراً بالفروع، بل الأهم والأعظم هو ملازمة طريقتهم في الوصول الىٰ المعارف الربانيّة ومعرفة الله تعالىٰ التي هي أول الدين وأساسه، بل الحديث وارد في مورد العقيدة والإلتزام القلبي

---

(١) آل عمران ١٠٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٧ / ١٩٣ / ٥٢ عنه. والنِّيق: أرفع موضع في الجبل، وقيل: النِّيق الطويل من الجبال. لسان العرب: باب نيق.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١١٥ / ١١ عن العيون.

وقد حذّر عليه السلام عن أخذ العقيدة والدين من غيرهم حيث يعقبه الخروج عن الإيمان. ولاريب أنّ طريقة الفلاسفة والمتصوّفة مغاير لطريقة الأئمّة عليهم السلام في الوصول إلىٰ هذه المعارف، وقد مرّ بيان ذلك في الفصول السابقة فلا نعيد.

قال العلامة المجلسي رحمه الله:

« المراد ابتداع دين أو رأي أو عبادة والإصرار عليها حتى هذا الأمر المخالف للواقع الذي لا يترتب عليه فساد، والحاصل أن الغرض: التعميم في كل أمر يخالف الواقع فإن التدين به يخرج الرجل عن الإيمان المأخوذ فيه ترك الكبائر كما هو مصطلح الأخبار وسيأتي تحقيقها ».[١]

والروايات بهذا المضمون كثيرة جدّاً نكتفي بهذا المقدار منها.

الطائفة الثانية: مستقى العلم ومعدنه من بيت آل محمد عليهم السلام

١٠ ـ روى الكليني فى باب أنّ مستقى العلم من بيت آل محمد عليهم السلام عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب قال: حدثنا يحيى بن عبد الله أبي الحسن صاحب الديلم قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول ـ وعنده انا من أهل الكوفه ـ: **عجباً للناس إنّهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فعملوا به واهتدوا ويرون أن أهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن أهل بيته وذريته في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنّهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا، إن هذا لمحال.**[٢]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١١٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٨.

١١ـ وروى المفيد أحمد بن الوليد عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن يحيى بن عبد الله بن الحسن قال مثله.[١]

١٢ـ وروى أيضاً بسنده علي بن محمد بن عبد الله، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر عن عبد الله بن حماد، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن الحكم بن عتيبة قال: لقي رجل الحسين بن علي عليهما السلام بالثعلبية وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلّم عليه، فقال له الحسين عليه السلام: **من أي البلاد أنت؟** قال: من أهل الكوفة، قال: **أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا ونزوله بالوحي على جدي، يا أخا أهل الكوفة أفمستقى الناس العلم من عندنا فعلموا وجهلنا؟! هذا ما لا يكون.**[٢]

١٣ـ روى الصفار عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن الحكم ابن عتيبة مثله.[٣]

١٤ـ روى الصّفار عن الهيثم النهدي الكوفي عن الحسن بن علي عن ابن هراسة الشيباني عن شيخ من أهل الكوفة قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام بمنى فقال: **ممن الرجل؟** فقلت: رجل من أهل العراق، فقال لي: **يا أخا أهل العراق أما لو كنت عندنا**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٥٨ / ٤ عن المفيد.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٨.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٥٧ / ١ عن البصائر.

بالمدينة لأريناك مواطن جبرئيل من دويرنا، استقانا الناس العلم، فتراهم علموا وجهلنا؟[١]

تصرّح هذه الروايات على أنّ العلم انّما خرج من بيوتهم عليهم السلام، فبيوتهم مستقى العلم، فكما أنّ العطشان ليس له بدّ من الرجوع إلى المستقى ليروى من الماء وكلما يوجد من الماء عند أحد فإنّما خرج من المستقى، فكذلك طالب العلم ليس له بدّ من الرجوع إليهم و ما من علم صحيح فى أيد الناس الا خرج من بيوتهم عليهم السلام. وبعد هذه الصراحة الصارمة فما بال بعض المنتحلين الى ولاية اهل البيت عليهم السلام يطلبون العلم من بناء أسّسه جماعة من بني يونان الذين قد عرفت حالهم و معارضتهم للأنبياء وأرباب الشرايع، فإنّ ما أسسّوه من الفلسفة وإن حدث فيها تطوّرات وتغييرات، إلاّ أنّه لاريب أنّه هو مستقى الفلسفة الموجودة حالياً بأقسامها، وانّه هو مبدؤها ومخرجها.

١٥ ـ روى العياشي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: **لما قضى محمد صلّى الله عليه وآله نبوته واستكملت أيامه أوحى الله: يا محمد قد قضيت نبوتك، واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك من الايمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، في العقب من ذريتك فإني لم أقطع العلم والايمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم وذلك قول الله: ﴿ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى الْعٰالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢] وإنّ الله جلّ وتعالى لم يجعل العلم**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٥٧ / ٢ عن البصائر.

(٢) آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

جهلا، ولم يكل أمره إلى أحد من حلقه، لا إلى ملك مقرب، ولا إلى نبي مرسل ولكنه أرسل رسلا من ملائكته، فقال له: كذا وكذا، يأمرهم بما يجب، وينهاهم عما يكره، فقص عليه أمر خلقه بعلم، فعلم ذلك العلم وعلم أنبياءه وأصفياءه من الأنبياء والأعوان والذرية التي بعضها من بعض، فذلك قوله: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيما ﴾[1] فأما الكتاب فهو النبوة، وأما الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء في الصفوة، وأما الملك العظيم فهم الأئمة الهداة في الصفوة، وكل هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض التي جعل فيهم البقية وفيهم العاقبة وحفظ الميثاق حتى تنقضي الدنيا، وللعلماء ولولاة الامر الاستنباط للعلم والهداية.[2]

١٦ ـ وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته عند ذكر آل النبي صلّى الله عليه وآله: هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، و جبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه... ولا يسوىٰ بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا، هم أساس الدين، وعماد اليقين. الحديث.[3]

فعيبة العلم ومعدنه عندهم ولابدّ أن ينحدر كلّ علم من عندهم وإلاّ يؤدّي الى الضلالة، والدين انّما ينتظم بعلومهم و معارفهم فجميع الشبهات والظلمات انّما ترتفع ببركة أنوار كلامهم، ولايقاس بهم غيرهم أبداً فإنّهم أساس الدين وعماد اليقين.

---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢٢٥ / ٤٦ عن تفسير العياشي.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١١٧ / ٣٢ عنه.

الطائفة الثالثة: ليس شيء من الحق في يد الناس الا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام وكل ما لم يخرج من عندهم فهو باطل

١٧ ـ روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ... **لم نزل أنوارا حول العرش نسبح فيسبح أهل السماء لتسبيحنا، فلما نزلنا إلى الأرض سبحنا فسبح أهل الأرض، فكل علم خرج إلى أهل السماوات والأرض فمنّا وعنّا.** الحديث.[١]

فالحديث يصرّح على أنّه جميع العلوم ـحتى علوم الملائكة وسكّان السماء ـ إنّما خرجت من عندهم، فكيف بعلوم أهل الأرض.

١٨ ـ روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام.**[٢]

١٩ ـ وروى البرقي عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **أما أنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل وصواب إلا مفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسببه علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام.**[٣]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٤.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٩.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٤ / ٣١ عن المحاسن.

٢٠ ـ ورواه المفيد باختلاف يسير عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام.[١]

٢١ ـ وروى الكليني بسنده عن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: سلوني عمّا شئتم فلا تسألوني عن شيء إلاّ أنبأتكم به. قال: **إنّه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاؤوا، فوالله ليس الأمر إلاّ من ههنا، وأشار بيده إلى بيته.**[٢]

٢٢ ـ روى الصفار عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي بن النعمان، عن البزنطي، عن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: **سلوني عما شئتم، ولا تسألونني عن شيء إلا أنبأتكم به.** قال: فسألته فقال: **إنه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاؤوا فوالله ليأتين الأمر ههنا. وأشار بيده إلى صدره.**[٣]

٢٣ ـ روى الصفّار عن الفضل، عن موسى بن القاسم، عن حماد بن عيسى، عن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٩ / ١ عن مجالس المفيد.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٩.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٤ / ٣٤ عن البصائر.

يقول: ـ وسأله رجل من أهل البصرة فقال: إن عثمان الأعمى يروي عن الحسن: أن الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم أهل النار. قال أبو جعفر عليه السلام: **فهلك إذاً مؤمن آل فرعون، كذبوا إن ذلك من فروج الزناة، وما زال العلم مكتوما قبل قتل ابن آدم، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، لايوجد العلم إلا عند أهل بيت نزل عليهم جبرئيل.**(١)

٢٤ ـ روى الطبرسي عن عبد الله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم من يدخل النار، فقال أبو جعفر عليه السلام: **فهلك إذاً مؤمن آل فرعون، والله مدحه بذلك، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله عز وجل رسوله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا.** وكان عليه السلام يقول: **محنة الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.**(٢)

٢٥ ـ روى الصفار عن ابن معروف، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن فضيل، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل.**(٣)

أقول: الظاهر من هذه الأدلّة بل صريحها أنّها في مقام إبطال ما خرج من عند

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩١ / ١٧ عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠١ / ٧ عن الاحتجاج.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٤ / ٣٢ عن البصائر.

غيرهم مما هو مرتبط بالدين من العقيدة والعمل والأخلاق، ومنها المعارف التوحيديّة والإلهيّة ومعرفة العوالم وغيرها مما تسبّب ايجاد رؤية شاملة عن الكون والمبدأ والمعاد مما يرتبط بالعقيدة والدين. ومن أهمّ مصاديقه هو ما أسسّته فلاسفة اليونان و غيرهم من الفلاسفة والمتصوّفة، فقد مرّ أنّهم حاولوا أن يحصلوا على إيجاد الرؤية الكونيّة الشاملة للإنسان وأنّه من أين وفي أين وإلى أين، كلّ ذلك بالطاقة البشريّة دون الإستمداد بالأنبياء والرسل الإلهيين. وعدم خروج هذه المباحث من بيوت أهل بيت الوحي من الواضحات، وإن ادعى بعض وجود بعض الاشارات فى كلمات أهل الذكر تشير الى تلك الأسس والمعطيات أو تطابق النتيجة بينهما، إلا أنّه لم يدّع أحد أنّ منشأ هذه العلوم و مستقاه هو بيوت أهل بيت الوحي عليهم السلام، فهذه ممّا لم يخرج من بيوتهم صلوات الله عليهم، بل دخلت في الأوساط المسلمة من اليونان وغيره كما مرّت جملة من الشواهد على ذلك.

قال العلامّة الطباطبائي:

«وحتى الفلسفة المنقولة من اليونانية إلى العربية في بداية أمرها والتي بقيت على شكلها اليوناني لفترة غير قصيرة، فان البيئة أثرت فيها مادة وصورة وتحولت من شكلها البدائي إلى شكل يغايره كل المغايرة».[1]

فغاية ما يدّعى تغيير وتشذيب وتبديل ما خرج من اليونان بعد دخوله بين المسلمين، ولن يدّعى أحد خروجها عن بيوت أهل الذكر عليهم السلام.

الرؤية البُتريّة لعلوم أهل البيت عليهم السلام

إنّ البُتريّة جماعة خلطوا ولاية اهل البيت عليهم السلام مع ولاية أصحاب

---

(١) القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١١٥.

السقيفة، وقد انشعبوا من التيار الزيدي ولأجل رفضهم التبرّي من أعداء فاطمة سلام الله عليها قال لهم زيد بن على فقيه أهل البيت في محضر أخيه الإمام الباقر عليه السلام: «بترتم أمرنا بتركم الله» فيومئذ سمّوا البتريّة.

٢٦ ـ فقد روى الصدوق والكشي وغيرهما بإسنادهم عن سدير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي سلمة بن كهيل، وأبو المقدام ثابت الحداد، وسالم بن أبي حفصة، وكثير النواء، وجماعة معهم، وعند أبي جعفر عليه السلام أخوه زيد بن علي عليهم السلام فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: نتولّى عليا وحسنا وحسينا ونتبرأ من أعداهم! قال: نعم. قالوا: نتولى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم! قال: فالتفت إليهم زيد بن علي قال: لهم أتتبرؤن من فاطمة؟! بترتم أمرنا بتركم الله، فيومئذ سمّوا البترية.[١]

وهم الذين كانوا يستصغرون علوم اهل البيت عليهم السلام في جنب علوم غيرهم ويرون أنفسهم منفتحين فى أخذ العلوم والمعارف من كلّ أحد، وكانوا دعاة الوحدة والتقريب وأنكروا إظهار التبرّي عن منهج السقيفة.

ومن رواد البتريّة الحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وكثير النواء، وأبو المقداد ثابت بن حداد، وسالم بن ابي حفصة. وقد حقّق فى محله[٢] أنّ المنهج البتري منهج تلفيقى مزيجى التقاطي، وهو نموذج من نماذج وألوان النفاق فى الإيمان. ولهم معالم و مبادي كثيرة؛ فمن جملة معالمهم أنّهم كانوا دعاة الإصلاح وأرادوا لمّ الشعث بين المسلمين كافّة، ومن معالمهم أنّهم دعاة التقريب والوحدة، ومن

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤ / ٥٤٤، واختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي: رقم: ٤٢٩.

(٢) فيما كتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد السند في كتاب: الغلو والفرق الباطنيّة، الفصل السادس.

جملة معالمهم أنّهم رغم اعترافهم بفضل أهل البيت عليهم السلام إلا أنّهم ما كانوا يعترفون بمقاماتهم الملكوتيّة وأنّهم خزّان علم الله وأنّ جميع العلوم تنحدر من صافي عيونهم، فكانوا يطلبون العلم من هنا و هناك ويستصغرون علوم أهل البيت في جنب علوم غيرهم.

ولأجل ذلك وقع الإنكار الشديد من أهل البيت عليهم السلام على هذه الجماعة وأكّدوا على خروجهم عن دائرة المذهب،كما نصّ بذلك فقهاؤنا العظام وصرّحوا بخروجهم عن التشيّع. والروايات في ذمّهم كثيرة نكتفي هنا بذكر ما ورد عنهم عليهم السلام في إبطال منهجهم في أخذ العلوم والمعارف، الأمر الذي يهمّنا في هذه الدراسة.

٢٧ ـ فقد روى الكشى عن محمد بن مسعود، قال: حدثني علي بن محمد بن فيروزان القمي، قال: أخبرني محمد بن أحمد بن يحيي، عن العباس بن معروف، عن الحجال، عن أبي مريم الأنصاري، قال، قال لي أبو جعفر عليه السلام: **قل لسلمة بن كهيل والحكم ابن عيينة شرّقا أو غرّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت.**(١)

٢٨ ـ ورواه الكلينى بسنده عن أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: **شرّقا وغربا فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل‌البيت.**(٢)

٢٩ ـ ورواه الصفّار فى البصائر عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن

---

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي: رقم ٣٦٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٩.

علي، عن أبي إسحاق ثعلبة، عن أبي مريم عن أبى جعفر عليه السلام.[١]

٣٠ـ وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن معلى بن عثمان، عن أبي بصير قال: قال لي: **إنّ الحكم بن عتيبة ممّن قال الله: ﴿ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مٰا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] فليشرّق الحكم وليغرّب، أما والله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل.**[٣]

٣١ـ ورواه الصفّار عن أحمد بن محمد، عن الأهوازي، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن معلى ابن أبي عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام.[٤]

٣٢ـ وروى الكشي عن محمد بن مسعود، قال: حدثنا علي بن الحسن بن فضال، قال: حدثني العباس بن عامر، وجعفر بن محمد بن حكيم، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزنا أتجوز؟ قال: **لا**، فقلت: ان الحكم بن عيينة يزعم أنها تجوز، فقال: **اللهم لا تغفر ذنبه، قال الله للحكم ﴿ وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ ﴾[٥] فليذهب الحكم**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٢ عن البصائر.

(٢) البقره: ٨.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٩.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩١ / ١٨ عن البصائر.

(٥) الزخرف: ٤٤.

يميناً وشمالاً، فوالله لا يوجد العلم الا في أهل بيت نزل عليهم جبريل عليه السلام.[١]

٣٣ ـ و رواه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن ابان ابن عثمان، عن أبي بصير.[٢]

٣٤ ـ و رواه الصفار عن السندي بن محمد، ومحمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن أبان بن عثمان. عن أبي بصير.

وبيانه عليه السلام برهان على حصريّة فهم علوم القرآن في أهل البيت عليهم السلام، وذلك لارتباطهم بالملكوت المحيط على حقائق الاشياء وهم الذين يعون معاني القرآن و مقاصده وعلى الناس ان ياخذوا العلوم منهم.

٣٥ ـ وروى النجاشي بسنده عن عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً، فاختلفا في شيء فقال أبو جعفر عليه السلام: **يا بني قم! فأخرج كتاب علي،** فأخرج كتاباً مدروجاً عظيما وفتحه (ففتحه) وجعل ينظر حتى أخرج المسألة. فقاله أبو جعفر عليه السلام: **هذا خط علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله.** وأقبل على الحكم و قال: **يا أبا محمد! اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام**[٣].

---

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي: رقم ٣٧٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٩.

(٣) رجال النجاشي: ٣٦٠.

يظهر من الحديث أنّ الحكم بن عتيبة وزملائه من رواد البتريّة كانوا يتردّدون على أبواب الائمة عليهم السلام و يحملون اليهم المسائل، مما يدل على انهم ما كانوا ينكرون فضل اهل البيت و علمهم، ولكنّهم رغم ذلك كانوا يستصغرون علوم اهل البيت عليهم السلام ويطلبون العلم والمعرفة من الشرق و الغرب، وينظرون الى الائمة كباقي علماء البشر الذين يعتري علومهم الخطأ والنسيان و من اجل ذلك اختلفوا معهم. وقد برهن الامام عليه السلام على انه لايمكن أن يوجد علم أوثق وأحكم وامتن من علومهم عليهم السلام، وذلك لما يمتلكون من النوافذ الى ملكوت العالم وغيب الغيوب المحيط بالحقائق والواقعيات، وأنّهم على ارتباط دائم دائب مع علاّم الغيوب جلّت عظمته، الذى أحاط بكل شيء علماً.

٣٦ـ و روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن الحسين بن الحسن بن يزيد، عن بدر عن أبيه قال: حدثني سلام أبو علي الخراساني، عن سالم بن سعيد المخزومي قال: بينا أنا جالس عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه عباد بن كثير عابد أهل البصرة وابن شريح فقيه أهل مكة، وعند أبي عبد الله عليه السلام ميمون القداح مولى أبي جعفر عليه السلام، فسأله عباد بن كثير فقال: يا أبا عبد الله في كم ثوب كفن رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: **في ثلاثة أثواب، ثوبين صحاريين وثوب حبرة، وكان في البرد قلة،** فكأنّما أزور عباد بن كثير من ذلك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **إن نخلة مريم عليها السلام إنما كانت عجوة ونزلت من السماء، فما نبت من أصلها كان عجوة وما كان من لقاط فهو لون.**

فلما خرجوا من عنده قال عباد بن كثير لابن شريح: والله ما أدري ما هذا المثل الذي ضربه لي أبو عبد الله، فقال ابن شريح: هذا

الغلام يخبرك فإنه منهم -يعني ميمون- فسأله فقال ميمون: أما تعلم ما قال لك؟ قال: لا والله. قال: إنه ضرب لك مثل نفسه فأخبرك أنّه ولد من ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلم رسول الله عندهم، فما جاء من عندهم فهو صواب وما جاء من عند غيرهم فهو لقاط.[١]

و عباد بن كثير أيضا من جماعة البتريّة وقد كان يستصغر علوم أهل البيت عليهم السلام ويحسب أنّه يحسن صنعاً، فأعلمه الإمام عليه السلام أنّه هو الذي ورث علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٢].

وهذه الوراثة التي أكّد عليها القرآن هي وراثة الاصطفاء، وهي وراثة نورانيّة، وهي تكون بانتقال روح القدس الذى كان في النبي صلى الله عليه وآله -وبه كان يعلم الكتاب والايمان ويحيط بما فوق العرش الى ما تحت الثرى- الى الإمام من بعده كما يشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لاَ الإِيمَانُ وَ لٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٣]. فهذا الروح الذى أوحى الى الرسول وبه علم الكتاب الذى وصفه بقوله: ﴿ وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[٤] وقوله: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٥] وغيرهما من الايات، يرثه من بعده المصطفون من عباد الله الذين هم أصحاب

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٤٠٠.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) النمل: ٧٥.

(٥) الأنعام: ٣٨.

ليلة القدر التي ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [١] وهم الذين تعلّقت باصطفائهم المشيئة الإلهيّة ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ﴾ [٢].

تكرّر ظاهرة البتريّة في الأعصار

ثمّ إنّه يظهر من بعض الأخبار أنّ ظاهرة البتريّة بمعالمها تتكرّر فى طول الأعصار، حتى انه ورد أنّ صيتهم سيشتدّ قبيل ظهور الامام الحجة عجل الله فرجه، سيماهم سيماء الفقهاء فى الدين حتى أنّهم يواجهون القائم عليه السلام ويقولون له: ارجع يابن فاطمة لاحاجة لنا فيك! فيضع الحجة السيف فى رقابهم من بعد صلاة العصر الى وقت صلاة العشاء فيقتلهم عن آخرهم.[٣]

٣٧ ـ وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام:

«لو انّ البتريّة صف واحد مابين المشرق والمغرب ما أعزّ الله بهم ديناً»[٤].

و مفاده انّ اصحاب هذا النهج التلفيقي بتلفيقهم وتخليطهم ورفضهم شعار التبري يريدون ان يوحّدوا صفوف المسلمين كى تحصل بذلك العزّة للدين، وكذلك بانفتاحهم على كل من هب و دب فى اخذ العلوم والمعارف يريدون ان يصلوا الى قمّة الشرف العملى فيعتزّ بذلك دين الله وذلك لتصغيرهم علوم

---

(١) القدر: ٤.

(٢) النحل: ٢.

(٣) دلائل الأمامة، الطبري، والصراط المستقيم، البياضى العاملى: ٢ / ٢٥٤.

(٤) من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤ / ٥٤٥.

آل محمد، ولكن الله يابى ان يُعِزَّ دينه بهم، فحتى لو استطاعوا فرضاً ان يوحّدوا الصفوف ويقنعوهم بمعالهم التى بنيت على التناقضات والتنافرات، لما يترتب على ذلك عزّة للدين.

الطائفة الرابعة: لزوم إتّباع الأنبياء والأئمّة عليهم السلام

قراءة جديدة في معنى الإتّباع

قال تعالى: ﴿ قالُوا أ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَ كَذٰلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاّ قالَ مُتْرَفُوها إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلىٰ أُمَّةٍ وَ إِنّا عَلىٰ آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلىٰ ما أَنْزَلَ اللّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ ﴾[٤]

وما كان استنكافهم عن الرجوع الى ما أنزل الله و الرجوع الى الرسول منحصراً في تعبديات الدين، فإنّ الآيات تشير إلى أنّهم استنكفوا عن متابعة ما أنزل الله استغناءً بما كان عند آبائهم، وليس رفضهم لمتابعة الرسول منحصراً في التعبديّات والطقوس العباديّة التي دعىٰ لها الرسل والأنبياء بل قد رفضوا متابعة الرسول في أخذ العقيدة والمعرفة، ولذا يعاتبهم الباري تعالىٰ بأنّ آبائهم لايعلمون شيئاً

---

(١) يونس: ٧٨.

(٢) لقمان: ٢١.

(٣) الزخرف: ٢٣.

(٤) مائدة: ١٠٧.

ولايهتدون. وإنّ من أهمّ ما أنزل الله ومن مهامّ رسالة الرسول هو التعليم والهداية وتوجيه العباد الى الله تعالى، وتذكيرهم بأنّهم من أين؟ وفي أين؟ وإلى أين؟ أي نفس الجهة التي تصدّت لها علماء البشر من الفلاسفة والمتصوّفة.

قال تعالى: ﴿ **يٰا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جٰاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مٰا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرٰاطاً سَوِيًّا** ﴾[1].

فانّ إباء آزر عن اتباع ابراهيم إنّما كان لأجل وقوفه على جملة من العلوم، فكان يستغنى بذلك عن أخذ العلم من ابراهيم عليه السلام، وقد نبّهه ابراهيم على أنّ العلوم التي يمتلكها فيها من الأمور ما لم تحط به علومه وما شمّ رائحتها، ولذلك كان على آزر أن يتّبع ابراهيم لكى يهديه الى الصراط المستقيم.

ومفاد هذه الآيات نظير مفاد قوله تعالىٰ: ﴿ **فَلَمّٰا جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَرِحُوا بِمٰا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ** ﴾[2] أي الإستغناء عمّا جاء به الأنبياء من علوم و معارف التي تعطي البصيرة وتجعل الناس علىٰ بيّنة من الأمر، والتي تسمّىٰ بالبيّنات، لأجل ما يمتلكون من بعض العلوم الناقصة، وليس مساق الآيات في المتابعة التعبّدية كما قد يتوهّم.

ومن ذلك يتبيّن أنّ حثّ القرآن علىٰ ضرورة متابعة الأنبياء ليس في الأخذ بشرايعهم التعبّدية فقط، بل الإتّباع انّما هو في أخذ العلوم والتتلمذ وفي سبيل الوقوف على البراهين والأدلّة. فالإستغناء عن علوم الأنبياء بالعلوم الناقصة البشريّة يسبّب الضلالة عن الصراط المستقيم.

٣٨ـ روى الصفار عن أحمد بن محمد، عن الأهوازي، عن محمد بن

---

(١) مريم: ٤٣.

(٢) جانيه: ٨٣.

عمر، عن المفضل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنا أهل بيت من علم الله علمنا، ومن حكمه أخذنا، ومن قول الصادق سمعنا، فإن تتّبعونا تهتدوا**».(١)

فترى أنّه عليه السلام فرّع لزوم تبعيّتهم بكون علمهم من علم الله، فالذي أخذ علىٰ نفسه إتّباع الأئمّة عليهم السلام، لايمكن أن يتعدّاهم في أخذ العلوم والمعارف. كما أنّه يشير الى أنّ علوم غيرهم يستحيل أن تصبّ في مصبّ الهداية، وهذا ما سنبرهن عليه لاحقاً.

٣٩ ـ روى الصفار عن محمد بن الحسين، عن النضر، عن محمد بن الفضيل، عن الثمالي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّٰهِ**﴾(٢). قال: «**عنى الله بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدى**».(٣)

فإنّ الدين انّما يطلق على مجموعة متكوّنة من العقائد والاحكام و الاخلاق والآداب و السنن، ولعلّ من أهمّها ما يرتبط بالمعرفة والعقيدة، فمن أخذ معرفته و عقيدته من غير أئمّة الهدى فهو من الذين اتبعوا هواهم من غير هدى من الله، ولم يتّبعوا أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

٤٠ ـ روى الصفار عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد السياري، عن علي ابن عبد الله قال: سأله رجل

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٤ / ٣٣ عن البصائر.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٣ / ٢٣ عن البصائر.

عن قول الله عز وجل: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدٰايَ فَلاٰ يَضِلُّ وَ لاٰ يَشْقىٰ ﴾[١] قال: «**من قال بالأئمة واتبع أمرهم ولم يجز طاعتهم**»[٢].

الطائفة الخامسة: استحالة الهداية من غير الله وخلفائه

هناك الكثير من الأدلّة تنصّ علىٰ إستحالة الهداية من غير الله تعالىٰ و من غير الحجج الإلهيّة، نظير قوله تعالى:

﴿ **إِنَّ عَلَيْنٰا لَلْهُدىٰ** ﴾[٣]

وقوله:

﴿ **إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدىٰ** ﴾[٤].

٤١ ـ وقد روى الطبرسي أنّ أبي جعفر عليه السلام كان يقول: «**محنة الناس علينا عظيمة: إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا**».[٥]

٤٢ ـ روى الصدوق عن ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمه، عن محمد بن زياد الأزدي عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**بليّة الناس عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا**».[٦]

---

(١) طه: ١٢٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٣ / ٢٥ عن البصائر.

(٣) الليل: ١٢.

(٤) البقرة: ١٢٠.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠١ / ٧ عن الاحتجاج.

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٩٩ / ١ عن الأمالي.

والحديث يصرّح بأمتناع الهداية من غير أهل البيت عليهم السلام كائناً من كان.

٤٣ ـ روى الصفار عن محمد بن الحسين، عن النضر، عن محمد بن الفضيل، عن الثمالي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ **وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ** ﴾[١]. قال: «**عنى الله بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدى**».[٢]

فإنّ ضلالة من لم يهده الله دليل على حصر الهداية بالله تعالى.

٤٤ ـ روى الشيخ الطوسي عن جماعة عن أبي المفضل، عن محمد بن جرير الطبري، عن عيسى ابن مهران، عن مخول بن إبراهيم، عن عبد الرحمان بن الأسود، عن علي بن الحزور عن أبي عمر البزاز، عن رافع مولى أبي ذر قال: صعد أبو ذر رضي الله عنه على درجة الكعبة حتى أخذ بحلقة الباب، ثم أسند ظهره إليه ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «... **اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين**».[٣]

الهداية فوق جميع العلوم

وفي بعض الأدلّة إشارة إلىٰ البرهان العقلي الدالّ علىٰ إستحالة الهداية من

---

(١) القصص: ٥٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٣ / ٢٣ عن البصائر.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٢١ / ٤٣ عن الأمالي.

غير الله تعالىٰ وحججه، وذلك:

أنّ الهداية هي انّما تكون بتوظيف العلوم المختلفة للوصول الى غاية الغايات و نهاية النهايات، ولايقدر عليها إلاّ من يحيط بجميع العلوم المختلفة، كي يمكنه توظيفها فى سبيل الوصول الى ذلك الهدف المنشود. فلربّما يوظّف علم من العلوم الصحيحة فى طريق باطل فيسبّب ضلالة. وهذا برهان على استحالة كون غير النبي ومن يقوم مقامه ـممّن يكون على ارتباط مع من أحاط بكلّ شيء علماًـ هادياً، حتى لو امتلك بعض العلوم الصحيحة.

وقد أشير الى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدىٰ فَمٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾[١] حيث بيّن أنّ الهداية لايقدر عليها غير البارى تعالى، فإنّ من لايحيط بمنظومة العلوم وارتباط بعضها ببعض و تأثير بعضها على بعض و تاثّر بعضها من بعض، وأثر ذلك فى رقي الإنسان إلى الكمال، لايمكنه توظيفها و ترتيبها في سبيل الهداية، فهو بنفسه لايهتدي إلاّ بعد أن يهديه آخر. هذا لو فرض أنّه امتلك بعضا من العلوم الصحيحة بكاملها، فكيف لو كان ما عنده من العلوم أقلّ القليل، بل الناقص العليل الذي ينقض بعضه بعضاً ويوجد فيه اختلاف كثير.

ومن هنا قال تعالى في شأن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ **وَ تِلْكَ حُجَّتُنٰا آتَيْنٰاهٰا إِبْرٰاهِيمَ عَلىٰ قَوْمِهِ** ﴾[٢] فإبراهيم مع شموخ مقامه وعلو درجته لايهتدي الى تلك الحجّة لو لم يعطها الله تعالى، فإذا كان هذا شأن إبراهيم فما ظنّك بمن يظنّ أنّه اهتدى إلى حجج التوحيد و براهينها ولم يأخذها عمّن آتاهم الله الحجج؟

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) الانعام: ٨٣.

الطائفة السادسة: النهي عن أخذ معالم الدين من غير المتوسّطين في نقل علوم أهل البيت عليهم السلام

٤٥ ـ روى الكشي عن حمدويه وإبراهيم ابنا نصير، عن محمد بن إسماعيل الرازي، عن علي بن حبيب المدائني، عن علي بن سويد السائي قال: كتب إلَيَّ أبو الحسن الأول وهو في السجن: **«وأما ما ذكرت يا علي ممن تأخذ معالم دينك؟ لا تأخذنّ معالم دينك عن غير شيعتنا فإنك إن تعدّيتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، إنهم اؤتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرّفوه وبدلوه، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله وملائكته ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة»**.[١]

وعنوان الشيعة في الحديث مشير الى من تكون علومه مأخوذة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والتعدّي عنهم إنّما يكون بأخذ علوم الدين من معرفة المبدأ الى المعاد من الذين لن تنتهي علومهم الى آل الله، بل استقى علومهم من بيوت لم يأذن الله في رفعها، وإن عرض عليها بعض التغييرات والتشذيبات عبر القرون المتمادية.

٤٦ ـ وروى الكشي عن جبرئيل بن أحمد، عن موسى بن جعفر بن وهب، عن أحمد بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إليه يعني أبا الحسن الثالث عليه السلام أسأله عمن آخذ معالم ديني؟ وكتب أخوه أيضاً بذلك، فكتب إليهما: **«فهمت ما ذكرتما، فاعتمدا في**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٨٢.

دينكما على كلّ مسن في حبّنا وكل كثير القدم في أمرنا، فإنهم كافوكما إن شاء الله تعالى».[١]

والامر بكفاية من ذكر في الحديث في اخذ معالم الدين التي من أهمّها معرفة الله تعالى وغيرها من العقائد، صريح فى النهي عن أخذ تلك العلوم عن غيرهم ولو تحت ذريعة أخذ الحجج و البراهين العقليّة منهم.

٤٧ ـ روى الصفار عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن أبي البختري، وسندي ابن محمد، عن أبي البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتهال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».[٢]

٤٨ ـ روى البرقي عن أبيه، عمن ذكره، عن زيد الشحام، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلىٰ طَعَامِهِ** ﴾[٣]. قال: قلت: ما طعامه؟ قال: «**علمه الذي يأخذه ممن يأخذه**».[٤]

٤٩ ـ وروى المفيد عن محمد بن الحسين، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير عن الشحام مثله.[٥]

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ٢٧ / ١٥١ / ٣٣٤٦٠ وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٨٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٢ / ٢١ عن البصائر.

(٣) عبس: ٢٤.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٦ / ٣٨ عن المحاسن.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٦ عن الاختصاص.

الطائفة السابعة: النهي عن التمسّك بعروة غيرهم

٥٠ ـ روى الصدوق عن ابن المتوكل، عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن زياد، قال: قال الصادق عليه السلام: «كذب من زعم أنه يعرفنا وهو مستمسك بعروة غيرنا».[١]

٥١ ـ وروى أيضاً عن ماجيلويه، عن عمه، عن أبي سمينة، عن ابن سنان، عن المفضل قال: قال الصادق عليه السلام: «كذب من زعم أنه من شيعتنا وهو متمسك بعروة غيرنا».[٢]

فإنّ للتمسّك بعروة غيرهم عليهم السلام أشكال ونماذج مختلفة ولعلّ من أهمّها طلب العلوم و المعارف الإلهيّة من غيرهم، و الحرص فى مدارسة مدارس لاتمتّ لأهل البيت عليهم السلام بصلة بغية الحصول على بعض المعرفة.

وطردهم عن دائرة التشيّع مرّة وعن حوزة معرفة الإمام أخرى، إنّما يكون لاجل أنّ من يعرف أنّ جميع علوم الأولين والاخرين يكون لدى أهل بيت العصمة فلايلحس عند غيرهم، فلابدّ لمن يحطّ رحله عند غير آل محمّد كي يوقفه على المعارف الإلهيّة، أن لايرى أهل البيت الا كواحد من العلماء و يستصغر تراثهم العلمي في جنب ما بقي من تراث أذناب اليونان أو الهند أو الفرس. وهذا يؤيّد ما أكّدنا عليه من أنّ أعظم مصداق المتابعة والتشيّع هو متابعتهم فى أخذ العلوم و المعارف والدلائل والبراهين.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٨٣ / ٧ عن معانى الإخبار.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٨ / ٤٩ عن صفات الشيعة.

الطائفة الثامنة: النهي عن خلط علومهم عليهم السلام بعلوم غيرهم

وهذه الطائفة من الأخبار تدلّ على حصريّة الهداية والنجاة في تعلّم علومهم وأنّ ما سواه ضلالة.

٥٢ ـ روى الطبرسي في الإحتجاج عن الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام في وصف علماء السوء: «**ومنهم قوم نصاب لا يقدرون على القدح فينا فيتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، وينتقصون بنا عند نصابنا ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن برآء منها فيقبله المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا فضلوا وأضلوا، وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد عليه اللعنة على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، و هؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون يدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا، فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب، لا جرم أن من علم الله من قلبه من هؤلاء العوام أنه لا يريد إلا صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد هذا المتلبس الكافر، ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب ثم يوفقه الله للقبول منه فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضله لعن الدنيا وعذاب الآخرة**» الحديث.[1]

٥٣ ـ قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان:... ورجل قمش جهلاً، موضع في جهال الأمّة، عاد في أغباش**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٨٨.

الفتنة. عم بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به. بكّر فاستكثر من جمع، ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتى إذا ارتوى من آجن، واكتنز من غير طائر. جلس بين الناس قاضياً، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره. فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه ثم قطع به. فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. جاهل خباط جهالات، عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع. يذري الروايات إذراء الريح الهشيم. لا مليء والله بإصدار ما ورد عليه. ولا هو أهل لما فوّض إليه. لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ولا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهباً لغيره. وإن أظلم أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه. تصرخ من جور قضائه الدماء. وتعج منه المواريث إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته. ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرف عن مواضعه. ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر»[1].

وهذه الطائفة من الأخبار تنصّ بوضوح على أنّ خلط علوم آل محمّد عليهم السلام مع علوم غيرهم يوجب الإضلال ويولّد الشبهات عند ضعفاء الشيعة، فهم أشدّ ضرراً على الشيعة وعلى مسيرة المذهب من جيش يزيد. منه يظهر أنّ الباحث الفلسفي إذا جرّد بحثه عن ذكر آيات القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام، ولم يرد تحميل آرائه على معطيات الكتاب والسنّة، فإنّه لأقلّ ضرراً ممّن لايذكر مسألة فلسفيّة إلا ويشفعها بآية أو رواية، ويحاول أن يطبّق آراءه عليهما.

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة ١٧، والكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٥٤.

وذلك أنّه يلبّس الأمر على ضعفاء الشيعة، فإنّهم يزعمون أنّه يبيّن لهم علوم الصادقين من آل محمّد عليهم السلام، بينما هو يعطيهم معارف دخيلة من اليونان المضادّة لمعارف القرآن.

الطائفة التاسعة: انّهم عليهم السلام أبواب الله ومن جاء من غير طريقهم سُمِّيَ سارقاً

فقد ورد في كثير من الروايات المتواترة عند العامّة والخاصّة أنّهم عليهم السلام أبواب الله وأبواب علومه، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله فيما رواه الفريقان: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها**» وغير ذلك من التعابير. والتعبير بالباب يدلّ على امتناع الوصول دون العبور منه، وقد قال الله تعالى ﴿ **وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها** ﴾[1]. فهذه الطائفة من الأخبار تدلّ على امتناع واستحالة الوصول الى المعارف الإلهيّة من غير طريق أهل البيت عليهم السلام.

٥٤ ـ وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب. لاتؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً**».[2]

ويستفاد من الحديث أنّه ليس الدخول من الباب لأجل كونه طريقاً محضاً، بل له موضوعيّة خاصّة. فمن أتى من غير الباب فحتى لو وصل إلى البيت فهو يعدّ سارقاً في عرف العقلاء.

٥٥ ـ وروى الصفّار عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة ١٥٤.

محمد بن الحسين بن صغير، عمن حدثه عن ربعي بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن**».[١]

٥٦ ـ وروى أيضاً عن القاشاني، عن اليقطيني يرفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله ونحن**».[٢]

دلّ على أنّ باب العلوم الإلهيّة هو النبي والعترة صلوات الله عليهم، ولايمكن الوصل اليه إلا منهم. قال العلامة المجلسي رحمه الله:

« لعل المراد بالشيء ذي السبب: القرب والفوز والكرامة والجنة، وسببه الطاعة وما يوجب حصول تلك الأمور، وشرح ذلك السبب هو الشريعة المقدسة، و المفتاح: الوحي النازل لبيان الشرع وعلم ذلك المفتاح ـ بالتحريك ـ أي ما يعلم به هو الملك الحامل للوحي. والباب الذي به يتوصل إلى هذا العلم هو رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ».

٥٧ ـ روى العياشي عن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية: ﴿ **لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٠ / ١٤ عن البصائر الدرجات.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٠ / ١٥ عن البصائر.

اتَّقىٰ وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها ﴾[١]. فقال: «آل محمد صلّى الله عليه وآله أبواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة».[٢]

وفي الحديث دلالة على أنّهم عليهم السلام أبواب مستمرّة لله إلى يوم القيامة ولايخلو منها زمان، فحتى في زمن الغيبة لايوجد طريق للوصول الى حضرة الربوبيّة ولاإلى معرفته سواهم. وهذا يفنّد وهم البعض حيث زعم أنّ تراث أبناء اليونان يسدّ لنا الفراغ الحاصل من الغيبة والحرمان عن الماء المعين.

٥٨ ـ روى الصدوق عن الدقاق، عن الكليني، عن علي بن محمد، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري أن العالم كتب إليه يعني الحسن بن علي عليهما السلام: «... لولا محمد، والأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل يدخل قرية إلا من بابها؟ فلمّا منّ الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم قال الله عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينا ﴾ »الحديث.[٣]

٥٩ ـ روى الشيخ الطوسي عن المفيد، عن الجعابي، عن ابن عقدة، عن جعفر بن محمد بن عبيد عن الحسن بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن المثنى الأزدي أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل».[٤]

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٠٤ / ٦٠ عن تفسير العياشي.

(٣) المائدة: ٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٩٩ / ٣ عن العلل.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠١ / ٥ عن الأمالي.

فلو كان يوجد سبب آخر بين العباد وبين الله يمكنهم أن يعرفوا ربّهم به، لم يصحّ حصر السبب والطريق بهم عليهم السلام.

الطائفة العاشرة: النهى عن التدين بما لم يسمع من صادق

٦٠ ـ روى الصفّار عن يعقوب بن يزيد، عن إسحاق بن عمار، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلى يوم القيامة**».[١]

والتيه هو الحيرة في الدين، فمن دان بشيء لم يسمعه من الائمّة الصادقين عليهم السلام عوقب بلزوم التيه والحيرة فى دينه الى يوم القيامة. ومن الواضح أنّ أوّل الدين معرفة الله تعالى.

٦١ ـ روى البرقي عن ابن فضال، عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق النحوي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إن الله تبارك وتعالى أدب نبيه على محبته فقال: ﴿ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]. وقال: ﴿ مٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[٣]. وقال: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰهَ ﴾[٤]. وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله فوض إلى علي عليه السلام، وائتمنه فسلمتم وجحد الناس،**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٣ / ٢٤ عن البصائر.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) النساء: ٨٠.

فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله».(١)

قال العلامة المجلسي رحمه الله:

« نحن فيما بينكم وبين الله أي نحن الوسائط في العلم وسائر الكمالات بينكم وبين الله فلا تسألوا عن غيرنا، أو نحن شفعاؤكم إلى الله ».

٦٢ ـ روى النعماني عن سلام بن محمد، عن أحمد بن داود، عن علي بن الحسين بن بابويه، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن المفضل بن زرارة، عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **«من دان الله بغير سماع من عالم صادق ألزمه الله التيه إلى الفناء، ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه فهو مشرك، وذلك الباب هو الأمين المأمون على سر الله المكنون».(٢)**

فهيهات ثم هيهات أن يقف الإنسان إلى حقائق هذا الدين من التتلمذ والعكوف على مائدة غيرهم عليهم السلام، فأين يحصل للإنسان معرفة إذا فتح مسامعه لغير الأمناء على سرّ الله المكنون، بغية الحصول على بعض المعرفة؟

الطائفة الحادية عشرة: النهي عن اتّخاذ كلّ وليجة دون النبي وأهل بيته عليهم السلام

٦٣ ـ ففي الزيارة الجامعة المرويّة عن الإمام الهادي عليه السلام:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٥ / ٣٧ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٠٥ / ٦٨ عن غيبة النعماني.

«برئت الیٰ الله عزوجلّ... من كلّ وليجة دونكم».[١]

٦٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اطلبوا العلم من معدن العلم و إياكم والولائج فيهم الصدادون عن الله». ثم قال: «ذهب العلم وبقي غبرات العلم في أوعية سوء، فاحذروا باطنها فإن في باطنها الهلاك، وعليكم بظاهرها فإن في ظاهرها النجاة».[٢]

قال العلامة المجلسي رحمه الله:

«لعل المراد بتصفيتها تخليصها من آرائهم الفاسدة أو من أخبارهم التي هم متهمون فيها لموافقتها لعقائدهم، والمراد بباطنها عقائدها الفاسدة أو فسوقها التي يخفونها عن الخلق».[٣]

٦٥ ـ روى الكليني عن الحسين بن محمد عن المعلى عن الوشاء عن مثنى عن عبد الله ابن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جاٰهَدُوا مِنكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ لاٰ رَسُولِهِ وَ لاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[٤] «يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام لم يتخذوا الولايج من دونهم».[٥]

٦٦ ـ روى الكليني عن علي بن محمد ومحمد بن أبي عبد الله عن إسحاق بن محمد النخعي عن سفيان بن محمد الضبعي قال:

---

(١) من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢ / ٦١٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٣ / ٢٧.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٣.

(٤) التوبة: ١٦.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٢٤٤ / ١ عن الكافي.

كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله عن الوليجة وهو قول الله: ﴿ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ لاٰ رَسُولِهِ وَ لاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾[1] فقلت في نفسي ـلافي الكتاب ـ: من ترى المؤمنين ههنا؟ فرجع الجواب: «الوليجة الذي يقام دون ولي الأمر، وحدثتك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع؟ فهم الأئمة الذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم».[2]

٦٧ ـ روى العياشي عن أبان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يا معشر الاحداث اتقوا الله ولا تأتوا الرؤساء، دعوهم حتى يصيروا أذناباً، لا تتخذوا الرجال ولائج من دون الله، إنا والله إنا والله خير لكم منهم، ثم ضرب بيده إلى صدره».[3]

٦٨ ـ روى العياشي عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا الصباح إياكم والولائج، فإن كل وليجة دوننا فهي طاغوت، أو قال: ند».[4]

قال العلامة المجلسي رحمه الله:

« وليجة الرجل: بطانته ودخلاؤه وخاصّته، ومن يتخذه معتمدا عليه من غير أهله. ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ قال البيضاوي: خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال، و قيل: للمنافقين، و ﴿ أَمْ ﴾ منقطعة، ومعنى همزتها

---

(١) التوبة: ١٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٢٤٥ / ٢ عن الكافي.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٢٤٦ / ٥ عن تفسير العياشي.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٢٤٦ / ٦ عن تفسير العياشي.

التوبيخ على الحسبان ﴿ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ ﴾ أي لم يتبين المخلص منكم، نفى العلم وأراد نفي المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث أن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ﴿ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا ﴾ عطف على ﴿ جٰاهَدُوا ﴾ انتهى. وأقول: الظاهر أن تأويله عليه السلام أوفق بالآية، إذ ضم المؤمنين إلى الله والرسول يدلّ على أن المراد بالوليجة من يتولى أمرا عظيما من أمور الدين، و ليس الكامل في الدين القويم والمستحق لهذا الامر العظيم إلا الأئمة عليهم السلام».[1]

فالوليجة هي من يتّخذه الإنسان ويعتمد عليه في الأمور المهمّة، وواضح أنّ النزول بفناء دار أحد والعكوف على علومه ومداولة كتبه بغية الوقوف على المعارف الإلهيّة من أهمّ مصاديق إتّخاذه وليجة، فإنّ كلّ متعلّم يعتمد على معلّمه ولو كانت علومه من العلوم البرهانيّة، وذلك لأنّه وإن لم يكن ليأخذ منه تعبّداً، إلا أنّ الاستماع الى كلامه والتتلمذ عنده والعكوف على مدرسته مسبوق لامحالة بالإعتماد على علمه والإذعان بخبرويّته، فإنّ الإنسان لايتتلمذ عند أحد الا بعد الإذعان بخبرويّته وتحرّفه وهو عين الإعتماد عليه في علمه و حرفته.

وهذا الإعتماد لو كان في أخذ الدين بل أساس الدين الذي هو العقيدة والمعرفة فيكون من إتّخاذ الوليجة دون الله ورسوله و المؤمنين عليهم السلام، نعم لو اعتمد الإنسان علىٰ غير أئمّة أهل البيت في الحصول علىٰ بعض العلوم التي لاتمتّ إلىٰ العقيدة والدين بصلة، نظير بعض العلوم التجريبيّة المستفاد منها في سبيل تيسسير الحياة الماديّة فلاضير فيه، وهذه الأحاديث منصرفة عن ذلك قطعاً.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٢٤٤.

الطائفة الثانية عشرة: النهي عن الإستماع الى كلّ ناطق

٦٩ـ ففي تحف العقول عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: «**من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس**».[١]

٧٠ـ روى الصدوق عن ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن عبد العظيم الحسني، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: «**ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢]. وليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله عز و جل قال: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[٣]، ولأن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو صمت فسلم. وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً ﴾**».[٤]

وقد مرّ أنّ قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾[٥] ليس كما قد

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٤ / ٣٠.

(٢) الأنعام: ٦٨.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) الإسراء: ٣٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١١٦ / ١٣ عن علل الشرايع.

(٥) الزمر: ١٨.

يزعم بصدد مدح استماع كلّ قول حسناً كان أم قبيحاً، ثمّ اختيار الحسن من بينها للإتّباع، بل إنّه كما فسّر في الأخبار فيمن لايستمع إلا إلى الأقوال الحسان ثمّ يتّبع أحسن طريقة في حفظ الخبر ووعيه ونقله الى الآخرين، مع أنّ التفاضل لايكون إلا بين أمور مشتركة في الحسن.

الطائفة الثالثة عشرة: النهي عن أخذ علوم اليهود و النصارى

٧١ ـ روى الصدوق عن ماجيلويه، عن محمد العطار، عن محمد بن أحمد، عن الخشاب، عن ابن مهران وابن أسباط فيما أعلم، عن بعض رجالهما قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «... **ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه فذاك في الدرك الخامس من النار**» الحديث.[١]

٧٢ ـ عن دعوات الراوندي قال أبو عبيد في قريب الحديث: في حديث النبي صلّى الله عليه وآله حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا، فترى أن نكتب بعضها؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أفتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي. قال أبو عبيد: أمتحيرون أنتم في الإسلام ولا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؟! كأنه كره ذلك منه**».[٢]

٧٣ ـ وفي كتاب السلسبيل روى أن اناساً من المسلمين أتوا رسول الله

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٠٨ / ١١ عن الخصال.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٩٩ / ٥٤.

صلّى الله عليه وآله بكتف فيها كتب بعض ما يقوله اليهود، فقال:
«كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم»[١].

ودلالة هذه الطائفة من الاخبار في غاية الوضوح، فإنّه اذا لم يجز الأخذ بعلوم اليهود و النصارى، وهي التي جاء بها الوحي الإلهي ونطق بها لسان الأنبياء عليهم السلام ـ وإن عرض عليها بعض التحريفات و التغييرات ـ إلاّ في ظلّ هيمنة القرآن والسنّة، فكيف يجوز تعلّم علوم لاتمتّ الى أنبياء الله بصلة وجعلها قسطاساً لمعارف الكتاب والسنّة؟ ناهيك عن العلوم التي انحدرت للأوساط الإسلاميّة من اليونان وايران و مصر ما قد عرفت حالها وماهيّتها ومعارضة زعمائها للشرايع السماويّة، ومنازعتهم لأنبياء الله تعالىٰ.

قراءة جديدة لهيمنة القرآن على سائر الكتب السماويّة في ظلّ منظومة الحجج

وفي كلامه عليه السلام برهان قرآني حججي على عدم جواز الإتّكاء والإستبداد بعلوم موسى وعيسى عن علوم القرآن، حتى لو كانا حيين و ما عرض على كلامهما من تحريف و تبديل. وذلك لانّ الحجج مع كونها حججاً إلا أنّ بينها توازن و ترابط ولبعض منها هيمنة على بعض، و بعضها أقوى من بعض. والأخذ بحجّة لايجوز الا أن تؤيّده الحجّة الأقوى التي تهيمن عليها، وبه قوام حجيّتها. والقرآن يعبّر عن ترك الحجّة الأقوى والأخذ بالحجّة التي هي دونها في الحجيّة باتّباع الظنّ دون اليقين.

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٨ / ٢٩٨ و ٣٠٣.

كما قال تعالى في وصف اليهود أنّهم ما قتلوا عيسى يقيناً و ما يتّبعون الا الظنّ مع أنّهم رأوه بأمّ أعينهم، ولو كان يقدح في أنفسهم أدنى شكّ في أنّ المصلوب شبيه عيسى و ليس بعيسى لما كانوا يرضون بصلبه و ترك عيسى عليه السلام. ومع ذلك كلّه يصفهم الباري تعالى بأنّه شبّه لهم وما يتّبعون إلاّ الظنّ وما لهم به من علم. وما ذلك إلا لأنّ حاسّة البصر و ما يدركه الإنسان عبر العين وإن كان حجّة، إلا أنّه دون حجيّة كلام النبي المقرون بالمعجزة التي عرف صدقها بالعقل الذي هو حجّة الحجج، وذلك لعروض الخطأ على البصر مما قد يشتبه عليه الواقع، ولايعرض الخطأ في كلام من عرفت عصمته بالعقل. فرفضهم لكلام النبي الذي أخبرهم بأنّه لايموت ويصعد إلى السماء إلى أن يخرج في زمان دولة الرجعة، وأخذهم بما تراه حاسّة البصر يكون اتباعاً للظن في منطق القرآن، وذلك لأنّ البصر إنّما يكون حجّة في هيمنة الحجّة الأقوى الذي هو كلام المعصوم المؤيّد بالعقل والمعجزة.

كما أنّ الأخذ بما تدركه الحواسّ فيما لايدعمه العقل يعدّ في عرف العقلاء متاركة للعلم، فحينماترى طائرة في جوّ السماء تراها صغيرةً للغاية، لكنّ العقل يحكم بأنّ ذلك لأجل بعد المسافة، فلذلك لايعتمد على هذا الإدراك الخاطىء. وكذا كثير من الموارد التي تُخَطِأ الحواس صاحبها.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**ليس الرؤية مع الأبصار وقد تكذب العيون أهلها ولايغش العقل من انتصحه**»[1]

وليس مفاد الحديث عدم الإعتناء بما تراه العين مطلقاً وغضّ الطرف عن رؤية الحقائق، فإنّ ذلك يسبّب الهرج والمرج ويؤدّي إلى خفاء كثير من الحقائق، بل

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١ / ٩٥ عن نهج البلاغة.

المراد أنّ الحجج التي هي دون الحجة الأقوى إنما يعتمد عليها في ظلّ هيمنة الحجّة الأقوى، وفي حال تعارضها معها فلايعتمد عليها ويكون الإعتماد عليها إعتماداً على الظن دون اليقين، لأنّ قوام هذه الحجّة إنّما هي بالحجّة الأقوىٰ فلايمكن أن تقدّم عليها، وقد مرّ بعض الكلام في ذلك.

وعليه فكون القرآن مهيمن على جميع الكتب السماويّة معناه أنّه لايؤخذ بتلك الكتب إلا في حال هيمنة القرآن و في ما يسوّغه ويؤيّده، ولايجوز أخذ سائر الكتب السماويّة كحجّة مستقلّة مطلقة من دون مراعاة الموازنة بينها و بين ما جاء في القرآن، كما أنّه لايجوز اتّباع موسى و عيسى و ترك محمد صلّى الله عليه وآله. و معنى هيمنة القرآن أنّ كلّ ما هو دونه يجب أن يكون تحت هيمنته وإشرافه، فالحجّة الأقوى والأصل هي علوم القرآن وما جاء به خاتم الأنبياء وأوصياؤه المطهّرون صلوات الله عليهم أجمعين، وجميع ما دونه من الحجج إنّما تكون حجّة اذا أيّدها القرآن، ومع مخالفتها للقرآن ولعلوم حملة القرآن لايبقىٰ لها حجيّة أبداً.

كما قال تعالى: ﴿ **وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْه** ﴾[1].

وعليه لو ترك موسىٰ و عيسىٰ ما أوحي الى الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله واتّبعا ما أوحى اليهما، يكون ذلك من اتّباع الظّن دون اليقين. وذلك لأنّ ما أوحي اليهما إنّما يكون حجّة في دائرة منظومة الحجج ولابدّ من مراعاة الحجّة الأقوى كي يبقى وصف الحجيّة للأدنى، كما أنّ رؤية العين لاتكون حجّة اذا لم تؤيّدها الحجّة الأقوى واتّباعها يكون من اتّباع الظن الذى لايغنى من الحقّ شيئا. نعم الأخذ بها فيما يسوغّه القرآن ولايتعارض معه وفي ظلّ هيمنته يكون أخذاً باليقين.

---

(١) المائدة: ٤٨.

نيل الأنبياء للكتاب والحكمة بشفاعة نبيّنا صلّى الله عليه وآله

قال تعالى: ﴿ وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ ﴾[1].

قال بعض المشايخ من الأعلام في تفسير الآية ما ملخّصه:

إنّ الآية تبيّن أنّ هناك تعاقداً بين اللّه تعالى والأنبياء عليهم السلام، والطرفان اللذان وقع عليهما الميثاق والتعاقد هما النبوّة والمقامات الغيبيّة التي أعطاها اللّه تعالى للأنبياء، وفي مقابل ذلك شرط عليهم وأخذ العهد منهم على أن يؤمنوا ويدينوا بنبوّة سيد الرسل، ويلتزموا بمناصرته وطاعته وموالاته، ثمّ أخذ تعالى بعد ذلك الميثاق، ثمّ أخذ الإقرار والالتزام منهم بتلك المشارطة والمعاوضة، ثمّ في المرتبة الثالثة شدّد عليهم عهده وغلّظ وبيّن عظمته، ثمّ في المرتبة الرابعة أشهد عليهم.

فلم يحصل الأنبياء على النبوّة والكتاب والحكمة فضلاً عن بقية المقامات الغيبية، إلاّ بالموالاة والطاعة والخضوع لسيد الأنبياء. ولا شك أنّ الذي يكون ناصراً إنما هو تابع للمنصور والمنصور قائد له، فالأنبياء كلّهم مأمورون والرسول الأكرم إمامهم، والأنبياء سبقوا الناس بالإصطفاء الإلهي الخاصّ وحُبوا بالنبوّة والرسالة والمقامات الغيبيّة بتوسّط إيمانهم بولاية النبيّ صلى الله عليه و آله وتعهّدهم بنصرته ومؤازرته، وهم أسبق الناس شيعة وإسلاماً لخاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله.

ثمّ إنّه تعالى يعبّر في الآية المباركة عن سيّد الرسل أنّه مصدّق لما مع الأنبياء

---

(١) آل عمران: ٨١.

﴿ **مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ** ﴾ لأنّه مصدّق بهم، أي أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ليس تابعاً للأنبياء، بل تابع للوحي الإلهي الذي هو فعل اللّه تعالى؛ ولذا لم يأمر اللّه عزّ وجلّ نبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله بالاقتداء بالأنبياء وإنما بالهدى الذي هم عليه، قال اللّه تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾[1].

أما الأنبياء فهم يؤمنون بخاتم الأنبياء ذاته ﴿ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ** ﴾ لا أنهم يؤمنون بما معه، وإيمانهم إنّما يكون بذات النبيّ صلى الله عليه و آله، فهو صلى الله عليه و آله شاهد مطّلع مصدّق على ما عندهم، وأما هم فيؤمنون به. وهذا يعني أنه لا يوجد في مقامات الأنبياء ودرجاتهم عند اللّه تعالى ما هو غيب عن النبيّ صلى الله عليه و آله، وأما الذي يؤمن بذات النبيّ صلى الله عليه و آله ـ وهم سائر الأنبياء عليهم السلام ـ فهو يؤمن بأمر غيبيّ، فمقام النبيّ صلى الله عليه و آله بالنسبة إلى باقي الأنبياء غيب الغيوب، وأما مقامات سائر الأنبياء فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله مطّلع عليها ويعلمها ويشهد لهم على صدقها.[2]

٧٤ ـ وقد ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله في حديثه لأصحابه أنّه قال: «**فأخذ لي العهد والميثاق على جميع النبيين، وهو قوله الذي أكرمني به جلّ من قائل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[3] وقد علمتهم أن الميثاق أخذ لي على جميع النبيّين، وأنا الرسول الذي ختم اللّه بي الرسل، وهو قوله**

---

(١) الأنعام: ٩٠.

(٢) راجع: الإمامة الإلهيّة، تقرير أبحاث الأستاذ الشيخ محمد السند، بقلم قيصر التميمي: ٤ / ١٩٢.

(٣) آل عمران: ٨١.

تعالى: ﴿ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[١] فكنت واللّـه قبلهم وبعثت بعدهم، وأعطيت ما أعطوا وزادني ربّي من فضله ما لم يعطه لأحد من خلقه غيري، فمن ذلك إنه أخذ لي الميثاق على سائر النبيّين ولم يأخذ ميثاقي لأحد، ومن ذلك ما نَبَّأَ نبيّاً ولا أرسل رسولاً إلاّ أمره بالإقرار بي وأن يبشّر أمته بمبعثي ورسالتي».[٢]

فالآية ترصد أعظم ملحمة في الخلقة لأعظم توسّل بأعظم متوسّل به لأعظم حاجة، فالأنبياء في أصل نيلهم لمقام النبوّة إنما استأهلوه بعد أن آمنوا بخاتم الأنبياء قبل سائر الأرواح في عالم الأرواح وشرطوا على أنفسهم نصرته، ولذا فإن النبيّ صلى الله عليه و آله شفيع الكلّ، والأنبياء لم ينالوا ما نالوا إلاّ بالديانة لخاتم الأنبياء، مع أن النبي صلى الله عليه و آله لم يُخلق بدنه حينذاك، وإنما خُلق نوره وأنوار أهل بيته قبل خلق السماوات والأرض وخلق الأنبياء، كما أشارت إلى ذلك سورة النور والروايات من الفريقين.

ومن ذلك كلّه يتّضح أن نيل أي مقام أو قربى أو زلفى لا يتمّ إلاّ بالتوسل بالنبيّ صلى الله عليه و آله والتشفّع به، وبالتشفّع به يعطى للعبد أعظم الأرزاق وهو النبوّة والكتاب والحكمة، فكيف بك بسائر الأرزاق الأخرى، التي لا تقاس بمقامات الأنبياء؟

ثم إن الآية الكريمة رسمت خطورة الأمر في ضمن تأكيدات مغلّظة، حيث جاء فيها قوله تعالى: ﴿ **أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي** ﴾ وبعد أن تم الإقرار والمعاهدة والمعاقدة المشدّدة أشهدهم اللّـه تعالى على ذلك، حيث قال: ﴿ **فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾.

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) الهدايه الكبرى، الحضيني: ٣٨٠.

فمقام القرآن والعلوم المحمديّة على صادعها وآله آلاف السلام والتحيّة هي مقام الإشراف و الإحاطة والهيمنة لسائر العلوم والمعارف الموجودة لدى الأنبياء، والأنبياء إنّما أعطوا ما أعطوا من العلوم والحكم بعد إيمانهم بالنبي صلّى الله عليه وآله وأقرارهم بهيمنة علومه على علومهم، فلو تركوا ما عند رسول الله لم يبق عندهم علم و حكمة ولاتوصف بالحجيّة.

وبعد هذا كلّه لانرى وقعاً لبعض الكلم التافهة والدعاوى الفارغة التي قد تثار دفاعاً عن منهج الفلاسفة ودفاعاً عن لزوم تقدّم دراسة الفلسفة قبل إستحكام العقيدة من الكتاب والسنّة، فيجعل من علومهم ميزاناً يوزن به علوم النبي وآله المطهّرين، فما وافق من ذلك مع ذلك الميزان يقبل و إلا فيطرح أو يأوّل بما يُضحك الثكلى! كما مرّ نزر منها.

قاعدة منهجيّة في معاطاة الكتب والعلوم

إذا اتّضح ما ذكرنا من أنّ موسى و عيسى وإبراهيم و نوح و سائر الأنبياء لم يسعهم متاركة العلوم المحمّديّة والإكتفاء بما أوحي إليهم، فما ظنّك بمن يترك علوم القرآن الذي هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم ويحرص على مداولة كتب الفلاسفة والمتصوّفة ويصنع من هذه الكتب ميزاناً يزن به علوم حملة القرآن؟!

والغريب ـ ولاينقضي العجب ـ ممّن يعتذر عن ذلك باحتمال كون الفلسفة مأخوذة في الاصل من بعض الأنبياء، فهب أنّها كانت كذلك ولم يعرض عليها أيّ تغيير و تبديل، لكن كيف يجوز الأخذ بها ومتاركة العلوم المحمّدية إلا بعد أخذ الميزان منها وتكون كقيّم ووصيّ على علوم حملة القرآن، يا له من ضلالة!

فلو أنّ موسى و عيسى كانا حيين لم يجز لهما الإتّكاء بعلومهما إلا بعد الرجوع

الى علوم المطهَّرين الذين يمسّون الكتاب المكنون وأخذ القسطاس المستقيم منهم، فما لهؤلاء المساكين لايكادون يفقهون حديثاً؟!

نعم يجوز الرجوع الى علوم الأنبياء الماضين عليهم صلوات الله أجمعين في ظلّ هيمنة علوم القرآن و حملته. وهذه قاعدة مهمّة منهجيّة في مدارسة العلوم والمعارف ومداولة الكتب، فإنّه لايجوز ذلك إلا بعد الرجوع الى علوم القرآن و العترة وإلا يكون من إتّباع الظن الذى لايغنى من الحقّ شيئاً.

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُن** ﴾[1].

فإنّ اليهود مثلاًكذّبوا عيسى عليه السلام فرحين بما عندهم من العلم بالشرايع السابقة، كما أنّ الصائبة لم تؤمن بجملة من الرسل من بني اسرائيل فرحاً بما عندهم من علم الدين السابق، وهو ما حدث أيضاً من تكذيب قريش واليهود للنبي صلّى الله عليه وآله فرحاً بما عندهم من علم بالملّة الإبراهيميّة. فالآية تندّد بمن يترك البيّنات التي جاء بها الرسل إعتماداً على ما عندهم من العلم، وذلك لأنّ لتلك البيّنات الهيمنة والتقدّم على تلك العلوم ولايجوز الإستبداد بها عن البيّنات التي جاء بها الرسل، فالأخذ بما عندهم من العلوم إنّما يسوغ بعد الإستناد على علوم رسلهم وأخذ الميزان منها ليزنوا بها تلك العلوم التي كانوا يحظون بها.

فإذا كان هذا التقريع والتنديد من الباري تعالى في حقّ من فرح بعلمه واستبدّ به عن بيّنات الرسل السابقين عليهم السلام، فما ظنّك بمن استبدّ بحثالة خرجت من أيد بعض الكفّار ومرّت على أيدي بعض النواصب، وأعرض عن بيّنات القرآن وعلوم النبي الأكرم وآله المطهّرين.

---

(١) غافر: ٨٣.

الطائفة الرابعة عشرة: ادلّة إكمال الدين وإتمام النعمة

فقد ورد في الآيات المباركة ومتواتر الروايات أنّه ما من شيء يحتاج اليه ابن آدم في السلوك الى الله إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنّة. ووجه دلالة هذه الطائفة من الآيات والاخبار هو أنّ من أهمّ ما يحتاج اليه الناس في سلوكهم إلى الله هو معرفته تعالى ومعرفة أفعاله و صفاته ومعرفة العوالم وغير ذلك من أبواب المعارف، ولايمكن أن يكمل الدين مع وجود خلل و فتور في هذه الناحية. فكيف ينادي القرآن بأعلى صوته أنّه قد أكمل الدين وأتمّ النعمة في حين أنّه بقي فراغ يجب أن يملأ من أسفار بني اليونان؟!

وقد صدع الصادع الكريم عن الله أنّه ما من شيء يقرّب الناس الى الجنّة ويبّعدهم عن النار الا وقدأمر بها، و ما من شيء يبعّد الناس عن الجنّة ويقرّبهم الى النار الا وقد نهى عنه، وأساس ذلك مبني على الدعوة بالعلم و البرهان في مجال المعارف والعقائد، فياترى هل يظنّ أنّه ما فتر في تبليغ أحكام الفروع من الطهارة إلى الديات فأغنانا في هذه الفروع عن الرجوع الى غيرهم، ولكنّه أحوجنا في أخذ المعارف و العقائد بالرجوع الى الغير من الذين لايعرف لهم أصل ولا أساس؟!

وقد مرّ ما يفنّد دعوىٰ كون المعطيات الفلسفيّة هي المبيّنة والكاشفة عن مبهمات الشريعة، أو أنّها واردة في صدد توضيح وتبيين المعطيات الدينيّة، كيف وهما على طرفي النقيض، وهل يفسّر المباين بالمباين؟

٧٥ـ روى الصفّار عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الأهوازي، عن جعفر بن بشير، عن حماد، عن أبي أسامة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيرية فسأله عن شيء من السنن، فقال: «**ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا**

وقد خرجت فيه السنة من الله ومن رسوله، ولولا ذلك ما احتج علينا بما احتج»، فقال المغيري: وبما احتج؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[١] ـ حتى فرغ من الآية ـ فلو لم يكمل سنته وفرائضه وما يحتاج إليه الناس ما احتج به».[٢]

٧٦ ـ روى الصدوق عن الدقاق، عن الكليني، عن علي بن محمد، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري أن العالم كتب إليه يعني الحسن بن علي عليهما السلام: «...لولا محمد، والأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل يدخل قرية إلا من بابها؟ فلمّا منّ الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم قال الله عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاٰمَ دِيناً ﴾» الحديث.[٣]

٧٧ ـ روى البرقي عن بعض أصحابه، عن علي بن إسماعيل الميثمي، عن محمد بن حكيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «أتاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بما اكتفوا به في عهده واستغنوا به من بعده».[٤]

٧٨ ـ وروى البرقي عن إسماعيل الميثمي، عن محمد بن حكيم، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «أتاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٦٩ / ٣ عن البصائر.

(٣) المائدة: ٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٩٩ / ٣ عن العلل.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٦٩ / ٤ عن المحاسن.

بما يستغنون به في عهده وما يكتفون به من بعده: كتاب الله وسنة نبيه».[١]

٧٩ ـ روى الصفّار عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الحسن، عن فضالة، عن القاسم ابن يزيد، عن محمد بن مسلم، قال: سألته عن ميراث العلم ما بلغ، أجوامع من العلم أم يفسر كل شيء من هذه الأمور التي يتكلم فيها الناس من الطلاق والفرائض؟ فقال: «**إن عليا عليه السلام كتب العلم كله والفرائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن من شيء إلا وفيه سنة يمضيها**».[٢]

٨٠ ـ روى البرقي عن ابن بزيع، عن أبي إسماعيل السراج، عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، عن أبي لبيد البحراني، عن أبي جعفر عليه السلام أنه أتاه رجل بمكة فقال له: يا محمد بن علي أنت الذي تزعم أنه ليس شيء إلا وله حد؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «**نعم أنا أقول: إنه ليس شيء مما خلق الله صغيراً وكبيراً إلا وقد جعل الله له حداً إذا جوز به ذلك الحد فقد تعدى حد الله فيه**». فقال: فما حد مائدتك هذه؟ قال: «**تذكر اسم الله حين توضع، وتحمد الله حين ترفع، وتقم ما تحتها**». قال: فما حد كوزك هذا؟ قال: «**لا تشرب من موضع اذنه، ولا من موضع كسره، فإنه مقعد الشيطان، وإذا وضعته على فيك فاذكر اسم الله، وإذا رفعته عن فيك فاحمد الله، وتنفس فيه ثلاثة أنفاس، فإن النفس الواحد يكره**».[٣]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٠ / ٥ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٦٩ / ٢ عن البصائر.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٠ / ١٠ عن المحاسن.

٨١ـ روى البرقي عن محمد بن عبد الحميد، عن ابن حميد، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ في خطبته في حجة الوداع ـ: **«أيها الناس اتقوا الله، ما من شيء يقّربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به»**.[١]

٨٢ـ روى البرقي عن صالح بن السندي، عن ابن بشير، عن صباح الحذاء، عن أبي أسامة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل من المغيرية عن شيء من السنن فقال: **«ما من شيء يحتاج إليه أحد من ولد آدم إلا وقد جرت فيه من الله ومن رسوله سنة عرفها من عرفها، وأنكرها من أنكرها»** قال الرجل: فما السنة في دخول الخلاء؟ قال: **«تذكر الله، وتتعوذ من الشيطان، فإذا فرغت قلت: الحمد لله على ما أخرج عني من الأذى في يسر منه وعافية»**. فقال الرجل: فالإنسان يكون على تلك الحال فلا يصبر حتى ينظر إلى ما خرج منه. فقال: **«إنّه ليس في الأرض آدمي إلا ومعه ملكان موكلان به، فإذا كان على تلك الحال ثنيا رقبته ثم قالا: ابن آدم! انظر إلى ما كنت تكدح له في الدنيا إلى ما هو صائر»**.[٢]

٨٣ـ روى الصفّار عن أحمد بن محمد، عن الأهوازي، عن القاسم، عن محمد بن يحيى، عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **«يا جابر لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧١ / ١١ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧١ / ١٢ عن المحاسن.

نفتيهم بآثار من رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصول علم عندنا، نتوارثها كابرا عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم».[١]

٨٤ـ روى الصفّار عن ابن معروف، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن سورة بن كليب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء يفتي الإمام؟ قال: «**بالكتاب**». قلت: فما لم يكن في الكتاب؟ قال: «**بالسنة**». قلت: فما لم يكن في الكتاب والسنة؟ قال: «**ليس شيء إلا في الكتاب والسنة**». قال فكرت مرة أو اثنتين قال: «**يسدّد ويوفّق، فأما ما تظن فلا**».[٢]

٨٥ـ روى الصفار عن ابن يزيد، عن الحسن بن أيوب، عن علي بن إسماعيل، عن ربعي، عن خيثم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: يكون شيء لا يكون في الكتاب والسنة؟ قال: «**لا**». قال: قلت: فإن جاء شيء؟ قال: «**لا**». حتى أعدت عليه مرارا فقال: «**لا يجئ**»، ثم قال ـ بإصبعه ـ: «**بتوفيق وتسديد، ليس حيث تذهب، ليس حيث تذهب**».[٣]

قال العلامة المجلسي:

«قوله عليه السلام: بتوفيق وتسديد أي بإلهام من الله وإلقاء من روح القدس كما يأتي في كتاب الإمامة، وليس حيث تذهب من الاجتهاد والقول بالرأي».[٤]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٢ / ٣ عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٥ / ١٥ عن البصائر.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٥ / ١٦ عن البصائر.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٥.

٨٦ـ روى الصفّار عن محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله سورة ـوأنا شاهد ـ فقال: جعلت فداك بما يفتى الإمام؟ قال: «بالكتاب». قال: فما لم يكن في الكتاب؟ قال: «بالسنة». قال: فما لم يكن في الكتاب والسنة؟ فقال: «ليس من شيء إلا في الكتاب والسنة»، قال: ثم مكث ساعة ثم قال: «يوفّق ويسدّد وليس كما تظن».[1]

قال العلامة المجلسي:

« قوله عليه السلام: يوفق ويسدد أي لأن يعلم ذلك من الكتاب والسنة لئلا ينافي الأخبار السابقة وأول هذا الخبر أيضا ».

الطائفة الخامسة عشرة: لزوم سؤال أهل الذكر دون غيرهم

قال تعالى: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُون * بِالْبَيِّنٰاتِ وَ الزُّبُر ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُون ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهٰادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُون ﴾[4].

وقد أطبقت روايات الفريقين على نزول الآيتين الاوليين في أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم، والأمر بالسؤال منهم فيما لا يعلم أمر بطلب العلوم منهم وهو عين النهي عن السؤال من غيرهم، فإنّ الأمر بطلب العلم والسؤال من أحد بعينه في موضع توهّم وجود من يغني غناه و يمكن السؤال منه، يفيد الحصر وعدم

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٧٥ / ١٧ عن البصائر.

(٢) النحل: ١٦.

(٣) الأنبياء: ٢١.

(٤) الزخرف: ١٩.

جواز أخذ العلم عن غيرهم.

٨٧ـ روى الصدوق في العيون فيما بيّن الرضا عليه السلام عند المأمون من فضل العترة الطاهرة أن قال: «**وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُون ﴾ فنحن أهل الذكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون**» فقالت العلماء: إنما عنى بذلك اليهود والنصارى، فقال أبو الحسن عليه السلام: «**سبحان الله، و هل يجوز ذلك؟ إذاً يدعوننا إلى دينهم، ويقولون: إنه أفضل من دين الاسلام**» فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: «**نعم، الذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن أهله، وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿ فَاتَّقُوا اللّٰهَ يٰا أُولِي الأَلْبٰابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرا * رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيٰاتِ اللّٰهِ مُبَيِّنٰات ﴾[١] فالذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله، ونحن أهله**».[٢]

٨٨ـ روى الصفار عن محمد بن الحسين، عن صفوان، عن معلى بن أبي عثمان، عن معلى ابن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُون** ﴾ قال: «**هم آل محمد، فعلى الناس أن يسألوهم، وليس عليهم أن يجيبوا، ذلك إليهم، إن شاؤوا أجابوا، وإن شاؤوا لم يجيبوا**»[٣].

---

(١) الطلاق: ١٠ و ١١.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٧٣ / ٢ عن العيون.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٧٨ / ٢١ عن البصائر.

٨٩ـ روى الصفار عن السندي بن محمد عن العلا عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله: ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُون** ﴾ أنهم اليهود والنصارى، قال: «**إذاً يدعونهم إلى دينهم**» ثم أشار بيده إلى صدره فقال: «**نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون**».[١]

٩٠ـ روى الصفار عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم، عن عبد الحميد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُون** ﴾ قال: «**كتاب الله الذكر، وأهله آل محمد الذين أمر الله بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسمى الله القرآن ذكراً فقال: ﴿ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون** ﴾.[٢]

٩١ـ روى العياشي عن حمزة بن محمد الطيار قال: عرضت على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى انتهى إلى موضع فقال: **كف فاسكت ثم قال لي: اكتب، و أملى علي: إنه لا يسعكم فيما نزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبت فيه ورده إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد، ويجلوا عنكم فيه العمى قال الله: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُون** ﴾.[٣]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٨٠ / ٣١ عن البصائر.

(٢) النحل: ٤٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٨١ / ٣٣ عن البصائر.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٨٢ / ٤٣ عن تفسير العياشي.

٩٢ـ روى الصفار عن أحمد بن الحسين عن أبيه عن بكر بن صالح عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري عن يعقوب بن جعفر قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع به، فقال أبو الحسن: «**علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه وسفريّه وحضريّه، وفي أي ليلة نزلت كم من آية، وفيمن نزلت وفيما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه، وشهداؤه على خلقه، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهٰادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ﴾[1] فالشهادة لنا، والمسألة للمشهود عليه، فهذا علم ما قد أنهيته إليك وأديته إليك ما لزمني فان قبلت فأشكر وإن تركت فإن الله على كل شيء شهيد**».[2]

فالقرآن انّما نزل اليهم أولاً ومنهم خرج الى الناس، و قد فسّر لهم ثمّ منهم فشا في الناس، وهم شهود على الحقائق ومعرفتهم لها انّما تكون بالشهود والعيان؛ ومن أجل هذا يجب على الناس أن لا يعدوهم في المسألة.

الطائفة السادسة عشرة: أنّهم الوارثون لكتاب الله ومن طلب علوم القرآن من غير العترة الطاهرة فقد هلك وأهلك

قال تعالى: ﴿وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِم﴾[4].

---

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٩٦ / ٢٦ عن البصائر.

(٣) آل عمران: ٧. (٤) النحل: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾[٣]

فحقيقة القران ليس كما يزعم ما هو الموجود بين الدفّتين، فإنّها تنزيل لحقيقة القرآن وآية لعظمة شأن ذلك الكتاب. وذلك الكتاب قد جعل في كنّ مكنون و محفوظ لاتصل إليه أيدي الناس ولاأوهامهم، وإنّما يمسّه المطّهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً.

وذلك الكتاب المبين الذي أحصى كلّ شيء قد ورّثه الله تعالى للمصطفين من عباده وليس جميع الناس، مع أنّ ما بين الدفتين موجود في أيد الجميع ولايختصّ بالمصطفين، فهذا يدلّ على أنّ حقائق القرآن و بيّناته إنّما تكون عند ثلّة خاصّة وهم صفوة البشر وهم الذين آتاهم الله العلم.

٩٣ ـ روى الصفار عن أحمد بن محمد عن الأهوازي عن عثمان بن عيسى عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ هذه الآية: ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ﴾ ثم قال: **يا أبامحمد والله ما قال بين دفتي المصحف، قلت: من هم جعلت فداك؟ قال: من عسى أن يكونوا غيرنا؟**[٤]

٩٤ ـ روى الصفار عن محمد بن الحسين عن يزيد عن هارون بن

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) العنكبوت: ٤٩.

(٣) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢٠٠ / ٣٨ عن البصائر.

حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ قال: «هي الأئمة خاصة».[١]

٩٥ ـ روى الصفار عن أحمد بن محمد عن الأهوازي عن النضر عن يحيى الحلبي عن أيوب ابن حر وعن عمران بن علي جميعاً عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ فقال: والله ما قال في المصحف. قلت: فأنتم هم؟ قال: فمن عسى أن يكون؟[٢]

وبهذا المضمون روايات كثيرة جدّاً، حيث تنفي وجود علم القرآن عند غير المطهَّرين وعند غير المصطفين من العترة الطاهرة. ولاريب أنّ من أهمّ علوم القرآن الذي لايمكن التعدّي عنه، هي المعارف الربانيّة والعقائد الحقّة ومعرفة المبدأ والمعاد، وقد تحدّىٰ الجنّ والإنس في غير واحد من الآيات أن يأتوا بمثل هذه المعارف ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، مما أثبت عجز الجميع عن الإتيان بمثله.

فإنّ تحدّي القرآن الإتيان بمثله ليس منحصراً بما يكون مثله في خصوص الفصاحة والبلاغة كما قد يظنّ، بل ما يكون مثله في جميع الجهات التي من أهمّها المعارف والعلوم التي يحتويها وما فيه من النور والبصيرة والهداية والبيّنات والشفاء لما في الصدور. وذلك أنّ القرآن انّما عرّف نفسه بهذه الأوصاف، فحينما يطلب من الجنّ والإنس ويتحدّي أن يأتون بمثله فهو ظاهر بل صريح في ما يكون مثله في هذه الأوصاف.

وبعد ما ثبت عجز الجميع عن الإتيان بمثل معارف القرآن وعلومه، فلامناص

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢٠١ / ٤٠ عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢٠٢ / ٤٥ عن البصائر.

لطالب المعرفة من النزول بساحة أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم الذين هم حملة علوم القرآن ولايوجد علم القرآن عند غيرهم عليهم السلام، والتعدي عن علومهم إلى علوم غيرهم التي لم تخرج من بيوتهم لأجل الوصول إلىٰ تلك المعارف يعدّ تكذيباً و إنكاراً لهذه الحقائق الثابتة.

٩٦ ـ كما ورد في خطبة النبي صلى الله عليه وآله: **«إن الله عز وجل أنزل عليّ القرآن، وهو الذي من خالفه ضلّ ومن ابتغى علمه عند غير علي هلك ـإلى أن قال:ـ ومن طلب الهدى في غيرهم (يعني أهل بيته) فقد كذّبني»**.[1]

الطائفة السابعة عشرة: أنّهم أنوار الله

فإنّ كونهم أنوار الله تصريح بنفي وجود النور عند غيرهم عليهم السلام، فإنّه ليس سوىٰ نور الله إلاّ الظلمة، لاستحالة وجود نور عند غير الله تعالىٰ فإنّ من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. فلايكاد يوجد نور العلم والحكمة والهداية لدى غيرهم صلوات الله عليهم.

قال تعالى: **﴿اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ فيهٰا مِصْبٰاحٌ الْمِصْبٰاحُ في زُجٰاجَةٍ الزُّجٰاجَةُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ نُورٌ عَلىٰ نُورٍ يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليم * في بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فيهٰا بِالْغُدُوِّ وَ الآصٰال * رِجٰالٌ لاٰ تُلْهيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَ إِقٰامِ الصَّلاٰةِ وَ إيتٰاءِ الزَّكٰاةِ يَخٰافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصٰار * لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مٰا عَمِلُوا وَيَزيدَهُمْ**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٨ / ٩٤.

مِنْ فَضْلِهِ وَ اللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ * وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمٰالُهُمْ كَسَرٰابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مٰاءً حَتّٰى إِذٰا جٰاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللّٰهَ عِنْدَهُ فَوَفّٰاهُ حِسٰابَهُ وَ اللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسٰابِ * أَوْ كَظُلُمٰاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحٰابٌ ظُلُمٰاتٌ بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ إِذٰا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرٰاهٰا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾.[1]

٩٧ ـ روى علي بن إبراهيم عن محمد بن همام عن جعفر بن محمد عن محمد بن الحسن الصائغ عن الحسن بن علي عن صالح بن سهل الهمداني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله: ﴿ اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ ﴾ المشكاة: فاطمة عليها السلام ﴿ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ ﴾ الحسن ﴿ الْمِصْبٰاحُ ﴾ الحسين ﴿ فِي زُجٰاجَةٍ ﴾ ﴿ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ كَأَنَّ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ونساء أهل الجنة ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ ﴾ يوقد من إبراهيم ﴿ لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿ يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ ﴾ يكاد العلم ينفجر منها ﴿ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ نُورٌ عَلىٰ نُورٍ ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾. ﴿ أَوْ كَظُلُمٰاتٍ ﴾ فلان وفلان ﴿ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰاهُ مَوْجٌ ﴾ يعني نعثل ﴿ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ طلحة والزبير ﴿ ظُلُمٰاتٌ بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ معاوية وفتن بني أمية ﴿ إِذٰا أَخْرَجَ ﴾ المؤمن ﴿ يَدَهُ ﴾ في ظلمة فتنتهم ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرٰاهٰا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ فماله من إمام يوم القيامة يمشي بنوره.

---

(١) النور: ٣٥ ـ ٤٠.

وقال في قوله: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ ﴾[1] قال: أئمة المؤمنين يوم القيامة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوا منازلهم في الجنة.[2]

٩٨ ـ روى الصدوق عن إبراهيم بن هارون الهيبستي عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج عن الحسين بن أيوب عن محمد بن غالب عن علي بن الحسين عن الحسن بن أيوب عن الحسين بن سليمان عن محمد بن مروان الذهلي عن الفضيل بن يار قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ﴿ اللّٰهُ نُورُ السَّماٰواٰتِ وَ الأَرْضِ ﴾ قال: كذلك الله عز وجل. قال: قلت: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ قال لي: محمد صلّى الله عليه وآله. قلت: ﴿ كَمِشْكاٰةٍ ﴾ قال: صدر محمد. قلت: ﴿ فيهٰا مِصْباٰحُ ﴾ قال: فيه نور العلم يعني النبوة. قلت: ﴿ الْمِصْباٰحُ فِي زُجاٰجَةٍ ﴾ قال: علم رسول الله صلّى الله عليه وآله صدر إلى قلب علي عليه السلام. قلت: ﴿ كَأَنَّهٰا ﴾ قال: لأي شيء تقرأ: كأنّها؟ قلت: فكيف جعلت فداك؟ قال: ﴿ كَأَنَّه كَوْكَبُ دُرِّيُّ ﴾ قلت: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُباٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يهودي ولا نصراني. قلت: ﴿ يَكاٰدُ زَيْتُهٰا يُضيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ ناٰرُ ﴾ قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمد صلّى الله عليه وآله من قبل أن ينطق به. قلت: ﴿ نُورُ عَلىٰ نُورٍ ﴾ قال: الامام على أثر الامام.[3]

---

(١) التحريم: ٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣٠٤ / ١ عن تفسير على بن ابراهيم.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣٠٦ / ٣ عن التوحيد ومعاني الاخبار.

والنور في الآية انما هو نور الهداية والعلم والمعرفة، وذلك أنّ النور اذا اضيف الى الأمور المظلَمة يراد منه المنوِّر، كما يقال ضوء البيت وضوء السماء ويراد منه المنوّر للبيت وللسماء، فقوله نور السماوات و الأرض يعني منوّرها وهاديها.

٩٩ـ وقد ورد في معنى الآية عن أبي جعفر عليه السلام: ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي وهو قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ﴾ يقول: أنا هادي السماوات والأرض مثل العلم الذي أعطيته وهو نوري الذي يهتدى به مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد صلّى الله عليه وآله والمصباح النور الذي فيه العلم وقوله: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يقول: إني أريد أن أقبضك فاجعل الذي عندك عند الوصي كما يجعل المصباح في الزجاجة، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فأعلمهم فضل الوصي...[١]

فالآية الكريمة مثل لنور العلم وبيان لكيفيّة انتشاره بين الناس وأنّ العلم إنّما ينتشر من ناحية النبي وأهل بيته عليهم السلام، وما وراء ذلك ظلمات بعضها فوق بعض. فنور العلم والهداية منحصر في ما انتشر و خرج من عند النبي والعترة صلوات الله عيهم، ولايشذّ عن هذا النور هداية ونور وعلم في السماوت و الأرض، فما من نور إلاّ وهو نورالله تعالى وما من علم إلا وهو من الله تعالى، والقول بوجود نور وهداية وعلم من سواه شرك بالله العظيم. ثمّ إنّه تعالى جعل لهذا النور طريقاً وسبباً فلاينتشر هذا النور إلا عبر هذا الباب والسبب، وهو النبي وأهل بيته عليهم السلام الذين يكاد العلم ينفجر منهم من قبل أن ينطقوا بالكلام.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ٨ / ٣٨٠.

وليس سوى النور إلا الظلمة، والآية تبيّن أنّ الساحة الفارغة منهم و من تعاليمهم وكلماتهم تكون كسراب يحسبه الظمآن ماء، أو كظلمات في بحرلجي يغشاه موج من فوقه موج ان أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. فمن رام أن يقف على المعارف الربانيّة من غير طريقتهم لايمكنه أن يرى يده إن أخرجها فكيف بغيره.

١٠٠ ـ روى علي بن إبراهيم عن علي بن الحسين عن البرقي عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله: ﴿ **فآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا** ﴾[١] فقال: «**يا أباخالد النور والله الأئمة من آل محمد إلى يوم القيامة، هم والله نور الله الذي أنزل وهم والله نور الله في السماوات والأرض، والله يا أباخالد لنور الامام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أباخالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا، ويكون سلما لنا، فإذا كان سلما لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر**».[٢]

١٠١ ـ وروى الكليني عن الحسين بن محمد عن المعلى عن علي بن مرداس عن صفوان وابن محبوب عن أبي أيوب مثله.[٣]

---

(١) التغابن: ٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣٠٨ / ٥ عن تفسير على بن ابراهيم.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣٠٨ عن الكافي.

فمن رام أن يحصل نورا من غير معدن الأنوار فقد ضل ضلالاً بعيدا. وهذا النور لايشرق على قلب أحد إلا إذا كان سلماً لهم، فلا يتسرّع إلى رفض ما لا يحتمله من علومهم ولايعكف على ما سوى رواياتهم، ويرفض علومهم و تراثهم.

١٠٢ ـ روى العياشي عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: ﴿أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ﴾ قال: الميت الذي لا يعرف هذا الشأن. قال: أتدري ما يعني ميتا؟ قال: قلت: جعلت فداك لا، قال: الميت الذي لا يعرف شيئا فأحييناه بهذا الامر ﴿وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّٰاسِ﴾ قال: إماما يأتم به. قال: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا﴾[١] قال: كمثل هذا الخلق الذين لا يعرف الامام.[٢]

فمن لم يأخذ معرفته و دينه وعقيدته من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ميّت لايخرج من الظلمات أبدا.

١٠٣ ـ وعن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: روى الحسن بن أبي الحسن الديلمي عن أبيه عن رجاله عن عبد الله بن سليمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله تعالى: ﴿قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾[٣] قال: البرهان رسول الله صلّى الله عليه وآله، والنور المبين علي بن أبي طالب عليه السلام.[٤]

١٠٤ ـ روى علي بن إبراهيم الحسين بن علي عن أبيه عن الحسين بن

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣١٠ / ١٣ عن تفسير العياشي.

(٣) النساء: ١٧٤.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣١١ / ١٥ عنه.

سعيد عن النضر عن القاسم بن سليمان عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ **يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾ قال: **الحسن والحسين عليهما السلام** ﴿ **وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِه** ﴾[١] **قال: إماما تأتمون به الحديث**.[٢]

١٠٥ ـ وعن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: محمد بن العباس عن عبد العزيز بن يحيى عن المغيرة بن محمد عن حسين بن الحسن المروزي عن الأحول عن عمار بن زريق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب بن عياض قال: طعنت على علي عليه السلام بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله، فوكزني في صدري، ثم قال: «**يا كعب إن لعلي عليه السلام نورين نور في السماء، ونور في الأرض، فمن تمسك بنوره أدخله الله الجنة، ومن أخطأه أدخله النار، فبشّر الناس عني بذلك**».[٣]

وغيرها من الروايات المتواترة التي تفسّر آيات النور بهم عليهم السلام، وفيها التصريح بأنّ ما لم يخرج منهم عليهم السلام ظلمات بعضها فوق بعض، فمن رام أن يحصل النور والمعرفة والهداية ممّن سواهم ليبقى في ظلمات ليس بخارج منها إن أخرج يده لم يكد يراها.

الطائفة الثامنة عشرة: لايعرف الله إلاّ بهم

وسيأتي الكثير من تلك الأدلّة في مبحث الأسماء وأنّ المسمّى إنّما يتوصّل اليه

---

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣١٨ / ٣٠ عن تفسير القمّي.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٣١٩ / ٣٤ عنه.

عبر الأسماء، كما ورد من قولهم عليهم السلام «**بنا عرف الله و لولانا ما عرف الله**».

١٠٦ ـ روى الصدوق عن ابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحجال، عن نصر العطار عمن رفعه باسناده قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «**ثلاث أقسم أنّهن حق: إنّك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، وعرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه**».(١)

١٠٧ ـ وعن بشارة المصطفى: أبو علي بن شيخ الطائفة، عن أبيه، عن المفيد، عن محمد بن عمر عن ابن عقدة، عن يحيى بن زكريا، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن محمد بن إسماعيل، عن الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال: «**من دعا الله بنا أفلح، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك**».(٢)

بل سيأتي أنّه لاسبيل لملائكة الله المقرّبين إلى معرفة الله إلا بهم عليهم السلام، فإذا كان جبرئيل وميكائيل واسرافيل و سائر المقرّبين من الملائكة لم يعرفوا الله إلا ببركة كلماتهم وأنوارهم فما ظنّك بغيرهم، فهل يوجد ثمّة طريق آخر للوصول إلى معرفة الله بالحكمة والبرهان سوى طريقهم صلوات الله عليهم؟

فلما كان الملائكة الذين اطّلعوا على الغيب والشهود لم يبلغوا درجة تلك المعرفة إلا بتعليم من الأئمّة ـ صلوات الله عليهم ـ لهم، فهل للبشر العاجز

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٩٩ / ٢ عن الخصال.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠٢ / ١٠ عنه.

المحجوب عن الملك والملكوت والغيب و الشهود أن يبلغ أدنى درجة من معرفة الله بفكره القاصر وعقله الفاتر.

كلاّ! إنّ هذا ممّا لايكون.

الطائفة التاسعة عشرة: حديث السفينة وحديث باب حطّة

وحديث السفينة هو المتواتر الذي رواه الفريقان من أنّ مثل أهل البيت كمثل السفينة من ركبها نجى و من تخلّف عنها غرق. وركوب السفينة لا يتحقّق إلا بركوب جميع أجزاء البدن من دون أن يتخلّف جزء من أجزائه عنها، فكذلك التمسّك بهم لايصدق إلا اذا تمسّك بهم الإنسان في جميع شؤونه، لا أن يشبع معرفته وعقيدته من غيرهم ثمّ يرجع اليهم لتعلّم الأحكام الفرعيّة. ويدلّ الحديث على أنّه لايوجد نور وهداية عند غيرهم فمن تخلّف عنهم غرق البتّة، كما أنّ النجاة في زمن نوح قد انحصر في ركوب السفينة، فحتى الحيوانات و السباع والطيور انحصرت نجاتها في ركوب السفينة وما كان آنئذ ملجأ ولامنجى سواها علىٰ وجه الأرض. فمفاد حديث السفينة يشابه ما ورد من أنّه لايوجد علم صحيح إلا عند أهل البيت عليهم السلام وكلّ ما سواه باطل و زخرف.

ونظير هذا المفاد يوجد في حديث آخر و هو متواتر أيضاً من أنّ مثل أهل البيت كباب حطّة من دخله نجا ومن لم يدخله هلك. فإنّ من يأبى عن أخذ علومه ومعارفه عنهم يكون كمن أبى دخول باب حطّة من بني اسرائيل، فأنزل الله عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون.

١٠٨ ـ عن بشارة المصطفى: الحسن بن الحسين بن بابويه، عن شيخ الطائفة، عن المفيد، عن علي الكاتب، عن الحسن بن علي بن عبد الكريم، عن إسحاق بن إبراهيم الثقفي عن عباد بن يعقوب،

عن الحكم بن ظهير، عن أبي إسحاق، عن رافع مولى أبي ذر قال: رأيت أبا ذر رحمه الله أخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني أنا جندب الغفاري، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: **«من قاتلني في الأولى وقاتل أهل بيتي في الثانية حشره الله في الثالثة مع الدجال إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق ومثل باب حطة من دخله نجا، ومن لم يدخله هلك»**.[1]

١٠٩ ـ وعن تفسير الإمام العسكري: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«هؤلاء بنو إسرائيل نصب لهم باب حطة وأنتم يا معشر أمة محمد نصب لكم باب حطة أهل بيت محمد عليه السلام، وأمرتم باتباع هداهم، ولزوم طريقتهم ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حطتكم أفضل من باب حطتهم ، لان ذلك كان بأخاشيب ونحن الناطقون الصادقون المؤمنون الهادون الفاضلون، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن النجوم في السماء أمان من الغرق، وأهل بيتي أمان لامتي من الضلالة في أديانهم، لا يهلكون ما دام منهم من يتبعون هديه وسنته»**.[2]

فصرّح عليه السلام بأنّ الدخول في باب حطّتهم إنّما يكون باتّباع هداهم ولزوم طريقتهم، وهذا مما لايجتمع مع أخذ أساس المعارف الإلهَية عن غيرهم بل أخذ الميزان والقسطاس عنهم به يوزن كلام أهل بيت الوحي.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠٥ / ٣ عنه.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٢٢ / ٤٧ عنه.

وبهذا المضمون أيضاً روايات كثيرة جدّاً دالّة على أنّ من تخلّف عنهم هوى وهلك، بتقريب أنّ للتخلّف عنهم نماذج ومصاديق لعلّ من أهمّها هو التخلّف عنهم في سبيل أخذ المعارف الإلهيّة و تلقّي العلوم الربّانيّة المرتبطة بمعرفة الله وما يرتبط بأصل الديانة والعقيدة.

١١٠ ـ ومن ذلك ما رواه الزمخشري بإسناده قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله: **فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها امناء ربي وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلف عنهم هوى.**[١]

والغريب من البعض؛ حيث يرى أنّ مجانبة أهل البيت عليهم السلام في فقه الفروع تخلّف عنهم، بينما لايرى مجانبتهم في تلقّي الفقه الأكبر الذي هو المعارف والعقائد تخلّفاً عنهم، مع أنّ أوّل الدين معرفة الله ولايقبل الله عملاً بغير معرفة.

الطائفة العشرون: أنّهم عليهم السلام السبيل والصراط

فإنّ كونهم الصراط المستقيم والسبيل إلى الله صريح في أنّه لامناص من سلوكه للتقرّب من الله تعالى، و من عدل عن الصراط ينكب عن الطريق ويهلك. فالعلوم الإلهيّة برمّتها يجب أن تؤخذ منهم ولاطريق ولاسبيل غيرهم، فإنّ كونهم الصراط المستقيم والسبيل إلى الله صريح في أنّ غيرهم مهما كان فسبيله ومنهجه لايصل الى الله، بل الى الظلمات التي بعضها فوق بعض.

١١١ ـ روى الصدوق عن القطان عن عبد الرحمن بن محمد الحسني عن أحمد بن عيسى العجلي عن محمد بن أحمد بن عبد الله العرزمي

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١١٠ / ١٦ عنه.

عن علي بن حاتم عن المفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال: **هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم.**[١]

١١٢ ـ روى الصدوق عن أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن جده عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٢] قال: **هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنّه أمير المؤمنين عليه السلام قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[٣] وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾**».[٤]

١١٣ ـ روى الصدوق عن أبيه عن علي عن أبيه عن محمد بن سنان عن المفضل عن الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: **ليس بين الله وبين حجته حجاب فلا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سره.**[٥]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١١ / ٣ عن معاني الأخبار.

(٢) الفاتحة: ٦.　　　　(٣) الزخرف: ٤.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١١ / ٤ عن معاني الأخبار.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١٢ / ٥ عن معاني الأخبار.

١١٤ ـ روى الصدوق عن أبيه عن سعد عن ابن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية في قول الله عز وجل: ﴿ وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾[١] قال: فقال عليه السلام: **أتدري ما سبيل الله؟** قال: قلت: لا والله، إلا أن أسمعه منك، قال: **سبيل الله (هو) علي عليه السلام وذريته، (وسبيل الله) من قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله.**[٢]

١١٥ ـ روىٰ أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ هٰذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[٣] قال: **نحن السبيل فمن أبى فهذه السبل.** الحديث.[٤]

١١٦ ـ روى على بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن ابن رئاب قال: **نحن والله الذين أمر الله العباد بطاعتهم فمن شاء فليأخذ هنا ومن شاء فليأخذ هنا، ولا يجدون عنا والله محيصا.** ثم قال: **نحن والله السبيل الذي أمركم الله باتباعه، ونحن والله الصراط المستقيم.**[٥]

وبهذا المضمون روايات كثيرة أخرى تدلّ على أنّ السبيل الفريد الواحد الى الله هم النبي وأهل بيته عليهم السلام، وهذا لايجتمع مع كون من سواهم هو

---

(١) آل عمران: ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١٢ / ٦ عن معاني الأخبار.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١٣ / ٩.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١٤ / ١٢ عن تفسير القمّي.

المعتمد في تلقّي المعارف التوحيديّة وغيرها ممّا لامعنى للسلوك في سبيل الله من دون معرفتها.

الطائفة الحادية والعشرون: تأويل الماء بالإمام وعلمه

قال الله تعالى: ﴿ وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾[٢].

١١٧ ـ ففي تفسير علي بن إبراهيم: حدثنا محمد بن جعفر عن محمد بن أحمد عن القاسم بن العلا عن إسماعيل بن علي الفزاري عن محمد بن جمهور عن فضالة بن أيوب قال: سئل الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ فقال عليه السلام: **ماؤكم أبوابكم، أي الأئمة، والأئمة أبواب الله بينه وبين خلقه ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ يعني يأتيكم بعلم الامام.**[٣]

وغيرها من الروايات، فانّه لاحياة إلا بالماء كما صرّح في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[٤] فلا علم و لاحياة عند غيرهم عليهم السلام، وبعلمهم يحيى كلّ شيء، وهم الباب بين الله وخلقه فلا طريق غيرهم ولاعلم سوى علومهم، فمن ابتغي العلم والمعرفة عند غيرهم يكون كطالب الماء من السراب الذي يحسبه الضمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

---

(١) الأنبياء: ٣٠. (٢) الملك: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ١٠٠ / ١ عنه.

(٤) الأنبياء: ٣٠.

الطائفة الثانية والعشرن: أنّهم عليهم السلام خزّان علم الله

ولايخرج شيء من غير خزانته، فلايمكن أن يوجد علم من علوم الله تعالى غير خارج عنهم عليهم السلام، فلو شرّق الإنسان و غرّب لن يجد علماً صحيحا إلا شيئا خرج من عندهم عليهم السلام.

١١٨ ـ روى الصفّار عن أحمد عن الأهوازي عن ابن أسباط عن أبيه عن سورة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: **«والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه»**.[1]

١١٩ ـ روى الصفار عن أحمد بن محمد عن الأهوازي وأبي عبد الله البرقي عن أبي طالب عن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: **«نحن خزان الله على علم الله، نحن تراجمة وحي الله، نحن الحجة البالغة على ما دون السماء وفوق الأرض»**.[2]

١٢٠ ـ روى الصفار عن أحمد بن موسى عن الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمان بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **«نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله»**.[3]

وغيرها من الروايات الكثيرة.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٠٥ / ١ عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٠٥ / ٤ عن البصائر.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٠٦ / ٩ عن البصائر.

الطائفة الثالثة والعشرون: انّ عندهم علوم جميع الأنبياء وما أنزل الله من علم إلا وقد أعطاهم

١٢١ ـ روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي ﴿ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[1] **هو أمير المؤمنين عليه السلام.** وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: **ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر، وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين.**[2]

١٢٢ ـ روى الصفار عن محمد بن عبد الحميد وأبو طالب جميعا عن حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إن لله علما عاما وعلما خاصا، فأما الخاص فالذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأما علمه العام الذي اطلعت عليه الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون فقد دفع ذلك كله إلينا الحديث.**[3]

١٢٣ ـ روى الصفار عن يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن فضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام

---

(١) الرعد: ٤٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٦٠ / ٦ عن تفسير القمي.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٦٣ / ٨ عن البصائر.

قال: إن لله علما لا يعلمه غيره، وعلما قد أعلمه ملائكته وأنبياءه ورسله فنحن نعلمه، ثم أشار إلى صدره.(١)

١٢٤ ـ روى الصفار عن محمد بن إسماعيل عن علي بن الحكم عن ضريس عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إن لله علمين: علم مبذول، وعلم مكفوف، فأما المبذول فإنه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرسل إلا ونحن نعلمه، وأما المكفوف فهو الذي عنده في أم الكتاب إذا خرج نفذ.(٢)

١٢٥ ـ روى الصفّار عن أحمد بن محمد بن علي بن النعمان عن بعض الصادقين يرفعه إلى جعفر عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يمصّون الثماد ويدعون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم والعلم الذي آتاه الله، إن الله جمع لمحمد صلّى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم هلم جرا إلى محمد صلّى الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، إن الله جمع لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلم علم النبيين بأسره، وإن رسول الله صلّى الله عليه وآله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه‌السلام. فقال له الرجل: يا بن رسول الله فأمير المؤمنين عليه السلام أعلم أو بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثت أن الله جمع لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلم علم

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٦٤ / ١٢ عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٦٣ / ١٠ عن البصائر.

النبيين وإنه جعل ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهو يسألني هو أعلم أم بعض النبيين؟!»[١]

١٢٦ ـ روى الصفّار عن أبى عبد الله عليه السلام أنّه قال لرجل: **تمصّون الثماد وتدعون النهر الأعظم؟!** فقال له الرجل ما تعنى بهذا يا بن رسول الله؟ فقال: **عَلِم النبي صلّى الله عليه وآله عِلْم النبيين بأسره، وأوحى الله إلى محمد صلّى الله عليه وآله فجعله محمد صلّى الله عليه وآله عند علي عليه السلام.** فقال له الرجل فعلي عليه السلام أعلم أو بعض الأنبياء؟ فنظر أبو عبد الله عليه السلام إلى بعض أصحابه فقال: **إن الله يفتح مسامع من يشاء أقول له ان رسول الله صلّى الله عليه وآله جعل ذلك كله عند علي عليه السلام فيقول علي عليه السلام اعلم أو بعض الأنبياء!**[٢]

قال المولىٰ صالح المازندرانى:

« الثماد : الماء القليل الذي لا مادة له أو ما يبقى في الجلد وهو الأرض الصلبة أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ، وفيه تمثيل حيث شبّه الخلق في تركهم العلم الكثير الصافي والأخذ بالعلم القليل الذي لا مادة له وهو ينجر بالآخرة إلى الخلط بالشبهات والمفتريات ، بالعطاش الذين تركوا الماء الكثير الصافي والنهر العظيم الذي له مادة ومصوا الماء القليل الذي لا مادة له ، ولا محالة ينتهي مصهم إلى شرب الماء المختلط بالطين البالغ إلى حد لا يسمى ماء ».[٣]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٦٦ / ٢١ عن البصائر.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٢٤٨.

(٣) شرح أصول الكافي، مولى محمدّ صالح المازندراني: ٥ / ٣٠٠.

١٢٧ ـ روى الصفار عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن ربعي عن الفضيل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إن العلم الذي هبط مع آدم لم يرفع وإن العلم يتوارث وما يموت منا عالم حتى يخلفه من أهله من يعلم علمه أو ما شاء الله.**[(١)]

١٢٨ ـ روى الصفار عن محمد بن الحسين عن محمد بن الهيثم أو عمن رواه عنه عن بعض أصحابنا عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إني سألت أباك عن مسألة أريد أن أسألك عنها قال: وعن أي شيء تسأل؟ قال: قلت له: عندك علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وكتبه وعلم الأوصياء وكتبهم؟ قال: فقال: **نعم وأكثر من ذاك، سل عما بدا لك.**[(٢)]

١٢٩ ـ روى الصفار عن علي بن محمد بن سعيد عن حمدان بن سليمان عن عبيد الله بن محمد اليماني عن مسلم بن الحجاج عن يونس عن الحسين بن علوان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إن الله خلق اولي العزم من الرسل وفضلهم بالعلم وأورثنا علمهم وفضلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ما لم يعلموا، وعلمنا علم الرسول وعلمهم.**[(٣)]

١٣٠ ـ روى الصفار عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن الفضيل عن الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٦٧ / ٢٢ عن البصائر.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٧٦ / ٥٤ عن البصائر.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٩٤ / ١ عن البصائر.

قال: قلت له: جعلت فداك الأئمة يعلمون ما يضمر؟ فقال: علمت والله ما علمت الأنبياء والرسل، ثم قال لي: أزيدك؟ قلت: نعم، قال: ونزاد ما لم تزد الأنبياء.[١]

فمن أقرّ بذلك لن يطلب العلم من عند غيرهم ولايترك هذا النهر العظيم ويكتفي بمصّ الثماد. فلو كان علم من علوم الأنبياء موجود عند أحد فهو بكامله موجود عند أهل بيت الوحي، فما الداعي في طلب ذلك العلم عن غيرهم ممّن لايعرف أصله وأساسه ولايصون من التغيير والتحريف؟

فمن الغريب ما يدافع بعض عن المنهج الفلسفي معتذراً بأنّها محتملة الأخذ من بعض الأنبياء السابقين، فهب أنّها كذلك، إلا أنّ ذلك العلم عند أهل البيت من دون زيادة ونقيصة وتحريف مع علوم آخرىٰ أعظم من ذلك بكثير. فهل يترك العاقل هذا النهر العظيم و يكتفي بمصّ الثماد؟!

ولايخفى أنّ هذه الروايات وردت في مورد التحدّي والتعجيز، فعلوم الأنبياء والمرسلين وعلم الأوّلين والآخرين لايوجد عند غيرهم فمن كان عنده علم منهم فليأت به ان كان من الصادقين.

ولنعم ما قاله الشيخ أبو زهرة على ما نقله عنه الشيخ محمد جواد المغنية:

« وإذاكان التاريخ يقرر أن سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنسان فإن الإمام الصادق قد درس السماء والأرض والإنسان وشرائع الأديان، وكان في علم الإسلام كله الإمام الذي يرجع إليه. فهو أعلم الناس باختلاف الفقهاء، وقوله الفصل والعدل »[٢]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ١٩٨ / ٩ عن البصائر.

(٢) الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية: ٢٣٢.

الطائفة الرابعة والعشرون: من طلب الهداية والعلم من غير القرآن والعترة أضلّه الله

١٣١ ـ قال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: خذوا بحجزة هذا الأنزع فإنه الصديق الأكبر والهادي لمن اتّبعه، من سبقه مرق من دين الله، ومن خذله محقه الله، ومن اعتصم به اعتصم بحبل الله، ومن أخذ بولايته هداه الله، ومن ترك ولايته أضلّه الله» الخبر[1].

١٣٢ ـ و عن علي عليه السلام قال: «دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فقال: يا علي إنها ستكون من بعدي فتن. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ فقال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما يرد بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل وحبل الله المتين العظيم وهو الذكر الحكيم من تركه من جبّار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله هو الذي لم ينته الجنّ إذ سمعوه حتى قالوا: ﴿ سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴾[2] من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به آجر»[3].

١٣٣ ـ و عن يوسف بن عبد الرحمن رفعه إلى الحارث الاعور قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبى طالب عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين إنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نسدّ به ديننا، وإذا

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٦ / ٢٥٨.

(٢) الجنّ: ١.

(٣) مناقب أمير المؤمنين لمحمّد بن سليمان الكوفي: ٢ / ٣٠.

خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة، لا ندري ماهي؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمّد سيكون في أمّتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبّار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلّه الله. الخبر[1].

١٣٤ ـ و عن الحسن بن علي قال: قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله: إن امتك سيفتتن، فسئل ما المخرج من ذلك؟ فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله، ومن ولي هذا الأمر من جبّار فعمل بغيره قصمه الله. الخبر[2].

١٣٥ ـ و عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوّره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسّك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضلّه الله. الخبر[3].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٩ / ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٩ / ٢٧.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٩ / ٣١.

١٣٦ ـ وقال النبي صلّى الله عليه وآله في خطبته: **«إن الله عز وجل أنزل عليّ القرآن، وهو الذي من خالفه ضلّ ومن ابتغى علمه عند غير علي هلك ـ إلى أن قال: ـ ومن طلب الهدى في غيرهم (يعني أهل بيته) فقد كذّبني».**[١]

وهناك فرق بين الضلال والإضلال، فمن طلب الهدى من غير القرآن يعمد الله تعالىٰ بإضلاله، فهناك عمد من الله في إضلال من طلب الهدى في غير القرآن والعترة. والإضلال من الله تعالى معناه رفع الهدايات والتوفيقات وترك العبد وظلمته الذاتيّة، فحينما تُرك هذا الإنسان الذي هو محل السهو والنسيان والجهل والظلمات فيرتطم في الظلمات ويركب مطيّة الجهالات وهو يحسب أنّه يحسن صنعا، وهنا معان أخر لإضلاله تعالى مذكورة في محلّها.[٢]

ثمّ إنّه لو اجتمع الإنس والجنّ علىٰ أن يهدوا من أضلّه الله لن يقدروا علىٰ ذلك، كما قال تعالىٰ في أربع مواضع من الذكر الحكيم:

﴿ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ ﴾[٣]

وقال: **﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلاٰ هٰادِيَ لَهُ ﴾**[٤]

ولاغرو في ذلك، فإنّ الإضلال منه تعالى إنّما يكون عقوبة على ما صنعه الإنسان بسوء إختياره، حيث قال تعالى: **﴿ وَ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ ﴾**[٥]، ومن أظلم ـ كما ذكره بعض مشايخنا الأعلام[٦] ـ ممّن ترك هدى القرآن

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٨ / ٩٤.

(٢) سدّ المفرّ على القائل بالقدر، تقرير أبحاث شيخنا الأستاذ محمد باقر علم الهدىٰ: ٢٤٢.

(٣) الرعد: ٣٣، والزمر: ٢٣ و ٣٦، و غافر: ٣٣.

(٤) الاعراف: ١٨٦.

(٥) ابراهيم: ٢٧.

(٦) سماحة الآية الشيخ الوحيد الخراساني حفظه الله فيما سيأتي من عبارته في الفصل السادس.

والعترة وطلب علم المبدأ والمعاد من بني اليونان، فإنّ الله أنزل كتاباً فيه علم الأوّل والآخر وجعل أئمّة يهدون بأمره وأعطاهم جميع علوم الأنبياء والمرسلين وعلوم الملائكة المقرّبين، فمن تركهم وعكف على ما وصل من غيرهم فقد ظلمهم ظلماً كبيراً.

الطائفة الخامسة والعشرون: ما ورد في وصف القرآن والعترة بالفرقان والبرهان والذكر والحكمة والبصائر والهدى والنور والبيّنات والتبيان

وقد فاضت الآيات القرآنيّة والروايات من هذه الأوصاف ما بلغ العشرات بل المئات، وهي بأجمعها في صدد بيان مقام للقرآن والسنّة يغاير مقام الحجيّة التعبديّة، وهو مقام التعليم والتذكير وإثارة دفائن العقول. فإنّ خطابه تعالى في هذه الآيات متوجّه إلى جميع الناس لاخصوص من آمن كي تصحّ الحجيّة التعبديّة والطاعة المولويّة. وهذ المقام ـ مقام التعليم والتذكير وإثارة دفائن العقول ـ هو لفت الإنتباه بالدلائل والبيّنات، وهو يغاير مقام الولاية والطاعة الذي ينحصر بالحجيّة التعبديّة، إنّما هو مقام بيان الحجّية العلميّة.

ومن ذلك يتبيّن أنّ أحد وجوه حجيّة القرآن ـ بل من عظائم حججه ـ تكمن في الأدلّة والبراهين المطويّة في بيّناته، لامن جهة قطعيّة صدوره وسنده كي يؤخذ بها تعبّداً، وهكذا الحال في روايات وأحاديث المعارف، فإنّ حجيّتها لاتنحصر من جهة اعتبار صدورها بل لما تتضمّنه من بيانات حكميّة وبراهين عقليّة ودلالات علميّة.

ومحلّ الشاهد من هذه الأدلّة هو ما إذا اقترنت هذه الأوصاف بالتحدّي والإمتنان وتعجيز الغير عن الإتيان بمثلها، فحينئذ تكون صريحة في حصرها بالقرآن والعترة. أي حصر مقام إثارة دفائن العقول ولفت الإنتباه بالدلائل والبيّنات

والبيانات الحكميّة والبرهانيّة بالقرآن والعترة، فلايوجد فيما سواهما ما يتصّف بهذه الأوصاف. فإنّه لو كان يوجد في غيرهما ما يتصدّي لهذا المقام فلايبقىٰ ثمّة وجه للتحدّي والإمتنان بها.

ولنذكر بعض النماذج القليلة من تلك الطوائف الكثيرة ممّا اقترنت بالتحدّى والإمتنان:

قال تعالىٰ: ﴿ تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً ﴾[2]

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾[3]

وقال تعالىٰ: ﴿ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ في شَكٍّ مِنْ ذِكْري بَلْ لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ ﴾[4]

وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً ﴾[5]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظيماً ﴾[6]

وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ ﴾[7]

---

(١) الفرقان: ١.

(٢) النساء: ١٧٤.

(٣) الحجر: ٩.

(٤) ص: ٨.

(٥) النساء: ٥٤.

(٦) النساء: ١١٣.

(٧) الجمعه: ٢.

وقال تعالىٰ: ﴿ قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿ هٰذا بَصائِرُ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدىٰ ﴾[٣]

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدىٰ هُدَى اللّٰهِ ﴾[٤]

وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[٥]

وقال تعالىٰ: ﴿ هٰذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٦]

وقال تعالىٰ: ﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧]

وقال تعالىٰ: ﴿ الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلىٰ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[٨]

وقال تعالىٰ: ﴿ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ ﴾[٩]

وقال تعالىٰ: ﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾[١٠]

---

(١) الانعام: ١٠٤.

(٢) الجاثيه: ٢٠.

(٣) البقره: ١٢٠ والانعام: ٧١.

(٤) آل عمران: ٣٧.

(٥) التوبه: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩.

(٦) آل عمران: ١٣٨.

(٧) يونس: ٥٧.

(٨) ابراهيم: ١.

(٩) المائده: ١٥.

(١٠) النساء: ١٧٤.

وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[١]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾[٣]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤]

والمتأمّل في هذه الآيات و غيرها وكذلك الروايات الواردة بهذا المضمون يجد بوضوح أنّها واردة في مقام التحدّي والإمتنان وتعجيز الغير عن الإتيان بمثل هذه الأوصاف. وذلك أنّها ذكرت كدليل للزوم اتباع الناس بأجمعهم للقرآن والعترة وامتناناً منه تعالىٰ علىٰ البشر، فلو كان يوجد في تعاليم البشر برمّتهم شيئاً من تلك الصفات لما صحّ ذلك. ومن هنا استغرب الناس فجحدوا وقالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب أشر، وقد حسدوا آل إبراهيم لما اختصّهم الله بالحكمة.

فياترى! حينما يخاطب الله تعالىٰ البشر بأجمعهم و يقول لهم: قد جاءكم من الله نور وبرهان وبصائر وحكمة وذكر وفرقان و بيّنة وتبيان وسراج منير وهداية، هل يحتمل وجود هذه الأشياء عند البشر من فاتحتهم إلىٰ خاتمتهم؟

أليس يقبح هذا الخطاب وذاك التحدّي والإمتنان لو تيسّر للبشر أن يصل إلىٰ هذه الأشياء بجهده وطاقاته المحدودة؟

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) البقرة: ٩٩.

(٣) الانعام: ٥٧.

(٤) النحل: ٨٩.

فتوصيف القرآن والعترة بهذه الأوصاف في مقام التحدّي وتعجيز الغير عنها ظاهر بل صريح في حصر هذه الأوصاف فيهما، وأنّ ما سواهما يفقدان في ذاتهما تلك الأوصاف. فما يفرق به بين الحق والباطل منحصر في الثقلين، ولاتوجد حكمة وبصيرة وهداية ونور وبيّنة وبرهان وذكر في ما سواهما. فالعزوف عنهما عزوف عن العلم الإلهي العظيم، وابتعاد عن النهر الكبير وعكوف على الجداول الراكدة الآسنة بأخطاء البشر، كما مرّ في الحديث عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالا في من ترك علوم آل البيت عليهم السلام وطلب العلم من غيرهم:

تمصّون الثماد وتدعون النهر الأعظم؟![1]

وكم فرق بين هذه الرؤية القرآنية وبين ما مرّ عن بعض حيث يرىٰ أنّ مقام إعطاء البراهين الحكميّة وإقامة البيّنات ودفع الشبهات من حصريات الفلسفة البشريّة، واستنتج من ذلك أنّه لابدّ من قراءة الفلسفة للخروج عن الإلحاد، وليس لمن لم يستحكم الفلسفة أن يتكلّم مع الملحدين ويدعوهم إلىٰ الإيمان، وأنّ شبهاتهم لاتنحلّ إلا بالفلسفة، فإنّ الرؤيتين علىٰ طرفي النقيض. حيث انّ القرآن يصرّ في عشرات الآيات أنّ هذا المقام ـ أي مقام التعليم والتذكير وإثارة دفائن العقول وإعطاء الأدلّة والبراهين والإلفات إلىٰ البيّنات ـ من المقامات الحصرية للقرآن والمصطفين من محمد وآله عليهم صلوات الله، بينما يدّعي هذا المدّعي أنّ هذا المقام من حصريات الفلسفة اليونانيّة وأنّ تعاليم القرآن وحملة علومه ـ لو اقتصرنا عليهما ـ قاصر عن أداء هذا المهمّ، بل يكون كاللغز والأحاجي فيه آلاف من المعميّات، وليس بحدّ ذاته بياناً ولاتبياناً ولا ذكراً ولابرهاناً وفرقاناً.

---

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٢٤٨.

الطائفة السادسة والعشرون: أحاديث الثقلين

وهي أحاديث كثيرة ذكرها النبي صلّى الله عليه وآله في مواطن متعدّدة من حياته، وقد تواتر روايتها عند الفريقين بألفاظ متعدّدة، ومن ألفاظ الحديث قوله صلى الله عليه وآله:

١٣٧ ـ «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب اللّٰه و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[١]

فما خلّف النبي لنا بعده إلا القرآن وأهل بيته عليهم السلام لاتراث اليونانيّن، فإنّه ممّا خلّفه للمسلمين خلفاء الشيطان الغاصبين لمقام خلفاء الرحمن من البلاط الأموي والعباسي.

وفي قوله صلّى الله عليه وآله: **«ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا»** دلالة علىٰ أنّ النجاة من الضلالة لا يتحقّق إلاّ بالتمسّك بهما حصراً، فلو تمسّك أحد بما سواهما يضلّ ألبتّة. ثمّ إنّ التمسّك بالكتاب والعترة لايقتصر في الأخذ بالتعبديّات والفروع، فإنّ القرآن كتاب علم وتعليم وقد أحصى كلّ شيء، بل من عظام علومه هو معرفة الله وعلم التوحيد والمعاد والعوالم، وكذا العترة الطاهرة لاينحصر شأنهم في بيان التعبديّات، بل من أهمّ ما قاموا به هو إثارة دفائن العقول والتعليم وأعطاء المعرفة، بل لديهم علم الأوّلين والآخرين.

فعلى الناس أن يتمسّكوا بالكتاب والعترة في جميع شؤونهم، وواضح إنّ التمسّك في كلّ مورد يختلف عن مورد آخر. فالتمسّك في بيان التعبّديات والاحكام هو العمل بها، بينما التمسّك في موارد المعرفة وإثارة دفائن العقول هو

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ٢٧ / ٣٣ / ٣٣١٤٤.

العكوف على كلماتهم بغية الحصول على العلم والمعرفة، كما ورد عن الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام في معنى التمسّك بالقرآن:

١٣٨ ـ عليكم بالقرآن فإنّه الشفاء النافع و الدواء المبارك عصمة لمن تمسَّك به و نجاة لمن اتَّبعه. ثم قال: أتدرون من المتمسك به؟ الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم هو الذي يأخذ القرآن و تأويله عنا أهل البيت و عن وسائطنا السُّفراء عنا إلى شيعتنا لا عن آراء المجادلين، فأمَّا من قال في القرآن برأيه فإن اتَّفق له مصادفة صوابٍ فقد جهل في أخْذه عن غير أهله و إن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوَّأ مقعده من النَّار[1]

وعليه يكون طلب علم القرآن والمعارف الإلهيّة من غيرهم عليهم السلام مساوى لعدم التمسّك بهم في هذا المجال.

الطائفة السابعة والعشرون: حصر شأن الدعوة الى الله فيهم عليهم السلام

مرّ في الفصل الثاني أنّ من مهامّ الرسالة الخاتمة علىٰ صادعها آلاف السلام والتحيّة ومن مهامّ أوصيائه القائمين مقامه هي الدعوة الىٰ الله تعالىٰ كما قال عزّ من قائل في حبيبه المصطفىٰ صلى الله عليه وآله:

﴿ وَ دٰاعِياً إِلَى اللّٰهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرٰاجاً مُنِيراً ﴾[2]

بل يظهر من بعض الأدلّة أنّ الدعوة إليه تعالىٰ من الشؤون الحصرية للنبي وأهل بيته المطهرين عليهم السلام، فليس لغيرهم القيام بهذا الشأن إلا من أخذ

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ٢٧ / ٣٣ / ٣٣١٤٣.

(٢) الاحزاب: ٤٦.

منهم، كما قال تعالىٰ:

﴿ وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١].

ثمّ إنّ الدعوة لا تكون دعوة ما لم تقترن بالبرهان والحكمة والبيّنات حيث تقنع العقول لقبولها، و إلا فالدعوة العارية عن الدليل والبرهان والبيّنة لاتعدّ دعوة في الحقيقة. بل علىٰ الداعي أن يتصدّىٰ لدفع الشبهات والإشكالات التي ترد علىٰ الدعوة، إذ مع بقاء الشبهة والإشكال والخفاء لايسوّغ العقل سلوك الطريق ولا إجابة الدعوة.

فحينما يؤكّد القرآن على أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله هو الداعي إلى الله دون غيره، فمعناه؛ أنّ الأدلّة المتقنة والبراهين المحكمة في السلوك المعرفي لابدّ وأن تؤخذ منه لا من غيره. فإنّه لو لم يأت الداعي إلى الله ببرهان يبهر العقول و يقنعها، ولم يتصّد لحلّ الشبهات التي قد ترد على أذهان النوابغ من البشر فهو ليس داعياً حقيقيا؛ لأنّ الداعية الإلهي لاتنحصر دعوته على العوام فحسب، بل تشمل جميع البشر على اختلاف عقولهم ومستوياتهم وطبقاتهم.

وطلب هذه العلوم الحكميّة والبراهين الربانيّة وما يدفع به شبهات الملحدين من الفلسفة ـ التي ليست سوىٰ نتاج جهد بشري ـ وغيرها من العلوم البشريّة مناف لحصر شأن الدعوة فيهم عليهم السلام، كما مرّ من قول بعضهم أنّ طريق القرآن في معرفة الله ـ مع قصوره في نفسه ـ لايدفع جملة من الشبهات التي قد ترد عليها، وإنّما تجاب بالفلسفة، أو أنّ الخروج عن الإلحاد لايتيسّر إلا بمداولة هذه العلوم البشريّة![٢]

---

(١) المومنون: ٧٣.

(٢) الفصل الثاني من هذا الكتاب، الدعوة إلى الله شأن الأنبياء أو الفلاسفة.

الطائفة الثامنة والعشرون: الدعوة إلى التعقل والتفكّر و ذمّ من يتركهما

وهي كثيرة تبلغ المئات من الآيات والروايات، ووجه دلالتها هو أنّ من يدعو إلى التفكّر والتعقّل عليه أن يبدي طريقة التفكّر والتعقّل، فإنّ من يرفع شعار العقل والحكمة يتطلب منه تبيين المباحث العقليّة الحكميّة.

فياترى كيف رفع أهل بيت الوحي والقرآن شعار العقل والعلم و الفكر، ثمّ لم يأتوا بالمنهج الصحيح في التفكّر والتعقّل ولم يرسموا المباحث العقليّة، حتى اضطررنا للرجوع إلى أبواب بني اليونان ومترجمي دار الخلافة الأمويّة والعباسيّة والنزول بعقوة دارهم كي نتصيّد من كلماتهم بعض المباحث العقليّة والمنهج الصحيح للتفكّر، بل نأخذ منهم ما هو الميزان للفكر الصحيح عن غيره؟ هذا من العجب.

وقد مرّ بعض الكلام في ذلك.

الطائفة التاسعة والعشرون: تحدّى نوابغ البشر بعلمهم وحكمتهم

هناك الكثير من الآيات التي وردت للتحدّي وتعجيز الجنّ والإنس عن الإتيان بمثل القرآن. ولعلّه اشتهر على ألسن بعض المفسّرين أنّ وجه التحدّي فيها هي جهة الفصاحة والبلاغة، وذلك أنّ القرآن قد أعجز فصحاء العرب وبلغائهم عن أن يأتوا بشطر كلمة مثله. لكنّه غير صحيح، إذ ليس القرآن كتاب أدب وشعر حتى ينصرف تحدياته إلى التحدي من جهة الفصاحة والبلاغة، بل إنّه كتاب علم وحكمة ومعرفة وبصيرة وشفاء لما في الصدور، فحينما يتحدّى ويطلب من الجن والإنس أن يأتوا بمثله فإنما يطلب منهم ما يكون مثله في الجهات التي وصف نفسه بها؛ من كونه بياناً وتبياناً وفرقاناً وهداية وعلماً وحكمة.

وهذا أمر بالغ الأهميّة والخطورة حيث قد عرّف الله كتابه في غير واحد من

الآيات بالذكر والشفاء والبيان والهداية والبصيرة والتبيان والفرقان ثمّ طلب من غيره أن يأتي بسورة من مثله، والمماثلة حينما تطلق لايراد منها سوىٰ المماثلة في المواصفات التي أكّد عليها المتكلّم لكلامه.

فما أبعد قول بعض المفسّرين من أبناء العامّة أو الخاصّة حيث جعل مورد التحدّي في تلكم الآيات الكثيرة المتكاثرة الفصاحة والبلاغة، نعم فصاحة القرآن وبلاغته فوق قدرة البشر ولاكلام في ذلك، انما الكلام في أنّه حينما يتحدّىٰ متكلّم غيره أن يأتوا بمثل كلامه إنما يصرف هذا التحدّي إلىٰ الجهة التي تكلّم المتكلّم لها ووصف بها كلامه، لا إلىٰ ما هو من أدون شؤون ذلك المتكلّم ولم يوصف كلامه بذلك الوصف.

فالفيلسوف حينما يتحدّىٰ يتحدىٰ بفلسفته، والطبيب حينما يتحدىٰ يتحدىٰ بطبه، والعالم الفيزيائي حينما يتحدىٰ يتحدّىٰ بالفيزياء وهكذا سائر أرباب العلوم والصناعات، والشاعر والأديب حينما يتحدّىٰ فانّما يتحدّىٰ بأدبه وفصاحته وبلاغته وقدرته علىٰ استخدام المحسّنات البديعيّة وطرق المجاز والإستعارات والكنايات وغيرها مما يهتمّ به. وأما القرآن الكريم فإنما هو كتاب الهداية والعلم والبيّنات والحكمة وليس كتاب أدب وشعر، فحينما يتحدّىٰ تنصرف تحدّياته إلىٰ علومه ومعارفه وحكمه التي عجز البشر أن يأتوا بمثلها لا إلىٰ فصاحته وبلاغته، وإن كان هو معجز في هذه الجهة أيضاً.

كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[1] وغيرها ممّا يفنّد وجود هداية وعلم وحكمة ومعرفة في غير القرآن وعند غير حملة علومه.

بل الأمر كذلك في تحديات النبي وأهل بيته المطهرين الواردة في غير واحد

---

(١) القصص: ٤٩.

من الأخبار، فإنّها واردة بأجمعها في تحديهم بعلومهم ومعارفهم التي ما شمّ البشر رائحتها وما حام حولها.

ثمّ إنّ المتحدّىٰ بهذه التحدّيات ليسوا هم عرب الجاهلية الكائن في جزيرة العرب فقط، بل هم نوابغ البشر و الكمّل منهم و أرباب العلوم و روّاد الفنون من لدن نزوله إلىٰ يوم القيامة، لأنّه لو أتىٰ في مستقبل الزمان من يقدر علىٰ أن يأتي بمثل معارف القرآن وعلومه وحكمه ومثل معارف النبي وأهل بيته المطهرين عليهم السلام مستنداً إلىٰ قدراته البشريّة، سوف يبطل هذا التحدّي من القرآن والعترة وينتفي إعجاز القرآن وينتهي أمده، بينما هو كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو يجري مجرى الشمس لاينفد ولايبيد.

فالقرآن والسنّة انّما تحدّيا كلّ من يدّعي العلم والمعرفة والحكمة ـ من الموجودين آنذاك في شرق الأرض وغربها ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة ـ بعلمهما وحكمتهما و هدايتهما، فلو وجد أو سيوجد من يأتي بمثل علمهما وحكمتهما ومعرفتهما من البشر سوف يبطل هذا التحدّي منهما، فنفس هذه التحديات من القرآن والعترة دليل علىٰ إفلاس كلّ من سواهم عن الإتيان بمثل علمهم وحكمتهم ومعارفهم وبيّناتهم.

الطائفة الثلاثون: ما صرّح فيه باسم الفلسفة والتصوّف

ولنذكر هنا الأحاديث التي وردت مصرّحة باسم الفلاسفة أوالمتصوّفة، وإن كنّا في غنى عنها بعد ما مرّ من طوائف الآيات و الروايات المتواترة.

١٣٩ ـ ما رواه مفضّل بن عمر في حديث التوحيد الذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام، قال المفضل:

كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر،

وأنا مفكر فيما خصّ الله به سيدنا محمدا صلّى الله عليه وآله من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرفه به وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته. فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقرّ به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلّم ابن أبي العوجاء فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله، فقال له صاحبه: إنه كان فيلسوفاً ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلت فيها الأحلام. الخبر[١]

أقول: يظهر من الخبر انّ صاحب إبن أبي العوجاء إنّما رمىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله بالفلسفة ذريعة لإنكار نبوّته، حيث أنّ الفيلسوف يعترف بأنّ جهوده مبتنية علىٰ الطاقة البشريّة ويقرّ علىٰ نفسه أنّه منقطع عن وحي السماء كما مرّ في تعريف الفلسفة، وهذا مضادّ لدعوىٰ النبوّة التي هي دعوىٰ الإرتباط بالوحي الإلهي. ومنه يعلم أنّه كان من المرتكز عند الملحدين وكذا عند أصحاب الائمّة عليهم السلام، أنّ الفيلسوف وصف يقابل وصف النبوّة، وكان يعدّ اتّصاف الرسول بالفيلسوف إنكاراً لنبوّته. ومن هنا، حينما أراد الملحد إنكار نبوّة النبي الأعظم وصفه بأنّه فيلسوف، ممّا يفصح عن التقابل الموجود بينهما، فإنّ علم أحدهما مأخوذ عن السماء والاخر منقطع عنها.

و هذه النسبة لسيّد الأنبياء هي التي أثارت غضب المفضّل فتحامل على

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣ / ٥٧.

ابن أبي العوجاء بشدّة، ثمّ دخل على أبي عبد الله عليه السلام فاشتكىٰ إليه ما سمعه من إبن أبي العوجاء وصاحبه من الطعن في رسول الله صلّى عليه وآله ووصفه بالفيلسوف، فأملى عليه الإمام عليه السلام أدلّة التوحيد في أربعة مجالس، وما خطأ الملحد في دعواه التقابل بين النبوّة والفلسفة، بل أقرّ بها وجعل الانبياء والفلاسفة خطّين متقابلين. ثم قال عليه السلام في جملة كلامه:

«فتبّاً وتعساً وخيبة لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتّى أنكروا التدبير و العمد فيها...

ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التميز وقصور العلم: لو كان بطن الانسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد، لايعرف ما فيه إلاّ بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وحس العرق وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سبباً للموت. فلو علم هؤلاء الجهلة أنّ هذا لو كان هكذا كان أول ما فيه أنه كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت و...

واعلم يا مفضل إنّ إسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم «قوسموس» وتفسيره «الزينة»، وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة، أفكانوا يسمّونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير والنظام؟ فلم يرضوا أن يسمّوه تقديرا ونظاماً حتى سمّوه زينةً ليخبروا أنّه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء.

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطئ، ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئاً منه مهملاً. بل أعجب من أخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها

في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذمّ للخالق جل وعلا. بل العجب من المخذول «ماني» حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحليم الكريم. وأعجب منهم جميعاً المعطلة الذين راموا أن يدرك بالحس ما لا يدرك بالعقل فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب...

فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الأقاويل فيها، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها، فقال بعضهم هو فلك أجوف مملوء ناراً، له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع، وقال آخرون هو سحابة، وقال آخرون جسم زجاجي، يقل نارية في العالم، ويرسل عليه شعاعها، وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد ماء البحر، وقال آخرون هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار، وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة. ثم اختلفوا في شكلها، فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة عريضة، وقال آخرون هي كالكرة المدحرجة. وكذلك اختلفوا في مقدارها، فزعم بعضهم أنّها مثل الأرض سواء، وقال آخرون بل هي أقلّ من ذلك، وقال آخرون بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة، وقال أصحاب الهندسة هي أضعاف الأرض مائة وسبعين مرة. ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس، دليل على أنّهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر، ويدركها الحس، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها، فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم؟».[1]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣ / ٧٥ـ١٤٨.

ولابدّ من إلقاء الضوء علىٰ نواحٍ من الحديث الشّريف:

الأولىٰ: من الواضح أنّ الذين يصفهم الإمام عليه السلام بالجهل والضعف وقصور العلم وإنكار العمد والتدبير في العالم والإعتراض على حكمة الله والعمى عن أسرار الحكمة في الخلق والإختلاف الشديد في أقوالهم، إنّما هم الفلاسفة من اليونانيّين المؤسّسين لهذا العلم، وهم ليسوا من الدهريّين المنكرين للمبدأ. ولذا فإنّه عليه السلام جعل المعطّلة فريقاً آخر في مقابل الفلاسفة حيث قال: «**وأعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا أن يدرك بالحس ما لا يدرك بالعقل**».

الثانية: لايخفى أنّه على ما سلكته الفلاسفة من أنّ الشيء ما لم يجب لم يوجد، و أنّه لايصدر من الواحد إلاّ الواحد، و القول بأنّ فاعليّة الربّ السبّوح القدّوس بالرشح و الفيضان و التطوّر، أو العليّة التامّة المقابلة للإرادة، و إرجاع الإرادة إلى العلم وكونها من صفات الذّات، و الإلتزام بالنظام الأحسن، لايبقى قدرة ولا عمد و لا إختيار للباري جلّ شأنه، بل يكون خلق العالم كصدور الحرارة عن النار بلا عمد و لااختيار، بل لاينبغي أن نسمّيه بالخلق و الإبداع فإنّه تطوّر و تشؤن، و تفصيل الكلام موكول إلىٰ محلّه.[١]

وعليه، فلايرد أنّ توبيخ الإمام عليه السلام إنّما يكون في حقّ الفلاسفة المادّيين لا المسمّين بالفلاسفة الإلهيّين؛ لأنّهم أيضاً ينكرون التدبير والعمد، بل ينكرون الخالق والمخلوق فليس في الدّار غيره ديّار، كما سمعت من كلمات صدر الدين الشيرازي وابن العربي وبعض المعاصرين، حيث قال إنّ البحث عن الوجوب والإمكان ـ فضلاً عن البحث عن كونه بالعمد أو بغير العمد ـ ليس إلا للتسلية واللعب.[٢]

---

(١) راجع ما كتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد باقر علم الهدىٰ في كتاب: «سدّ المفرّ على القائل بالقدر»: ١٤٣.

(٢) الفصل الثاني، نماذج من التباين بين الحكمتين.

إضافة لذلك فإنّ الفلاسفة المذكورين في كلام الإمام عليه السلام قد أقرّوا بإتقان الصنع ولذلك سمّو العالم بالزينة، وليسوا هم من الدهريّين والمعطّلة المنكرين للصانع.

الثالثة: إنّ الإمام عليه السلام إنّما يستدلّ بإختلافهم الشديد في المحسوسات على جهلهم وعدم إحاطتهم العلميّة بها، و قد مرّ أنّ هذه آية نيّرة وبرهان واضح على عدم العصمة في طريقهم إلى كشف ما تعجز العقول عن الوقوف على حقيقته ولطف الحسّ عن إدراكه. فإنّهم مع إختلافهم في هذا المحسوس بحاسّة البصر كيف يُؤمَن خطؤهم في معرفة الله تعالى المتعالي عن الأبصار و عن العقول والأوهام؟

وهذا البرهان من الإمام عليه السلام يشمل جميع من رام الوقوف على حقائق الكون وأراد أن يعرف الربّ المتعال من غير طريق أهل البيت عليهم السلام، وقد مرّت جملة من النقاط المهمّة في إختلاف الفلاسفة والفرق بينه و بين إختلاف غيرهم لابأس بمراجعتها.[1]

الرابعة: لاريب أنّ مستقى الفلسفة المتواجدة بأيدينا ومنشأها ومبدئها ـ رغم تعدّد المذاهب والمشارب فيها، ورغم تقمّصها بعناوين إلهيّة وقدسيّة، وعدم التصريح بمخالفتها مع الأنبياء كما كان يصنع الأوائل منهم، ومحاولتهم تطبيق الشرع على أسسهم حتّى سمّوه فلسفة إسلاميّة وحكمة إلهيّة ـ هي الفلسفة التي كانت موجودة في اليونان وغيره وقد تُرجمت إلى العربيّة في زمن الإمام الصادق عليه السلام، وهذه الفلسفة هي بعينها موضوع كلام الإمام عليه السّلام وموضوع أدلّته الشّافية على إبطال مرامهم وحرمة الأخذ منهم.

وأنت ترى أنّ الإمام عليه السلام إنّما يُبطل أساس كلامهم ويحكم عليهم

---

(١) الفصل الثاني، ثبات الحكمة الإلهيّة وأطوار إختلاف الحكمة البشريّة.

بالتّعاسة والخيبة من أجل أنّهم يرون الفلسفة مدرسة لرؤية الحقائق، لأنّه يناقش في مدرسة فلسفيّة كي يثبت مدرسة فلسفيّة أخرى، بل كلامه عليه السلام عامّ شامل لكلّ من أستغنى عن الأنبياء ورام إدراك الحقائق بنفسه، وأعرض عن الأنوار الالهيّة سيّما النّور الأعظم رسوله المجتبى وأمينه المرتضى وأهل بيته عليهم السّلام، ما يجعله متحيّرا في خضم الآراء المتشتّتة والإختلافلات الشديدة. فإذا كان هذا حال أساس طريقة وجذورها فما ظنّك بتطوّرها وآفاقها.

وممّا يزيد ذلك وضوحاً أنّه قد استقرّ في أذهان المتشرعّة بل وغيرهم مباينة مسلك الفلاسفة بقول مطلق مع أهل الملّة ومضادّتهم للشرايع السماويّة من دون ميز بين مدرسة فلسفيّة وأخرىٰ، كما كان كذلك عند إبن أبي العوجاء وصاحبه الملحد. وسيأتي بعض الشواهد الاخر على ذلك في الفصل الأخير من الكتاب.

١٤٠ ـ روى عن أبي محمد العسكري عن علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام أنّه قال:

كان أمير المؤمنين عليه السلام قاعداً ذات يوم، فأقبل إليه رجل من اليونانيين المدعين للفلسفة والطب، فقال له: يا أبا الحسن بلغني خبر صاحبك وأن به جنوناً، وجئت لأعالجه...

ثمّ بعد ما رأى المعجزات من الإمام عليه السّلام في انهدام نظام طبّه، ورأى حكمه عليه السلام بانتشار نخلة وانفصال أجزائها في الهواء ثمّ جمعها وتركيبها كما كانت، ثمّ تحويلها من خضرة إلى صفرة وحمرة ورطوبة وبلوغ، قال له الإمام عليه السّلام:

إنّك إن أكلت منها ولم تؤمن بمن أظهر لك من عجائبها، عجّل الله عزّوجلّ إليك من العقوبة الّتي يبتليك بها ما يعتبر به عقلاء خلقه وجهّالها.

فقال اليونانيّ: إنّي إن كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت في العناد، وتناهيت في التعرّض للهلاك، أشهد أنّك من خاصّة الله، صادق في جميع أقاويلك عن الله فأمرني بما تشاء أطعك.

قال علي عليه السلام: آمرك أن تقرّ لله بالوحدانيّة، وتشهد له بالجود والحكمة وتنزّهه عن العبث والفساد، وعن ظلم الإماء والعباد. الخبر[1].

أقول: الظاهر من الحديث أنّ الفيلسوف اليوناني كان منكراً للوحدانيّة وما كان يشهد لله بالجود والحكمة وكان ينسب إليه العبث والفساد وظلم الإماء والعباد. وهذا موافق للإعتبار وهذه هي مقالة جلّ الفلاسفة والعرفاء ـ وإن لم يكونوا ملتفتين بلوازم مقالاتهم ولم يلتزموا بها ـ حيث قالوا بوحدة الوجود والجبر وهذان المعتقدان ممّا يستلزم منهما اللغويّة والعبث والظلم والفساد كما مرّ التنبيه عليه.

١٤١ ـ روى إبن شهرآشوب عن أبو القاسم الكوفي في كتاب التبديل:

إنّ إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله، وإنّ بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له أبو محمد عليه السلام: **أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟**

فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره.

---

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١ / ٣٤٢ ـ ٣٥٤.

فقال له أبو محمد عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟

قال: نعم.

قال: فصر (فسر) إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت المؤانسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة، أسألك عنها؟ فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول: إنه من الجائز، لأنّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون واضعا لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي وتلطّف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد علي، فأعاد عليه فتفكّر في نفسه ورأي ذلك محتملا في اللغة، وسائغا في النظر. فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: انه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: امرني به أبو محمد فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه.[1]

وقد مرّ في ترجمة الكندي أنّه أخذ في تأليف كتاب مثل القرآن وقلنا لعلّه تأليف آخر غير هذا الكتاب الذي أحرقه بالنار، كما أنّه بالغ السعي في إيجاد التقريب بين الدين والفلسفة وألّف (٣١) كتاباً ورسالة في دلالة علوم الفلاسفة

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣ / ٥٢٥.

على مذهب الاسلام وعلوم النبوة علىٰ ما ذكره السيّد بن طاووس[١]، بل قيل: انّه أول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين.

والكندي من أساطين الفلسفة ومترجميها وكان مقرّباً عند الخليفة العباسي وقد قيل في ترجمته: أنّه فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها. ويسمى فيلسوف العرب.[٢] وهو أول من دعى بالفيلسوف العربي.[٣]

واشتغاله بتأليف كتاب في تناقض القرآن يفصح عن مدى التقابل الموجود بين الفكر الفلسفي والشريعة المحمّديّة حيث أنّ التنافر والتباين بين النهجين لم يبت مخفيّاً لايطّلع عليه أحد، بل هو ممّا لايأبى الفلاسفة من الاعلان به وإبداء المعارضة العلنيّة في ساحة النشر والتاليف مع القرآن والإسلام. وهذا المسرح يعيد ذكرى الزنديق الذي أخذ في تناقضات القرآن وعرضها على أمير المؤمنين عليه السلام فأجاب عنها الإمام حتى أتى على آخرها،[٤] وتشابه الحدثين يبيّن ويكرّس أنّ النهج الفلسفي قد وقف مع النهج الإلحادي الزندقي في شنّ الغزو الفكري والثقافي على المسلمين.

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: «**أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟**» يبيّن لزوم الوقوف أمام هذا الغزو الفكري الفلسفي وأنّ ذلك من الرشادة والشجاعة، فمن أهمّ الفرائض على العلماء الأحرار في جميع الأعصار الوقوف أمام إثارات الفلاسفة وشبهاتهم التي تهدم أساس الديانة وتزلزل كيان الإسلام، وإن اختفت هذه الإثارات تحت غطاء البحث الحرّ أو الفلسفة

---

(١) فرج المهموم، السيد ابن طاووس: ١٢٩.

(٢) فهرست ابن النديم: ٣١٥.

(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ١٠ / ٣٠٧.

(٤) الإحتجاج، الطبرسي: ١ / ٣٥٨.

الإسلاميّة، فإنّ الإسم لايغيّر شيئاً عمّا هو عليه.[١] وقد أشرنا فيما مضى إلى بعض متبنيّات الفلاسفة والعرفاء ممّا هو أشدّ وأشنع من التاليف في تناقض القرآن.[٢]

١٤٢ ـ في كتاب السلسبيل عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب اليهودي المعترض عليه بأنه لا يعلم الفلسفة، قال: **أليست الفلسفة من اعتدلت طباعه، ومن اعتدلت طباعه صفي مزاجه، ومن صفي مزاجه قوى أثر النفس فيه، ومن قوى أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه، ومن سما إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانية، ومن تخلق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان.**[٣]

١٤٣ ـ و قد ذكر الخبر البياضي في الصراط المستقيم بتفصيل أكثر فقال: من ذلك ما وجدناه مروياً عن سعد بن عبادة والأصبغ بن نباته: أنّه عليه السلام لما خرج إلى النهروان استقبله دهقان، وقال: لتعودن عما قصدت إليه لتناحس النجوم والطوالع فسعد أهل النحوس، ونحس أهل السعود، واقترن في السماء كوكبان يقتتلان، وشرف بهران في برج الميزان، وقدحت في برجه النيران وتناشت الحرب حقاً بأماكنها.

فتبسم الإمام عليه السلام وقال: **أنت المحذّر من الأقدار أم عندك دقائق الأسرار، فتعرف الأكدار والأدوار؟ أخبرني عن الأسد في**

---

(١) وقد خصّصنا الفصل السادس من هذا الكتاب لبيان جملة من جهود علمائنا الجبارة في هذا المجال.

(٢) الفصل الثاني، نماذج من التباين بين الحكمتين.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ٨ / ٣١١ عن كتاب السلسبيل: ٢٦١.

تباعده في المطالع والمراجع، وعن الزهرة في التوابع والجوامع وكم من السواري إلى الدراري، وكم من الساكنات إلى المتحركات، وكم قدر شعاع المدبرات، وكم أنفاس الفجر في الغدوات؟

قال: لا علم لي بذلك.

فقال عليه السلام: هل عندك علم أنه قد انتقل الملك في بارحتنا من بيت إلى بيت بالصين، وانقلب برج ماجين، وهاج نمل الشيخ، وتردى برج الأندلس وطفح جب سرنديب، وفقد ديان اليهود ابن عمه، وعمي راهب عمورية، وجذم بطريق الروم برومية، وتساقطت شرافات من سور قسطنطينية أفأنت عالم بمن أحكم هذه الأشياء من الفلك؟

قال: لا.

فقال عليه السلام: هل عندكم علم أنه قد سعد في بارحتنا سبعون ألف عالم منهم في البر؟ ومنهم في البحر، أفأنت عالم بمن أسعدهم من الكواكب؟

قال: لا.

ثم أخبره عليه السلام بأن تحت حافر فرسه اليمنى كنز، وتحت اليسرى عين من الماء، فنبشوا فوجدوا كما ذكر عليه السلام.

فقال الدهقان: ما رأيت أعلم منك إلا أنك ما أدركت علم الفلسفة.

فقال عليه السلام: من صفي مزاجه اعتدلت طبايعه، ومن اعتدلت طبايعه قوي أثر النفس فيه، ومن قوي أثر النفس فيه، سما إلى ما يرتقيه، ومن سما إلى ما يرتقيه تخلق بالأخلاق النفسانية، وأدرك العلوم اللاهوتية، ومن أدرك العلوم اللاهوتية صار موجوداً بما هو انسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان، ودخل في

باب الملكي الصوري، وما له عن هذه الغاية معبر.

فسجد الدهقان وأسلم.[١]

قال البياضي:

« وقد وجدت هذا الحديث في كتاب نهج الإيمان ذكره الحسين ابن جبر في نخبه مسنداً إلى سعيد بن جبير، وفيه ألفاظ مختلفة اكتفيت عنها بما وضعت منها ».[٢]

أقول: والخبر ـ على تقدير صحّته ـ يبيّن أنّ أميرالمؤمنين رغم احاطته بما عند الفلاسفة إلا أنّه ما كان ينهج منهجهم ويذكر مباحثهم وأقاويلهم في بياناته وكلماته، فمن هنا توهّم اليهودي أنّه لايعلم الفلسفة، وأجابه الإمام عليه السلام بأنّ إعراضه عن ذكر هذه المطالب ليس لأجل أنّه لايعلمها فإنّه يعلمها أحسن ممّا يدّعونها هؤلاء، إلا أنّ ذلك ليس ممّا يقع في طريق الهداية، فمن أجل ذلك أعرض عن ذكر مباحثهم واشتغل ببيان ما يسبّب هداية الناس من العلوم التي لم تشمّ رائحتها الفلاسفة، فانهدر منه سيل العلوم والمعارف ولم يرق اليه طيور أوهامهم.

ونظير ذلك ما قاله عليه السلام في معاوية:

« والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهيّة الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة ».[٣]

---

(١) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ١ / ٢١٣.

(٢) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ١ / ٢١٣.

(٣) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الحكمة ٢٠٠.

كما يظهر من الخبر أنّه عليه السلام رغم احاطته بعلم النجوم والسعود والنحوس فوق ما يتوهّمه الدهقان إلا أنّه لم يبن عليه معاشه و معاده ولم يروّجه بين الناس.

١٤٤ ـ روى في حديقة الشيعة قال: نقل السيد المرتضى عن الشيخ المفيد عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الجبار عن العسكري عليه السلام، أنه كلّم أبا هاشم الجعفري فقال: «يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة متكدرة، السّنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم محقر، والفاسق بينهم موقر، أمراؤهم جاهلون جائرون، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، وكل جاهل عندهم خبير، وكل محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب، لا يعرفون الضأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحرف، يبالغون في حب مخالفينا، ويضلّون شيعتنا وموالينا، إن نالوا منصباً لم يشبعوا عن الرشاء، وإن خذوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنهم قطاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم، وليصن دينه وإيمانه.

ثم قال: يا أبا هاشم هذا ما حدّثني أبي، عن آبائه جعفر بن محمّد عليهم السلام، وهو من أسرارنا، فاكتمه إلا عن أهله».[1]

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١١ / ٣٨٠.

والأمر بكتمان هذه الحقيقة يدلل على وجود سياسة متشدّدة من بني العباس آنذاك في نشر الفلسفة والتصوّف بحيث يعدّ نشر هذا الحديث إيذاناً وإعلاناً بمعارضتهم، وقد مرّ بعض الشواهد التاريخيّة على وجود هذه السياسة المتشدّدة منهم.

١٤٥ ـ روىٰ في حديقة الشيعة قال: وبالسند الصحيح عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام، أنه قال: «**من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه وقلبه، فليس منا، ومن أنكرهم، فكأنّما جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله**»[١].

قال الشيخ حر العاملي:

«في هذا كما ترى غاية التصريح بوجوب الإنكار عليهم بحسب الامكان مضافا إلى الأدلة العامة على وجوب إنكار المنكر، وفيه دلالة على كفرهم للحكم عليهم بمشابهتهم للكفار بل يمكن كون المراد تشبيه الانكار عليهم بالجهاد للكفار مع الحكم بكفرهم لا تشبيههم بهم وعلى كلا التقديرين فالحكم بالكفر عليهم لازم».[٢]

وقد أفتى العلامة الحلّي بوجوب الجهاد مع الفلاسفة المنكرين للضروريّات، قال رحمه الله:

«الذين يجب جهادهم قسمان: مسلمون خرجوا عن طاعة الإمام وبغوا عليه، وكفّار، وهم قسمان: أهل كتاب أو شبهة كتاب، كاليهود

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٢ / ٣٢٣ / ١٤٠٢٤١.

(٢) الاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٣٢.

والنصارى والمجوس وغيرهم من أصناف الكفار، كالدهرية وعباد الأوثان والنيران، ومنكري ما يعلم ثبوته من الدين ضرورة، كالفلاسفة وغيرهم. قال الله تعالى: ﴿ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[٣]. وقال: ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾[٤]. دلّت هذه الآيات على وجوب جهاد الأصناف السابقة ».[٥]

ثمّ لايخفى أنّ كثيراً من عقائد الصوفيّة ومعالمهم قد دخلت في الفلسفة في هذه العصور، بالذات مدرسة الحكمة المتعالية التي مزجت بين مشرب الصوفي الذي يرأسهم ابن العربي صاحب الفصوص ومشرب الفلاسفة، فمن أجل ذلك نذكر ما ورد من الروايات في الرد على الصوفيّة وإنكار طريقتهم. وذلك لأنّ هذه الروايات إنّما هي في صدد إبطال مبانيهم ومعالمهم لااسمهم وعنوانهم فهذه الروايات قد وردت لتفنيد تلك المعالم والمبادي مهما كان إسمها وبأي قميص تقمّصت.

١٤٦ ـ روى المفيد في الصحيح عن أحمد بن محمد بن أبي نصر

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) التوبة: ٥.

(٤) محمّد: ٥.

(٥) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٩ / ٤١.

البزنطي، عن الرضا عليه السلام، أنه قال: قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم: الصوفية، فما تقول فيهم؟ قال: «**إنّهم أعداؤنا، فمن مال فيهم فهو منهم، ويحشر معهم، وسيكون أقوام يدّعون حبنا، ويميلون إليهم، ويتشبّهون بهم، ويلقّبون أنفسهم، ويأوّلون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منّا، وانّا منهم براء، ومن أنكرهم وردّ عليهم، كان كمن جاهد الكافر بين يدي رسول الله صلّىالله عليه وآله**».[١]

قال الشيخ الحرّ العاملي بعد ذكر الحديث:

« في هذا تصريح كما ترى بما ذكرناه سابقاً مراراً من أن الشيعة لم يكن أحد منهم في زمن الأئمة عليهم السلام صوفياً لمنعهم لهم ذلك وعدم رخصتهم فيه، وهو صريح أيضا في بطلان طريقة من يتجدّد منهم وفي وجوب النهي عن اتباعهم ولم يزل هذا المعنى يرد عنهم عليهم السلام مكرراً وفي ذلك وأمثاله غاية المبالغة والتأكيد ».[٢]

١٤٧ ـ في حديقة الشيعة عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب أنه قال: كنت مع الهادي علي بن محمد عليهما السلام في مسجد النبي صلّى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري كان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عنده عليه السلام، ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا في ناحية مستديراً وأخذوا بالتهليل.

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٢ / ٣٢٣.

(٢) الاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٣٢.

فقال عليه السلام: «لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنهم خلفاء الشيطان ومخرّبوا قواعد الدين، يتزهّدون لراحة الأجسام ويتهجّدون لصيد الأنعام، يتجوعون عمراً حتى يديخوا للايكاف حمراً، لا يهللون إلا لغرور الناس ولا يقللون الغذاء إلا لملأ العساس واختلاس قلوب الدفناس، يكلّمون الناس بإملائهم في الحب ويطرحون بإذلالهم (بإدلائهم) في الجب، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنم والتغنية، فلا يتبعهم إلا السفهاء ولا يعتقدهم إلا الحمقى (الحمقاء ـ خ) فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حيّاً وميتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان ومن أعان أحداً منهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان».

فقال له رجل من أصحابه وإن كان معترفاً بحقوقكم؟

قال: فنظر إليه شبه المغضب وقال: **«دع ذا عنك من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنهم أخسّ طوايف الصوفية والصوفية كلهم مخالفونا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا وإن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة، أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون».**[1]

قال الشيخ الحر بعد نقله هذه الرواية:

« إذا عرفت ذلك فنقول: لو لم يرد عنهم عليهم السلام إلا هذا الحديث الشريف المشتمل على اللفظ البليغ والمعنى اللطيف في التحذير من التصوف وأهله والنص على ضلال كل صوفي وجهله لكان وحده كافياً في بيان الحال وكشف تمويه أهل الضلال، فإنّه قد أوضح فساد طريقتهم

---

(١) الاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٢٨ عن حديقة الشيعة: ٦٠٣.

غاية التوضيح وصرّح ببطلانها كما ترى أوضح التصريح ونفى الفرق بين كونهم من العامة أو الشيعة في كون كل منهما على الطريقة الذميمة الشنيعة ومباينتهم لهم عليهم السلام والحكم بكفرهم وخروجهم عن الإسلام وكل ذلك ظاهر واضح لأولي الأفهام ».[١]

١٤٨ ـ روىٰ الشيخ المفيد في كتاب الرد على أصحاب الحلاج عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد أنه قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الصوفية فقال: **«لا يقول بالتصوف أحد إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة وربما استجمعها واحد منهم».**

وقد روي هذا الحديث أيضا في كتاب حديقة الشيعة بإسناد آخر مثله، وزاد فيه بعد قوله: **«وأما من سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه وعلامته أن يكتفي بالتسمية ولا يقول: بشئ من عقايدهم الباطلة».**[٢]

قال الشيخ الحرّ العاملي:

« وجه التقسيم ما قد عرفت أنّ التصوف وهذه الأمور التي اختصّ بها أهله أمور مخترعة مبتدعة وهي سنة أعداء الأئمة عليهم السلام، فمن انتسب إليها إما أن يكون من الرؤساء وهم القسم الأول، أو من الأتباع فإما أن يكون مغروراً بإظهارهم للزهد والصلاح وهو الثاني،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٣١. عن حديقة الشيعة.

أو لقصور اطلاعه وسوء فهمه وقناعته بالظواهر وهو الثالث ،أو وجهه الاستقراء والتتبع وفي الحكم بهذا الحصر منه عليه السلام تصريح ببطلان طريقة الجميع »[١].

والتقسيم الثلاثي في الحديث ينفي وجود قسم رابع لهم، فمن يذهب مذهبهم ويعتقد بعقائدهم ويتبنّي متبنيّاتهم من القول بوحدة الوجود والموجود والحلول والإتّحاد وغيرها فإمّا خدّاع أو ضالّ أو أحمق.

ويظهر من الخبر أنّ أيدي السلطة الغاشمة العباسيّة آنذاك كانت وراء الصوفيّة تحميهم وتحفظهم، الأمر الذي سوّغ لشيعة أهل البيت عليهم السلام الإتّقاء منهم.

١٤٩ ـ روى المحقّق الأردبيلي عن علي بن الحسين بن بابويه القمي عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الجبار عن العسكري عليه السلام أنه قال سئل الصادق عليه السلام عن حال أبي هاشم الكوفي فقال: «**إنّه فاسد العقيدة جدا وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوّف، وجعله مفرّاً لعقيدته الخبيثة**».
ورواه أيضا بسند آخر وقال فيه: «**وجعله مفرّاً لنفسه الخبيثة**».[٢]

١٥٠ ـ روى الشيخ بهاء الدين محمد العاملي قدس سره في كتاب الكشكول قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله: «**لا تقوم الساعة على أمتي حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني، وإنّهم يهود أمتي يحلقون للذكر، ويرفعون أصواتهم بالذكر يظنون أنهم على طريق الأبرار بل هم أضل من الكفار وهم أهل النار، لهم شهقة**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٣٣. عن حديقة الشيعة.

كشهقة الحمار وقولهم قول الأبرار وعملهم عمل الفجار وهم منازعون للعلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلا التعب».[١]

قال الشيخ الحرّ العاملي:

« هذا في معناه كأمثاله صريح مشتمل على غاية المبالغة في الرد عليهم والنص على فساد اعتقادهم وبطلان مذهبهم والحكم بكفرهم وخروجهم من الأمة، فإنّ الجار متعلق بيخرج وإلا لتناقض الحديث على أن كونهم من الأمة مع الحكم عليهم بما حكم يدل على كونهم من الفرق الهالكة لو ثبت أن الجار غير معلق بالفعل المذكور ».[٢]

١٥١ ـ روى الشيخ الطوسي في كتاب المجالس والأخبار، ورواه أيضاً الشيخ بن أبي فراس في كتابه في حديث طويل يتضمن وصية النبي صلّى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه يقول فيها: **«يا أبا ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون الفضل لهم بذلك على غيرهم أولئك تلعنهم ملائكة السماء والأرض».**[٣]

١٥٢ ـ روى الكليني في باب دخول الصوفية على أبي عبد الله عليه السلام واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عند من طلب الرزق، وقد رواه غيره أيضاً بأسانيدهم أنّه دخل سفيان الثوري على أبي عبدالله

---

(١) الاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٣٤ عنه.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٥ / ٣٥ أبواب احكام الملابس باب ١٩ ح ٥، والاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٣٤ عنهما.

عليه السلام فرأى عليه ثياب بياض كأنها غرقى البيض وجرى احتجاج طويل من الإمام عليه السلام عليهم حتى أفحمهم إلى أن قال عليه السلام: **«فتأدبّوا أيها النفر بآداب الله للمؤمنين، واقتصروا على ما أمر الله ونبيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردّوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى، وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما أحل الله فيه مما حرّم، فإنه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل، ودعوا الجهالة لأهلها فإن أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم ﴾ ».**[١]

قال الشيخ الحر العاملي:

« كفى بما تضمنه هذا الحديث الشريف واعظاً لمن تدبره وزاجراً لمن تأمله واعتقد في الناطق به ، فإن فيه ما يقمع رأس الضلال ويقلع أصل التمويه والخيال ويقطع عن أهل الإنصاف مادة القيل والقال. فإنّ فيه نسبة للصوفية إلى الجهل ، والابتداع ، وترك الانقياد للقرآن ، وعدم الاتباع والإعراض عن أهل العصمة ، والميل إلى الاختراع ، واعتقادهم حجية قول أبي بكر وفعله ، لرغبتهم عن العلم الصحيح وأهله ، وإنكارهم لما أوجبه الله ، واستحلالهم ما حرم الله ، وجرأتهم على الأئمة عليهم السلام ، ونسبتهم له إلى مخالفة الشرع وحب الدنيا والجهل ، وغير ذلك مما بعضه كاف في التنفير عنهم والتحذير منهم. لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان ».[٢]

---

(١) يوسف: ٧٦. الكافي، الكليني: ٥ / ٦٥ ـ ٧٠، وتحف العقول، الحراني: ٣٤٨.

(٢) الاثناعشريّة، الشيخ الحر العاملي: ٤١.

وقد بيّن عليه السلام أنّه يجب الإشتغال بعلوم القرآن والحلال والحرام وأنّها هي العلوم الصحيحة وإنّ علوم الصوفية جهالة وسفاهة وهم أهل الجهل.

١٥٣ ـ روىٰ في كشف الغمّة دخول جماعة من الصوفية على مولانا وسيدنا أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه بخراسان، واعتراضهم عليه، وقد أجابهم الإمام بما أفحمهم.[١]

١٥٤ ـ روىٰ الكليني عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لعباد بن كثير البصري الصوفي: «**ويحك يا عباد غرك أن عف بطنك وفرجك إن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم ﴾[٢] اعلم أنه لا يتقبل الله عز وجل منك شيئاًحتى تقول قولاً عدلاً**».[٣]

أي: إنّ الاعمال الصالحة لاتنفع مع الإعتقاد الفاسد الذي عند الصوفيّة، فالملحوظ في الخبر أنّ إستنكار الائمّة عليهم السلام على الصوفيّة ليس لأجل لبسهم الصوف أو ما اعتادوا عليه من الاوراد والاذكار والطقوس والأعمال، بل إنّما لأجل فساد عقيدتهم من القول بالحلول والاتحاد وحدة الوجود والموجود وغيرها، وهي بعينها موجودة لدىٰ ثلّة من الفلاسفة، لاسيما بعد تأسيس مدرسة الحكمة المتعالية، تلك التي مزجت بين أفكار المتصوّفة والمتفلسفة.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٩ / ٢٧٥ عنه.

(٢) الأحزاب: ٧٠ و ٧١.

(٣) الكافي، الكليني: ٨ / ١٠٧ / ٨١.

١٥٥ ـ روىٰ الحرّاني في مواعظ عيسى عليه السلام: **«فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم ثياب الصوف»**.(١)

يظهر من الخبر وجود هذه الجماعة في زمن عيسى عليه السلام ومحاولتهم إضلال أتباع الشريعة العيسويّة. وقد ذكر الشيخ آقا بزرگ الطهراني عن كتاب الرّد على الصوفيّة للأمير محمد تقي بن الأمير محمد علي الكشميري، أنّ كثيراً من المورّخين القدامى قالوا بيان في معنى الصوفي:

«انّه إسم يوناني كان يسمّى به كلّ من تمهّر في فنّ من فنون العلم والحكمة، ثم لمّا تسمّى جمع من الشعراء والرقاصين أنفسهم بهذا الاسم، منع الحكيم فيثاغورس أن يسمّى الحكماء بهذا الاسم بل سمّاهم بفيلسوف».(٢)

١٥٦ ـ روىٰ الكشي عن علي بن محمد بن قتيبة، قال حدثني أبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغي، قال ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال وكان ابتداء ذلك، أن كتب عليه السلام إلى قوّامه بالعراق: **احذروا الصوفي المتصنع.**

قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حجّ أربعاً وخمسين حجة، عشرون منها على قدميه. قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، وأنكروا ما ورد في مذمته، فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع في أمره. فخرج إليه:

قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله، بما قد علمت لم يزل، لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته يداخل في أمرنا

---

(١) تحف العقول، الحرّاني: ٥٠٤.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٠ / ٢٠٦ / ٥٥٨.

بلا اذن منا ولا رضى يستبدّ برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يمضي من أمرنا الا بما يهواه ويريد، أراده الله بذلك في نار جهنم، فصبرنا عليه حتى بتر (تبّر) الله بدعوتنا عمره. وكنا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه لا رحمه الله، وأمرناهم بالقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرء منه. واعلم الإسحاقي سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحقّ أن يطّلع على ذلك، فإنّه لا عذر لاحد من موالينا في التشكيك فيما يؤديه عنا ثقاتنا، قد عرفوا بأنّنا نفاوضهم سرنا، ونحمله إياه إليهم وعرفنا ما يكون من ذلك انشاء الله تعالى.

وقال أبو حامد: فثبت قوم على انكار ما خرج فيه، فعاودوه فيه فخرج: لا شكر الله قدره، لم يدع المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما من به عليه مستقرّا ولا يجعله مستودعاً. وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالايمان كفرا حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولا يمهله، والحمد لله لا شريك له، وصلى الله على محمد وآله وسلم.[1]

١٥٧ ـ وروى الصدوق في ذكر التوقيعات الصادرة من الناحية المقدّسة: ولما ورد نعي ابن هلال لعنه الله جاءني الشيخ فقال لي: أخرج الكيس الذي عندك، فأخرجته إليه فاخرج إلي رقعة فيها: وأما ما ذكرت من أمر الصوفي المتصنع ـ يعني الهلالي ـ فبتر الله عمره.

---

(١) رجال الكشي، رقم: ١٠٢٠، مستدرك الوسائل: ١٢ / ٣١٨.

ثم خرج من بعد موته: فقد قَصَدْنا فصَبَرْنا عليه فبتر الله تعالى عمره بدعوتنا.[١]

وفي الحديث إشارات ودلالات على مدى تحرّز أئمّتنا صلوات الله عليهم عن هذه الطائفة الملعونة الخارجة عن ربقة الدين، الذين جعلوا من الإلتزام بظواهر الشريعة مصيدة يصيدون بها عباد الله، وقد دلّ الحديث على لزوم التشهير بهم وإظهار البراءة منهم والوقيعة فيهم كيلا يطمع الناس في باطلهم كما ورد في الحديث.[٢]

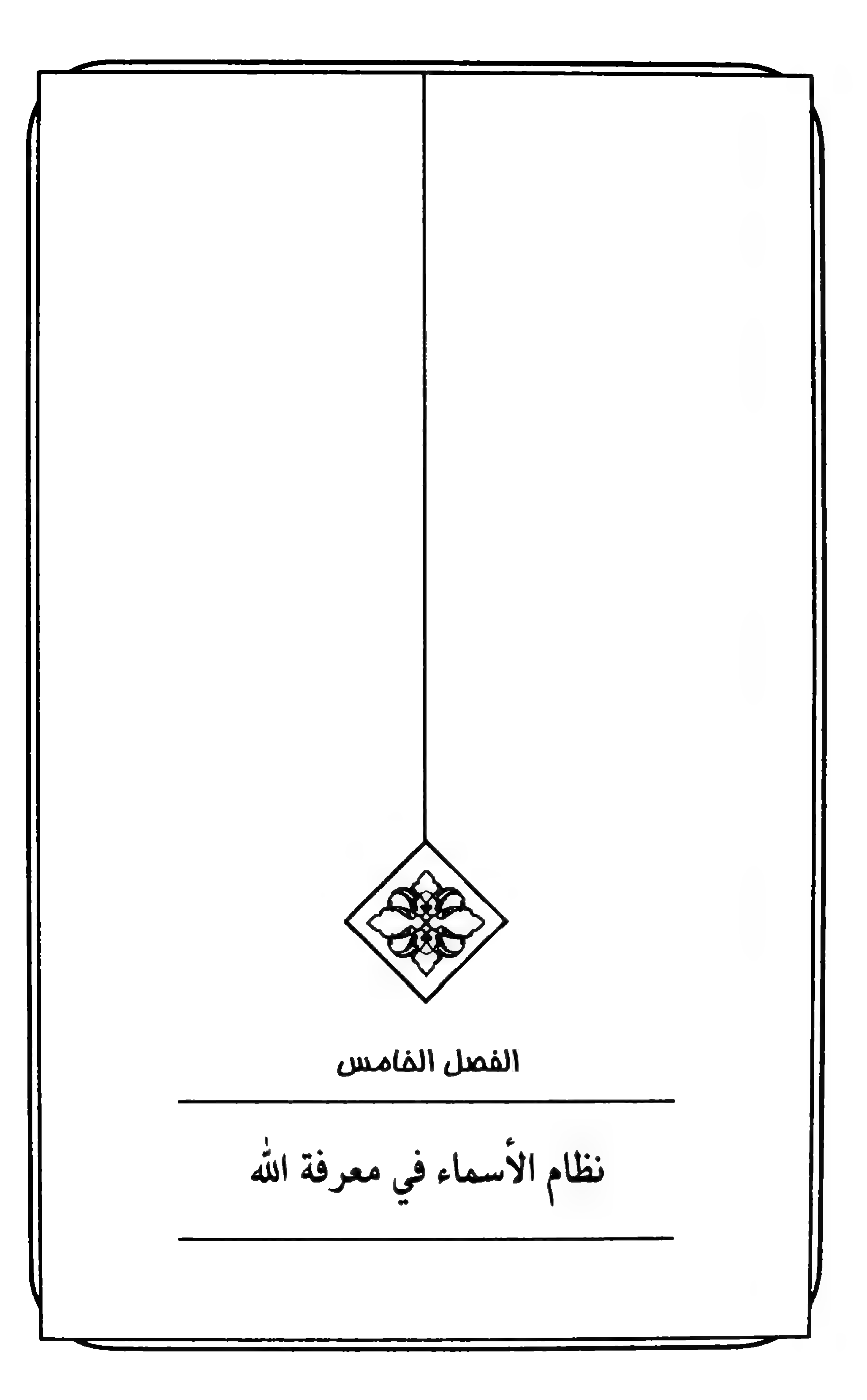
ومراجعة الأصحاب قاسم بن العلاء في أمره مراراً يبيّن عن الموقعيّة التي كان يحظى بها إبن هلال لدى الطائفة الإماميّة ممّا استغربوا صدور اللعن في حقّه، وذلك لقصورهم عن معرفة الدين حيث يحسبون أنّ الدين هو الإلتزام الظاهري بظواهر الشريعة والتشدّد فيها ولايعيون شيئاً عن العقيدة والمعرفة. وفي زماننا يوجد نظراء كثيرون لهم يغترّون بظاهر بعض هؤلاء الخدّاعين ويستنكرون لعنهم ويستأثمون البراءة منهم.

وفي تأكيد الإمام واهتمامه بلعنه مراراً والتبري منه بل ممّن لم يتبرّأ منه إيقاظ لمن يستأثم من لعن هذه الجماعات والبراءة منهم ويستنكر خروجهم عن الطائفة الإماميّة لما يحظون به من الموقعيّة السامية في الطائفة أو لما يتظاهرون به من عبادات وطاعات لايقوى عليها عموم الناس.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٤٨٩ / ١٢.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٧٥، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧١ / ٢٠٢.



الفصل الخامس

نظام الأسماء في معرفة الله

حقيقة التوسّل ونظام الأسماء

من السنن القطعيّة التي سنّها الله تعالى وبنى عليها جميع أنظمته التكوينيّة والتشريعيّة، نظام التوسّل بأسماء الله تعالى، وهذا النظام من ضروريّات جميع الشرايع الإلهيّة. وقد يستنكر من قبل بعض الفئات لما يزعمون أنّه ينافي التوحيد، نظير الجماعة الوهابيّة التي ترى أنّ التوسّل بغير الله تعالى و طلب الحاجة منه والإستمداد منه يعدّ شركاً بالله العظيم، نظير شرك عبدة الأصنام الذين ما عبدوا أصنامهم إلا ليقرّبوهم إلى الله زلفى، وبذلك تراهم يصدرون فتاوى تكفيريّة ضدّ المسلمين سنّة وشيعة تبيح قتلهم.

وقد تصدّىٰ العلماء للردّ عليهم وإبطال أطروحتهم في التوحيد، و تمسّكوا لذلك ببعض الآيات والأخبار التي وردت في مبحث التوسّل نظير قوله تعالى: ﴿ **وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾[1] أو ما ورد في استحباب التوسّل من الأحاديث، وقبل ذلك حكم العقل بأنّ توخّي الوسيلة والواسطة إذا كان بأمر الله تعالىٰ فلا يعدّ التوسّل به شركاً، بل هو عين التوحيد والإنقياد لأمره تعالىٰ، ووجود الأمر وعدمه هو الفارق

---

(١) المائدة: ٣٥.

بين التوسّل بأولياء الله وعبادة الأصنام للتقرب إلىٰ الله.

إلاّ أنّ الذي نحن بصدده هنا بيان أنّ حقيقة الأمر أعظم وأفخم مما ورد في تلك الأدلّة التي تقام لمناقشة الفكر السلفي، فليس التوسّل منحصراً بطلب الحاجات وكشف الكربات من النبي والإمام عليهم السلام، ولا نداءهم والإستشفاع بهم وتقديمهم أمام الطلبات والحوائج والتقرّب بهم إلىٰ الله في الزيارات والمندوبات.

بل إنّ نظام التوسّل نظام عام شامل في جميع أبواب وفصول الدين الحنيف، بل هو ركن الدين والإيمان ولاتثبت لأي فصل من فصول الدين قائمة دون وساطة أولياء الله تعالىٰ والتوسّل بهم، وأنّ الإيمان بالله ورسوله وسائر المعتقدات وكذا الإتيان بالواجبات والمندوبات وترك المحرّمات والمكروهات من دون وساطتهم يعدّ كلّها عتواً علىٰ الله بل كفراً واستكباراً، وفي ما يخصّ دراستنا هذه أنّ معرفة الله تعالىٰ لاتتيسّر دون توسّط النبي وأهل بيته المطهرين الذين هم الأسماء الحسنىٰ.

فإنّ التوسّل هو: توخّي الواسطة بين شخصين، والوسيلة هي: ما يتقرّب به الى الغير[1] فقد أخذ في موضوع التوسّل وجود شخصين أحدهما يريد أن يتوصّل إلى الآخر فيتقرّب بثالث إلى أن يقترب منه، فالوسيلة هو الثالث الذي له دور الوساطة بين الشخصين. فمركز البحث في الحقيقة في وجود الوسيلة والواسطة بين الخالق والمخلوق وأنّه هل للعباد سبيل إلىٰ الله تعالىٰ مباشرة دون وساطة الوسائط أم لا؟

وفي العبادة حيث يوجد العابد والمعبود، فلو توسّط بينهما ثالث يكون هو المقرّب للعابد إلى المعبود يكون هو الوسيلة والواسطة بينهما، والعبادة بهذه الكيفيّة تسمّى بالتوسّل، وكذلك في الدعاء اذا كان بين الداعي والمدعو شيء

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١١ / ٧٢٥.

يكون كالواسطة بينهما، وهكذا في أي إرتباط بين المخلوق والخالق إذا توسّط ثالث بينهما. فالمدّعىٰ أنّ نظام الوسائط التي هي أسماء الله تعالىٰ والتوسّل بها نظام عام شامل لجميع النظم الإلهيّة من العبادة والدعاء والمعرفة والخلق والرزق والحساب والكتاب والثواب والعقاب والتكوين والتشريع. فلايقبل الله عبادة أحد إلاّ بالتوجه الى تلك الأسماء، كما أنّه لاطريق للعباد في معرفة ربّهم إلا عبر تلك الأسماء التي جعلها الله تعالى واسطة بينه و بين خلقه، وأنّ الخلق والرزق وتدبير الأمور وغيره من أنظمة الكون إنما يتم بوساطة تلك الأسماء بينه وبين خلقه، فالتوسّل بالأسماء وتوسّطها ركن الدين وعمود الإيمان والعبادة وقوام التكوين والتشريع.

وقد ذكر بعض المشايخ من الأعلام طوائف كثيرة من الآيات الدالّة علىٰ لزوم توخّي الواسطة والوسيلة للإقتراب من الساحة الربوبيّة، وأنّه لاتوجد باب ولافصل من أبواب وفصول الدين الحنيف إلا والتوسّل ركن من أركانها.

فمنها: ماورد من الآيات في أنّ الإستغفار من الذنوب إنّما يتمّ عبر التوسّل برسول الله كقوله تعالى: ﴿ **وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوّٰاباً رَحِيماً** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ **وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّٰهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** ﴾[2] وغيرهما من الآيات، فإنّ الله تعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده ولكن يجب أن يتوسّط الرسول الأعظم بين الظالمين لأنفسهم وبين التواب الرحيم، ومن استكبر وأبى عن المجيء للنبيّ صلّى الله عليه وآله فلن يقبل الله توبته أبداً، بل يعدّ ذلك عتواً واستكباراً وآية للنفاق، وهذه هي حقيقة التوسّل.

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) المنافقون: ٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ **وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثٰاقَ النَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قٰالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قٰالُوا أَقْرَرْنٰا قٰالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّٰاهِدِينَ** ﴾[1]. فهناك تعاقد وثيق بين الله تعالى وبين الأنبياء، فاشترط عليهم الله تعالى لاعطائهم الكتاب والحكمة أن يؤمنوا بسيّد الأنبياء وينصروه، ثمّ أخذ منهم الإقرار الشديد على ذلك، ثمّ أشهدهم عليه وأدخل نفسه في جملة الشاهدين. فنبوّة الأنبياء إنّما تمّت بالتوسّل بسيّد الأنبياء والخضوع له، ومحال أن يصلوا إلى مقام النبوّة وإيتاء الكتاب و الحكمة من دون ذلك، وقد مرّ بعض الكلام في هذه الآية.

ومنها: آيات السجود لآدم عليه السلام، حيث اشترط على الملائكة لقربهم من ساحة القدس الربوبية، الإنقياد والخضوع والسجود لآدم عليه السلام، فهو الوسيط بين الملائكة وبين الله تعالى، وليس لهم نافذة وباب إلى ساحة قربه تعالى إلا عن طريق السجود والإنقياد لآدم. وحينما رفض إبليس ذلك واقترح على الله أن يعبده من دون السجود لآدم مباشرة، طُرد و رُجم من ذلك المقام الذي كان يحظى به، ولعن إلى يوم الدين، فإبليس لرفضه التوسّل والواسطة بينه و بين الله تعالى هبط إلى أسفل السافلين بعد أن كان في أعلى علييّن.

ومنها: آيات القبلة والتوجّه نحو الكعبة المقدّسة في الصلاة حيث علّله الباري تعالى بقوله: ﴿ **وَ مٰا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهٰا إِلاّٰ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلىٰ عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كٰانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّٰ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ** ﴾[2] فالغرض الأقصى من الإستقبال إلى الكعبة هو استكشاف الطاعة لسيّد الإنبياء صلّى الله عليه وآله، حيث أنّ الله تعالى إنّما جعل الكعبة الشريفة قبلة لتعلّق رضى حبيبه بذلك فقال:

---

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) البقرة: ١٤٣.

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها ﴾[١].

فليس لأحد أن يصلّي ويعبد الله في شتى بقاع الأرض وإلى أبد الدهر إلا وعليه أن يتوجّه نحو البقعة التي هواها رسول الله فيجعلها وسيطةً بينه و بين ربّه، وقد عدّ عدم الإنصياع إلى أمر الرسول في الإتّجاه نحو المسجد الحرام والإستكبار عليه كفراً وارتداداً وانقلاباً على الأعقاب.

ومنها: آيات بناء البيت الحرام ومناسك الحجّ. قال تعالى: **﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِين * فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِنا ﴾**[٢].

فقد علّق تعالى كون البيت مباركاً وهدى للعالمين علىٰ احتوائه للآيات البيّنات، اذن فالركن الركين في ماهيّة البيت الإلهي وفي كونه هداية للعالمين ومحلاً للعبادة ونفي الشرك، هو كونه فيه آيات بيّنات، وتلك الآيات هي مقامات الأنبياء والأوصياء والمقرّبين في الخلقة. ثمّ ذكر من أعظم تلك الآيات الحجر الذي لامس بدن إبراهيم و عبّر عنه بالمقام تفخيماً وتعظيما لذلك المكان المقدّس، وأمر أن يتّخذه الحجاجّ مصلى. فهم في عبادتهم لله تعالى وتوجّههم نحوه يجب عليهم أن يتوجّهوا أولاً إلى ذلك الحجر المقدّس، ويجعلوه واسطة ببينهم وبين الكعبة الشريفة التي هي البقعة التي هواها سيّد الأنبياء، فمقام إبراهيم هو الوسيط بين الحجّاج وبين مقام رسول الله صلى الله عليه وآله، ومقام الرسول باب إلىٰ قرب الله تعالىٰ، والتوجّه إلى الله عزوجل لايمكن إلا بعد التوجّه إلى هذه الأبواب والوسائط.

ومن جملة تلك الآيات حجر إسماعيل حيث يجب على الحجاجّ كلّهم أن

---

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) آل عمران: ٩٦ و ٩٧.

يجعلوه في مطافهم فهم يطوفون حول الكعبة وحول ذلك المكان مع أنّه ليس من البيت، وما ذلك إلا لأنّه مدفن هاجر ومدفن جمع من الأنبياء، فجعل الحجر الذي هو ذكرى لإسماعيل عليه السلام ولموضع قبره مطافاً، مما يؤكد على أن المدار في التوجه إلى اللّٰه أن يكون بالتوجه إليه عبر حججه وأصفيائه.

وكذا الحجر الأسود والمستجار والملتزم وموضع ولادة الإمام علي عليه السلام والسعي بين الصفا والمروة واستحباب الشرب من ماء زمزم، وكذلك عرفات حيث سمّيت بذلك لاعتراف آدم عليه السلام بخطيئته إلى اللّٰه تعالى بترك ما هو أولى، وكذلك المزدلفة حيث ازدلف آدم إلى ربه فيها، وكذلك ذبح الهدي كقربان في منى فداءً لإسماعيل.

فهذه النسك مضافا إلى كونها عبادات للّٰه تعالى، فإنها مقترنة بمشاهد للأنبياء والمرسلين عليهم السلام ومذكرة بهم، وأمر الحجاجّ أن يمارسوها تخليداً لذكراهم، وتقرباً باحتذائهم إلى اللّٰه كسبيل وباب إليه تعالى.

فيظهر من هذه الآيات أنّه كما أنّ البيت قطب لرحى التوحيد، فبابه هم أولياؤه المصطفون، وهم الآيات البينات من ذكريات الأنبياء عليهم السلام ومقاماتهم وقبورهم، وهي تكون وسيلة للصعود إلى عالم الطهارة والحظوة عند اللّٰه تعالى، فالحجّ ومناسكه انّما هي دعوة للولاية.

ومن ثمّ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة، فقال:

> **هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة، إنما أُمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودّتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم ﴾.[1]**

---

(١) ابراهيم: ٣٧. الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٣٩٢. وقد اقتبسنا هذه الطوائف من أدلّة التوسّل مما ←

للسماء أبواب

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادُ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾.[1]

ولابدّ من التأمّل في هذه الآية الكريمة التي هي بمنزلة الباب لسائر الأبواب. فإنّ الذين لاتفتّح لهم أبواب السماء ليسوا من الدهريين الذين يجحدون وجود الباري تعالىٰ ولايقرّون بالمعاد والذين لايؤمنون بالغيب والسماء والعرش، بل هم من المعتقدين بالغيب والسماء العرش والحساب والكتاب والجنّة والنار، ويزعمون أنّهم يعرفون الله فيدعونه ويرجون منه أن ترتفع أعمالهم إلى السماء وأن يتقبّل الله منهم حسناتهم ويدخلهم الجنّة. وإلا لما وجّه الباري تعالى عتابه إليهم بعدم انفتاح أبواب السماء لهم واستحالة دخولهم الجنّة، إذ كيف يوبّخ الباري تعالىٰ من لايؤمن بالغيب ولايعتقد بالجنّة، بأنّه لاتفتّح له أبواب السماء ولايدخل الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط.

وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام: **أما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها، وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد: اهبطوا به إلى سجّين، وهو واد بحضرموت، يقال له برهوت ﴿ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى**

← ذكره شيخنا الأستاذ محمد السند، وقد ذكر قريباً من عشرين طائفة من الآيات في القرآن الكريم تدلّ علىٰ ضرورة التوسّل وركنيّته في جميع أبواب وفصول الدين الحنيف، فراجع: الإمامة الإلهيّة، تقرير أبحاث الأستاذ الشيخ محمد السند، بقلم قيصر التميمي: ٤ / ٥٦ ـ ١٤٦.

(١) الأعراف: ٤٠ و ٤١.

يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا.[١]

وقال العلامة المجلسي رحمه الله:

﴿ لاٰ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوٰابُ السَّمٰاءِ ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم ولنزول البركة عليهم، ولصعود أرواحهم إذا ماتوا.[٢]

فهؤلاء قد عبدوا الله وظنّوا أنّ أعمالهم سترتفع إلى السماء وتنزل عليهم البركات، ورجوا أن تكون أرواحهم صاعدة إلى الجنان بعد مماتهم، لكنّ الله تعالى يكذّب ظنّهم ويعدّ تحقّق أمنيّتهم من المحالات.

والسؤال الذى يطرح نفسه: ما هي مشكلة هؤلاء في دعواتهم وعباداتهم؟ حيث علّق قبولها ورفعها إلى السماء على المستحيل كدخول الجمل في سمّ الخياط. إذ أنّ للعبادة والدعاء والتوجّه ركنان؛ أحدهما العابد والداعى، والآخر المعبود والمدعو، وهذان الركنان متوفّران عندهم، فهم عبّاد والله تعالى هو المعبود وقد عبدوه ودعوه، فلِمَ سدّ الطريق أمامهم؟

و لِمَ منعوا عن بلوغ مقصدهم ومرادهم؟

وما وجه الإستحالة في رفع أعمالهم الحسنة إلى السماء؟

وقد أجاب الباري تعالى عن السؤال قبل طرحه في مفتتح الآية، فذكر أنّ خطأهم في السلوك إلى الله هو الذي سبّب إنحرافهم وميلهم عن السبيل والصراط إلى الله تعالى ممّا يجعل قبول دعواتهم وحسناتهم من المستحيل. وهذا الخطأ المنهجي عندهم يرتبط بكيفيّة تعاملهم مع آيات الله تعالى، حيث قال تعالى:

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي: ٤ / ٢٥٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧٠ / ١٨٤.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾. ويجب أن يعلم أنّ الآيات أيّاً كانت هي مخلوقة مصنوعة لله وهي غير الله تعالى، إنّما هي دليل وعلامة وسمة وآية له تعالى. فالخطأ كامن في تكذيب هذه الآيات والأسماء، والإستكبار عن الإنقياد لها والخضوع أمامها.

وليس المراد من الآيات و تكذيبها آيات الصنع، والأنفة عن الإنقياد لما تدلّ عليه تلك الآيات من وجود صانع عليم حكيم قدير أحد صمد، وذلك لما بيّنا أنّ الآية إنّما تشرح حال من يزعم أنّه يعرف الله فيدعوه و يناجيه ويرجو جنّته ويخاف عذابه.

إضافة إلىٰ ذلك أنّه يستفاد من قوله تعالى: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أنّ هذه الآيات ليست من الآيات الصامتة التي ليست لها دعوى ومقال، إذ أنّ الدعوى والمقالة هي التي تصدّق وتكذّب، لاعين الذات الجامدة الصامتة، فهذه الآيات أياً ما كانت لها دعوى ومقال ومن أجل ذلك صحّ تصديقها و تكذيبها. كما أنّ الإستكبار إنّما يكون على من يكون كبيراً وشريفاً في نفسه، فإنّ المتكبّر يرى نفسه أرفع من الآخرين مع أنّه ليس كذلك. فهذه الآيات بلغت من شرفها وعلوّها أن استصغرت دونها كلّ من سواها، فمن رأى نفسه أكبر منها فلاتفتّح له أبواب السماء ولايدخل الجنّة جتى يلج الجمل في سمّ الخياط وله من جهنّم غواش و من فوقه مهاد.

وقد رسم الله تعالىٰ عظم هذه الايات وكبرها وعلوها في موضع آخر حيث خاطب ابليس وقال له حينما أبىٰ عن السجود لآدم: ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[1]. فعدوّ الله إبليس إمام المتكبّرين حيث رأى نفسه أعظم وأشرف من آدم، استكبر عن السجود والخضوع له والتواضع أمامه والإنقياد والمتابعة لأوامره،

---

(١) ص: ٧٥.

حيث تجمع هذه المعاني جميعاً في معنى السجود، ولو لم يكن آدم أرفع وأعظم من إبليس لما أطلق على إباء إبليس إستكباراً. كما أنّ الآية تبيّن أنّ هناك جماعة سمّاهم الله بالعالين ولم يؤمروا بالسجود، بل كان شأنهم أعلىٰ من ذلك.

فهذه الآيات هي أرفع وأعظم وأكبر من جميع العباد والمخلوقات، فهي من المخلوقات الشريفة التي لاتقبل عبادة سائر الخلق دون تصديقها والخضوع والإنقياد والمتابعة لها. فليست هي الشمس والقمر ولاالشجر والمدر، ولاالبحر والبرّ والسحاب المسخّر بين السماء والأرض، ولاالجمل والبقر والطاووس، إذ أنّ جميعها منقاد ومسخّر لأحد المؤمنين ولامعنى لأن تكون تلك الآيات الكونيّة أرفع وأعظم من جميع عباد الله المؤمنين.

بل المذكورين في الآية قد ارتكبوا ظلماً ثالثاً وهو صدّ الناس عن تلك الآيات، وذلك أنّ الإستكبار إنّما يتعدّى بعلى فيقال فلان استكبر على فلان، لاأنّه استكبر عن فلان. فتعدية الإستكبار بكلمة (عن) يدلّ على أنّه قد تضمّن في الإستكبار معنى الصدّ، فهم يستكبرون على تلك الآيات ويصدّون الناس عنها.

فإذن ما هي هذه الآيات التي بلغت من مقامها وشرفها أن لاسبيل للعباد إلى حضرة القدس الربوبية إلا بتصديقها والخضوع لها ودعوة الناس إليها؟

إنّما هي الآيات والحجج الإلهيّة الذين لهم دعوىٰ ومقال فيصدّقون ويكذّبون، وهم أرفع شأناً وأجلّ خطراً من جميع المؤمنين سواء في ذلك الملائكة المقرّبين أو الأنبياء والمرسلين.

وقد أفصح القرآن عن عظمة تلك الآيات والحجج والخلفاء الإلهيين وعلوّهم علىٰ جميع المخلوقات في آيات السجود لآدم، حيث أنّه تعالى أمر جميع ملائكته سواء المقرّبين منهم وغيرهم من جبرئيل وميكائيل واسرافيل وخزنة الجنّة والنار وملائكة الغيب والشهود والدنيا والعقبى وسدنة الوحي والكتاب

المبين، أمرهم أجمعين أن يسجدوا لآدم فقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِين ﴾[1].

ففور أن سوّاه ونفخ فيه من روحه أوجب وفرض على جميع الملائكة بأصنافها وأطوارها، من المدبّرات أمرا وغيرهم، أن يسجدوا لآدم وليس إلى آدم، بل هو المسجود له لا أنّه قبلة في السجود كما في السجود إلى الكعبة وشطر المسجد الحرام حيث قال تعالى: ﴿ و حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾[2]، فالفرض على جميع الملائكة بما لهم من درجات القرب من ساحة القدس الربوبية أن يسجدوا لآدم كي يبقوا في قربهم ويفتح لهم أبواب رحمة الله.

وحقيقة السجود ليست هي الهيئة الخاصّة، إذ قد يكون أحد بهذه الهيئة نائماً أو ساهياً، بل السجود حقيقته هى نهاية الخضوع وغاية التواضع والخشوع والإنقياد إلى ما يأمرهم وينهاهم، وأن يضعوا له جناح الذلّ من العبوديّة، فهو أميرهم وهم مأمورون وهو المتبوع و هم الأتباع. ولايقبل الله تعالى عبادة أحد من ملائكته المقرّبين مهما بلغ في العبادة، ومهما تصاعد في القرب من حضرة القدس الربوبي إلا بالسجود لآدم والخضوع له. وحينما اقترح إبليس على الله أن يعفيه عن هذا السجود ويبدله بذلك عبادة لله لايطيقها أحد من الملائكة، جاء النداء من ربّ العزّة: إنّي أحبّ أن أطاع من حيث أريد.

أخرج الراوندي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: امر إبليس بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم

---

(١) ص: ٧٢ ـ ٧٤.

(٢) البقرة: ١٥٠.

لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها. قال الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث أريد.[١]

فحقيقة العبادة التي هي الطوعانيّة والخضوع لاتنسجم مع دعوى الإستقلال في الوصول إلى ساحة القرب الربوبية ورفض الوسائط التي جعلها الله وسيلة بينه وبين خلقه. وإبليس إنما رجم وطرد من حضرة القدس الربوبية لرفضه التوسل بأولياء الله والإستكبار عن الإنقياد لها.

فترى أنّ الآية متطابقة تماماً مع آيات السجود لآدم، فإنّ أبواب السماء لاتفتّح للملائكة إلا بالسجود لآدم وليس إلى آدم كالسجود إلى الكعبة والمسجد الحرام، بل هى سجدة وطاعة وانقياد وخضوع لنفس آدم خليفة الله و وليّه بعد أن سوّاه الله ونفخ فيه من روحه وعلّمه الأسماء.

فالسماء مغلقة ولايمكن العبور إلا من أبوابها، وهذه الأبواب هي الوسائط والآيات والأسماء التي خلقها الله واسطة بينه وبين خلقه. وهذه هى حقيقة التوسّل الذي هو ركن الإيمان.

قال أبو عبد الله عليه السلام: **ثلاثة لا يقبل الله لهم عمل ولا ينظر إليهم ولا تفتح لهم أبواب السماء؛ رجل ادعى إمامة من الله وليس بإمام، أو رجل كذب إماماً من الله أو رجل زعم أن لفلان وفلان سهم في الإسلام.**[٢]

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ٢٦٢ / ٥.

(٢) الأصول الستة عشر: ٧٦.

رجل حضر الجهاد في سبيل الله تعالى فقتل مقبلا غير مدبر، والحور العين يتطلّعن إليه، وخزّان الجنان يتطلعون إلى ورود روحه عليهم، وأملاك السماء وأملاك الأرض يتطلّعون نزول حور العين اليه، والملائكة وخزان الجنان لا يردون عليه فلا يأتونه.

فتقول ملائكة الأرض حوالي ذلك المقتول انظروا إلى ذلك المقتول ما بال الحور لا ينزلن اليه، وما بال خزان الجنان لا يردون عليه؟

فينادون من فوق السماء السابعة: يا أيتها الملائكة أنظروا إلى آفاق السماء و دوينها. فينظرون فإذا توحيد هذا العبد وايمانه برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وصلاته وزكاته وصدقته وأعمال برّه كلها محبوسات دوين السماء، وقد طبقت آفاق السماء كلّها كالقافلة العظيمة قد ملئت ما بين أقصى المشارق والمغارب ومهاب الشمال والجنوب، تنادي أملاك تلك الأعمال الحاملون لها الواردون بها: ما بالنا لا تفتّح لنا أبواب السماء لندخل إليها باعمال هذا الشهيد؟

فيأمر الله عز وجل بفتح أبواب السماء فتفتح، ثم ينادي هؤلاء الاملاك: ادخلوها إن قدرتم. فلا تقلّها أجنحتهم ولا يقدرون على الإرتفاع بتلك الاعمال.

فيقولون: يا ربنا لا نقدر على الإرتفاع بهذه الأعمال.

فيناديهم منادي ربنا عز وجل: يا أيتها الملائكة لستم حمّالي هذه الأثقال الصاعدين بها إن حملتها الصاعدون بها مطاياها التي ترفعها إلى دوين العرش، ثم يقرها في درجات الجنان.

فتقول الملائكة: يا ربنا ما مطاياها؟

فيقول الله عز وجل: وما الذي حملتم من عنده؟

فيقولون: توحيده بك وأيمانه بنبيك.

فيقول الله عز وجل: فمطاياها موالاة علي عليه السلام أخي نبيي وموالاة الأئمة الطاهرين، فأن اتت فهي الحاملة الرافعة الواضعة لها في الجنان.

فينظرون فإذا الرجل ـ مع ماله من هذه الأشياء ـ ليس له موالاة علي بن أبي طالب عليه السلام والطيبين من آله ومعاداة أعدائهم.

فيقول الله للاملاك الذين كانوا حامليها: اعتزلوها وألحقوا بمراكزكم من ملكوتي ليأتيها من هو أحق بحملها ووضعها في مواضع استحقاقها.

فتلحق تلك الأملاك بمراكزها المجعولة لها.

ثم ينادي منادى ربنا عز وجل: يا أيتها الزبانية تناوليها وحطّيها إلى سواء الجحيم لأنّ صاحبها لم يجعل لها مطايا من موالاة على والطيبين من آله.

قال: فتأتي تلك الأملاك ويقلب الله عز وجل تلك الأثقال أوزارا وبلايا على باعثها لما فارقتها مطاياها من موالاة أمير المؤمنين عليه السلام. ونادت الملائكة إلى مخالفته لعلى وموالاته لأعدائه، فيسلّطها الله عز وجل وهي في صورة الأسود على تلك الأعمال وهي كالغربان والقرقس، فتخرج من أفواه تلك الأسود نيران تحرقها ولا يبقى له عمل إلاّ أحبط، ويبقى عليه موالاته لأعداء علي عليه السلام وجحده ولايته، فيقرّه ذلك في سواء الجحيم فإذا هو قد حبطت أعماله وعظمت أوزاره وأثقاله.[١]

---

(١) تفسير الإمام العسكري: ٧٤، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٧ / ١٨٧، جامع أحاديث الشيعة: ١ / ٤٤٤.

مفردات في قاعدة الأسماء ودورها في المعرفة

بعد أن عرفت انّ نظام الأسماء والوسائط والأبواب والسبل والتوسّل إليها، نظام قرآني تكويني لايشذّ عنه شيء، وقد بنى عليه الربّ المتعال جميع أنظمته من تكوين وتشريع وهداية وضلالة ومعاد وثواب وعقاب ومعرفة وعبادة وطاعة وغير ذلك، فلنشرع في بيان دور هذه الأسماء ووساطتها في معرفة الله تعالىٰ، ولنقدّم التذكير إلىٰ بعض المفردات في هذه القاعدة:

الأولىٰ: أسماء الله مخلوقة محدثة

إنّ لله تعالى أسماء كثيرة وهي بأجمعها مخلوقة محدثة، وقد نبّه إلى ذلك في كلمات أهل الذكر من أنّ الإسم غير المسمّى، ولو كان الإسم هو المسمّى لكان المسمّى متعدّداً بتعدّد الأسماء.

روى الكليني في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من عبد الله بالتوهم فقد كفر ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في**

سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقا».

وفي حديث آخر: «أولئك هم المؤمنون حقا».[١]

وروى أيضاً في صحيح آخر عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتقّ؟
قال: فقال لي: يا هشام الله مشتق من إله والاله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا، ومن عبد الإسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد. أفهمت يا هشام؟
قال: فقلت: زدني.
قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الإسم هو المسمى لكان كلّ اسم منها إلها ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره. يا هشام الخبز اسم للمأكول والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق. أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله عز وجل غيره؟
قلت: نعم.
قال: فقال: نفعك الله به وثبّتك يا هشام.
قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا.[٢]

وروى في الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: كتبت

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٨٧ / ١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٨٧ / ٢.

إلى أبي جعفر عليه السلام أو قلت له: جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد؟ قال: فقال: **إنّ من عبد الإسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر و جحد ولم يعبد شيئا، بل أعبد الله الواحد الاحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء، إن الأسماء صفات وصف بها نفسه.**[١]

الثانية: الإسم آية وعلامة وهي تكوينيّة واعتباريّة

إنّ الإسم سواء جعلناه من مادّة «وسم» بمعنى السمة والعلامة أو «سمو» بمعنى العلوّ والرفعة فإنّ فيه معنى الآيتيّة والعلاميّة للمسمّى وما يشير إلى المسمّى ويصير سبباً لتعظيمه، فحقيقة الإسم هو ما ينبئ عن المسمّى ويدلّ عليه، وعليه يكون الإسم من سنخ الدوالّ التي تنبئ عن شيء آخر وتدلّ عليه.

وهذه الآيتيّة والدلالة قد تكون تكوينيّة وقد تكون إعتباريّة، والدلالة التكوينيّة هي الإرتباط التكويني القائم بين الدالّ والمدلول، فالدالّ بحقيقته يدلّ على المسمّى من دون لحاظ اعتبار أوجعل أووضع أو بناء من العقلاء. أمّا الدلالة الإعتباريّة فهي التي لاتدلّ على المدلول إلا بعد الوضع والجعل والإعتبار. وعلى ضوء ذلك تنقسم أسماء الله تعالى إلى الأسماء التكوينيّة أي ما تدلّ على المسمّى تكويناً، والأسماء الوضعيّة أو اللفظيّة وهي ما تدلّ عليه اعتباراً.

وواضح أنّ الأحقّ والأولى بالإسميّة هو الإسم التكويني، أي: الذي يكون سمة وعلامة للمسمّى أو سبب لتعظيمه و تفخيمه بذاته وخلقته وتكوينه، دون ما يدلّ عليه بعد الوضع والإعتبار سواء كان الواضع لأسمائه هو الله تعالى ـكما هو الصحيح ـ أو لا، فأنّه على كلا التقديرين يظلّ هذا الإسم في مرحلة الجعل والوضع

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٨٧ / ٣.

والإعتبار، وما شأنه هذا لايقاس بالإسم التكويني الذي لامدخل للإعتبار والوضع في إسميّته وآيتيّته، فالإسم الحقيقي هو الإسم التكويني دون الإسم اللفظي.

وكذلك الكلمة، فحينما يعبّر الله تعالى عن عيسى بأنّه كلمته في قوله: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[1] فليس في هذا الإطلاق مجاز واستعارة وتشبيه، بل هو عين الحقّ والحقيقة. فإنّ الكلمة هي ما تدلّ على المراد ويعتمد عليها المتكلّم في إبراز مقاصده ويطلب من المخاطب الإعتماد عليها في فهم مراداته، وهي قد تكون اعتباريّة جعليّة كالألفاظ الموضوعة للمعاني، وقد تكون حقيقيّة تكوينيّة كبعض آيات الله تعالى وحججه التي يبرز مقاصد الله تعالى بذاته وخلقته ويدلّ عليه و يعتمد عليه في ذلك تكويناً. فإنّ عيسى عليه السلام بخلقته من غير أب وتكلّمه في المهد وما ظهر على يديه من معجزات، صار كلمة الله ودالّ على ذاته تعالى وقدرته وحكمته، من دون جعل ووضع واعتبار بل بخلقته وذاته. فهو أحقّ بمعنى الكلميّة من الكلمة الوضعيّة الجعليّة التي لاتدلّ على المراد إلا بعد الوضع والإعتبار.

وعليه يكون إستعمال الكلمة في الصوت المسموع أو المكتوب هو مجاز عقلي وإستعماله في النبي عيسى استعمال حقيقي، وذلك لأنّ دلالة الصوت المعيّن على المعنى ليست دلالة ذاتيّة وعلاقة تكوينيّة، وإنّما تمّت بتوسّط مواضيع قانونيّة بين أفراد المجتمع، فهي دلالة فرضيّة إعتباريّة بينما دلالة النبي عيسى على عظمة الله تعالى دلالة تكوينيّة ذاتيّة.

وكذا الآية والوجه، فإنّ الآية حقيقة هي ما يكون آية وعلامة تكويناً وذاتاً لاوضعاً واعتباراً. والوجه تشتقّ منه الإتّجاه والجهة وقد أطلق على القبلة أنّها وجه الله

---

(١) آل عمران: ٤٥.

باعتبار أنّه يتوجّه به إلى الله تعالى، فالوجه ليس إسماً للجزء البدني وإنما أطلق عليه الوجه لأنّه إذا أريد أن يرتبط بروح الإنسان الذي هو أعلى من البدن يتّجه نحو الوجه، ولو أعدم الإرتباط بين الروح والبدن كالموتى فلا يتوجّه إليه بالوجه، فوجه الله حقيقة هو الذي يتوجّه إليه عند الإرتباط بالذات الربوبية جلّ أسمه.

ومن هنا وردت الأحاديث المتواترة علىٰ أنّ الأسماء الله الحسنى هم النبي وأهل بيته المعصومون عليهم سلام الله، وأنّهم آيات الله وكلماته التامّة وهم وجه الله ويده و عينه وحجابه. وليست هذه الإطلاقات إطلاقات مجازيّة بل حقيقيّة.

فقد روى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ وَ لِلّٰهِ الأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ﴾[١] قال: **نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا.**[٢]

وروى أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ فَلَمّٰا آسَفُونٰا انْتَقَمْنٰا مِنْهُم ﴾[٣] فقال: **إن الله عزوجل لا يأسف كأسفنا ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنّه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك وليس أن ذلك يصل إلى خلقه لكن هذا معنى ما قال من ذلك. وقد قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها» وقال: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰه ﴾[٤] وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبٰايِعُونَكَ إِنَّمٰا يُبٰايِعُونَ اللّٰهَ يَدُ اللّٰهِ**

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٣ / ٤.

(٣) الزخرف: ٥٥.

(٤) النساء: ٨٠.

فَوْقَ أَيْدِيهِم ﴾[١] فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء ممّا يشاكل ذلك. ولو كان يصل إلى الله الأسف والضجر، وهو الذي خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل هذا أن يقول: إنّ الخالق يبيد يوماً ما، لأنّه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ثم لم يعرف المُكَوِّن من المُكَوَّن ولا القادر من المقدور عليه، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً. بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى.[٢]

ظهر من هذا الحديث أنّ هذه الأسماء لكونهم دعاة إلى الله وأدلاّء عليه صار رضاهم رضى الله، وسخطهم سخط الله، ويدهم يد الله، ومحاربتهم محاربة الله، وأسفهم أسف الله، والذات الربوبية تقدّس عزّها منزّهة عن ذلك جميعاً. وإنّما يعلم موارد رضاه و سخطه من رضاهم وسخطهم، وأسفه من أسفهم، ويكون طاعتهم طاعة الله، ومبايعتهم مبايعته، فليس شأن من شؤونهم إلا وهو دالّ وآية وسمة وعلامة وتعظيم وتقديس لربّهم عزّوجلّ، فهم متمحضّون في الإسميّة والآيتيّة بحيث لايوجد فيهم شأن أو فعل أو حركة أو سكون لايكون سمة وعلامة لله تعالى. ومن أجل ذلك صاروا أسماءه الحسنى وأسمائه العظمى دون غيرهم الذين لم يبلغوا إلى هذا الحدّ من الخلوص والتمحّض والفناء في الذات الربوبية، لابالمعنى الممسوخ من الفناء الذي هو نسبة التغيير والفقر والحدّ إلى الذات الربوبية، بل بمعنى فناء كلّ شأن من شؤون هذا المخلوق في آيتيّة الحقّ جلّ إسمه دون

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٤ / ٦.

غيره. فلو كان شأن من شؤونهم غير دالّة على الله وعلى مواضع رضاه وسخطه لما صحّ أن يجعل الله تعالى أسفهم أسفه ورضاهم رضاه وسخطهم سخطه بقول مطلق، ممّا يدلّ على أن ليس لهم شأن وفعل لايستدلّ به على الله تعالى.

ومن هنا يعلم أنّ لأسمائه تعالى درجات و مراتب فبعضها أعلى وأشرف من بعض فبعضها عظيم وبعضها أعظم وبعضها الأعظم الأعظم الأعظم الأجلّ الأعزّ الأكرم وهكذا.

وروى الكليني أيضاً عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وَ مٰا ظَلَمُونٰا وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون ﴾[١] قال: «إن الله تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يُظلم، ولكنّه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: ﴿ إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٢] يعني الأئمة منا. ثم قال في موضع آخر: ﴿ وَ مٰا ظَلَمُونٰا وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون ﴾ ثم ذكر مثله».[٣]

وروى عن الحارث بن المغيرة النصري قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَه ﴾[٤] فقال: ما يقولون فيه؟ قلت: يقولون يهلك كل شيء إلا وجه الله. فقال: سبحان الله لقد قالوا قولاً عظيماً، إنما عنىٰ بذلك وجه الله الذي يؤتى منه.[٥]

---

(١) البقرة: ٥٧ و الأعراف: ١٦٠.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٦ / ١١.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٣ / ١.

وروى عن أبي جعفر عليه السلام قال: **نحن المثاني الذي أعطاه الله نبينا محمداً صلّى الله عليه وآله ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا وإمامة المتقين.**[١]

و روى عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداء منه من غير أن أسأله: **نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده.**[٢]

وروى عن مروان بن صباح قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله.**[٣]

الثالثة: إشتقاق الإسماء وتسلسلها

قد يكون لشيء جملة من الآيات والأسماء في سلسلة طوليّة، فله آية وللآية آية أخرى ولتلك الآية الثانية علامة ثالثة وهكذا. وهذه السلسلة موجودة في أسماء

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٣ / ٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٥ / ٧.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٤ / ٥.

الله تعالى وآياته، فقد يكون شيء إسم لله وقد يكون إسم لإسم الله أو إسم لإسم الإسم وهكذا.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَ هُدىً لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتُ بَيِّنَاتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1] فقد ذكر كأكبر آية وأعظمها في جملة الآيات البيّنات الموجودة هناك مقام إبراهيم وقد خصّها بالذكر دون سائر الآيات لعظمتها وشرافتها. ومقام إبراهيم انّما هو حجر لامس و ماس قدم إبراهيم الخليل عليه السلام، وهذا الحجر بمايشتمل على أثر قدم إبراهيم يكون آية وعلامة لإبراهيم عليه السلام، بل هو آية وعلامة وإسم لقدم إبراهيم، وقدمه آية لجسمه وهو آية لروحه، وذلك الروح بما يشتمل عليه من النور والعلم الإلهي والولاية والخلّة والإمامة والنبوة يكون آية لله تعالى. فهذا الحجر صار آية بيّنة من أعظم الآيات الموجودة هناك لآيتيّته وإسميّته لله تعالى عبر آيات وأسماء أخرى.

ولا يخفى ما في التعبير بكلمة ﴿ مقام ﴾ فإنه للتعظيم والتفخيم والتبجيل، مع أن هذا الحجر ليس هو إبراهيم الخليل عليهما السلام، وإنما أضيف إليه لملامسته جسد إبراهيم عليه السلام.

فهناك تسلسل في أسماء الله تعالى فيكون بعضها إسماً مأخوذاً من أسماء أخر، وقد روى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

> **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطق... فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً...فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها... فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان، لكل اسم من هذه أربعة أركان، فذلك اثني عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرحمن،**

---

(١) آل عمران: ٩٦ و ٩٧.

الرحيم، الملك، القدوس، الخالق، البارئ، المصوّر، الحي، القيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العلي، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، البارئ المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاث مائة وستين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله عزوجل: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ ﴾.[1]

فترىٰ كيف صوّر الإمام عليه السلام التسلسل والترابط الموجود بين الأسماء ونسبة بعضها إلىٰ البعض. ويمكن أن يشبّه بالهرم، فرأس الهرم إسم مكنون مخزون غير متصوّت وغير متجسّد، ثم يأتي في القاعدة أربعة أسماء التي ظهر ثلاثة منها، ثمّ اثني عشر اسم، ثم ثلاثين، ثم ثلاث مائة وستين، وكلّ مرتبة منها إنّما تنسب إلىٰ المرتبة السابقة عليها، حتىٰ تصل إلى الإسماء الثلاثة وهي بدورها تنسب إلى الإسم الواحد المكنون المخزون. هذا، وسيأتي تتمّة بيان للحديث الشريف.

وممّا يدلّ علىٰ طوليّة سلسلة الأسماء ما ورد من الروايات المستفيضة في إشتقاق الأسماء، فإنّ الإشتقاق معناه الإنخراق والإنفطار، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ ﴾[2] وقال: ﴿ إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ ﴾[3] وقال: ﴿ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمٰاء ﴾[4].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ١٦٦ / ٨ عن التوحيد.

(٢) الحاقّة: ١٦.

(٣) الإنشقاق: ١. (٤) البقرة: ٧٤.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله في بيان الآية الأولىٰ:

« أي انفرج بعضها عن بعض ، يقال : انشق الشيء ينشق انشقاقاً ، و تشقق تشققاً ، إذا تفطّر و اشتقّ منه كذا اشتقاقاً ، و منه اشتقاق الصفة من المصدر ، لأنّ معناه و حروفه فيها دون صورته ، فهي مأخوذة منه على هذا الوجه ».[١]

وإشتقاق شيء عن آخر معناه خروج المشتقّ عن المشتقّ منه، فكأنّه انفطر وانشقّ فتولّد منه شيء آخر، فيكون المشتقّ خارجاً عن بطن المشتقّ منه ومتولّداً عن صميم وجوده، ومن هنا يفسّر إشتقاق الحرف من الحرف بأخذه منه.[٢] وليس معنى الإشتقاق منحصراً في الإشتقاق الصرفي بأقسامه، بل الإشتقاق الصرفي إنّما صار إشتقاقاً لوجود معنىٰ الإشتقاق فيه وهو أخذ شيء عن شيء وتولّده عنه، فإنّ الصفة مثلاً إنّما تؤخد من المصدر فتكون مشتقّةً منه.

والمشتقّ دائماً يشير ويدلّ علىٰ مبدأ إشتقاقه لأنّه أصله ومبدؤه. وفي أسماء الله تعالىٰ إذا كان الإسم مشتقّاً من إسم آخر فهو إنّما يكون سمة وآية وعلامة للإسم الذي اشتقّ منه، وذلك الإسم يدلّ علىٰ الله تعالىٰ إن لم يكن مشتقّاً من إسم آخر، وإلاّ فيدلّ علىٰ ذلك الإسم، وهكذا حتىٰ يصل إلى الإسم الذي يكون آيةً وسمةً له تعالىٰ مباشرة من دون وساطة إسم آخر، وهو الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الأعز الأجل الأكرم. ومن ذلك يعلم أنّ بعض الأسماء إنّما صاروا أسماء لله تعالىٰ بوسائط كثيرة متعدّدة.

وممّا ورد في إشتقاق الأسماء ما رواه الصدوق بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

«إن رحم الأئمة عليهم السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ١٠ / ٩٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: باب شقق.

ليتعلق بالعرش يوم القيامة، وتتعلق بها أرحام المؤمنين، يقول: يا رب صل من وصلنا، واقطع من قطعنا، قال: فيقول الله تبارك وتعالى: أنا الرحمن وأنت الرحم، شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرحم شجنة من الله عز وجل».[1]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عز وجل: أنا الرحمان وهي الرحم، شققت لها اسماً من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته. ثمّ قال: **أو تدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمان ومن قطعها قطعه الرحمان؟** فقيل: يا أمير المؤمنين حث بهذا كل قوم على أن يكرموا أقرباءهم، ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: **أيحثهم على أن يصلوا أرحام الكافرين وأن يعظّموا من حقّره الله وأوجب احتقاره من الكافرين؟... إن الرحم التي اشتقّها الله عز وجل بقوله: أنا الرحمان، هي رحم محمد صلى الله عليه وآله، وإن من إعظام الله إعظام محمد، وإن من إعظام محمد إعظام رحم محمد، وإنّ كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمد، وإن إعظامهم من إعظام محمد، فالويل لمن استخفّ بحرمة محمد، وطوبى لمن عظم حرمته وأكرم رحمه ووصلها».**[2]

ويجب أن يُعلم أنّ إشتقاق إسم عن إسم لايكون إلا بعد وجود الترابط بين المسمّيين، وليس عبثا ولغواً، فإنّ الشيء إذا لم يكن بحقيقته سمة وآية لشيء

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢٦٥ / ١١ عن معاني الأخبار.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٢٦٦.

آخر لايصحّ أن يشتقّ إسمه من إسمه. فإذاً لأجل وجود الترابط بين رحم آل محمّد والرحمة الرحمانيّة اشتقّ اسمها من إسم الرحمان، ولأجل هذ الإرتباط صار التعلّق بهذه الرحم تعلّقاً برحمة الرحمان، ووصلها وصلاً للرحمان وقطعها قطعاً للرحمان، لأنّها شجنة من الرحمة الرحمانيّة ومشتقّة منها، فهي إنّما تكون مؤشّرة ودالّة علىٰ ذلك الإسم المشتقّ منه. ثمّ رحم المؤمنين تكون مؤشّرة ودالّة علىٰ رحم آل محمّد ولذلك يكون إعظامهم إعظاماً لمحمّد وآله وتتعلّق أرحام المؤمنين برحم آل محمّد صلّى الله عليه وآله.

ومنها: ما روي من أنّه قيل لأبي عبد الله عليه‌السلام: لِمَ سمّي المؤمن مؤمنا؟ قال:

لأنّه اشتقّ للمؤمن اسماً من أسمائه تعالى، فسمّاه مؤمناً، وإنما سمّي المؤمن لأنّه يؤمن من عذاب الله تعالى...».[1]

فاشتقاق إسم المؤمن من إسم الله تعالىٰ لابدّ وأن يكون لعلاقة بين الإسمين وهي علاقة الآيتيّة فإنّ المؤمن آية لأمان الله في أرضه.

ومنها: ما رواه الحسن ين سليمان الحلّي بإسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لما عرج بي إلى السماء... فالتفت عن يمين العرش فوجدت على ساق العرش الأيمن مكتوبا: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، محمد رسولي، أيدته بعلى يا أحمد شققت اسمك من اسمي، أنا الله المحمود الحميد، وأنا الله العلي، وشققت اسم ابن عمك علي من اسمي...».[2]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦٤ / ٦٣ / ٧.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٨ / ٣١٢ / ٢٦.

وفي رواية أخرىٰ: «أنا المحمود وأنت محمد، شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته».[١]

وفي تفسير الإمام عليه السلام قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما: حدثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: قال: يا عباد الله إن آدم لمّا رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال الله عز وجل: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، و لذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح، فقال آدم: يا رب لو بيّنتها لي، فقال الله تعالى: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبرياتي هذا محمد وأنا الحميد والمحمود في أفعالي شققت له اسما من اسمي، وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسما من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عما يعتريهم ويشينهم فشققت لها اسما من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسما من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي، بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسّل إلي بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلي شفعاءك، فإنّي

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٨ / ٣٣٨.

آليت على نفسي قسما حقا لا أخيب بهم آملا، ولا أردّ بهم سائلاً فلذلك حين نزلت منه الخطيئة (و) دعا الله عز وجل بهم فتاب عليه وغفر له.[١]

وبهذا المضمون روايات أخرىٰ.

وفي إشتقاق أسماء الرسول وأهل بيته عليهم صلوات الله من أسماء الله أسرار لايخفى على أهله، فإنّ ذواتهم أسماء لله تعالىٰ بل من أعظم تلك الأسماء كما مرّ، ومع ذلك فأسماؤهم أيضاً سمات لأسماء الربّ المتعال، أي حتىٰ الأسماء اللفظيّة لهؤلاء الصفوة ليست عديمة الإرتباط مع الذات الربوبية بل هي مشتقّة من بعض الأسماء العالية، فأسماء محمد وآل محمّد عليهم السلام أيضاً سمات لله تعالىٰ. وهذا ما أكّدنا عليه سابقاً من عدم خلوّ شأن من شؤونهم عن الاسميّة والآيتيّة لله جلت أسماؤه، وهم الذين خلصوا عن كلّ شائبة سوىٰ ما يدلّ علىٰ الله تعالىٰ، فهم المطهَّرون وهم الأسماء الله العظمىٰ، وسائر الأسماء انّما هي شعبة من شعبهم وشأن من شؤونهم وشعاع من نورهم.

وممّا يدلّ علىٰ إشتقاق أسماء النبي وأهل بيته عليهم السلام من أسماء الله ما ورد في بدء الخلق واشتقاق أنوارهم من نور عظمة الله، كما رواه جابر بن عبد الله الأنصارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور علي عليه السلام. فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة. ثم خلق العرش واللوح

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١١ / ١٥٠.

والشمس وضوء النهار ونور الابصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره. الخبر[١]

فالعرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الابصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد كلّها مشتقّة من نور علي عليه السلام، ونوره مشتقّ من نور سيّد الرسل صلى الله عليه وآله، ونوره مشتقّ من نور الله ومن جلال عظمته. فجميع هذه الأنوار إنّما هي سمات ودلائل وآيات لنور الوصي صلوات الله عليه، ونوره آية وإسم لنور النبي وهو إسم الله الأعظم الأعظم الأعظم صلى الله عليه وآله.

وعن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن الله سبحانه تفرّد في وحدانيّته ثم تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً وعلياً وعترته عليهم السلام، ثم تكلّم بكلمة فصارت روحاً وأسكنها في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلمته، احتجب بنا عن خلقه، فما زلنا في ظلّ عرشه خضراء مسبّحين نسبّحه ونقدّسه حيث لا شمس ولا قمر ولا عين تطرف، ثم خلق شيعتنا، وإنما سمّوا شيعة لأنّهم خلقوا من شعاع نورنا.[٢]

الرابعة: الأسماء العظمى المكنونة عن الملائكة

إنّ هناك في سلسلة أسماء الله تعالى أسماء هي أعلى وأجلّ وأعظم من أن يطّلع عليها ملائكة الله بأجمعهم فهي في سدنة الغيب المكنون عند الله تعالى رغم أنّها مخلوقة لله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٣.

قال الله تعالى: ﴿ وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاٰئِكَةِ فَقٰالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ * قٰالُوا سُبْحٰانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قٰالَ يٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1].

ولابدّ من التأمّل في زوايا عديدة من هذه الآيات، فإنّ الكلام في إحتجاج الله تعالى على الملائكة إنّما يدور حول شخصيّات حيّة شاعرة، حيث عبّر عنهم بهؤلاء الذي لايطلق إلا على جمع ذوي العقول، كما عبّر عنهم مرّات في ضمير الجمع المذكّر، ممّا يدلّ أنّه كانت هناك جماعة من ذوي العقول، وملائكة الرحمان ما كانوا يطّلعون على أسمائهم وما كانوا يعرفونها. والأسم كما بيّنا ليس حقيقته الإسم اللفظي وإنّما هو السمة والعلامة فالله تعالى علّم آدم سمات هؤلاء الأشخاص وشخصيّاتهم ومقاماتهم وآياتهم ودلائلهم وآدم بدوره أنبأ الملائكة بهذه السمات، وهذه الأسماء بدورها أسماء لعظمة الله وقدرته وحكمته.

ثمّ إنّه كيف خفي عن الملائكة هذه الأسماء؟ وهم الذين ملأوا أرجاء الكون، وقد أحاطوا بالعوالم كلّها من الدنيا والعقبىٰ والجنّة والنار والسماوات العليا والأرضين السفلىٰ، كما جاء وصفهم في كلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

> ثم فتق ما بين السماوات العلا، فملأهنّ أطوارا من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون. لا يغشاهم نوم العين، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان. ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة

---

(١) البقرة: ٣١ـ٣٣.

لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة، لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر.[١]

فهذه الأسماء كانت في حيطة لم يبلغ الملائكة إلىٰ شأوها، إذ لو كانت في حيطتهم لأدركوها، فإنّهم المدبّرون والمنفّذون لتقديرات الله تعالى في تلك العوالم، بل هم المشرفون على ملكوت العالم ومكنونه. ولكن مع ذلك كلّه لم تكن تلك الأسماء في متناول أيدي الملائكة ولذا أقرّت بالعجز والقصور حينما طلب منهم الباري تعالىٰ أن ينبئوا بأسمائهم، فهذه الأسماء والشخصيّات كانت في كنّ مكنون غائب عن ملائكة الظاهر والباطن والملك والملكوت.

ثمّ إنّ المعروض على الملائكة إمّا هي نفس الأسماء أو المسميّات بهذه الأسماء، وعلى كلا التقديرين فإنّهم أشخاص حيّة شاعرة مقرّبون في الخلقة الإلهيّة حيث أفصح عنهم بإسم الإشارة لجمع ذوى العقول، وإسم الإشارة من جملة المعرّفات وتعريفه أقوى من العَلَمية. فإن كان المعروض نفس الأسماء فمعناه أنّ هذه الأسماء من سنخ الأسماء التكوينيّة الحقيقيّة دون الأسماء اللفظيّة الإعتباريّة حيث عدل عن ضمير المفرد المؤنث بالجمع المذكّر، وإن كان المعروض المسميّات بهذه الأسماء فيكون الأسماء أسماء لتلك الشخصيّات المقرّبة في الخلقة الإلهيّة الذين هم بدورهم أسماء لله تعالى.

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة الأولى.

استخلاف آدم ونبوّته للملائكة في تعليم الأسماء

ثمّ أمر الله تعالى آدم أن ينبئ الملائكة بأسمائهم، فأنبأهم آدم بأسماء اولئك المقرّبين في الخلقة، فآدم نبيّ للملائكة ونبوّته لهم في الملكوت قبل نبوّته في الأرض إنّما هو بإنبائهم بأسمائهم وسماتهم ودلائلهم ومقاماتهم. قال الصدوق رحمه الله:

«فكلّ هذا يوجب تفضيل ادم على الملائكة وهو نبي لهم بقول الله تعالى: ﴿أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ﴾.[1]

وآدم عليه السلام إنّما شرّف وعظّم وصار مسجوداً للملائكة بتحمّله وتعلّمه لهذه الأسماء، والسجود إنّما هو نهاية الخضوع والخشوع والإنقياد للمسجود، فالأمر بالسجود لآدم ـوليس إلىٰ آدم ـ أمر بالخضوع والخشوع له ولزوم الإئتمار بأمره والإنتهاء عن نهيه، فآدم هو الأمير والمتبوع والملائكة هم المأمورون والأتباع، بما في الملائكة من أصناف وأنواع المقرّبين الذين يدبّرون أمور العوالم والجنّة والنار والسماوات والأرضين. ومن ذلك يستعلم أنّ الفضل والفضيلة عند الله تعالىٰ إنّما هو بتحمّل هذه الأسماء ومعرفة سمات هذه الشخصيّات الذين تمحضّوا في الإسميّة لله تعالى، ومن هنا احتجّ الله تعالى لأفضليّة آدم على الملائكة بأنّه إنّما يعلم هذه الأسماء فيستحقّ بذلك أن يكون هو المتبوع وأنتم الأتباع.

فآدم لعلمه بهذه الأسماء ولتعليمها صار مسجوداً للملائكة، وصار السجود له سجوداً لله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، وقد صار خليفة الله لما احتوى من العلم بهذه الأسماء وبهؤلاء الأشخاص وسماتهم ومقاماتهم وآياتهم ودلائلهم وأنوارهم وعلومهم ومعارفهم التي هي من جملة سماتهم ودلائلهم.

---

(١) الإعتقادات في دين الإماميّة، الشيخ الصدوق: ٩٠.

روى الصدوق عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أن الله تبارك وتعالى علّم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين بأنكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم عليه السلام. ﴿ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاَّ ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكيم ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يا آدَمُ أنْبِئْهُمْ بِأسْمائِهِمْ فَلَمّا أنْبَأَهُمْ بِأسْمائِهِمْ ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته، ثم غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم وقال لهم: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُون ﴾.[1]

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام: ﴿ وَ عَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ﴾ أسماء أنبياء الله وأسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهما، وأسماء رجال من خيار شيعتهم وعصاة أعدائهم ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ عرض محمّداً وعلياً والأئمة على الملائكة أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلة ﴿ فَقالَ أَنْبِئُوني بِأَسْماءِ هٰؤُلاءِ إنْ كُنْتُمْ صادِقِين ﴾ أن جميعكم تسبّحون وتقدّسون، وأنّ تركّكم ههنا أصلح من إيراد من بعدكم، أي فكما لم تعرفوا غيب من في خلالكم فبالحري أن لا تعرفوا الغيب الذي لم يكن كما لا تعرفون أسماء أشخاص ترونها. قالت الملائكة: ﴿ سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاَّ ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكيم ﴾ العليم بكل شيء، الحكيم المصيب في كل

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ١٣ ـ ١٤.

فعل. فقال الله تعالى: ﴿ يٰا آدَمُ ﴾ أنبئ هؤلاء الملائكة ﴿ بِأَسْمٰائِهِمْ ﴾ أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام ﴿ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ ﴾ عرفوها أخذ عليهم العهد والميثاق بالإيمان بهم والتفضيل لهم، قال الله تعالى عند ذلك: ﴿ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ﴾ سرهما ﴿ وَأَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ما كان يعتقده إبليس من الإباء على آدم إذا أمر بطاعته وإهلاكه إن سلط عليه، ومن اعتقادكم أنه لا أحد يأتي بعدكم إلا وأنتم أفضل منه، بل محمد وآله الطيبون أفضل منكم الذين أنبأكم آدم بأسمائهم.(١)

روى الطبرسي بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: وهل شرّفت ملائكة الله إلا بحبّها لمحمد وعلي، وقبولها لولايتهما؟... فلما عرف الله ملائكته فضل خيار أمة محمد صلّى الله عليه وآله وشيعة علي وخلفائه عليهم السلام عليهم، واحتمالهم في جنب محبة ربهم ما لا يحتمله الملائكة أبان بني آدم الخيار المتقين بالفضل عليهم ثم قال: فلذلك فاسجدوا لآدم لما كان مشتملا على أنوار هذه الخلائق الأفضلين.(٢)

وما أكّد عليه في هذه الروايات هو ما يستفاد من ظهور الآية من أنّ تفضيل آدم على الملائكة وعلّة سجودهم له هو كونه وعاء لهذه الأسماء، التي هي سمات وعلامات ودلائل ومقامات لأشخاص مقرّبين في الخلقة الإلهيّة.

ثمّ إنّ آدم لمّا صار مُنبئاً لهذه الأسماء ودالاً عليها، اُدرج في سلسلة الأسماء الإلهيّة، فإنّه إسم وآية ودالّ على أسماء هؤلاء الأشخاص ومقاماتهم الذين هم

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١١ / ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١١ / ١٣٦ ـ ١٣٨ / ١.

أسماء لعظمة الله وقدسيّته. ومن أجل ذلك جعل السجود له سجوداً لله وطاعته طاعة الله ومحبّته محبّة الله، أي ليس لديه شأن إلا وهو دالّ علىٰ الله تعالىٰ فهو إسم من أسمائه تعالىٰ. لكن إسميّته إنّما تأتي في المرتبة المتأخّرة عن أولئك الأشخاص الذين شرّف آدم وعظّم لتعلّمه أسمائهم، فهو إسم الإسم، أو إسم الإسم الإسم. وإلىٰ ذلك تشير الروايتين:

روى الطبرسي في الإحتجاج في جواب مسائل الزنديق عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأل أيصلح السجود لغير الله؟ قال: لا. قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود؟ فقال: **إنّ من سجد بأمر الله فقد سجد لله، فكان سجوده لله إذ كان عن أمر الله.**[1]

روى الحرّاني في تحف العقول عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: **إن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم، وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم.**[2]

فآدم عليه السلام صار من جملة أسماء الله تعالى حيث صار السجود له سجوداً لله وطاعته طاعة لله ومحبّته محبة الله، أي ليس عنده شأن إلا وهو دالّ على الله فهو آية لله تعالىٰ ومحبّته سمة لمحبّة الله وطاعته دالّ علىٰ طاعة الله. وإنّما جعل آدم من جملة أسماء الله لتعلّمه وتحمّله لأسماء أولئك المقرّبين في الخلقة وإنبائه الملائكة بها، أي إنّه دالّ ومنبئ عن أسماء الله المقرّبين فهو إسم وآية وسمة لأسماء هؤلاء الأشخاص الذين هم أسماء الله تعالىٰ.

روى الصدوق في العيون عن أبي الصلت الهروي، عن الرضا،

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١١ / ١٣٨ / ٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١١ / ١٣٩ / ٤.

عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **إن الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك** ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ: **ثم إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون؟** الخبر.(١)

ولاينافي ما يستفاد من ظهور الآية وأكّد عليه في الأخبار من كون الأسماء هي أسماء المقرّبين في الخلقة، ما ورد من أنّ الأسماء هي أسماء الأرضين والجبال والأودية، كالذي رواه العيّاشي عن أبي العباس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

سألته عن قول الله: ﴿ وَ عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا ﴾ ماذا علّمه؟ قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية. ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علمه.(٢)

وذلك لما مرّ من وجود الإشتقاق بين الأسماء الإلهيّة، فإنّ بعض الأسماء إنّما تدلّ علىٰ بعض آخر بل بعضها تكون مشتقّة من شعاع نور بعض الاسماء الأخر، وما من مخلوق إلا وهو آية لله تعالىٰ، لكنّها قد تكون آية عبر سلسلة الأسماء تنتهي إلى الأسماء العظمىٰ، وليست الأرضين والجبال والأودية والشعاب وغيرها إلاّ آيات لله تعالىٰ، وليست آيتيّتها إلا بعد توسّط الآيات العظمىٰ والأسماء العليا

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١١ / ١٣٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١١ / ١٤٧/ ١٨.

التي تعدّ تلك الأشياء شأناً من شؤونها وشجنة من شجونها. ثمّ إنّه إذا وقف أحد على الإسم الأعلى فلا محالة يقف علىٰ ما تحته من سائر الأسماء التي هي منشقّة منه ومشتقّة عنه، ويقف أيضاً علىٰ ما هو من شؤونه ومن شعاع وجوده، فإنّ من وقف علىٰ مبدأ الأنوار ومصدرها فهو واقف لامحالة علىٰ شعاعها ومشتقّاتها. بل إنّ هذه المعرفة أقوى وأثبت وأشرف، لأنّها من قبيل معرفة العالي بالداني.

الخامسة : تذليل كلّ شيء لإسم الله

واسم الله هو المتبوع دوماً، ويخضع له ويذلّ له كل شيء، ومن ذلك صار آدم مسجوداً للملائكة وأوجب الله تعالى عليهم أن يذلّوا له رقابهم ويطيعوا أمره، فإنّه بتعلّمه لتلك الأسماء وإنبائها للملائكة صار إسماً وآية ودالاً علىٰ تلك الأسماء، فأدرج في سلسلة الأسماء، ومن هنا صار متبوعاً للملائكة وفُرض عليهم أن يسجدوا له ويطيعوه في كلّ صغيرة وكبيرة. وكلّما ارتفع أحد في اسميّته وآيتيّته لله تعالىٰ وتمحّض فيها وخلص نفسه عن الشوائب التي لاتدلّ علىٰ الله، كلّما تشتدّ قدرته ونفوذه وسيطرته في ما دونه من المخلوقات، وقد ورد:

«من اتّقى الله يُتّقى ومن أطاع الله يُطاع».[1]

السادسة : المعرفة صنع الله وليس للعباد فيها صنع

صرّح في الروايات انّ معرفة الله إنّما هي من صنعه تعالىٰ وليس للعباد فيها صنع، فهو الذي يدلّ العباد على ذاته ويعرّفهم نفسه. فإنّه لو كان الله تعالى يعرَّف بغيره لزم منه أن يكون ذلك المعرِّف أعرف وأظهر منه تعالى الله عن ذلك علوّاً

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٦٦/٧٥.

كبيراً، كما قال الإمام الحسين صلوات الله عليه في دعاء عرفة:

«كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهِر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك، ولا تزال عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيبا».[1]

وهذا برهان منه عليه السلام على امتناع واستحالة كون المعرّف للذات القدّوس غيره. فإنّ ما يزعم أنّه المعرِّف لله لايخلو من أن يكون ظاهراً ونوراً في نفسه أو غير ظاهر وخفي وظلماني في نفسه، فإن كان مظلماً خفيّاً فكيف يمكن أن يكون مُظهِراً لغيره مع خفاه في نفسه وظلمته في حدّ ذاته، وإن كان نورانيّاً ظاهراً في حدّ ذاته فيسئل من أين أتى بهذا الظهور والنور؟

فإن كان هذا النور والظهور من قِبَل نفسه مستقلاً عن الله جل جلاله فهذا عين الشرك بالله، لفرض وجود نور وظهور مستقلّ في عرضه تعالى. فلايبقىٰ إلا أن يكون الله تعالىٰ هو المنوِّر والمظهِر له ويكون نوره وظهوره من الله تعالىٰ، وعليه يكون هو تعالى معرِّفاً ومظهِراً لنفسه بتوسّط هذه الواسطة، فهي إنّما تكون آيةً وإسماً له جل جلاله، لامعرِّفاً ومُظهِرا.

مع أنّ المعرِّف لابدّ وأن يكون أجلىٰ وأظهر من المعرَّف، فلو كان هناك ما يعرِّف الذات القدّوس بذاته يلزم منه أن يكون هو أنور وأظهر وأبهر منه تعالى، كي يمكن أن يُظهِر وينوِّر ذاته القدّوس، فعاد هذا المُظهِر إلهاً والمُظهَر مألوهاً.

فما هو الفقير في وجوده إلى الله كيف يمكن أن يكون مُظهِراً له جلّ شأنه،

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦٤ / ١٤٢، و٩٥ / ٢٢٥.

فضلاً عن فقره في كمالاته النوريّة؟

وروى الكليني في الصحيح عن محمد بن حكيم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المعرفة من صنع من هي؟ قال: «**من صنع الله، ليس للعباد فيها صنع**».[١]

وروى أيضاً عن عبد الاعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: فقال: لا، قلت: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: لا، **على الله البيان ﴿ لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا ﴾**[٢] **﴿ لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ مٰا آتٰاهٰا ﴾**.[٣]

فمعرفة الله تعالىٰ ليس في وسع البشر، إنّما الله هو الذي يعرّف نفسه والمخلوق إنّما ينفعل و يتأثّر بتعريف الله فيفهم و يدري ويعرف ربّه، ثمّ يأتي دور العباد وهو القبول والإذعان بهذه المعرفة التي أحدثها الله في قلوبهم، فقد روىٰ الصدوق في الصحيح عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«ليس لله على خلقه أن يعرفوا قبل أن يُعرِّفهم، وللخلق على الله أن يُعرِّفهم، ولله على الخلق إذا عرَّفهم أن يقبلوه».[٤]

وما إن أذعنوا وسلّموا إلا و يزيد الله في معرفتهم و هدايتهم كما قال: **﴿ وَ يَزِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً ﴾**[٥]. ومن هنا يمكن أن يقال إنّ أداة المعرفة التي هي في

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٦٣ / ٢.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) الطلاق: ٧. الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٦٣ / ٥.

(٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٤١٢ / ٧.

(٥) مريم: ٧٦.

وسع العباد ـ والذي لايسعهم تركها وعدم الإعتناء بها ـ هو قبول الهدايات الإلهيّة والإذعان للمعرفة التي أحدثها الله في قلوبهم، ثمّ يضاعف الله هذه المعرفة مرّة بعد أخرىٰ طبقاً لسنّته السنيّة التي قال فيها: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم ﴾[1].

وروى أيضاً في الصحيح عن منصور ابن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **إني ناظرت قوما فقلت لهم: إن الله جلّ جلاله أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يعرف بخلقه بل العباد يعرفون بالله، فقال: رحمك الله».**[2]

وروى أيضاً بسنده عن علي ابن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: **«سئل أمير المؤمنين عليه السلام: بم عرفت ربك؟ قال: بما عرفني نفسه...»**[3].

وروى أيضاً بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن المعرفة أهي مكتسبة؟ **فقال: لا،** فقيل له: فمن صنع الله عز وجل ومن عطائه هي؟ قال: **نعم، وليس للعباد فيها صنع، ولهم اكتساب الأعمال...**[4]

روى أيضاً بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى، وسؤاله عن أبي بكر فتحيّر في جوابه، ثم أرشد إلى أمير المؤمنين

---

(١) ابراهيم: ٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٨٦ / ٣.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٨٥ / ٢.

(٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٤١٦ / ١٥.

علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن مسائله فأجابه عنها، وكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عرفت الله بمحمد، أم عرفت محمدا بالله؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: **ما عرفت الله عز وجل بمحمد صلّى الله عليه وآله ولكن عرفت محمدا بالله عز وجل، حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرفت أنه مدبّر مصنوع باستدلال وإلهام منه وإرادة، كما ألهم الملائكة طاعته وعرّفهم نفسه بلا شبه ولا كيف.** والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.(١)

وفي دعاء الصباح: لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام: **«يا من دل على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته».(٢)**

دور الآيات والأسماء في المعرفة

ثمّ إنّه قد يستظهر التنافي بين هذه الطائفة من الأدلّة، وبين ما دلّت علىٰ لزوم التفكّر في آيات الله تعالىٰ، وأنّها هي التي تدلّ علىٰ الله، وكذا ما ورد من أنّ الله إنّما يعرف بأسمائه التي خلقها وسيلة بينه و بين خلقه، وستأتي جملة من تلك الأدلّة، والبراهين العقليّة التي تقام لمعرفة الله جلّ جلاله، والتي قد احتجّ بها النبي الأكرم وخلفاؤه الهادون عليهم السلام علىٰ الملحدين فأفحموهم بها، وغيرها ممّا ورد في القرآن والروايات بكثرة كاثرة.

فإن كانت المعرفة من صنع الله وليس للعباد فيها صنع ـ كما هو صريح تلك الطائفة من الروايات ـ فكيف أمرنا بالنظر في آيات الكون وعجائب الخلق وبالتفكّر والتدبر فيها، وكيف جعل الأسماء التي هي مخلوقة محدثة طرقاً

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣ / ٢٧٢ / ٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٤ / ٣٣٩ / ١٩.

لمعرفته تعالىٰ والتوجّه نحوه، أفهل يكون لنا صنع في المعرفة أم ماذا؟

هو الدال بالدليل عليه والمودّي بالمعرفة إليه

والجواب: أنّه لو كانت الآية مستقلّة في دلالتها علىٰ الله تعالىٰ لزم منه الشرك وحصول المعرفة من دون صنعه تعالىٰ، وأما لو كانت مجعولة من قبله تعالىٰ وغير مستقلّة عنه فلا يلزم ذلك، وليست هذه المعرفة خارجة عن كونها صنع الله. فإنّ صنعه تعالى هو فعله وتصرّفه، ولما كانت الآية بجعل منه تعالىٰ فهي تكون صنعه وفعله، وتكون معرفته بالآيات معرفة بصنعه تعالىٰ. ولو لم يكن منه تصرّف وفعل لن يستطيع المخلوق أن يعرف ربّه، وذلك لأنّ فرض حصول معرفة من دون إرادته وتصرفه تعالىٰ يلزم منه مقهوريته للعارف، فالعارف يقهر إرادته على إرادة المعروف فيعرفه حتىٰ لو لم يرد المعروف ذلك، وهذا عين نسبة النقص والعجز إليه تعالىٰ الله عنه علواً كبيراً.

فليس هناك طريقاً لمعرفة الله إلا تعريفه نفسه، غاية الأمر أنّه تعالىٰ قد جعل لهذا التعريف أسباباً، وهذا لايخرج الفعل عن كونه صنع الله تبارك وتعالىٰ. بل إنّ معرفة الله بالله لاتعني إلاّ معرفته بصنع الله، فإنّ التعريف بنفسه فعل حادث وصنع لله تعالىٰ، إذ لو لا تصرّف وإرادة منه لما كان في وسع البشر معرفته، وهذا التصرّف والفعل يكون آية وإسماً و دالاً عليه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: **﴿وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** فنفس حمله تعالىٰ إياهم في الفلك الذي هو فعل من أفعاله و تصرّف من تصرّفاته يكون آية لله تعالىٰ. قال مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا من دلّ علىٰ ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته».[1]

---

(١) دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام: بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٨٤ / ٣٣٩.

دلّ الحديث الشريف علىٰ أنّ معرفة الذات لاتتيسّر إلا بدلالة الذات علىٰ الذات، و نفس هذه الدلالة التي هي فعل منه تعالىٰ تكون آية و دالاً على الذات الأحديّة، والفعل الإلهي كما يمكن أن يكون من دون واسطة كذلك قد يكون بوسائط، وتوسّط الوسائط إذا كان بجعل منه تعالىٰ لايخرج الفعل عن كونه فعلاً لله تعالىٰ.

فظهر أنّه وإن كان هناك آيات وأسماء وعلامات تتوسّط في معرفة الله، إلا أنّ هذه الآيات والأسماء إنّما تكون من جعله نفسه، فهو الذي خلق الآية، وجعلها آية لنفسه القدّوس، ثمّ لم تزل قائمة بعين الله وموجودة، وهو الذي هدىٰ إلى الآية وإلى آيتيّته ودلالته، وهو الذي نوّر قلوب عباده بنور العقل والفهم ولايزالون محتاجين إلى بقاء فيضه لكي يبقوا عقلاء فاهمين، وقد أرسل أنبيائه ورسله ليثيروا للناس دفائن عقولهم ويذّكروهم بما نسوه من نعم الله، ولولا هذا الإرسال و التذكير والإثارة لكان الإنسان ضالاً كالبهائم.

فليس للمخلوق أي شأن في معرفة الله بإستقلاله، وإنّما هو يعرّف نفسه بهذه الوسائط، وذلك لإبائه عزّوجل أن يجري الأمور إلا بأسبابها[١]، لكنّ الأسباب إنّما صارت أسباباً بلطفه[٢] فمن ثمّ يكون هو المعرِّف لذاته القدّوس عبر هذه الآيات والوسائط. ومن هنا تكون أسماء الله توقيفيّة وليس للعباد أن يسمّوا ربّهم من عند أنفسهم، سواء في ذلك الأسماء اللفظيّة أو التكوينيّة، وذلك أنّ الإسم إذا لم يكن بجعل منه تعالىٰ فهو لا يدلّ علىٰ المسمّىٰ ولايكون سمة وآية له، إذ فرض دلالته علىٰ المسمّىٰ من دون إرادته يلزم منه الشرك ونسبة العجز إليه تعالىٰ وكونه مقهوراً لإرادة العارف.

---

(١) عن أبي عبد الله عليه‌السلام: «أبى الله أن يجرى الأشياء إلا بالأسباب» الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٨٣.

(٢) كما ورد في الدعاء عن أبي الحسن العسكري عليه السلام: «تسبّبت بلطفك الأسباب» بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩٢ / ٢٢٩.

وقال عليه السلام:

«دليله آياته، ووجوده إثباته... هو الدال بالدليل عليه، والمؤدّي بالمعرفة إليه»[١]

فمع أنّ الإمام عليه السلام يقرّ بوجود آيات ودلائل على وجوده تعالى وأنّه إنّما يعرف بها، إلا أنّه يؤكّد علىٰ أنّ الله تعالىٰ هو الذي يدلّ بهذه الآيات والدلائل على نفسه، ويؤدّي بالمعرفة إلى ذاته، فليس الدالّ علىٰ الذات سوىٰ ذاته القدّوس، وليس المؤدّي للمعرفة سواه، لكنّه قد سبّب بلطفه بعض الأسباب والآيات في دلالته و إرادته نفسه. وروىٰ الصدوق بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام قال في حديث:

«يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه... معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال».[٢]

فحينما أكّد عليه السلام علىٰ معرفته تعالىٰ بتعريف نفسه، بيّن أنّ سبيل ذلك إنّما هي آياته وعلاماته، فالايات بما أنها من جعله تعالىٰ فتوسيطها لاينافي كون المعرّف للذات القدّوس نفسه تعالىٰ.

وروىٰ أيضاً بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث: **«الحمد لله الملِهم عباده الحمد، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله، وبأشباههم على أن لا شبه له، المستشهد آياته على قدرته».**[٣]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ٢٥٣ / ٧.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٧٩.

(٣) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٥٦.

فإنّما يستدلّ علىٰ الله تعالىٰ بخلقه وصنعه ويستشهد عليه بآياته، وذلك لايخرج معرفته عن أن تكون من صنعه تعالىٰ.

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام في مناجاة المريدين:

«سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله».(١)

فهناك طرق وسبل لمعرفة الله والوصول إليه تعالىٰ، إلا أنّه تعالىٰ هو الذي يدلّ عباده علىٰ الطرق ويهديهم السبل، فهو الموصِل عباده إليه عبر هذه السبل والطرق.

وروى الصدوق بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه تكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد قال:

«...بصنع الله يستدلّ عليه وبالعقول تعتقد معرفته وبالفطرة تثبت حجته... فأسماؤه تعبير وافعاله تفهيم... بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف ان لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف ان لاقرين له...».(٢)

فالإستدلال على الله إنّما يكون بصنعه تعالىٰ، فليس الدالّ على الله ما هو مستقّل الذات عنه كي يلزم منه أنوريّة المعرَّف من المعرِّف، بل هو الدالّ بصنعه عليه. ثم حكم عليه السلام بكون أسماءه تعالىٰ تعبير أي: يعبر عنها للوصول إلى الله تعالىٰ، فهي الوسائط في المعرفة ولايعرف الله إلا بها، لكنّها جميعاً من جعله تعالىٰ، وليس لها ما يستقلّ به عن الله عزوجل. ثمّ بيّن عليه السلام بعض النماذج

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩١ / ١٤٧.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام، الشيخ الصدوق: ٢ / ١٣٥ / ٥١.

من تعريف الله نفسه لعباده، فبتشعيره المشاعر وتجهيره الجواهر عرف أن ليس له مشعر ولاجوهر، أي أنّ المعرفة هذه إنّما تحدث بصنع من الله تعالىٰ، وهو تشعير المشاعر وتجهير الجواهر.

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في التوحيد رواها السيّد في نهج البلاغة وغيره أنّه قال:

«... بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له... لا يشمل بحدّ، ولا يحسب بعدّ، وإنما تحدّ الأدوات أنفسها... بها تجلّىٰ صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون».[1]

قوله عليه السلام: **«بها تجلّىٰ صانعها للعقول»** صريح في أنّ تجلّي الله تعالىٰ الذي ليس سوىٰ وجدان العارف ومعرفته لله وظهوره له،[2] إنّما يكون بمصنوعاته وآياته، فهي الوسط في التجلّي والظهور، والصانع إنّما يتجلّىٰ للعقول بمصنوعاته وآياته وأسمائه، وهذه الوساطة لاتخرج المعرفة والتجلّي عن أن يكون بصنع الله وفعله، ومن هنا أسند التجلّي إلى نفسه تعالىٰ.

وهذه الخطبة قد رواها الحرّاني، وفيها زيادة:

«بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول تعتقد معرفته، وبالفكرة تثبت حجته، وبآياته احتجّ على خلقه... أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم... بتشعيره المشاعر علم أن لا مشعر له . وبتجهيره الجواهر علم أن لا جوهر له، و بإنشائه البرايا علم أن لا منشئ له، وبمضادّته بين الأمور

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة ١٨٦.

(٢) سيأتي بعض الكلام في معنىٰ التجلّي.

عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء علم أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة والصرد بالحرور، مؤلّفاً بين متعادياتها، متقارباً بين متبايناتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، جعلها سبحانه دلائل على ربوبيته، وشواهد على غيبته، ونواطق عن حكمته، إذ ينطق تكونهن عن حدثهن، ويخبرن بوجودهن عن عدمهن، وينبئن بتنقيلهن عن زوالهن، ويعلن بأفولهن أن لا أفول لخالقهن، وذلك قوله جل ثناؤه: ﴿ وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون ﴾[1] ففرّق بين هاتين قبل وبعد؛ ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، دالّة بتفاوتها أن لا تفاوت في مفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض؛ ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها... بها تجلّىٰ صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبتت العبرة، ومنها أنيط الدليل، بالعقول يعتقد التصديق بالله وبالإقرار يكمل الايمان...».[2]

فترىٰ بالغ تأكيد الإمام عليه السلام في هذه الخطبة الشريفة علىٰ أنّ المعرفة وإن تحصل بالأسباب والوسائط، إلا أنّها جميعاً تكون بجعله تعالىٰ وصنعه و فعله، فهو تعالىٰ قد شعّر المشاعر وأنشأ البرايا وضادّ بين بعض الأمور وقارن بين بعضها الأخرىٰ وألّف بينها، وهو الذي جعلها دلائل علىٰ ربوبيّته، ثمّ هو الذي أعطىٰ للإنسان ما يفهم به هذه الآيات وآيتيّتها ودلالتها، وبها تجلّى للعقول، وليس المتجلّي سوىٰ ذاته القدّوس، وقد تجلّىٰ بصنعه وفعله للعقل الذي ليس

---

(١) الذاريات: ٤٩.

(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٦٣ ـ ٦٧.

إلا من وهبه وعطاه. فالمتجلّي هو الله تقدّس عزّه، والمتجلّىٰ له هو العقل الذي ليس إلا من وهبه وفعله، وما تجلّىٰ به هو صنعه و آيته، فأين لغيره تعالىٰ دخل في حصول هذه المعرفة؟

إراءة الآيات

ومن هنا نرىٰ الحثّ البالغ في آيات القرآن علىٰ أنّ من شؤون الذات الربوبية تقدّس عزّها هي اراءة آيات الكون وما يستدلّ بها علىٰ الله تعالىٰ، فما كان العباد يرون تلك الآيات لولا إراءته سبحانه، وإنّ الله هو الذي يُري عباده آياته وليس العباد هم الذين يرون تلك الآيات دون عمد واراءة من الله تعالىٰ، فهي اراءة وليست رؤية من دون الإراءة، والرؤية ما كانت لتتحقّق لولا تلك الإراءة، نظير قوله عزّوجلّ:

﴿ سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَ في أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾.[١]

وقال تعالىٰ:

﴿ وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها ﴾[٢].

وقال في فرعون وقومه:

﴿ وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَ أَبى ﴾[٣].

﴿ وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها ﴾[٤].

وقال في ذكر جملة من آياته في البرّ والبحر والفلك والسماء والسحاب

---

(١) فصلت: ٥٤.

(٢) النمل: ٩٣.

(٣) طه: ٥٦.

(٤) الزخرف: ٤٨.

والبرق، وما أنزل من السماء وإحياء الأرض بعد موتها وغيرها من الآيات، أنّه ما كان الإنسان يراها و يعرف آيتيّتها ودلالتها ما لم يتعمّد الباري تعالىٰ إراءتها، ويتعمّد بهدايته إليها، فالعباد ما كانوا ليهتدوا إلىٰ الله تعالىٰ عبر هذه الآيات لولا أن هداهم الله إليها، فقال عزّوجلّ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[١].

﴿ هُوَ الَّذي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ ﴾[٢].

﴿ وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٣].

﴿ هُوَ الَّذي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَ ما يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ ﴾[٤].

﴿ فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٥].

﴿ وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ فَأَيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾[٦].

﴿ خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[٧].

بل حتىٰ الأنبياء والمُرسلين ليسوا هم الذين يرون الآيات ما لم يتعمّد الله تعالىٰ بارائتها لهم، كما قال عزّوجلّ:

﴿ سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذي بارَكْنا

---

(١) لقمان: ٣١.

(٢) الرعد: ١٢.

(٣) الروم: ٢٤.

(٤) غافر: ١٣.

(٥) البقرة: ٧٣.

(٦) غافر: ٨١.

(٧) الأنبياء: ٣٧.

حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا ﴾[١].

﴿ وَ كَذٰلِكَ نُري إِبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنينَ ﴾[٢].

روى القمّي في كامل الزيارات بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَ في أَنْفُسِهِمْ ﴾[٣]: فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق، وقال: ﴿ وَ ما نُريهِمْ مِنْ آيَةٍ إلاّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها ﴾[٤] فأيّ آية أكبر منّا.[٥]

فهي إراءة من الله، وما كان العبد ليَرىٰ لولا تلك الإراءة، فليست المعرفة إلا من صنعه تعالىٰ وليس للعباد فيها صنع، وهو لاينافي توسيط الآيات والأسماء بوجه من الوجوه، لأنّ إراءة الآيات ليست إلا من صنعه وفعله. وقد ظهر أنّه ليس للمعرفة إلا سبيل واحد وهو معرفة الله بالله وإنّها لاتنافي توسّط الآيات والأسماء، فالمعرفة بالآيات هي عين المعرفة بالله، كما أن معرفة الذات بالذات عين معرفته بالآيات والأسماء.[٦]

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) فصلت: ٥٤.

(٤) الزخرف: ٤٨.

(٥) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ٥٤٣.

(٦) ثمّ إنّه قد تقاس معرفة الله بالآيات والأسماء بما يسمّىٰ بالعلم الحصولي، حيث انّ المعلوم بالذات في العلم الحصولي إنّما هو الصور الحاصلة لدى النفس، والنفس ليس لها طريق إلىٰ الخارج من دون وساطة هذه الصور.

لكنّ القياس مع الفارق؛ إذ تكون الصور في العلم الحصولي حاجباً و صاداً عن رؤية الواقع و ذي الصورة، فلو لم يكن لنا علم بالواقع من غير طريق الصور لما أمكن الحكم بمطابقة هذه الصورة مع

←

لا يدرك المخلوق شيئاً إلا بالله

رویٰ الصدوق بسنده عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«اسم الله غير الله، وكلّ شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله، فأما ما عبرت الألسن عنه أو عملت الأيدي فيه فهو مخلوق... ومن زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأن الحجاب والمثال والصورة غيره، وإنما هو واحد موحد، فكيف يوحد من زعم أنه عرفه بغيره، إنما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه

← ذيها، بل حتى إحتمال مطابقتها مع الواقع متوقّف علىٰ العلم بوجود إحتمال الواقع من غير طريق الصور. ومن هنا لو كان طريق العلم بما وراء النفس منحصراً بالصور الحاصلة، لم يكن لنا الحكم بوجود واقع وراء الصور فضلاً عن إحتمال مطابقتها للواقع، وذلك انّ العلم بتطابق شيئين أو احتمال هذا التطابق فرع العلم بوجود شيئين أو العلم باحتمال وجودهما. هذا شأن العلم الحصولي البشري الذي لايختلف في جوهره عن السفسطة بل أخس من ذلك.

وأمّا في المعرفة بالآيات فليست الآيات صاداً عن ذي الآية بل دالاً عليه، وليس المعلوم والمعروف هو الآية والإسم، بل المعروف هو المسمّىٰ و ذو الآية، وإنّما دور الآية هو الدلالة عليه. وبالجملة ليست الآيات صوراً عن الله تعالىٰ كي نحتاج في الحكم بتطابقها معه من العلم بذي الآية من غير طريق الآية كما كان في العلم الحصولي، حاشا لله أن تكون له صورة أو مثال. بل ليست الآية إلاّ من أفعال ذو الآية التي بها يعرّف نفسه لعباده.

فالفرق بين المعرفتين في غاية الوضوح؛ ففي العلم الحصولي لاينظر إلا إلى الصورة الذهنيّة وهي المعلوم بالذات والإستقلال، ثمّ يدّعىٰ تطابقها مع الواقع مصادرة. ولكن في المعرفة بالآيات انما ينظر ويعرف ذو الآية بتوسّط الآية، فليست هناك صورة عن الواقع، بل آيةً ودالاً على الواقع، والنظر لا يكون إلا إلىٰ الواقع دون صورة الواقع. نعم دلالة الصور الذهنيّة علىٰ وجود صانع لهذه الصور ومبدع لها تكون من قبيل معرفة ذو الآية بآيته، وهي لاتكون بالصور، فإنّ الصورة الذهنيّة ليست صورة عن صانعها، بل معرفة الصانع والفاعل تكون بصنعه و فعله الذي هو الصورة الذهنيّة.

به فليس يعرفه، إنما يعرف غيره، والله خالق الأشياء لا من شيء، يسمى بأسمائه فهو غير أسمائه والأسماء غيره، والموصوف غير الواصف، فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضال عن المعرفة، لا يدرك مخلوق شيئاً إلا بالله، ولاتدرك معرفة الله إلا بالله، والله خلو من خلقه، وخلقه خلو منه...».[1]

بيّن عليه السلام أنّ معرفة الله لاتمكن إلا بالله، فمن زعم أنّه يعرف الله بغيره فهو مشرك، حيث التزم بوجود مالك مستقلّ في عرضه تعالىٰ يكون له شأن التعريف والإراءة للذات الأحديّة جلّ عن ذلك، بل هو الخالق لجميع الأشياء من لاشيء. وحينما نفىٰ عليه السلام إمكان وجود معرّف، أو حجاب، أو صورة يعرف بها الله، أكّد علىٰ أنّ ذلك لايؤدّي إلىٰ القول بالتعطيل وامتناع المعرفة للعبد، فقال: «**فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضال عن المعرفة**» أي: أنّ باب المعرفة غير مسدود، ثمّ بيّن أنّ طريق المعرفة إنما هو تعريف الله نفسه، كما أنّ معرفة المخلوق بسائر الأشياء أيضاً لاتكون إلا بالله تعالىٰ؛ لأنّه تعالىٰ نور السماوات والأرض، ولاعلم ولامعرفة إلا به تعالىٰ، فهو القابض والباسط لنور العلم. ولكن ذلك كلّه لاينافي أن يتوسّط في إيصال النور إلىٰ الخلق بعض الوساطات كما أفصح عنها في آية النور. فكما أنّ الله لايعرف الا بالله، كذلك المخلوقات أيضاً لايعرفون إلا بالله الذي هو نور السماوات والأرض أي: هاديها ومنوِّرها، كما مرّ بيان ذلك.

ومنه يظهر أنّ المراد من قوله عليه السلام: «**من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك**» هو من زعم أنّ الحجاب أو الصورة أو المثال يعرّف

---

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٤٢.

الله بذاتها من دون جعله تعالىٰ، فإنّها حينئذ لا تعدّ من آيات الله ولا من أسمائه، بل صورة ومثالاً وصنماً فيكون شركاً. وذلك؛ لأنّ دعوة الإسم والإقبال عليه لاتكون شركاً حينما لم تحمل سوىٰ الربط بالمسمّىٰ والدلالة عليه، أما لو كان منقطعاً عن المسمّىٰ، وغير دال عليه فسوف يكون صنماً من الأصنام يحجب الناس عن ربّهم. ولذا ترىٰ المعصومين عليهم السلام قد بالغوا في تبيين أنّ الأسماء غير المسمّىٰ، وأنّه لاتُعبد الأسماء، إنّما يعبد المسمّىٰ بدلالة أسمائه عليه، حيث لو انتفت هذه الدلالة تكون عبادة الأسماء شركاً. فالفرق بين أسماء الله ـ حيث تكون معرفة الله بها عين التوحيد ـ وبين الأصنام ـ التي يكون التوجّه إليها عين الشرك ـ هو أنّ الأوّل مجعول لله، وقد اصطفاه لنفسه فجعله سمة وآية ووجهاً لذاته المقدّسة، ومن هنا يوجّه العباد إلىٰ الله، دون الثاني الذي هو منقطع عن الله تماماً ولا يرتبط به ولايوجّه العباد إلا إلىٰ نفسه، ومن هنا تكون أسماء الله توقيفيّة.

وقد نبّه علىٰ هذا الأمر الإمام الثامن عليه السلام في مناظرته مع عمران الصابي حيث قال:

«لأن الله عزّوجل وتقدّس تدرك معرفته بالصفات والأسماء... فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدلّ عليه وأسماؤه لا تدعو إليه، والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه، كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلولا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله تعالى، لأن صفاته وأسماءه غيره».[1]

فجعل الحجاب والآية والإسم إذا كان من الله تعالىٰ فلايعدّ شركاً بل هو عين التوحيد، ولاسبيل لمعرفة الله دونه، كما أنّ جعل الوساطات في قبض الأرواح

---

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٤٣٧.

وبسط الأرزاق وتقدير الأمور، لايعدّ شركاً؛ لأنّها جميعاً من جعله سبحانه.

المعرفة بالإحاطة والمعرفة بالمحاطيّة

ثمّ إنّ هناك جملة من الفوارق بين معرفة الله تعالىٰ، وبين معرفة سواه من المخلوقات الدانية ـبعد إشتراكهما في كونهما جميعاً بالله تعالىٰـ:

الأوّل: انّ العارف في معرفته لما هو مثله ـفي الفقر إلى القيّوم وفي الظلمة وعدم الظهورـ إنّما يحيط بالمعروف بقدر علمه ومعرفته، وكلّما ازداد علم العارف، كلما ازادادت إحاطته بالمعروف والمعلوم. لكن العارف في معرفة الله تعالىٰ ليس له أن يحيط بالمعروف أبداً، بل المعروف هو المحيط بالعارف و بعلمه و معرفته، فالعارف في الحالة الأولىٰ محيط بالمعروف، وفي الثانية محاط به من قبل المعروف.

ومن هنا تمتنع معرفته تعالىٰ بالحسّ والوهم والتصوّر؛ لأنّها جميعاً إنّما تجعل العارف محيطاً بالمعروف، والله تعالىٰ لايحيط به شيء من الحواس والأوهام والتصوّرات وغيرها.

الثاني: إنّ أمر المعرفة في المعرفة بالإحاطة إنّما تكون بيد العارف، بالعلم والقدرة التي ملّكه الله تعالىٰ، وليس للمعروف أن يمنع العارف عن حصول هذه المعرفة. فقد لايريد أحداً أن يُعرَف، لكن إرادة العارف تغلب إرادته فيصبح معروفاً قهراً، فإرادته مقهور لإرادة العارف.

لكن الأمر علىٰ عكس ذلك تماماً في المعرفة بالمحاطيّة، فإنّ العارف فيها هو المقهور والمنفعل المحض، فلو لم يرد المعروف أن يعرفه العارف فلن يستطيع ذلك أبداً، كيف وأنّىٰ له ذلك؟ وليس له بنفسه نور وظهور وعلم ومعرفة، بل جميع ذلك إنّما جاء من قِبَل المعروف المتعال.

وكذلك لو أراد الله تعالىٰ أن يعرفه أحد من خلقه، فهو يعرفه شاء ذلك أم أبىٰ، كما حكىٰ الله حال المشركين المستكبرين حين يأخذهم بالبأساء والضرّاء، كيف يضلّ من يدعونه إلا الله فيدعونه مخلصين له الدين، مع أنّهم ما أرادوا أن تحصل لهم هذه المعرفة بتاتاً.

فالعارف في معرفة الله ليس إلا المنفعل والمتأثّر والمقهور لإرادة الله تعالىٰ، وليس له أن يعرف ربّه إلا إذا شاء الربّ ذلك وأذن له.

الثالث: مهما تزداد معرفة العارف في المعرفة الإحاطيّة، يكثر سكونه ويقلّ شوقه وولهه إلىٰ المعروف، فقد يكون الإنسان مشتاقاً ووالهاً لأن يعرف أمراً من الأمور، لكن بعد الوقوف عليه يسكن ذلك الشوق والْوَلَه، وكلما ازدادت إحاطته بالمعروف يشتدّ عنده هذا السكون والطمأنينة.

لكن العارف في المعرفة بالمحاطيّة كلما تزداد معرفته، كلّما يزداد شوقه و وَلَهُه، فإنّ السكون والطمأنينة من آثار الإحاطة بالشيء، وكلّما تكثر الإحاطة يكثر السكون، والعارف في معرفة الله لاينفتح عليه باب من المعرفة إلا ويشهد من إحاطة ربّه عليه ما لم يكن يجده سابقاً، ويرىٰ نفسه محاطاً للمعروف وليس له حظّ من الإحاطة، فيكثر شوقه و وَلَهه إلىٰ الله تعالىٰ، ومن ثمّ يكثر شوقه لمناجاته وتملّقه وتسبيحه وتقديسه. فمعرفته تعالىٰ تكون معرفة وَلَهيّة وليست معرفة إحاطيّة، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملائكة ومعرفتهم بالله تعالى:

> **«قطعهم الإيقان به إلى الوَلَهِ إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره، قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الرويّة من محبّته».[1]**

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة: ٩١.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في وصفهم أيضاً:

«اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك، ولا يسأمون من تقديسك... ولا يغفلون عن الوَلَهِ إليك».[(١)]

فمعرفة الله تعالىٰ إنّما تكون معرفةً بالوَلَه والشوق والتحيّر، لأنّ العارف يجده ويعرفه معرفة ليس فوقها معرفة، لكنّه في نفس الوقت يرىٰ إمتناع الإحاطة به، فهو لايزال بين حدّين؛ حدّ التعطيل وحدّ التشبيه. وهذا هو معنىٰ كلمة «الله» جل جلاله، ذاك الإسم المقدّس، أي الذي أَلِهَ الخلق عن الإحاطة به في حين لايمكنهم إنكاره لشدّة ظهوره، فأَلِهُوا فيه ووَلِهُوا إليه وازدادوا منه شوقاً، كما قال الإمام الباقر عليه السلام:

«الله معناه المعبود الذي أَلِهَ الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب: أله الرجل، إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً، و وَلِه: إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه، فالإله هو المستور عن حواس الخلق».[(٢)]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق و يؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».[(٣)]

---

(١) الصحيفة السجادية الجامعة، الأبطحي: ٤٠.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٨٩.

(٣) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٨٩.

أدلّة قاعدة توسّط الأسماء في معرفة الله تعالىٰ

اذا عرفت هذه الأمور فلنشرع في بيان الأدلّة على أنّ الله تعالىٰ إنّما يعرف بأسمائه، وأنّ طريق معرفة المسمّىٰ هو معرفة الأسماء، وهي جملة من الأمور:

١ ـ مراحل إشتقاق الأسماء ونسبتها إلىٰ الإسم الأعظم

روى الصدوق عن الدقاق، عن الكليني، عن علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن ابن البطائني، عن إبراهيم بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور. فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الإسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت. فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان. لكل اسم من

هذه أربعة أركان، فذلك اثني عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، الخالق، البارئ، المصوّر، الحي، القيّوم، لاتأخذه سنة ولانوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العلي، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، البارئ المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاث مائة وستين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله عز وجل: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنى ﴾.[١]

قال العلامة المجلسي:

« اعلم أن هذا الخبر من متشابهات الأخبار وغوامض الأسرار التي لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم ،والسكوت عن تفسيره والإقرار بالعجز عن فهمه أصوب وأولى وأحوط وأحرىٰ ، ولنذكر وجهاً تبعاً لمن تكلّم فيه على سبيل الإحتمال ، فنقول :...

هذا الاسم عند حصوله في العلم الأقدس لم يكن ذا صوت ولا ذا صورة ولا ذا شكل ولا ذا صبغ. ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن أول خلقه كان بالإفاضة على روح النبي صلّى الله عليه وآله وأرواح الأئمة عليهم السلام بغير نطق وصبغ ولون وخط بقلم... غير متصوت... أي لم يكن خلقها بإيجاد حرف وصوت وقوله عليه السلام : وباللفظ غير منطق ـ بفتح

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ٤ / ١٦٦ / ٨ عن التوحيد.

الطاء ـ أي ناطق ، أو أنه غير منطوق باللفظ كالحروف ليكون من جنسها... قوله عليه السلام : « مستتر غير مستور »... يحتمل على الثاني أن يكون المراد : أنه مستور عن الخلق غير مستور عنه تعالى.
وأما تفصيل الاجزاء وتشعّب الأسماء فيمكن أن يقال : إنّه لما كان كنه ذاته تعالى مستوراً عن عقول جميع الخلق فالاسم الدال عليه ينبغي أن يكون مستوراً عنهم ، فالإسم الجامع هو الإسم الذي يدلّ على كنه الذات مع جميع الصفات الكمالية... فجزّأ ذلك الاسم الجامع إلى أربعة أسماء جامعة ، واحدة منها للذات فقط ، فلما ذكرنا سابقاً استبدّ تعالى به ولم يعطه خلقه ، وثلاثة منها تتعلق بالأنواع الثلاثة من الصفات فأعطاها خلقه ليعرفوه بها بوجه من الوجوه ، فهذه الثلاثة حجب ووسائط بين الخلق وبين هذا الإسم المكنون ، إذ بها يتوسلون إلى الذات وإلى الاسم المختصّ بها ، ولما كانت تلك الأسماء الأربعة مطوية في الاسم الجامع على الاجمال لم يكن بينها تقدم وتأخر ، ولذا قال : « ليس منها واحد قبل الآخر »...
وفي الكافي : « هو الله تبارك وتعالى وسخر لكل اسم » فلعل المراد أن الظاهر بهذه الأسماء هو الله تعالى ، وهذه الأسماء إنما جعلها ليظهر بها على الخلق ، فالمظهِر هو الإسم ، والظاهر به هو الرب سبحانه... ».[1]

ونقل عن والده العلامة محمد تقي المجلسي أنّه قال في توضيح الخبر:

« الذي يخطر بالبال في تفسير هذا الخبر على الاجمال هو أن الاسم الأول كان اسما جامعا للدلالة على الذات والصفات ، ولما كان معرفة الذات محجوبة عن غيره تعالى جزأ ذلك الاسم على أربعة أجزاء ، وجعل الاسم

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ١٦٧.

الدال على الذات محجوبا عن الخلق ، وهو الاسم الأعظم باعتبار ، والدال على المجموع اسم أعظم باعتبار آخر ، ويشبه أن يكون الجامع هو الله والدال على الذات فقط هو... ».[١]

والمستفاد من الخبر أنّ ذلك الإسم ليس من سنخ الالفاظ ولامن الأصوات ولايمكن تحديده، وليس ممّا يحيط به مكان وهو مستتر عن الخلق، ثم انشعب منه أسماء أخرى ومن تلك الأسماء أسماء وهكذا حتى انتهت السلسلة الى الأسماء اللفظيّة. وقد نصّ الخبر على أنّ اظهار بعض تلك المشتقّات من الأسماء إنّما لأجل فاقة الخلق إليها، كي يمكنهم بذلك أن يتوجّهوا بها الى ربّهم، كما قال العلامة المجلسي قدس سره: «فأعطاها خلقه ليعرفوه بها بوجه من الوجوه»، علماً بأنّ هذه الأسماء المشتقّة من تلك الكلمة التامّة إنّما توجّه الناس الى مبدء اشتقاقه وما إليه نسبته، وهو الإسم التامّ الكامل الذي خلقه الله غير متصوّت ولامنطوق ولامعروض للعوارض، وهو بدوره يوجّههم الى الذات الأحدي السرمدي.

وهذا الإسم هو المكنون المستور المحفوظ في سدنة الغيب عنده تعالى لايصل اليه أفهام الملائكة ولاأيديهم، كما مرّ في آيات تعليم الأسماء حيث أنّ الملائكة مع انتشارهم في أقطار الملك والملكوت ما عرفوها، فهي في غيب عن الملائكة وقد اختصّها الله بنفسه القدّوس. نعم للخلق طريق إلى أسماء ذلك الإسم أو أسماء أسمائه أو أسماء أسماء أسمائه أو سائر مشتقّاته النازلة.

٢ ـ خلق الأسماء وسيلة بينه وبين خلقه

إنّه تعالى خلق هذه الأسماء وسيلة بينه و بين خلقه، ليعرفوه بها فيعبدونه

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ١٧١.

ويتضرّعون إليه. فقد روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أنّه قال في حديث:

«فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره، وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الايتلاف...»[1]

فدور هذه الأسماء دور الوساطة والوسيلة بين الذات الربوبية وبين المخلوقات في التضرّع والعبادة، بل تلك الأسماء هي ذكره سبحانه فذكر الله لايمكن إلا بهذه الأسماء. وذلك رغم أنّها أيضاً مخلوقات، لكنّها مخلوقات شريفة عظيمة بلغت من شأنها وعظم خطرها أن اختارها الله أسماءً لنفسه، وجعلها وسيلة بينه و بين سائر بريّته. كما أنّ جبرئيل مخلوق لله تعالى ومع ذلك جعله الله واسطة لابلاغ التنزيل، وكذا جميع ملائكته الموكّلين بتدبير الأمور فهم الوسائط في إيصال النعم الإلهيّة إلى سائر المخلوقات رغم أنّها أيضاً مخلوقات.

وليعلم أنّ العبادة والتضرّع إنّما هما من آثار المعرفة بالله، وهي لن تحصل إلا بتوسّط الأسماء.

٣ ـ معرفة الله بالعزّة والعظمة لايتيسّر إلا بمعرفة حقيقة العزّة والعظمة اللتين هما من أسمائه

روى الصدوق بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث:

«والله غير أسماء، وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ١٥٣.

ألا ترى قوله: العزة لله، العظمة لله، وقال: ﴿ وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ﴾[١] وقال: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ ﴾[٢]. فالأسماء مضافة إليه وهو التوحيد الخالص».[٣]

قال العلامة المجلسي قدّس سرّه:

« استدل عليه السلام على المغايرة بين الاسم والمسمى بما أضيف إليه من الأسماء فإنّ الإضافة تدلّ على المغايرة بين الإسم والمسمّى يقال: المال لزيد، ولا يقال: زيد لنفسه ».[٤]

فإنّ مغايرة الأسماء له تعالى تظهر من إضافتها إليه تعالى، فحيث يقال: العزّة لله، معناه: أنّ العزّة تغاير الذات الأحدية وقد أضيفت إليه تعالى فصارت إسمه، وذلك لأنّ الشيء لايضاف إلى نفسه، فلا يقال الإنسان للإنسان، بل يقال الثياب للإنسان. كما لايمكن أن يراد به التبعيض كما يقال اليد للإنسان، فإنّه تعالى لايتبعّض ولايتجزى، فانحصر أنّ العظمة والعزّة مخلوقتان لله عزّوجلّ، ولشدّة إرتباطهما به تعالى ولشدّة آيتيّتهما إختارهما الله إسماً لنفسه، فصارتا من أسمائه الحسنى.

ثمّ إنّه يسئل ما هذه العزّة والعظمة المخلوقة لله، والتي قد اندرجت في سلسلة أسمائه تعالىٰ؟

من الواضح أنّهما ليستا من الأسماء اللفظيّة، لأنّ حقيقة العزّة والعظمة تكون لله تعالى وإن كان لفظهما أيضاً له، إلا أنّ اللفظ إنّما يضاف إلى الله بلحاظ معناه، فما لم يكن واقع العزّة والعظمة لله لايصحّ اضافة لفظهما إليه تعالىٰ. وعليه يكون

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ١٦٦ / ٨ عن التوحيد.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ١٦٠ / ٥.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ١٦٠.

اللفظ إسم لحقيقة العزّة والعظمة، وهما بواقعيّتهما إسمان لله تعالى مضافان إليه.

ثمّ إنّ معرفة الله تعالى بالعزّة والعظمة لايتيسّر إلا بعد معرفة حقيقة العزّة والعظمة اللتان هما إسمان من أسماء الله تعالى، فمعرفة المسمّىٰ متعذّرٌ إلا عن طريق معرفة أسمائه.

ومن هذا الحديث ينفتح باب عظيم في معرفة الأسماء الحسنىٰ، فكلّ ما يمكن إضافته إلىٰ الله تعالىٰ يكون من جملة أسمائه التي تتوسّط في معرفة الربّ القدّوس المسمّىٰ بهذه الأسماء، وهو التوحيد الخالص، لأنّ تعدّد الأسماء لايسري إلىٰ تعدّد المسمّىٰ، فإنّها جميعاً مخلوقات لله تعالىٰ، لكنّها مخلوقات عظيمة شريفة بلغت من عظمها وشرفها وعلوّها أن اختارها الله أسماءً لنفسه ثمّ أمر عباده أن يدعونه بها.

وقد روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

«أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيما ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الابصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري ونوري مشتق من نوره. الحديث.[1]

٤ ـ الإسم هو الدالّ علىٰ المعرفة

روى الكليني بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٣.

عليه السلام: هل كان الله عز وجل عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمّي نفسه، ولكنّه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأوّل ما اختار لنفسه: العلي العظيم، لأنه أعلى الأشياء كلها، فمعناه الله واسمه العلي العظيم، هو أول أسمائه، علا علىٰ كل شيء.(١)

الحديث بملاحظة السؤال والجواب صريح في أنّ الله تعالىٰ إنّما اختار الأسماء لنفسه ليعرفه بها غيره، فلايتيسّر المعرفة إلا عن طريق الأسماء، ولذلك ما سمّىٰ نفسه بالأسماء قبل خلق الخلق مع كونه عارفاً بنفسه لكنّه لم يكن غيره أحد ليعرفه فيحتاج إلىٰ جعل الأسماء لذاته القدّوس، بل لمّا أراد أن يخلق الخلق سمّىٰ نفسه بأسماء ليعرفه بها غيره، فغيره تعالىٰ محتاج إلىٰ وساطة الأسماء في المعرفة. وهذه الأسماء وإن كانت هي أيضاً مخلوقة، إلاّ أنّها مخلوقات شريفة جعلها الله سبباً لأن يعرفه عباده بها.

ثمّ حكم الإمام بأنّه ما لم يدع الله بإسمه لم يعرف، ومن الواضح أنّ الدعوة إنّما هي من آثار المعرفة، بل الدعاء هو الإقبال والتوجّه نحو المدعوّ، وقد حكم الإمام بأنّه لم يكن لأحد أن يعرف الله تعالىٰ ما لم يدع بإسمه، فالدعوة بالإسم إنّما هو لأجل حصول المعرفة، فالإسم هو الوسيط في حصول المعرفة.

٥ ـ توسّط الأسماء في الإقبال والتوجّه إلىٰ الله تعالىٰ

قال الله تعالى: ﴿ وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمائِهِ

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١١٣ / ٢.

سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.[١]

فالدّعاء والإقبال إلىٰ الله تعالىٰ غير متيسّر إلاّ بتوسّط الأسماء الحسنىٰ، كما يجب الإعراض والإجتناب عمّن يُلِحد في هذه الأسماء.

وحقيقة الدعاء هو التوجّه والإقبال والرغبة إلى المدعو، ففي تاج العروس:

« الدعاء، بالضم ممدوداً: الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال »[٢]

وفي لسان العرب:

« دَعا الرجلَ دَعْواً و دُعاءً: ناداه. و دَعَوْت فلاناً أي صِحْت به و اسْتَدْعَيْته... و دَعَوْته بزيدٍ و دَعَوْتُه إياهُ: سَمَّيته به ».[٣]

فمؤدّى الآية أنّه لايمكن التوجّه إليه تعالى ولايمكن الإقبال نحوه والرغبة إليه، إلا بهذه الأسماء الحسنىٰ. فهذه الأسماء هي الواسطة بين الداعي والمدعوّ، وإنّ الداعي حين يُقبِل بوجهه إلىٰ الله إنّما يتوجّه إليه بهذه الأسماء، فإنّ هذه الأسماء لها دور إيصال الداعي إلىٰ الذات الأحدية عزّ جلالها.

روىٰ الكليني في الموثّق عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿ وَ لِلَّهِ الأَسْماءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِها ﴾ قال: « **نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا** ».[٤]

وهذه الآية الشريفة تفسّر لنا ما ورد في غير واحد من الآيات من ظهور المعرفة

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) تاج العروس، الزبيدي: ١٩ / ٤٠٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، باب دعي.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٤٣.

الفطريّة في البأساء والضرّاء وحين الإنقطاع عن الأسباب الدنيّة الدنيويّة حيث أكّد في غير واحد من الايات أنّ الإنسان حين الإنـقطاع عـن الأسباب وفـي حـالة الإضطرار يقبل بوجهه إلىٰ الله تعالىٰ ويدعوه خالصاً مخلصاً، نظير قوله تعالىٰ:

﴿ قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ ﴾.(١)

﴿ وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً ﴾.(٢)

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.(٣)

﴿ وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.(٤)

﴿ فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾.(٥)

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ماتَذَكَّرُونَ ﴾(٦)

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا

---

(١) الانعام: ٤٠ و ٤١.

(٢) الاسراء: ٦٧.

(٣) الانعام: ٦٣.

(٤) يونس: ١٢.

(٥) زمر: ٤٩.

(٦) النمل: ٦٢.

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.(١)

﴿ فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾.(٢)

﴿ وَ إِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾.(٣)

﴿ وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٤)

فلو كان دعاء المضطرّين ربّهم في حال البأساء والضرّاء الذي أكّد عليه في هذه الايات من دون الإستعانة بالأسماء الحسنىٰ لكان دعاؤهم في ضلال، بل قد أمر الله تبارك وتعالىٰ بالإعراض عمّن يُلحِد في هذه الأسماء، والإلحاد هو الإنحراف والميل والعدول، ويقال لما يحفر في القبر عرضاً: اللَّحْد لميله عن وسط القبر. قال الفراهيدي:

« لحد ، اللحد : ما حفر في عرض القبر »(٥)

وقال إبن منظور:

« لحد : اللَّحْد و اللُّحْد : الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر موضِع الميت ، لأنه قد أُمِيل عن وسَط إلى جانبه... لحَدْت له و أَلحَدْتُ له و لَحَدَ إلى الشيء يَلْحَدُ و التَحَدَ : مال. و لحَدَ في الدِّينِ يَلْحَدُ و أَلحَدَ : مالَ وعدَل ، وقيل : لَحَدَ مالَ و جارَ. ابن السكيت : المُلْحِدُ العادِلُ عن الحق المُدْخِلُ

(١) يونس: ٢٢.

(٢) عنكبوت: ٦٥.

(٣) لقمان: ٣٢.
(٤) الروم: ٣٣.

(٥) كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي: باب لحد، ٣ / ١٨٢.

فيه ما ليس فيه ، يقال قد أَلحَدَ في الدين و لحَدَ أَي حاد عنه... و معنى الإِلحاد في اللغة المَيْلُ عن القصْد... و أَصل الإِلحادِ : المَيْلُ و العُدول عن الشيء ».[١]

فالعدول عن هذه الأسماء في دعاء الربّ المتعال، والميل عنها يعدّ من أكبر الكبائر الذي يجب أن يُهجَر صاحبه، وليس من يدعوا الله مستنكفاً عن التوسّل بهذه الأسماء مُقبلاً إلىٰ الله، ولا راغباً لما لديه ومتوجهاً نحوه. فإنّ الله تبارك وتعالىٰ جعل توسيط هذه الأسماء في التوجّه والإقبال إليه ـالذي هو حقيقة المعرفة ـ من الضروريّات التي يستحقّ منكرها الهجران والإعتزال.

روىٰ المفيد في الإختصاص عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «**إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّوجلّ وهو قوله: ﴿ وَ لِلَّهِ الأَسْماءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِها ﴾**».[٢]

فكأنّ الإمام الثامن الضامن ـبأبي هو وأمّي ـ يفسّر آيات البأساء والضرّاء حينما قال: «**إذا نزلت بكم شديدة**» أي: انّ تجلّي الله تعالىٰ في قلوب عباده عند الشدائد والإنقطاع عمّن هو دون الله، ليس إلاّ بأسمائه الحسنىٰ وآياته العظمىٰ، كما تجلّىٰ للجبل بآية من آياته.

وبعد ما ثبت أنّ معرفته تعالى إنّما هي من صنعه تعالى بتعريفه وتجلّيه في قلوب المؤمنين، الذي حقيقته توجّه العارف نحو المعروف وإقباله إليه وظهوره له بعد الغفلة عنه ـلا بالمعنى الممسوخ من التجلّي الذي هو عين تغيير ذات الباري المنزّه عنه عقلاً وشرعاًـ فلا مناص من الإلتزام بأنّ المعرفة هذه لن تحصل للعارف إلا بالأسماء الحسنىٰ، كما أنّ توجّه العبد إلىٰ ربّه متعذّر إلا بهذه الأسماء الحسنىٰ.

---

(١) لسان العرب، إبن منظور: باب لحد، ٣ / ٣٨٨.

(٢) الأعراف: ١٨٠. الإختصاص، الشيخ المفيد: ٢٥٢.

سرّ الخلوص

فمن ألحد في هذه الأسماء وعدل عنها إلىٰ غيرها، محال أن يصل إلى الله أو أن يُقبِل إليه ويتوجّه نحوه، و ليس نداؤه نداءً لله، ولادعاؤه دعاء لله، وإن توهّم نفسه أنّه من المخلصين في الدعاء والتوجّه نحو الله، حيث لم يجعل بينه و بين ربّه واسطة، لكنّه خلوص في طاعة الشيطان وليس في طاعة الله؛ وذلك لأنّ إبليس هو أوّل من أسّس أساس الإباء عن الخضوع لأسماء الله في التوجّه نحوه تعالىٰ، فأراد أن يعبد ربّه من دون توسّط الأسماء، فرُجِم وهُجِر وصار من الكافرين وقد لعنه الله إلى يوم الدين، كما أُمِرنا بهجران من يستكبر عن دعاء الله بالأسماء الحسنىٰ حيث قال: ﴿ وَ ذَرُوا الَّذينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمائِهِ ﴾.

ومن لطائف تلك الآيات الواردة في ظهور المعرفة في البأساء والضرّاء، أنّها تصف دعاء المضطرّين ربّهم بدعاء المخلصين الذين خلصوا عمّا دون الله تعالىٰ، حيث قال: ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال: ﴿ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلاَّ إيَّاهُ ﴾، وقد حكم في آية أخرىٰ أنّ دعاء الرب لابدّ وأن يكون بتوسّط أسمائه الحسنىٰ، ويجب الحذر والإعراض عمّن يلحد في هذه الأسماء. فدعاء الربّ بهذه الأسماء والإقبال إليه بتوسّطها ـ وهي مخلوقة ومربوبة بأجمعها ـ ليس إلا محض الخلوص عن غير الله. وذلك لأنّ هذه الأسماء مجعولة من قبله تعالىٰ و قد تمحّض و خلص عن الدلالة على كلّ ما هو دونه، فهم الأسماء التي ليس فيهم شأن سوىٰ الآيتيّة والإسميّة لربّهم القدّوس المتعال، فهم المخلوقات العظيمة الشريفة الذين وصفهم الله بالمخلَصين، وعمد إلى تطهيرهم وأذهب عنهم كلّ ما فيه شائبة غير الله. ومن هنا صار التوسّل بهم في الإقبال والرغبة إلىٰ الله تعالىٰ عين الخلوص، والإستكبار عنهم والإلحاد فيهم محض الكفر والضلال.

ومن هنا يعرف سرّ الخلوص ويعرف المخلص، الذي قد يأس الشيطان عن

إغوائه حيث قال: ﴿ إِلاَّ عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصينَ ﴾[1] وبقدر الخضوع والتوجّه إلىٰ الأسماء الحسنىٰ يخلص العبد ويبعد عن حيطة نفوذ إبليس الذي قد أُبْلِس من رحمة الله لإستكباره علىٰ تلك الأسماء.

٦ ـ تجلّي الله تعالىٰ لعباده بأسمائه

التجلّي معناه الإظهار والتعريف، قال السيّد المرتضى رحمه الله:

« فأما قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾[2] فإنّ التجلي هـهنا هو التعريف والإعلام والإظهار لما يقتضى المعرفة كقولهم : هذا كلام جليّ ، أي : واضح ظاهر ، وكقول الشاعر :

تجلّىٰ لنا بالمشرفيّة والقنا وقد كان عن وقع الأسنّة نائياً

أراد أنّ تدبيره دلّ عليه حتى علم أنه المدبّر له ، وإن كان نائياً عن وقع الأسنة ، فأقام ما أظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبّر عنه بأنّه تجلّى منه ».[3]

فالتجلّي هو حقيقة معرفة الله تعالىٰ وظهوره وجلاه للعبد، وليس النظر في الآيات والتأمّل فيها، بل العبادات والدعوات والمناجات والصلوات وسائر ما أُمِرنا به، إلاّ بمنزلة المعدّات والأسباب لتجلّي الله تعالىٰ للعارف الذي هو قمّة المعرفة، وهو القرب والوصول والزيارة والمناجاة. نعم قد يتجلّي الله لعبده من دون إرادة العبد كما في البأساء والضرّاء، وما ذلك إلا لإتمام الحجّة ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة.

---

(١) الحجر: ٤٠.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) الأمالي، السيد المرتضى: ٤ / ١٢٧.

وليس التجلّي ما اصطلح عليه بعض الفلاسفة والصوفيّة كملاصدرا الشيرازي، حيث زعم أنّه هو تطوّر الباري تعالىٰ بأطوار الممكنات وتشؤنه بشؤونها، كما يتجلّي ماء البحر بصورة الأمواج تارة وبصورة الجداول الصغيرة أخرىٰ. فإنّ ذلك عين نسبة التغيير إلىٰ الذات القدّوس المتعال، وعين نسبة التحديد إليه، بل هو منزّه عن كلّ ما هو دونه، وليس وجود المخلوقات و الممكنات في كفوه أبداً كي يلزم من وجودها تحديد لوجوده القدّوس.

بل التجلّي هو ظهور المعروف عند العارف وتوجّه العارف نحو المعروف مع كمال المباينة بينهما، وقد عبّر عنه في الأخبار بالوصول والقرب اللقاء والمناجاة والزيارة والرؤية، لكنّها ليست رؤية بالابصار وإنما هي رؤية القلوب بحقائق الإيمان. وللتجلّي درجات و مراتب، فقد يتجلي الله بالقهر والغلبة، أوبالرحمة والرأفة، أو بالجود والكرم، أو بالهيبة والسلطان، أو بالعدالة والإنتقام، أو بالفضل والإمتنان، وأياً ما كان فهو مُنىٰ نفس الأولياء وغاية آمال العرفاء، كما قال الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين في مناجاة المريدين:

«لقاؤك قرّة عيني، ووصلك مُنىٰ نفسي، وإليك شوقي، وفي محبّتك وَلَهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك أنسي وراحتي».[١]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في معنىٰ قد قامت الصلاة:

«أي: حان وقت الزيارة والمناجاة وقضاء الحوائج ودرك المُنىٰ، والوصول إلى الله عز وجل، وإلىٰ كرامته وغفرانه وعفوه ورضوانه».[٢]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩١ / ١٤٧.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٤١، باب تفسير حروف الأذان والإقامة.

ثمّ إنّ الذي تدلّ عليه الأخبار المستفيضة هو: أن هذا التجلّي من الله لقلوب العباد ـ الذي هو قمّة المعرفة ـ إنّما يكون بالأسماء والآيات، أي: إنّ الأسماء تتوسّط في ظهور الله لعباده وفي عرفان العباد ربّهم، وفي اللقاء والمناجاة والرؤية والوصول والزيارة. فالربّ المتعال انّما يتجلّي لعبده بإسمه و آيته، والعبد يتوجّه إلىٰ الله بدلالة الإسم عليه تعالىٰ، ولأجل خلوص الإسم وتمحّضه في الإسميّة يدلّ على المسمّىٰ ويُريه ويغيب ذاته لفنائه في الدلالة والحكاية، فيتوهم العبد أنّه عرف الرب دون توسّط الوسائط.

بل ورد في الأخبار أنّ الله لم يستثن عن هذه القاعدة حتىٰ أولولعزم من رسله، قال الله تبارك وتعالىٰ في نبيّه موسىٰ:

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّاً وَ خَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً ﴾[١].

وما كان هذا التجليّ إلاّ باياته وأسمائه، فقد روى الصدوق بإسناده عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام... فقال الرضا عليه السلام:

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ بآية من آياته **﴿ جَعَلَهُ دَكًّاً وَ خَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً ﴾** »[٢].

وروى الخزاز بإسناده عن هشام عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: «...قوله **﴿ لَنْ تَرَانِي وَلٰكِنْ ٱنْظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّاً ﴾**[٣] وإنما

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الأعراف: ١٤٣. التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٢١ و العيون: ٢ / ١٧٨.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الخياط، فدكدكت الأرض وصعقت الجبال، فخرّ موسىٰ صعقاً أي ميّتاً...»(١).

وروى الصفّار بإسناده عن أبى عبد الله عليه السلام قال: **«إنّ الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل، جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم. ثم قال: إنّ موسى لما سئل ربّه ما سأل أمر واحداً من الكروبيين فتجلّىٰ للجبل فجعله دكاً»**.(٢)

وفي كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: روى الشيخ أبو جعفر الطوسي، بإسناده عن الفضل بن شاذان، عن رجاله، عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: **«إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد من اختراعه، من نور عظمته وجلاله، وهو نور لاهوتيته الذي تبدى وتجلى لموسىٰ عليه السلام في طور سيناء، فما استقر له ولا أطاق موسى لرؤيته، ولا ثبت له حتى خر صعقا مغشياً عليه، وكان ذلك النور نور محمد صلّى الله عليه وآله»** الخبر.(٣)

فقد جعل الله تعالى تجلّي آية من آياته، تجلّياً لنفسه، وذلك لأنّ الإسم حقيقته الآيتيّة والإرتباط بين المتجلّي والمتجلّىٰ له، وليس له شأن سوى ذلك، فهو ليس إلا آية و علامة و مذكراً ودالاً على المسمّىٰ.

و من أجل ذلك صار ظهور الإسم عين ظهور المسمّىٰ، وتجلّيه عين تجلّي

---

(١) كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٢٦١.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٩، و مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي: ٥٦٩.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٥ / ٢٨ / ٢٤.

المسمّىٰ، وذلك لعدم شأن لذلك الإسم سوى الآيتيّة وسوى ايجاد الربط بين العارف والمعروف، فلا يدل على شيء سوى المسمّىٰ وذلك لتمحّضه وخلوصه وفناء جميع شؤونه في الإسميّة لله العلي القدير.

وسيأتي في دعاء السمات أنّ تجلّيه تعالىٰ لسائر أنبيائه أيضاً كان بتوسّط أسمائه الحسنىٰ.

تجلّى لخلقه في كتابه

وممّا يدلّ علىٰ توسّط الآيات والأسماء في التجليّ ما ورد مستفيضاً من أنّ الله تعالىٰ إنّما تجلّىٰ لخلقه في كتابه.

فقد روى السيّد في نهج البلاغة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

«فتجلّىٰ سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوّفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من احتصد بالنقمات».

ورواه الكليني في الكافي وفيه زيادة:

«فتجلّىٰ لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، فأراهم حلمه كيف حلم، و أراهم عفوه كيف عفا، وأراهم قدرته كيف قدّر، وخوّفهم من سطوته وكيف خلق ما خلق من الآيات، وكيف محق من محق من العصاة بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات وكيف رزق وهدى وأعطا، وأراهم حكمه كيف حكم وصبر حتى يسمع ما يسمع ويرى. فبعث الله عز وجل محمدا صلّى الله عليه وآله بذلك».[1]

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ٨ / ٣٨٧.

فجعل عليه السلام تجلّى آيات الله في كتابه، واراءة حلمه وعفوه وقدرته وسطوته وخلقه وأخذه وهداه وعظاته وحكمه، تجلّيه جلّ جلاله واراءته نفسه. فظهور الربّ وتجلّيه إنّما يكون عبر آياته وكلامه، وهو لايتجلّى إلاّ بآياته.

ويجب أن يُعلم أنّ حقيقة الكتاب وما اشتمل عليه من الحقائق ليست ما هو مدوّن بين الدفّتين، فإنّ المدوّن إنّما هو ﴿ تَنْزِيْلُ ٱلْكِتَابِ ﴾[١] أي: انّ ذلك الكتاب يكون في مقام عليّ وليس هذا الموجود بين الدفّتين إلا تنزّل لذلك المقام، وما هذا القرآن إلاّ ﴿ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِيْنِ ﴾[٢] أي: دلائله وسماته وما يؤشّر عليه، لأنّه هو بحقيقته. فحقيقة القران إنّما هي عند الله في مقام عليّ، وهذا تنزيله ونزوله ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيْم ﴾[٣] فلهذا الكتاب أمّ وأساس، وليس هو بمتناول أيدي البشر، بل هو عند الله في مقام علي حكيم.

وأمّا الكتاب المبين الذي فيه تفصيل كلّ شيء، فهو المكنون المحفوظ الذي لاتصل إليه أيدي غير المطهَّرين ـ بالفتح ـ الذين عمد الله إلىٰ تطهيرهم فطهّرهم تطهيراً، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيْم فِي كِتَابٍ مَكْنُون لايَمَسُّهُ إِلاّ ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[٤].

وهذا الكتاب إنّما نزل جملة واحدة على البيت المعمور في ليلة القدر، ثمّ ابتدأ منه سائر مراحل التنزيل ومنه نزوله في عشرين سنة.

روى الكليني في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآن ﴾[٥]

---

(١) السجدة: ٢، الزمر: ١، غافر: ٢، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢.

(٢) يوسف: ١، الشعراء: ٢، القصص: ٢.

(٣) الزخرف: ٤.

(٤) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٥) البقرة: ١٨٥.

وإنما انزل في عشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة**».[١]

وبيت المعمور هو قلب النبي صلى الله عليه وآله.

روى الطبري بسنده عن الصادق عليه السلام في حديث قلت: والبيت المعمور أهو رسول الله؟ قال: «**نعم المملي رسول الله صلىالله عليه وآله والكاتب علي عليه السلام**».[٢]

وروىٰ الطبري أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**نحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمنا**».[٣]

ولذلك قال تعالىٰ لنبيّه: ﴿ **وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُه** ﴾[٤]. ولاينافي ذلك ما ورد من أنّ بيت المعمور هو البيت الضراح المبني في السماء الرابعة التي تطوف به الملائكة كلّ يوم وهو بحذاء الكعبة، فإنّه من باب تعدّد معاني التأويل، بل لايبعد أن تكون ذلك البيت آية للنبي وأهل بيته المطهّرين.

وليست حقيقة ذلك الكتاب من سنخ الألفاظ والحروف، بل إنّما ألبس قالب اللفظ العربي وصار قرآناً ـ أي مقروءاً ـ بعد مراحل التنزيل، كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿ **حم * وَ الْكِتٰابِ الْمُبِين * إِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون * وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِيٌّ حَكِيم** ﴾[٥] فقد جعل الكتاب المبين عربياً ليعقله الناس ويفهموه،

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ٢ / ٦٢٨.

(٢) دلائل الإمامة، الطبري الإمامي: ٢٥٦.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٦ / ١٩٦ عن دلائل الإمامة للطبري.

(٤) طه: ١١٤.

(٥) الزخرف: ١ ـ ٤.

أي: انّه لم يكن قبل هذا الجعل عربياً بل كان في أمّ الكتاب لدىٰ الله عليّ حكيم.

والكتاب المبين هو الروح الذي أوحي إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وعُجن مع ذاته الشريفة، وبه يعلم الكتاب والإيمان وما فوق العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ **وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتٰابُ وَ لاَ الإِيمٰانُ وَ لٰكِنْ جَعَلْنٰاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشٰاء** ﴾[1]. وهذا الروح يرثه من بعده أوصياؤه وخلفاؤه الذين تعلّقت باصطفائهم المشيّة الإلهيّة فصاروا مرتضين مجتبين مصطفين، كما قال عزّوجلّ: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا** ﴾[2]. وقد جاء بذلك كلّه روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم.

فمعرفة الله تعالى وتجليّه إنّما يتمّ عبر كلامه وكتابه الذي هو روح أوحي إلىٰ الرسول وورثه المصطفون من بعده، وليس النظر في آيات الكتاب وما هو الموجود بين الدفتين، إلاّ للتوجّه إلىٰ ذي الآيات الذي هو حقيقة القرآن، وهو إسم الله الأعظم الذي يوجّه العباد إلىٰ الله جلّت أسماءه وعظمت آياته، وقد تجلّىٰ الله به لعباده.

٧ ـ دعاء السِمات (الأسماء والعلامات)

عن أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري سفير الناحية المقدّسة أنّه سأله جمع من الشيعة عن دعاء الشبور الذي يدعىٰ بدعاء السمات فقال بعد كلام: حدثني أبو عمرو عثمان بن سعيد قال: حدثني محمد بن راشد قال: حدثني محمد بن سنان قال: حدثني المفضل بن عمر الجعفي: أن خواصّاً من الشيعة سألوا عن هذه المسألة بعينها أبا عبد الله عليه السلام... قال: وقال: أبو جعفر

---

(١) الشورىٰ: ٥٢.

(٢) فاطر: ٣٢.

باقر علم الأنبياء:

«لو يعلم الناس ما نعلمه من علم هذه المسائل وعظم شأنها عند الله وسرعة إجابة الله لصاحبها مع ما ادّخر له من حسن الثواب، لاقتتلوا عليها بالسيوف، فان الله يختصّ برحمته من يشاء. ثم قال: أما إني لو حلفت لبررت أن الإسم الأعظم قد ذكر فيها، فإذا دعوتم فاجتهدوا في الدعاء بالباقي، وارفضوا الفاني، فانّ ما عند الله خير و أبقىٰ، ثم قال: هذا هو من مكنون العلم ومخزون المسائل المجابة عند الله تعالى».(١)

وعظمة هذا الدعاء ليس إلاّ لأنّها في مقام بيان بعض شؤون الإسماء الإلهيّة في عالم الكون، ومُدىٰ جلالها وخطورة موقعها عند الله تعالىٰ. والدعاء من الأدعية المشهورة كما قال العلامة المجلسي رحمه الله:

« هذا الدعاء من الدعوات التي اشتهرت بين أصحابنا غاية الإشتهار ، وفي جميع الأعصار والأمصار ، وكانوا يواظبون عليها ».(٢)

ولنذكر بعض ما ورد في هذا الدعاء العظيم ممّا يهمّنا في هذه الدراسة:

«اللهم إنّي أسألك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم».

فليست العزّة والعظمة والجلالة والكرامة إلاّ أوصافاً لذلك الإسم العظيم الذي هو مخلوق لله عزّوجلّ، وبعظمته و عزّته وجلاله يُعرف جلال الله وعزّته وعظمته وكرامته، فإنّ الإسم هو ما يُنبئ عن المسمّىٰ وليس لديه إلاّ ما هو علامة وآية وسمة للمسمّىٰ.

« وبجلال وجهك الكريم أكرم الوجوه وأعزّ الوجوه الذي عنت له

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٧ / ٩٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٧ / ١٠١.

الوجوه وخضعت له الرقاب وخشعت له الأصوات ووجلت له القلوب من مخافتك».

فانّ الوجه ـكما مرّـ هو ما يتوجّه به للإرتباط بما فوقه كوجه الإنسان الذي يتوجّه نحوه للإرتباط بالروح الذي هو أعلى منه، ووجه الله تعالى هو المخلوق الشريف الذي به يتوجّه إلى الله تعالى. ثمّ إنّ ما يوجّه العباد إلىٰ ربّهم علىٰ درجات ومراتب، والإمام عليه السلام إنّما أقسم بأعزّ تلك الوجوه وأعظمها وأجلّها، فإنّ لذاك الوجه من الجلال والهيبة والعزّة ما جعله أكرم الوجوه وأعزّها، وقد عنت له جميع الوجوه وخضعت له الرقاب وخشعت له الأصوات.

ولايبعد أن يكون المراد بالوجوه الخاشعة لذلك الوجه الكريم، سائر الوجوه التي يتوجّه بها إلى الله تعالىٰ، فيكون المعنىٰ أنّ تلك الوجوه إنّما يوجّه العباد نحو ربّهم عن طريق ذلك الوجه الكريم الذي هو أكرم الوجوه و أعزّها، فجميع الأسماء الإلهيّة وما يوجّه العباد إلىٰ الذات الأحدية إنّما تخضع و تعني لجلال ذاك الوجه الأعزّ الأكرم، فهذه الوجوه إنّما توجّه العباد إلى ذلك الوجه الأعظم، وهو بعزّه وكرامته وجلاله يوجّههم إلى الذات الربوبية.

ثمّ أكّد عليه السلام علىٰ أنّ وجل القلوب من مخافة الله ليس إلا لذاك الوجه الأعظم، فالخوف من الله الذي هو أثر المعرفة لن يحصل إلا بوساطة هيبة ذاك الوجه الأكرم وجلاله وعزّه.

«وأسألك اللهم بمجدك الذي كلّمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام في المقدسين فوق إحساس الكروبيين فوق غمائم النور فوق تابوت الشهادة، في عمود النار وفي طور سيناء، وفي جبل حوريت في الوادي المقدس في البقعة المباركة من جانب الطور الأيمن من الشجرة وفي أرض مصر بتسع آيات بينات، ويوم

فرّقت لبني إسرائيل البحر، وفي المنبجسات التي صنعت بها العجائب في بحر سوف».

وهذا المجد الذي به كلّم الله موسى في تلك المواطن هو إسم الله وهو غيره، ولذا صحّ التعبير بأنّ الله إنّما كلّم به موسىٰ، ولو كان المجد هذا عين الله لما صحّ ذلك التعبير. وقد مرّ في رواية الصدوق عن أبي عبد الله عيه السلام أنّ كلّما صحّ إضافتها إلىٰ الله فهو إسمه، وذلك أنّ الشيء لايضاف إلىٰ نفسه، فيقال المجد لله كما يقال العظمة لله والعزّة لله، فلو كانت العظمة والعزّة والمجد عين الله لما صحّ إضافتها إلىٰ الله، فهذا المجد إنّما يكون من أسمائه المخلوقة الذي بلغ من شرفه وعلوّه أن اختاره الله لنفسه فأضافه إلىٰ ذاته القدّوس وصار إسماً وآية له سبحانه به كلّم عبده موسىٰ.

وهذا المجد بلغ من علوّه أنّ الكروبيين لن تصل إليه إحساسهم، وغمائم النور في مقام أدون منه فهو أعلى من هذه الغمائم كما هو أعلى من تابوت الشهادة. فتكليم الله لموسى الذي حقيقته المعرفة والمناجاة والوصول والقرب من الله تعالى إنّما تمّ بهذا المجد، فهو الوسيط في ذلك.

قال العلامة المجلسي:

« احساس الكروبيين: أصواتهم، والحس والحسيس الصوت الخفي، والمعنى: أن كلامه سبحانه أعلىٰ من كل شيء وفوق كل شيء، لأنه فوق أصوات الكروبيين، والكروبيون هم القريبون منه تعالى، من قولك كرب كذا أي قرب، وكربت الشمس قريب للمغيب، وكل دان قريب فهو كارب. والمراد بقربهم منه تعالى شرف منزلتهم عنده وجلالة محلهم منه، ومنه حديث أبي العالية: الكروبيون هم سادة الملائكة... ويمكن أن يكون المراد بفوق احساس الكروبيين؛ أن المكان الذي حدث فيه ذلك الصوت كان

فوق أمكنتهم، أو كان ذلك الصوت أخفى من أصواتهم، فالمراد فوقها في الخفاء كما قيل في قوله تعالى سبحانه: ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ».[١]

فالكروبيون مع قربهم إلىٰ الله تعالىٰ ما كانوا يقفون علىٰ التكليم بهذا المجد، فإن كان هذا حال الكروبيين وحال موسىٰ الذي هو في مقام فوق إحساس الكروبيين، فما ظنّك بسائر الخلائق؟ أفيمكنهم الوصول إلى ساحة القرب الربوبية من دون وساطة الأسماء؟ وإذا كان هذا حال موسىٰ، فمن عسىٰ أن يكون المسكين الحقير الذي رام أن يعرف الله بتفلسفه وتصوّفه واستغنى واستكبر عن الخضوع لهذه الأسماء؟

« وباسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم وبمجدك الذي تجليت به لموسى كليمك عليه‌السلام في طور سيناء، ولإبرهيم عليه‌السلام خليلك من قبل في مسجد الخيف، ولاسحق صفيك عليه السلام في بئر شيع، وليعقوب نبيك عليه السلام في بيت إيل ».

وفي هذا المقطع من الدعاء نوّه بعظمة ذلك الأسم والمجد الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم، فبيّن أنّ تجلّيه تعالى لموسى ولإبراهيم ولاسحق وليعقوب إنّما كان بوساطته، ولأجل عظمة هذا الإسم وجلاله وقدسه عن شائبة غير شائبة الإسميّة التي هي صرف الآيتيّة للمسمّىٰ، ولأجل فناء جميع شؤونه في الدلالة عليه، لايحجب الخلق عن الله تعالى بل يكون دالاً ظهوراً له عز و جل. فأنبياء الله العظام إنّما عرفوا الله ووجدوه ودلّوا عليه وناجوه ووصلوا إليه، بتوسّط هذا الإسم الذي هو مخلوق لله تعالى، لكن بلغ من عزّته بالله وعظمته بالله ومجده بالله أن اختاره الله إسماً لنفسه وجعله حجابه الأكبر به يتجلّي لخلقه.

---

(١) البقرة: ٢٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٧ / ١٠٩.

فإذا كان هذا حال أولى العزم من الرسل فما ظنّك بالفيلسوف المسكين المستكبر والمغترّ بعقله المحدود عن الإسم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم، فتراه لايقيم لما نسب إلى ساحة جلال ذلك الإسم من الكلمات قيمة فضلاً عمّا تيقّن صدورها عنه، إلا بعد أن استقلّ واستبدّ بنفسه مع ما عليه من التوهمات والتصوّرات، ثمّ إن سنحت له الفرصة نظر في كلمات الأسماء الإلهيّة وآياتهم بغية أن يؤوّلها على وفق ما وصل إليه من النتيجة!

هيهات هيهات أن يصل الى أدنى درجات المعرفة!

كيف و أنّى له ذلك؟

«وبمجدك الذي ظهر لموسى بن عمران عليه السلام على قبة الرمان، وبآياتك التي وقعت على أرض مصر بمجد العزة والغلبة بآيات عزيزة وبسلطان القوة وبعزة القدرة وبشأن الكلمة التامة، وبكلماتك التي تفضّلت بها على أهل السماوات والأرض وأهل الدنيا والآخرة، وبرحمتك التي مننت بها على جميع خلقك، وباستطاعتك التي أقمت بها على العالمين، وبنورك الذي قد خر من فزعه طور سيناء، وبعلمك وجلالك وكبريائك وعزتك وجبروتك التي لم تستقلها الأرض وانخفضت لها السماوات وانزجر لها العمق الأكبر وركدت لها البحار والأنهار وخضعت لها الجبال وسكنت لها الأرض بمناكبها واستسلمت لها الخلائق كلها وخفقت لها الرياح في جريانها وخمدت لها النيران في أوطانها، وبسلطانك الذي عرفت لك به الغلبة دهر الدهور وحمدت به في السماوات والأرضين وبكلمتك كلمة الصدق التي سبقت لأبينا آدم وذريته بالرحمة».

بيّن عليه السلام في هذه الكلمات أنّ جميع الخلائق من الأنبياء والملائكة

وأهل السماوات والأرضين، بل ونفس السماوات والأرضين والجبال والرياح والنيران إنما عرفوا الله تعالى بالمجد والعزّة والقدرة والغلبة والسلطنة من خلال هذه الأسماء وهذه الآيات، ولأجل هذه المعرفة الحاصلة لديهم بهذه الأسماء خرّوا وانخفضوا وانزجروا وخفقوا واستسلموا وخمدوا، وانّ أهل السماوات والأرضين إنّما حمدوا ربّهم بواسطة هذا الإسم.

«وأسألك بكلمتك التي غلبت كل شيء، وبنور وجهك الذي تجلّيت به للجبل فجعلته دكّاً وخرّ موسى صعقا».

وهذا تأكيد وتكرار لما أكّد عليه في العبارات السابقة من أنّ وصول الأنبياء إلى مقام القرب والمناجاة والفناء وتجلّي الله تعالى لهم واراءة عظمته وتعريفه نفسه لهم عليهم السلام، إنّما تمّ بوساطة كلمة الله وإسمه ووجهه ومجده، وكلّها غيره من المكرّمين في الخلقة، وأنّ ما تجلّىٰ للجبل فجعله دكّاً إنما هو نور وجهه تعالىٰ وليس هو بذاته، كيلا يظنّن أحد أنّ للأنبياء والملائكة أن يعرفوا ربّهم من دون وساطة هذا الوجه الأكرم والإسم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم.

«وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلّمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران، وبطلعتك في ساعير، وظهورك في جبل فاران بربوات المقدسين وجنود الملائكة الصافّين وخشوع الملائكة المسبحين».

وهذا المقطع من الدعاء في غاية العظمة والأهميّة، فإنّه بيت القصيد للدعاء والغاية العظمى والغرض الأقصى منه، فقد أفصح فيه عن ذلك الإسم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم الذي به عرّف الله نفسه لأنبيائه، وبه كلّمهم وبه ناجاهم، وبه عرف جميع الخلائق ربّهم، وبه خافوا من مخافته، وله عنت جميع

الوجوه، وله خضعت الرقاب وله خشعت الأصوات، وبه حُمِدَ الله في السماوات والأرضين، وبه عُرفت لله الغلبة دهر الدهور، والذي هو فوق إحساس الكروبيين وفوق غمائم النور وفوق تابوت الشهادة.

فقد بيّن التمهيدات التي مهّدها لبعثة سيّد رسله، من نزول مجده تعالىٰ علىٰ موسىٰ في طور سيناء وتكلّمه تعالىٰ فيها بهذا المجد أوّلاً، ثمّ طلوعه طلعة في ساعير ثانياً، وساعير هو الجبل الذي أوحىٰ الله تعالىٰ عليه الىٰ عيسىٰ بن مريم، ثمّ بعد ذلك أفصح عن ظهوره تعالىٰ كمال الظهور في جبل فاران، وهو جبل في مكّة الذي ظهر الله تعالىٰ عليه لسيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله.

والفرق بين الطلعة والظهور هو أنّ الطلعة انّما هي مقدّمة للظهور وبداياته ومبشّر به، كما أنّ طلوع الشمس هو بدوّ وتمهيد وتبشير لظهور قرصه في أفق السماء.

روى الصدوق في احتجاج الرضا على بن موسى صلوات الله عليهما أنّه قال عليه السلام لرأس الجالوت:

«هل تنكر أن التوراة تقول لكم: جاء النور من جبل طور سيناء، وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران؟ قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها. قال الرضا عليه السلام: أنا أخبرك به. أما قوله: جاء النور من جبل طور سيناء فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى عليه السلام على جبل طور سيناء. وأما قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير فهو الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام وهو عليه. و أما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران فذلك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم».[1]

---

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٤٢٧.

وقال الشهرستاني صاحب الملل والنحل على ما نقله عنه العلامة المجلسي قدس سره:

« ورد في التوراة أنه تعالى جاء من طور سيناء وظهر على ساعير وعلن بفاران، ولما كانت الأسرار الإلهية والأنوار الربانية في الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل على مراتب ثلاثة: مبدء ووسط وكمال: والمجئ أشبه بالمبدء، والظهور بالوسط، والاعلان بالكمال، عبر عن طلوع شريعة التوراة بالمجئ من طور سيناء، وعن طلوع شريعة عيسى بالظهور على ساعير، وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء وهي شريعة المصطفى صلى الله عليه وآله بالإعلان على فاران ».[١]

ثمّ إنّ ظهوره تعالىٰ لسيّد الأنبياء في جبل فاران لم يكن بواسطة شيء من أسمائه كما كان في ظهوره تعالىٰ لسائر الأنبياء. والباء في قوله: بربوات المقدّسين ليس للسببيّة، بل إنّه بمعنىٰ الإستعلاء، فإنّ الربوة إنّما تكون بمعنىٰ العلو والإرتفاع، كما يقال: ربوة الأرض أي الموضع المرتفع منها، فمعنىٰ قول القائل: كنت بربوة الأرض، أي: كنت عليها.

قال العلامة المجلسي:

« والربوات:...هي جمع ربوة مثلثة الراء، وهي ما ارتفع من الأرض. وفي الحديث: الفردوس ربوة الجنة أي أرفعها، وكل شئ زاد وارتفع فقد ربا يربو فهو راب ».[٢]

فالمعنىٰ: أنّ ظهوره تعالىٰ في جبل فاران لسيّد الإنبياء صلى الله عليه وآله كان فوق كلّ ما عظم وجلّ من المقدّسين، وفوق جنود الملائكة الصافيّن وخشوع

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٧ / ١٢٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٧ / ١٢٣.

الملائكة المسبّحين، فما كان يبلغ إلىٰ ذلك المقام عظمة المقدّسين ولاخشوع المسبّحين ولاجنود الملائكة الصافّين، كي تكون هي الواسطة في ظهور الذات القدّوس السرمدي له.

فالمسمّى جلّ جلاله قد ظهر في جبل فاران لإسمه الأعظم الذي ليس فوقه في المجد والعزّة شيء، و هذا الظهور لم يتوسّط فيه شيء من أسمائه و آياته، وذلك لكونه هو الإسم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم الذي ابتدأ بذكره الدعاء، وليس فيه شيء وشأن سوى الربط بالمسمّى والدلالة عليه، ولايُري شيئاً سوى المسمّى. وليس إسم أعظم منه كي يكون هو الدالّ له إلى الله جلّ جلاله، بل هو الدالّ والمعرّف لما سواه إليه، وهو الإسم الذي به كلّم الله موسى تكليماً، وبه تجلّىٰ لأنبيائه وبه حمد الله وعرفت له الغلبة دهر الدهور إلى آخر ما مرّ في الدعاء ممّا ذكرناه وما لم نذكره.

وهنا معنىً آخر لهذه الفقرة من الدعاء، وهو أن يكون نفس ظهور سيّد الرسل صلى الله عليه وآله من جبل فاران ظهور الله تعالىٰ، كما كانت مبايعته مبايعة الله ورضاه رضى الله وأسفه أسف الله. وذلك لكونه هو الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الأعز الأجل الأكرم وليس ظهور هذا الإسم إلا عين ظهور المسمّىٰ جلّ جلاله.

ثمّ إنّه ليس لغير الله تعالىٰ أن يعلم حقيقة الأسماء المذكورة في الدعاء ويعلم تفسيرها و تأويلها وظاهرها وباطنها، وذلك لأنّ غيره من سائر البريّات محاطون لهذه الأسماء، فليس لهم نافذة للوصول إلىٰ مقامها ومرتبتها، وإنّما يحيط بها بارؤها وجاعلها. وأمّا سائر المخلوقات فإنّما تعرفها ببعض آثارها وآياتها ودلائلها. وقد أكّد الإمام عليه السلام علىٰ ذلك في خاتمة الدعاء تأكيداً بليغاً فقال:

«اللهم بحق هذا الدعاء، وبحق هذه الأسماء التي لا يعلم تفسيرها ولا يعلم باطنها غيرك... اللهم إني أسئلك بحرمة هذا الدعاء، وبما فات

منه من الأسماء، وبما يشتمل عليه من التفسير والتدبير، الذي لا يحيط به إلا أنت، أن تفعل بي كذا وكذا».[١]

٨ ـ وجه الله ووساطته في التوجّه إلى الله

فإنّ الوجه كما مرّ يشتقّ منه الإتّجاه والجهة، وقد أطلق على القبلة أنّها وجه الله باعتبار أنّه يتوجّه بها إلى الله تعالى، فالوجه ليس إسماً للجزء البدني وإنما أطلق عليه الوجه لأنّه إذا أريد أن يرتبط بروح الإنسان الذي هو أعلى من البدن يتّجه نحو الوجه، فلو أعدم الإرتباط بين الروح والبدن كالموتى فلا يتوجّه إليه بالوجه، فحقيقة وجه الله هو الذي يتوجّه إليه عند الإرتباط بالذات الربوبية جلّ اسمه.

ففي كتاب العين للفراهيدي:

« الوجه: مستقبل كل شيء ...والوجهة: القبلة و شبهها في كل شيء استقبلته وأخذت فيه ».[٢]

وفي لسان العرب:

« وَجْهُ كُلِّ شيء: مُسْتَقْبَلُه، ...وَجْهُ البيتِ: الحَدُّ الذي يكون فيه بابه أي كانت أَبواب بيوتهم في المسجد، و لذلك قيل لَحَدِّ البيت الذي فيه الباب وَجْهُ الكَعْبةِ ...والجِهَةُ و الوِجْهَةُ جميعاً: الموضعُ الذي تَتَوَجَّهُ إليه و تقصده ...والوِجهةُ و الوُجهةُ: القِبلةُ و شِبْهها في كل وجهة أي في كل وجه استقبلته و أَخذت فيه ».[٣]

وحيث تبيّن معنى الوجه لننظر في بعض آيات الذكر الحكيم النازلة في شأن

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٧ / ٩٩.

(٢) كتاب العين، خليل بن احمد الفراهيدي: ٤ / ٦٦.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ١٣ / ٥٥٥.

الوجه وشأوه، قال الله تعالى:

﴿ وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ ﴾[١].

فالتولّي والإقبال أينما كان فإنّما يكون إلىٰ وجه الله تعالىٰ.

وقد مدح تعالىٰ في غير واحد من الآيات من يعمل الصالحات بغية التقرّب إلىٰ وجهه تعالىٰ، فقال عزّشأنه:

﴿ إِنَّمٰا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ لاٰ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزٰاءً وَ لاٰ شُكُوراً ﴾[٢].

﴿ وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ ﴾[٣].

﴿ وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾[٤].

﴿ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ ﴾[٥].

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذٰلِك خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ ﴾[٦].

﴿ مٰا آتَيْتُمْ مِنْ زَكٰاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ فَأُولٰئِك هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾[٧].

فإنما يضاعف حسنات من أراد وجه الله في عبادته.

﴿ وَ لاٰ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٨].

﴿ وَ اصْبِرْ نَفْسَك مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٩].

---

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) الإنسان: ٩.

(٣) البقرة: ٢٧٢.

(٤) الرعد: ٢٢.

(٥) الليل: ٢٠.

(٦) الروم: ٣٨.

(٧) الروم: ٣٩.

(٨) الأنعام: ٥٢.

(٩) الكهف: ٢٨.

أي: إنّ الأولياء إنّما يتوجّهون إلىٰ ذلك الوجه الأعظم، وهو مرادهم في دعواتهم غدوّاً وعشيّاً.

ثمّ أخبر تعالىٰ عن هلاك كلّ شيء سوىٰ وجهه سبحانه، فقال:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ﴾[1].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الإكْرامِ﴾[2].

والجلال والاكرام انّما هما من صفات ذلك الوجه المضاف الى الرب.

والمستفاد من هذه الآيات أنّ الإقبال على الله تعالى إنّما يكون بالإقبال على وجهه الذي جعله واسطة بينه و بين خلقه، فهو بمنزلة الباب حيث لاتؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، كما أنّ باب الكعبة وجهها الذي لايمكن الدخول فيها إلا منها. وهذا الوجه هو الذي لايبيد ولايفنى، وأينما يولّ فهناك وجه الله، وحينما يُقبل أولياؤه في عبادتهم وزكاتهم وصدقاتهم وصبرهم إنّما يريدون وجهه تعالىٰ الذي يوجّههم إلىٰ الذات القدّوس. فإرادة هذا الوجه والإقبال عليه وابتغاؤه ـ مع أنّه غير الذات الأحدية تقدّست أسماؤها ـ إنّما هي إرادة الله والإقبال إليه وابتغاؤه، وذلك لآيتيّته وإسميّته لله تعالى وخلوصه في ذلك، كما أنّ الإقبال علىٰ وجه الإنسان إقبال علىٰ حقيقة الإنسان الذي هو الروح وهو غير الوجه، ولامناص في من يبتغي الإنسان من التوجّه إلىٰ الوجه الذي يوجّهه إلىٰ الروح لشدّة الإرتباط الموجود بينهما.

وقد ورد في المستفيض بل المتواتر أنّهم عليهم السلام وجه الله الذي أمر الله عباده أن يتوجّهوا نحوه.

فقد روى الصفّار في الصحيح عن اسود بن سعيد قال كنت عند أبي جعفر

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) الرحمن: ٢٦ و ٢٧.

عليه السلام فأنشاء يقول ابتداء من غير أن يسئل:

«نحن حجّة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة امر الله في عباده».[١]

وروى أيضاً في «باب في الأئمة من آل محمد عليهم السلام انهم وجه الله الذي ذكره في الكتاب» بسند صحيح عن الحارث بن المغيرة قال:

كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله تعالى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾**[٢] فقال: **ما يقولون؟** قلت: يقولون هلك كل شيء الا وجهه. فقال: **«سبحان الله لقد قالوا عظيماً، إنما عنى كل شيء هالك الا وجهه الذي يؤتى منه ونحن وجهه الذي يؤتى منه».**[٣]

وروى أيضاً عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾**[٤] قال:

«نحن والله وجهه الذي قال، ولن يهلك يوم القيمة من اتى الله بما امر به من طاعتنا وموالاتنا، ذاك الوجه الذي كل شيء هالك الا وجهه، ليس منا ميت يموت إلا خلفه عقبه منه إلى يوم القيمة».[٥]

وروى أيضاً في الصحيح عن أبي حمزة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلني

---

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨١.

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٤ و نظيره ٨٦.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٤.

الله فداك اخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[١] قال:

«يا فلان فهلك كل شيء ويبقى الوجه الله أعظم من أن يوصف، ولكن معناها كل شيء هالك الا دينه، نحن الوجه الذي يؤتى الله منه لم نزل في عباد الله ما دام لله فيهم روية». قلت: وما الروية جعلني الله فداك؟ قال: «حاجة، فإذا لم يكن له فيهم حاجة رفعنا إليه فيصنع بنا ما أحب».[٢]

وروى أيضاً عن سورة بن كليب قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«نحن المثاني الذي أعطاه الله نبينا صلّى الله عليه وآله ونحن وجه الله في الأرض نتقلّب بين أظهركم عرفنا عن عرفنا وجهلنا من جهلنا فمن جهلنا فأمامه اليقين».[٣]

وروى أيضاً في الصحيح عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك اخبرني عن قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[٤] قال:

«يا فلان يهلك كل شيء ويبقى الوجه الله أعظم من أن يوصف، ولكن معناها كلّ شيء هالك الا دينه، ونحن الوجه الذي يؤتى الله منه».[٥]

وروى أيضاً عن هارون بن خارجة قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام:

«نحن المثاني التي أوتيها رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٤.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٤.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٥.

وجه الله نتقلب بين أظهركم فمن عرفنا عرفنا ومن لم يعرفنا فامامه اليقين».[١]

وبهذا المضمون روايات أخرى.

روى الصدوق في الصحيح الأعلائي عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث أنّ المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟ فقال عليه السلام:

«يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى فضّل نبيه محمد صلّى الله عليه وآله وسلم على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته ومتابعته متابعته وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته فقال عز وجل: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٢]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٣] وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: «من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله». درجة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله؟ فقال عليه السلام: **يا أبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم، هم الذين بهم يتوجّه إلى**

---

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٦.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) الفتح: ١٠.

الله وإلى دينه ومعرفته، وقال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[١] وقال عزوجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٢] فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة، وقد قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة» وقال عليه السلام: «إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني» يا أبا الصلت إن الله تبارك و تعالى لا يوصف بمكان، ولا تدركه الأبصار والأوهام».[٣]

فزيارة الله الذي هو بغية آمال العارفين ورؤيته والنظر إليه، إنّما تكون بزيارة سيّد الرسل صلى الله عليه وآله ورؤيته والنظر إليه. وليُعلَم أنّه ليس كل ناظر إلىٰ بدنه الشريف ناظر إليه صلى الله عليه وآله، فإنّ حقيقة سيّد الرسل وواقعيّته ليس بالجسم الترابي المرئي للبرّ والفاجر، وإنّما رؤيته تكون برؤية شعاع من أشعّة نوره المقدّس الذي وصفه لجابر بقوله صلى الله عليه وآله:

«أول ما خلق الله نوري»[٤].

وليس ذلك ممّا يناله إلا الأوحدي من الأولياء، كما ورد في المستفيض أنّ أمرهم عليهم السلام صعب مستصعب لايحتمله إلا ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

وفي البحار بعد بيان حديث معرفتهم عليهم السلام بالنورانيّة قال الإمام

---

(١) الرحمن: ٢٦ و ٢٧.

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١١٧ / ٢١.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٢.

أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا سلمان ويا جندب فهذا معرفتي بالنورانية فتمسّك بها راشداً، فإنه لا يبلغ أحد من شيعتنا حدّ الإستبصار حتى يعرفني بالنورانية، فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم، وارتقى درجه من الفضل، واطّلع على سرّ من سرّ الله، ومكنون خزائنه».[١]

وروى الصدوق أيضاً في الصحيح عن ابن أبي يعفور، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«إن الله واحد، أحد، متوحد بالوحدانية، متفرد بأمره، خلق خلقاً ففوض إليهم أمر دينه، فنحن هم يا ابن أبي يعفور نحن حجة الله في عباده، وشهداؤه على خلقه، وأمناؤه على وحيه، و خزانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه وعينه في بريته، ولسانه الناطق، وقلبه الواعي، وبابه الذي يدل عليه، ونحن العاملون بأمره، والداعون إلى سبيله، بنا عرف الله، وبنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله»[٢].

وفي دعاء الندبة:

«أين وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء».[٣]

فالأولياء إنّما يتوجّهون الى وجه الله وهو الوسيط بينهم وبين الذات الربوبية،

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦ / ٧.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٥٢ / ٩.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩٩ / ١٠٧.

وبالتوجّه الى ذلك الوجه يعرف الله ولولاه لما عرف الله، كما أنّ التوجّه إلىٰ الإنسان يكون بالتوجّه إلىٰ وجهه، وليست رؤية الله وزيارته إلا برؤية ذلك الوجه وزيارته والتوجّه نحوه، وليس لأحد أن يتوجّه إلىٰ الله تعالىٰ إلا بالتوجّه إلىٰ وجهه عزّوجل، فإنّه بابه وصراطه.

ابتغاء وجه الله وقصد القربة

ثمّ إنّه مرّ في غير واحد من الآيات أنّ الإتيان بالعبادات والطاعات إنما يكون ابتغاء لوجه الله تعالىٰ، وقد مدح أولئك الذين يريدون وجهه في صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وصدقاتهم. والسرّ في ذلك -كما بيّنه بعض المشايخ من الأعلام- أنّه:

لا شك أنّ حقيقة العبادات إنّما تكون بنيّة التقرّب إلىٰ الله والعبادة من دون نيّة القربة تعدّ شركاً بالله عزّوجل، والنيّة القربيّة إنما تحصل بقصد الطوعانيّة والخضوع والإمتثال لأوامر اللّٰه تعالى ونواهيه، وطاعة اللّٰه عزّ وجلّ لا تتحقّق إلا إذا كانت مقترنة بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، كما أنّ طاعة الرسول لم تتحقّق إلا إذا اقترنت بطاعة أولي الأمر من أهل بيته عليهم السلام. ومن لم ينوِ القربة بهذا النحو في العبادة تكون عبادته شركاً باللّٰه تعالى، لعدم التوجّه إلى اللّٰه عزّوجلّ بأبوابه التي أمر بتوسيطها وطاعتها وامتثال العبادات انقياداً لأوامرها.

وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله بأمره ونهيه إنّما يدلّ العباد على أوامر اللّٰه ونواهيه، كذلك العترة الطاهرة بأوامرهم ونواهيهم يدلّون العباد على أوامر الرسول الأكرم ونواهيه، بما يشبه الحالة التراتبية في التنزّل القانوني الوضعي في الأدوار والصلاحيات، فهم الدالّون على طاعة الرسول صلى الله عليه و آله كما كان هو دالاً على طاعة ربّه.

وبعبارة أخرى: إن أصول تشريع اللَّه تعالى وفرائضه يتبعها تشريعات النبيّ صلى الله عليه و آله تفصيلاً وبياناً، ويتبعها تشريع أولي الأمر على نحو التنزّل القانوني، الذي هو الفتق بعد الرتق، والتفصيل بعد الإجمال، والبسط بعد القبض للتشريعات. وهذه لغة قانونية جعلها اللَّه تعالى جسراً لإيصال أحكامه على ما جرى عليه البشر، كالتشريع للفقه الدستوري ثم النيابي ثم الوزاري، على نحو التبعية بلامنافاة، وهذا برهان قانوني على التشريعات التي لابدّ من طاعتها. فالرتق يُفسَّر ويفتق فتقاً قانونياً تابعاً له.

ففرائض الله تتبعها سنن النبي، وسنن النبي تتبعها تشريعات أهل البيت عليهم السلام، ويتجلّى ذلك المعنى أكثر إذا علمنا أن معظم الإحكام والشرائط والموانع وتفاصيل الأجزاء إنّما هي من تشريعات النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام، فلا تستعلم تلك الأمور مع تركهم والإعراض عنهم وعدم الطاعة لأوامرهم. فجميع العبادات فرائض من اللَّه تعالى وسنن من نبيّه ومنهاج وهدي من أهل بيته عليهم السلام، وذلك على جميع المستويات الإعتقادية والعبادية.

فمن يريد أن يفصل في صلاته وحجّه وصومه طاعة اللَّه عن طاعة الرسول وطاعة أولي الأمر، فينوِ في صلاته طاعة الله دون طاعة الرسول وأولى الأمر ـ فلا يقرأ مثلاً الركعتين اللتين أضافهما النبي لصلاة الظهر والعصر والعشاء ـ يكون على كفر إبليس الذي استكبر عن طاعة خليفة الله وأراد أن يفرّق بين طاعة الله وطاعة وليّه وبين الخضوع لله والخضوع لوليّه، بل تكون طاعته من الوثنية الجاهلية التي يشنؤها اللَّه عزّ وجلّ وعبّر عنها في قرآنه الكريم بالشرك والنجس، فإنّ طاعة كلّ من لم يأمر اللَّه بطاعته وثن من الأوثان، بل حتى صلاته تصبح وثناً إذا كانت صادرة عن طاعة غير من أمر اللَّه بطاعته.

وحيث أن التوجّه والقربة والزلفىٰ لا تحصل إلابالطاعة لله وللرسول، كذلك

لا تحصل إلا بطاعة أولي الأمر الذين اقترن طاعتهم بطاعة اللّٰه ورسوله، فلا يمكن قصد القربة في العبادة ولا يحصل القرب إلى اللّٰه تعالى في العبادات إلا بالخضوع والطاعة لوليّ الأمر والإتيان بالعبادة امتثالاً لأمره، تبعاً لأمر اللّٰه والرسول صلى الله عليه و آله، حيث يستعلم أمرهما بأمره. ونيّة القربة إذا لم تكن على هذا المنوال في العبادة لا تقبل؛ لعدم تفتّح أبواب السماء إلا بالخضوع لهذه الآيات. وقد صار الخضوع لهم خضوعاً للّٰه عزّ وجلّ، كخضوع الملائكة لآدم لأنه باب اللّٰه تعالى.[1]

ومن ذلك يتّضح أنّ أي عبادة من العبادات أو قربة من القربات أو نيل مقام من المقامات القربية أو الفوز بحظوة عند اللّٰه تعالى لا يمكن أن تتحقّق من دون توسيط طاعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته المطهّرين في تلك العبادة أو ذلك المقام. فالنبي وأهل بيته عليهم السلام قد جُعلوا القبلة المعنوية في العبادات، فمن قصد الله عليه أن يتوجّه إليهم عليهم السلام، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة بسند صحيح عن الهادي عليه السلام: «**ومن قصده توجّه بكم (إليكم)**»[2]. ومن هنا أمر بالتوجّه لله عن طريق التوجّه إلى الرسول وأهل بيته في دعاء التوجّه الذي يقرء حين الشروع في الصلاة، ليؤكّد نيّة القربة.

فقد روىٰ الصدوق عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

> **«إذا قمت إلى الصلاة فقل: اللهم إني أقدم إليك محمداً بين يدي حاجتي، وأتوجه إليك به فاجعلني به وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، واجعل صلاتي به مقبولة، وذنبي به مغفوراً، ودعائي به مستجاباً، إنك أنت الغفور الرحيم... ثم كبّر تكبيرتين وقل: وجّهت**

---

(١) اقتبسناه مما ذكره شيخنا الاستاذ محمد السند في كتابه الإمامة الإلهيّة، بقلم قيصر التميمي: ٤ / ١٥٨.

(٢) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ١ / ٣٠٨، من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢ / ٦١٥، تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٦ / ٩٩.

وجهي للذي فطر السماوات والأرض، على ملّة إبراهيم ودين محمد صلى الله عليه وآله ومنهاج علي، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».[١]

وفي مكاتبة الحميري لصاحب الزمان عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف، سأله عن رواية رواها بعض الأصحاب عن الصادق عليه السلام في دعاء التوجّه تتضمّن التوجّه بدين محمد ومنهاج علي بن أبي طالب والائتمام بآل محمّد، حيث أنكره بعض الأصحاب وعدّوه من البدع المستحدثة، فكتب الإمام عليه السلام:

«التوجه كلّه ليس بفريضة، والسنة المؤكدة فيه التي كالإجماع الذي لا خلاف فيه: وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمّد صلى الله عليه وآله وهدى علي أمير المؤمنين عليه السلام وما أنا من المشركين...».[٢]

وقد يقال: إنّ بعض تلك الآيات إنّما تمدح العترة الطاهرة في توجّههم لوجه الله وتقرّبهم لديه، كقوله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** ﴾[٣] فكيف يراد بوجهه تعالىٰ أهل البيت عليهم السلام مع كون ذلك الوجه هو مرادهم في عباداتهم ودعواتهم؟

والجواب: أنّ العترة الطاهرة عليهم صلوات الله مع كونهم أوجه لله تعالىٰ، لكنّهم كانوا يتوجّهون ويوجّهون العباد إلىٰ الوجه الأعظم، أكرم الوجوه وأعزّها الذي عنت له الوجوه وخضعت له الرقاب وخشعت له الأصوات، وهو إمام الأئمّة المهديّين سيّد الرسل وخاتمهم صلى الله عليه وآله، بل حتىٰ جسد النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١ / ٢٠٢ـ٣٠٤ / ٩١٦.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦ / ٢٥ / ٧٢٤٩.

(٣) الإنسان: ٩.

وروحه الشريف أيضاً إسمان لما فوقهما من نوره الشريف الذي هو أوّل ما خلق الله عز وجل، و هو نور لاهوتيّة الربّ المتعال كما ورد في الحديث.

٩ ـ دعاء عظيم في الأسماء الحسنىٰ

ورد فى الدعاء المروى عن النبى صلى الله عليه و آله فى الاسماء الحسنى الذي أورده المجلسي في البحار، قوله صلى الله عليه و آله:

«وأسئلك باسمك المصور الماجد الواحد الذي خشعت له الجبال وما فيها يا الله... وأسئلك باسمك العظيم الذي تجليت به لعظمة سلطانك يا الله ... وأسئلك بأسمائك الوحدانية يا واحد يا الله وأسئلك ، بأسمائك الفردانية يا فرد يا الله... وأسألك باسمك الذي يسبّح لك به قطر المطر والسحاب الحاملات قطرات رحمتك يا الله ... وأسئلك باسمك الذي ملأت به قدسك بعظيم التقديس يا قدوس يا الله... وأسئلك باسمك الذي يسبّح لك به كل شيء بلغات مختلفة يا الله... وأسألك باسمك الذي يسبّح لك به البرق الخاطف والصواعق العاصفة يا الله. وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الرياح العاصفات في مجاريها يا الله... وأسئلك باسمك الذي تخرج به الحبوب من الأرض فتزين بها الأرض فتذكر بنعمتك يا الله وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الضفادع في البحار والأنهار والغدران بألوان صفاتها واختلاف لغاتها يا الله. وأسئلك باسمك الذي يسبّح لك به الملك القائم على الصخرة تحت الأرضين السفلى فيثبت عليها بذلك الاسم فهو يسبّحك به خشية أن يسقط من مقامه فيهلك يا الله... وأسألك باسمك الذي أثبت به الأرضين على هامة ذلك الملك القائم على

الصخرة بأمرك فهو يسبّحك بذلك الإسم دائما لا يفتر من التسبيح لك والتقديس ليدوم ثبوتها وإلا يسقط في اليم فيهلك يا الله... وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين حول العرش والأرضين يا الله وأسألك باسمك الذي تسبح لك به الملائكة الذين خلقتهم من ضياء ذلك الاسم يا الله، وأسألك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين خلقتهم من الرحمة يا الله، وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين خلقتهم من الظلمة يا الله، وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين خلقتهم من العذاب يا الله، وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين خلقتهم من البرد يا الله، وأسألك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين خلقتهم من الثلج والنار وألّفت بينهم بعظمة ذلك الاسم لا تذيب النار الثلج ولا يطفئ الثلج النار يا الله، وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين خلقتهم من النور فيخرج من أفواههم النور بذلك الإسم يا الله وأسألك باسمك الذي خلقته من تسبيح ذلك الاسم وبه يخرج من أفواههم تسبيح تخلق منه ملائكة يسبّحونك ويقدّسونك ويهلّلونك ويكبّرونك ويمجّدونك بذلك الاسم إلىٰ يوم القيمة يا الله».

فما من مخلوق يسبّح الله تعالى ويمجّده ويقدّسه إلا بإسم خاصّ الذي يكون هو الوسيط في تسبيحه وتنزيهه للذات القدّوس، ومنه يظهر معنىٰ قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] فجميع الخلائق إنّما سبّحوا الله وعظّموه ومجّدوه و قدّسوه بلغات مختلفة وخشعوا له بواسطة الإسم، وغير خفي أنّ التسبيح والتمجيد و التقديس والتعظيم من آثار المعرفة به تعالى.

---

(١) الإسراء: ٤٤.

وقد ملأبذلك الإسم قدسه بعظيم التقديس، فهو الوسيط في التقديس الذي ملأ أركان كلّ شيء. فمن الذرّة و القطرة الى المجرّة والرياح والبرق والرعد وأصناف الحيوانات وأنواع الحبوب والنباتات إنّما عرف الله وسبّحه بذلك الإسم. ثمّ المخلوقات العلويّة من الملائكة وأصنافها جميعاً من ملائكة العرش والفرش قد عرفوا الله وسبّحوه وعرفوا التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد بذلك الإسم، كما ورد «**سبّحنا فسبّحت الملائكة**»، بل هناك طائفة من الملائكة خلقوا من ضياء ذلك الإسم فكيانه وقوامه ثمّ معرفته وشعوره وتسبيحه يكون بذلك الإسم.

وهناك ملائكة خلقوا من الرحمة وهم أيضاً لم يهتدوا إلى تسبيحه تعالى إلا بذلك الإسم، وهذا يدلّ على أنّ ذلك الإسم أعلى من الرحمة فالرحمة إنّما تكون إسماً يؤدّي إلى ذلك الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم. بل الأمر أعظم من ذلك وأرفع حيث قال صلّى الله عليه وآله: «**وأسئلك باسمك الذي تسبّح لك به الملائكة الذين خلقتهم من النور فيخرج من أفواههم النور بذلك الإسم يا الله**» فمن خلق من النور لايهتدي الى التسبيح الا بشرف ذلك الإسم بل لن يخرج النور من أفواههم إلا بذلك الإسم، فهو الوسيط في خروج كلّ نور منهم.

> **«وأسألك باسمك الذي خلقته من تسبيح ذلك الاسم وبه يخرج من أفواههم تسبيح تخلق منه ملائكة يسبّحونك ويقدّسونك ويهلّلونك ويكبّرونك ويمجّدونك بذلك الاسم إلى يوم القيمة يا الله»**

فلتسبيح ذلك الإسم من العظمة والجلال والشرف والكمال ما يخلق منه إسم آخر يسبّح الله، ثم يخلق من تسبيح هذا الإسم المخلوق من الإسم الأوّل ملائكة يسبّحونه ويقدّسونه ويهلّلونه ويكبّرونه ويمجّدونه بذلك الإسم الى يوم القيامة. فتشاهد هنا سلسلة الأسماء والتراتب الموجود بينها وأنّ جميعها إنّما يؤشّر إلى ذلك الأسم الأعظم، وأنّ دور الملائكة إنّما يأتي في المراتب المتأخّرة جدّاً.

ولأجل هذا عَيِيَ علم الملائكة أن يحيط بهذه الأسماء، بل بأسماء تلك الأسماء فأقرّت بالعجز والتقصير حيث قال تعالى: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ﴾[1].

آيات الأسماء

«وأسئلك باسمك يا لاإله إلا أنت المخزون المكنون الذي لا يعرفه أحد إلا بالآيات الواضحات، والدلالات البينات، والعلامات الظاهرات، من عجائب الخلق من النار والنور والظلمات، والسحاب المتطابقات، والرياح الذاريات، والأعين الجاريات، والنجوم المسخرات، وجلاميد الأهوية المتراكمات بين الأرضين والسماوات، والعيون المنفجرات، والأنهار الجاريات، والبحار وما فيهن من الأمم المختلفات، كل يسبح لك بذلك الاسم العظيم الذي لا تفنى عجائبه لما عظمته وشرفته وكرمته وكبرته».

وفي هذه الفقرة من الدعاء بيّن صلّى الله عليه وآله أنّ معرفة ذلك الإسم لاتتيسّر لأحد إلا بآياته البيّنة ودلالاته الواضحة وعلاماته الباهرة، وأنّ عجائب الخلق من النار والنور والسحاب المسخّر بين السماء والأرض والرياح والعيون والنجوم والبحار وما فيها من العجائب إنّما هي آيات وعلامات لذاك الإسم وهي سبيل معرفته، وجميعها يسبّح الله بذلك الإسم العظيم الذي لاتفنىٰ عجائبه لما يحذو به من الشرف والكرامة والكبر.

«وأسئلك باسمك الذي تسبح لك به الجبال الراسيات بأمرك يا الله، وأسألك باسمك الذي تسبح لك به الأنهار الجاريات بأمرك يا الله،

---

(١) البقرة: ٣١.

وأسئلك باسمك الذي تسبح لك بـه البـحار الزاخـرات التـي هـي بالأرض محيطات يا الله، وأسئلك باسمك الذي تسبح لك به الأشجار المـخضرات النـضرات والأوراق الزاهـرات والأغـصان المـثمرات والثمرات والطيبات كل يسـبح لك بـذلك الاسـم يـا الله، وأسـألك باسمك الذي تسبح لك به العيون الواقفات بقدرتك يا الله، وأسألك باسمك الذي تسبح لك به النخل الباسقات يا الله، وأسألك بـاسمك الكبير الجليل الأجل الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت وإذا قسم به عليك بررت يا الله، وأسئلك باسمك الذي مـن دعاك بغيره لم يزدد من معرفته بك إلا بعداً وينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير يا الله»

بعد أن أكّد في هذه الفقرة أيضاً علىٰ كون تسبيح المخلوقات إنّما يكون بإسم خاصّ، أعطىٰ ضابطة كليّة في الأسماء، فقال: أنّ الدعاء والتوجّه والإقبال عليه تعالىٰ ـبأي نحو من أنحاء الإقبال ـ يجب أن يكون بواسطة هذا الإسم، ومن رام أن يدعوه بغير هذا الإسم لم يزدد من معرفته بالله إلا بعدا، فسبيل المـعرفة هـو الدعاء بالإسم كما أنّ الدعاء بغير الإسم تسبّب البعد عن المعرفة. علماً بأنّ الدعاء في معناه العامّ يشمل كلّ توجّه إلىٰ الله كالتسبيح والتحميد والتقديس، فـجميع المسبّحين والمـهلّلين والمكبّرين و[illegible]عين، عـليهم أن يـدعوا ربّـهم بـإسمه المقدّس، وهو السبيل الوحيد لمعرفة الله ولاطريق سواه أبداً، فمن رام أن يُقبل علىٰ الله بغيره لم يزدد من معرفته إلا بعداً، وينقلب اليه البصر خاسئاً وهو حسير.

وهذا المفاد نظير ما مرّ من قوله تعالىٰ: ﴿ وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمٰائِه ﴾[1] حيث أمر بالإعراض والهجران عمّن عدل ومال عن هذه الأسماء في دعائه للربّ

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

المتعال. وكذا نظير مفاد آيات إباء إبليس عن السجود لآدم حيث رُجم ولُعن لأنّه أراد أن يعبد الله ويُقبل إليه من دون الخضوع لخليفته ووليّه.

«وأسئلك باسمك الذي خلقت به جبرئيل من روح القدس وجعلته سفيراً بينك وبين أنبيائك بذلك الاسم يا الله، وأسئلك باسمك الذي خلقت ميكائيل من نور البهاء وجعلته بكيل المطر عالماً وكل ذلك عندك معلوماً وعدد كل قطرة مفهوماً بذلك الاسم يا الله، وأسألك باسمك الذي خلقت به إسرافيل وعظمت خلقته بذلك الاسم فهو يسبحك به إلى يوم القيمة يا الله، وأسئلك باسمك الذي خلقت به عزرائيل ملك الموت فظل بعظيم ذلك الاسم وكيلا على قبض الأرواح وهي له سامعة مطيعة لامره بذلك الاسم يا الله، وأسئلك باسمك الذي دعاك به إسرافيل فأجبته والعرش على كاهله وهو فارش أجنحته لم يضطجع ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب ولم يغفل منذ خلقته ولم يشتغل عن عبادتك طرفة عين هيبةً لك وخوفاً بذلك الاسم يا الله، وأسألك باسمك الذي يسبح لك به إسرافيل فيقطع تسبيحه على جميع الملائكة عبادتهم لاستماعهم إلى طيب صوته وتسبيحه بذلك الاسم يا الله، وأسئلك باسمك الذي يسبح لك به عزرائيل في مقامه بين يديك بذلك الاسم يا الله، وأسئلك باسمك الذي يسبح لك به جبرئيل في مقامه بين يديك بذلك الاسم يا الله، وأسألك باسمك الذي يسبح لك به إسرافيل فتخلق من كل لفظة من تسبيحه ملكا يسبحك بذلك الاسم إلى يوم القيمة يا الله»

فالمقرّبون من الملائكة إنّما صاروا مقرّبين وسفراء ومدبّرين لأمور العالم بذلك الإسم، وهم قد عرفوا الله وسبّحوه بذلك الإسم، وليس لجبرئيل ولالميكائيل

ولا لإسرافيل ولا لعزرائيل أن يعرفوا الله و يسبّحوه من دون وساطة ذلك الإسم، بل لمّا سبّحوه بذلك الإسم، خلق من كلّ لفظة من تسبيحهم ملكاً يسبّح الله بذلك الإسم. فإذا كان للتسبيح الذي خرج من ملك سبّح الله بذلك الإسم أن يخلق منه ملائكة فما ظنّك بذلك الإسم نفسه؟ علماً بأنّ الملائكة من العلويّين والكروبيّين.

«وأسئلك باسمك الذي طوّقت به أبصار عبادك يوم القيامة حتى ينظروا إلى نور وجهك الكريم الباقي يا الله، وأسئلك باسمك الذي قذفت به الخوف في قلوب الخائفين الراجين فهم يرجون رحمتك ويخافون عذابك يا الله، وأسألك باسمك الذي وضعته على سمائك فتزينت بنور بهائك يا الله، وأسألك باسمك الذي تنوم به العيون وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم، وأسألك باسمك الذي أنزلته على عيون أهل الغفلة فغفلوا عنك فناموا عن طاعتك يا قيوم السماوات والأرض يا الله، وأسألك باسمك الذي أنزلته على عيون محبيك فطار عنهم النوم إجلالاً لعظمة ذلك الاسم فقاموا صفوفاً بين يديك قياماً على أقدامهم يناجونك في فكاك رقابهم من النار يا الله، وأسئلك باسمك التام العام الكامل يا الله، وأسئلك باسمك ص ويس والصافات وحم عسق وكهيعص يا الله».[1]

فالنظر إلى نور وجهه تعالى -أي حقيقة معرفته تعالى- لايتيسّر إلا بذلك الإسم، كما مرّ أنّ زيارة الله إنّما هو زيارة رسول الله والنظر إليه نظر إلى الله تعالى. ثمّ بيّن أنّ الخوف منه تعالى والرجاء به وإجلاله تعالى كلّ ذلك حصل بذلك الإسم. وبيّن أنّ ذلك الإسم هو الإسم التامّ الكامل العام وهو ص ويس والصافات

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩٠ / ٢٥٤ ـ ٢٦٢.

وحم وعسق وكهيعص الذي هو الرسول وأهل بيته المطهّرون صلوات الله عليهم أجمعين، فقد ورد في الأخبار أنّ الحروف المقطّعة انما هي أسماء لمقامات النبي صلى الله عليه وآله النورانيّة. ففي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام:

> **وهو حبيبك ونبيك محمد صلى الله عليه وآله أزلف خلقك عندك، وأكرمهم منزلة لديك... وقلت جل قولك له حين اختصصته بما سمّيته من الأسماء: ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ وقلت عز قولك: ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ وقلت تقدست أسماؤك: ﴿ص والقرآن ذي الذكر ﴾ وقلت عظمت آلاؤك: ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾، فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته وقرنت القرآن به. فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلا وهو اسمه، وذلك شرف شرّفته به، وفضل بعثته إليه، تعجز الألسن والأفهام عن وصف مرادك به، عن علم ثنائك عليه، فقلت عز جلالك في تأكيد الكتاب وقبول ما جاء به: ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ وقلت عززت وجللت: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شئ ﴾ وقلت تباركت وتعاليت في عامة ابتدائه: ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ و ﴿ الر كتاب أحكمت آياته ﴾ و ﴿ الر كتاب أنزلناه ﴾ و ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ و ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ وفي أمثالها من سور الطواسين والحواميم في كل ذلك بيّنت بالكتاب مع القسم الذي هو اسم من اختصصته لوحيك، واستودعته سر غيبك.**[1]

وفي الخبر دلالة على أنّ الكتاب المبين والقرآن المجيد انما هو تبع لهذه

---

(١) الصحيفة السجادية الجامعة، موحّد الأبطحي: ٣١٠.

المقامات النوريّة العظيمة المودعة في ذات النبي صلى الله عليه وآله، حيث بدأ بإسم النبي ثم أردف بذكر الكتاب المبين والقرآن المجيد.

١٠ ـ من أراد الله بدء بكم

روى الكليني في الصحيح عن الحسين بن ثوير قال:

كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضل بن عمرو أبو سلمة السراج جلوسا عند أبي عبد الله عليه السلام وكان المتكلم منا يونس وكان أكبرنا سناً فقال له:... جعلت فداك إني أريد أن أزوره (الحسين عليه السلام) فكيف أقول وكيف أصنع. وفيما علّمه عليه السلام من الزيارة قوله: **«السلام عليك ياحجّة الله وابن حجّته... من أراد الله بدء بكم»**.[1]

ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات وكرّر هذه الجملة من الزيارة ثلاثاً فقال:

«من أراد الله بدء بكم، من أراد الله بدء بكم، من أراد الله بدء بكم»[2]

روى الصدوق والشيخ في الزيارة الجامعةالكبيرة المرويّة عن الهادي عليهالسلام:

«بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه إليكم»[3]

فهم مبدأ المعرفة بالله، ومن أراد الله عليه أن يبتدأ بهم عليهم السلام، ومن

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ٤ / ٥٧٥.

(٢) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ٣٦٥.

(٣) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ١ / ٣٠٨، من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢ / ٦١٥، تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٦ / ٩٩.

لم يبتدأ بهم فهو لم يرد الله ومحال أن يصل إليه. ولاتخفىٰ لطافة التعبير في كلمة «بدأ بكم» أي: لايكون رجوعه إليهم بعد استقاء المعرفة من غيرهم. وهذا نصّ علىٰ أنّ من جعل النظر في كلمات أهل البيت عليهم السلام، بعد العكوف وأخذ المعرفة من غيرهم ـ من الفلاسفة أو المتصوّفة أو غيرهم ممّن هم ليسوا بأهل البيت ولامعارفهم مأخوذة منهم ـ فهو لايريد أن يعرف الله تبارك وتعالىٰ ولا أن يصل إليه حقيقةً، وإن ادّعىٰ ذلك فهو إمّا كاذب أو ضالّ. وذلك؛ لأنّهم باب الله ووجهه، ولاتؤتىٰ البيوت إلا من أبوابها، فما باله لايبتدأ بالباب لدخول البيت، بل يجعل الرجوع إليه بعد دخوله في البيت؟!

ولايجدي في رفع المحذور ما قد يقال: من كون الفلسفة مفسّرة وشارحة لكلام المعصوم، أو أنّها كعلم اللغة ناقلة للمعاني، أو أنّها كعلم أصول الفقه الذي لابدّ لتعلّمه قبل الرجوع إلىٰ الروايات الفقهيّة، وغير ذلك من الدعاوي الفارغة والآراء الساقطة التي مرّت المناقشة فيها في الفصول السابقة من هذا الكتاب. فإنّه كيف يقاس علم اللغة الذي ليس إلا من العلوم الآلية التي تستخدم لصالح سائر العلوم وليس مطلوباً إلا بغيره، مع الفلسفة التي لاتطلب إلا لذاتها، وهي من العلوم الإستقلاليّة التي لها معطياتها ونتائجها الخاصّة وهي قد تطابق معطيات الدين وقد تخالفها؟

وأنّىٰ يكون للفلسفة أو التصوّف ـ التين قد توصفان بالحكمة والعرفان ـ شأن الشرح والتفسير لكلام الله وكلام أوليائه، مع ما نشاهد بأمّ أعيننا من كمال المباينة بل التضادّ بين النهجين؟ وقد مرّ بعض النماذج من ذلك.

فمتىٰ صار المباين لأمر شارحاً له؟

بل متىٰ كان الفلاسفة بصدد تبيين مقاصد أولياء الدين، بقدر ما كانوا بصدد تحميل آرائهم علىٰ الكتاب والسنّة؟

ومن ثمّ قال السيّد محسن الأمين العاملي في بيان شخصيّة ملاصدرا العلميّة لاسيّما كتابه الأسفار:

« إنّ كتاب الأسفار هو أول مصنفاته... وكل كتاب ألّفه وكل رسالة صنعها بعد ذلك فالجميع مجرد منه، ومقتبس من عباراته وآرائه، ولذا قلنا إنه الأم لباقي مؤلفاته، حتى كتب التفسير التي ألفها على ما يظهر لغرض تطبيق فلسفته على القرآن الكريم... ولذا نقول إن كتبه في التفسير وشرح الحديث هي امتداد لفلسفته ».[1]

ثمّ إنّ قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة: «**من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه إليكم**» تصريح بعدم إمكان التفكيك بين إرادة الله وتوحيده وقصده، وبين التوجّه إلىٰ أهل البيت والبدء بهم والقبول عنهم، فهم الوسطاء والوجهاء الذين يتوجّه بهم إلىٰ الله تعالىٰ، وهو كما ترى عام شامل لكل أحد وفي كلّ نشأة، من الدنيا أو العوالم السابقة عليها واللاحقة عنها.

١١ ـ ركنيتهم للتوحيد والآيات والمقامات

روى الشيخ قال: أخبرني جماعة عن ابن عياش قال: مما خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدسة، ما حدثني به جبير بن عبد الله قال: كتبته من التوقيع الخارج إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم ادع في كلّ يوم من أيام رجب:

اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ٣٢٤.

لعظمتك، أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك، و أركاناً لتوحيدك و آياتك و مقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك و بينها إلا أنهم عبادك و خلقك، فتقها و رتقها بيدك، بدؤها منك و عودها إليك، أعضاد و أشهاد و مناة و أذواد و حفظة و رواد، فبهم ملأت سماءك و أرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت.[1]

قد وصف أولياء أمره تعالى في هذا التوقيع الشريف أنّهم واصفون لقدرة الله تعالىٰ، و أنّهم معلنون لعظمته تعالى، فهو تعالىٰ لا يعرف إلا بتوصيفهم وإظهارهم لقدرته وعظمته.

ثمّ بيّن أنّهم معادن لكلماته تعالىٰ. والكلمة هي الدليل والآية التي تدلّ علىٰ الذات الأحدي، ومن أجل ذلك صار عيسى كلمة الله لأنّه آية لعظمته تعالىٰ وقدرته، و لا نفاد لكلماته تعالىٰ كما قال تعالىٰ: **﴿وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[2]

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[3]

فكونهم عليهم السلام معادن لكلمات الله تصريح بإستحالة معرفته تعالىٰ دون وساطتهم، فما من كلمة من كلمات الله تعالىٰ إلا وهم معادن لها.

ثمّ أفصح عن مقام آخر لهم وهو ركنيتهم لتوحيده تعالىٰ وآياته ومقاماته،

---

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٨٠٤، مصباح الكفعمي: ٥٢٩، الإقبال، ابن طاووس: ٦٤٦، بحارالأنوار، العلامة المجلسي: ٩٩ / ٢٣٦.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) الكهف: ١٠٩.

فلولاهم لما قامت للتوحيد قائمة، بمعنىٰ أنّه لم يكن ليعرفه أحد بالوحدانيّة، وهناك فرق واضح بين مدخليتهم في التوحيد وبين كونهم ركناً له، فإنّ الركن هو أساس الشيء وما لولاه لاستحال التوحيد. وكذا ركنيتهم لآياته تعالىٰ ومقاماته التي لاتعطيل لها في كلّ مكان، فما من آية ولا مقام لله تعالىٰ إلا وهو قائم بهم عليهم السلام وهم ركن له. وهذه المقامات هي مقامات فعله تعالىٰ وتجلياته وظهوره حيث وصف بأنّه لايخلو منه مكان، وليس المراد كمالات الذات الأحدي التي يستحيل أن تكون قائمة بغيره تعالىٰ، وأما في مقام الفعل والظهور والتجلي فلا ضير في أن يجعل الله تعالىٰ أحد أسمائه ركناً وأساساً لسائر الأسماء والتجليات والمقامات التي تتسع جميع المخلوقات.

فقد جعلهم الله أركاناً لتجلياته وظهوراته وآياته وأفعاله التي لاتعطيل لها. وهذا البيان نصّ في إستحالة الوصول إلىٰ توحيده ومقاماته دون وساطتهم عليهم السلام فانّهم أركان لتوحيده ومقاماته وآياته التي لا تعطيل لها في كلّ مكان.

ثمّ بيّن أنّ من عرف الله تعالىٰ فإنّما عرفه بهذه الآيات والمقامات التي تكون قائمة بهم، فقال: «**يعرفك بها من عرفك**» فلايُعرَف تعالىٰ إلا بالآيات التي هم أركان لها.

والمراد من عدم الفرق بينه تعالىٰ وبين أركان التوحيد ومعادن الكلمات، أنّه لايحجبهم عن الله شيء فلايتوسّط بينهم وبينه تعالىٰ حجاب فإنّهم الأسماء العظمىٰ والأمثال العليا. وذلك أنّ الفرق يكون بمعنى الفصل، فالفاصل الوحيد بينهم وبين الله هو العبوديّة له تعالىٰ.

ثمّ ذكر لهم مقامات أخرىٰ عظيمة في عالم الخلقة، وفي الأخير أكّد علىٰ أنّهم بآياتهم وأسمائهم وشعب أنوارهم قد ملأوا السماء والأرض، وبهذه الآيات والأسماء والأنوار ظهرت كلمة التوحيد لأهل السماء والأرض، فلولاهم لم يعرف أحد ربّه بالوحدانيّة.

١٢ ـ الرسول وأهل بيته عليهم السلام واسطة المعرفة للملائكة

روى الصدوق بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني.**

قال علي عليه السلام: فقلت: **يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟**

فقال: يا علي! ان الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وانّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبينا. يا علي! الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا. يا علي! لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لان أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فانطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبّحنا لتعلم الملائكة إنا خلق مخلوقون، وانه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هلّلنا، لتعلم الملائكة ان لا إله إلا الله وإنا عبيد ولسنا بآلهة يجب ان نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله، فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكة ان الله أكبر من أن ينال عظم

المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزّ والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة ان لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله. فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده. الحديث.[1]

فإذا كانت الملائكة في علوّ مقامهم وقربهم من الساحة الربوبيّة لم يعرفوا ولم يهتدوا الى توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتمجيده إلا بهم عليهم السلام، فما ظنّك بغيرهم من مساكين البشر الذين راموا أن يعرفوا الله بغيرهم، فتبّاً وتعساً وخيبةً لهم.

وليعلم أنّ التسبيح والتحميد والتهليل إنّما هي من آثار المعرفة بالله، فالملائكة إنّما لم يهتدوا الى ذلك لأنّهم بعد لم يعرفوه بالوحدانيّة ليوحّدوه ولم يعرفوا قدسه كي يقدّسوه ولم يعرفوه بالتنزيه كي يسبّحوه ولم يعرفوا مجده و علوه كي يمجّدوه ويحمدوه، إلى أن عرّفهم وعلّمهم أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم، فليس للملائكة سبيل إلى معرفة الله إلا سبيلاً يمرّ بأسمائه الحسنىٰ محمّداً وآله الطيّبين عليهم صلوات الله وصلوات ملائكته أجمعين.

وروى الصدوق عن عبد الله بن محمد بن ظبيان عن أبي سعيد الخدري قال:

كنا جلوسا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم... فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: **«انا وعلى وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل ان يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام»** الحديث.[2]

---

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١ / ٥ ورواه في البحار عن العلل وكمال الدين: ٢٦ / ٣٣٥ـ٣٣٨ / ١.

(٢) فضائل الشيعة، الشيخ الصدوق: ٧.

وروى الحضيني عن حبابة الوالبية قالت:

دخلت على أبي جعفر عليه السلام... فقالت له حبابة: بالذي أخذ ميثاقكم على النبيين أي شيء كنتم في الأظلة؟ قال: «**يا حبابة نوراً بين يدي العرش قبل ان يخلق الله عز وجل آدم عليه السلام وأوحى الله تبارك وتعالى إلينا فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ولم نكن نسبح**».[1]

ورواه في عيون المعجزات وكذا البحار باختلاف يسير.[2]

ورواه في مدينة المعاجز وفيه:

قال عليه السلام: «**كنا نورا نسبّح الله رب العالمين قبل خلقه، قال: فلما خلق الله خلقه سبّحنا فسبّحوا بتسبيحنا وكبّرنا فكبّروا بتكبيرنا وهلّلنا فهلّلوا بتهليلنا، ولم يكن قبلنا تسبيح ولا تكبير ولا تهليل**».[3]

فجميع الخلق إنّما عرفوا الله وعرفوا تسبيحه وتنزيهه وتوحيده بهم عليهم السلام ولم يكن قبل تعليمهم تسبيح ولاتكبير ولاتهليل، فالتسبيح والتهليل إنّما بدء منهم عليهم السلام، ممّا يدلّل على أنّ المعرفة إنّما بدأت منهم وما كان أحد يعرف ربّه قبل ذلك، وهذا نصّ في وساطة أهل البيت عليهم السلام في المعرفة في العوالم السابقة عن هذه الدنيا.

---

(١) الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الحضيني: ٢٤٠.

(٢) عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ٦٩ وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٤ / ٤٠.

(٣) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني: ٥ / ٢٠٤ / ١٥٦٦.

روى الأحسائي عنه عليه السلام:

«فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، وقدّسنا فقدّست الملائكة بتقديسنا».[١]

روى البحراني عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام:

«كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً صلّى الله عليه وآله، وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، لا سماء، ولا أرض، ولا مكان، ولا ليل، ولا نهار، ولا شمس، ولا قمر، يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبّح الله تعالى ونقدّسه، ونحمده ونعبده حق عبادته، ثم بدا لله تعالى أن يخلق المكان فخلقه، وكتب على المكان: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين وصيه، به أيدته، وبه نصرته. ثم خلق الله العرش، فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك. ثم خلق السماوات، فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثم خلق الجنة والنار، فكتب عليهما مثل ذلك.

ثم خلق الله الملائكة وأسكنهم السماء، ثم تراءى لهم الله تعالى، وأخذ منهم الميثاق له بربوبيته، ولمحمد صلّى الله عليه وآله بالنبوة، ولعلي عليه السلام بالولاية، فاضطربت فرائص الملائكة، فسخط الله تعالى على الملائكة، واحتجب عنهم، فلاذوا بالعرش سبع سنين، يستجيرون الله من سخطه، ويقرون بما أخذ عليهم، ويسألونه الرضا

---

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٤/ ١٢٢/ ٢٠١.

فرضي عنهم بعد ما أقروا بذلك، فأسكنهم بـذلك الاقـرار السـماء، واختصهم لنفسه، واختارهم لعبادته. ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح فسبّحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ولولا تسبيح أنـوارنـا مـا دروا كيف يسبحون الله، ولا كيف يقدّسونه.

ثم إن الله خلق الهواء فكتب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسـول الله، علي أمير المؤمنين وصيه، به أيدته، وبه نصرته. ثم الله تعالى خلق الجن، فأسكنهم الهواء، وأخذ الميثاق منهم له بـالربوبية، ولمـحمد صلّى الله عليه وآله بالنبوة، ولعلي عليه السلام بالولاية، فأقر منهم بذلك من أقر، وجحد منهم من جحد، فأول من جحد إبليس لعنه الله، فختم له بالشقاوة وما صار إليه. ثم أمر الله تعالى أنوارنـا أن تسـبّح فسبّحت، فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك ما دروا كيف يسبحون الله...

ثم إن الله تعالى هبط إلى الأرض في ظـلل مـن الغـمام والمـلائكة وأهبط أنوارنا أهل البيت معه، فأوقفنا صفوفاً بين يديه، نسبّحه في أرضه، كما سبّحناه في سمائه، ونقدّسه في أرضه، كما قـدّسناه فـي سمائه، ونعبده في أرضه، كما عبدناه في سمائه. فلما أراد الله إخراج ذرية آدم عليه السلام لاخذ الميثاق، سلك النور فيه، ثم أخرج ذريته من صلبه يلبون، فسبّحنا فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك لما دروا كيف يسبحون الله عز وجل ...

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فنحن أول خلق ابتدء الله، وأول خلق عبد الله، وسبّحه، ونـحن سـبب خـلق الخـلق، وسـبب تسـبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين، فبنا عرف الله، وبنا وحّد الله، وبنا عبد الله. وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثـاب الله مـن أثاب، وعاقب من عاقب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّون ﴾

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِين ﴾[٢]. فرسول الله صلّى الله عليه وآله أول من عبد الله، وأول من أنكر أن يكون له ولد أو شريك، ثم نحن بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله. الحديث.[٣]

فهم عليهم السلام أوّل من خلقه الله ونورهم مشتقّ من نور الله، ثمّ خلق المكان والهواء والملائكة والإنس والجنّ بهم عليهم السلام، ولولاهم عليهم السلام لم يكن لأحد أن يعرف ربّه من الملائكة والجنّ والإنس، وماكانوا يدرون كيف يسبّحونه و يقدّسونه ويمجّدونه، فهم سبب خلق الخلق وسبب معرفتهم وسبب تسبيحهم وعبادتهم. و قد نصّت الرواية على أنّ كلّ من سبّح الله في سمائه أو في أرضه فإنّما عرف ذلك بهم عليهم السلام و لولاهم لما دروا كيف يسبّحون الله عزّوجل.

روى علي بن إبراهيم عن أحمد بن محمد الشيباني، عن محمد بن أحمد بن معاوية عن محمد بن سليمان عن عبد الله بن محمد التفليسي عن الحسن بن محبوب عن صالح بن رزين عن شهاب بن عبد ربه قال:

سمعت الصادق عليه السلام يقول: «يا شهاب نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمته، ونحن ود الله وحجته كنا أنواراً صفوف حول العرش، نسبّح فيسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبّحون، فمن وفى بذمتنا

---

(١) الصافات: ١٥٥ و ١٥٦.

(٢) الزخرف: ٨١.

(٣) حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني: ١ / ١٣ـ١٧، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٥ / ١٧ ـ ٢١.

فقد وفى بعهد الله عز وجل وذمته، ومن خفر ذمتنا فقد خفر ذمة الله عز وجل وعهده».[١]

وروى في كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة باسناده الى الربيع بن عبد الله الهاشمي عن أشياخ من آل محمد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قالوا: قال علي عليه السلام في بعض خطبه:

«إنا آل محمد كنا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، ثم أهبطنا إلى الأرض فأمرنا الله بالتسبيح فسبّحنا فسبّحت أهل الأرض بتسبيحنا، فإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبّحون».[٢]

فتسبيح أهل السماء وأهل الأرض إنّما كان بتعليمهم عليهم السلام، ولايشذّ عنه أحد.

وروى أيضاً عن محمد بن العباس رفعه إلى محمد بن زياد قال:

سأل ابن مهران عبد الله ابن العباس عن تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّون * وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾[٣] فقال ابن عباس: إنا كنا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما رآه النبي صلّى الله عليه وآله تبسّم في وجهه وقال: **مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام.**

فقلت: يا رسول الله أكان الإبن قبل الأب؟

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٨٧ عن تفسير علي بن ابراهيم.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٨٨ عنه.

(٣) الصافات: ١٥٥ و ١٥٦.

قال: نعم إن الله تعالى خلقني وخلق علياً عليه السلام قبل أن يخلق آدم بهذه المدة، خلق نوراً فقسمه نصفين، فخلقني من نصفه، وخلق علياً عليه السلام من النصف الآخر قبل الأشياء كلها، ثم خلق الأشياء فكانت مظلمة فنورها من نوري ونور علي عليه السلام، ثم جعلنا عن يمين العرش، ثم خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي وتعليم علي عليه السلام» الحديث.[1]

ورواه في البحار أيضاً عن محمد بن سنان.[2]

دلّ الحديث أنّ جميع الأشياء كانت مظلمة فاقدةً للنور، ثمّ نوّرها الله من نور محمّد وعلي عليهما السلام، فجميع الأنوار من الفهم والعلم والمعرفة وغيرها إنّما هي قبس من أنوار النبي والوصي صلوات الله عليهما، ثمّ إنّ المخلوقات بأجمعها قد عرفت الله بتعريف أهل الذكر، وقد سبّحت الملائكة وهلّلت وكبّرت بتعليم من رسول الله وعلي وذرّيته عليهم السلام، فهم الصافّون و هم المسبّحون.

سأل المفضل الإمام الصادق عليه السلام فقال: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟ فقال عليه السلام:

كنا أنواراً حول العرش نسبّح الله ونقدّسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبّحوا، فقالوا: يا ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبّحوا، فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور فإذا كان يوم القيامة التحقت

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤ / ٨٨ عنه.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٤ / ٤٢.

السفلى بالعليا. ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه السبابة والوسطى وقال: كهاتين.[١]

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث:

«لم نزل أنواراً حول العرش نسبّح فيسبّح أهل السماء لتسبيحنا، فلما نزلنا إلى الأرض سبّحنا فسبّح أهل الأرض، فكل علم خرج إلى أهل السماوات والأرض فمنا وعنا».[٢]

دلّ الحديث على أنّ جميع الأنوار التي منها نور العلم والمعرفة بالله تعالى إنّما خرج منهم عليهم السلام، ولافرق في ذلك بين أهل السماء وأهل الأرض.

عن تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمد الأحمسي بإسناده عن أبي ذر الغفاري، عن النبي صلّى الله عليه وآله في خبر طويل في وصف المعراج ساقه إلى أن قال:

«قلت: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟
فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نور من نوره في نور من سناء عزه، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنية، والأرض مدحية، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبّحون وتقدّسون وتكبّرون، ثم خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتى، وكنا نمرّ بكم وأنتم

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢١ / ٣٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٤.

تسبّحون وتحمدون وتهلّلون وتكبّرون وتمجّدون و تقدّسون، فنسبّح ونقدّس ونمجّد ونكبّر ونهلّل بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم، فما أنزل من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم، فلم لا نعرفكم؟ اقرأ علياً منا السلام» الخبر.[١]

لعمرك! إذا كانت ملائكة الرحمٰن مع قربهم وعلوّ مكانهم لم يعرفوا ربّهم إلا بتعليم النبي وعترته، فهل يبقىٰ ثمّة طريق للبشر أن يعرف ربّه دون الرجوع إليهم والأخذ منهم؟

فما هذه الغميزة التي تشاهد عن العكوف علىٰ تراث أهل بيت الوحي بأعذار تافهة، والولع الشديد في العكوف علىٰ تراث غيرهم؟ بل لايرىٰ البعض كمال المعرفة وتمامها إلاّ بتعلّمه، كما قال بعض الفلاسفة ما ترجمته:

« إنّ طريقة التدبّر في آيات الصنع الذي سلكه القرآن في الدعوة وإن كان أحسن الطرق لسهولته وعموميّته، إلاّ أنّ الأكمل من جهة هو طريقة العقل والفلسفة، فلو تركنا هذه المباحث العميقة الفلسفيّة واقتصرنا على النظر في آيات الكون، لكان الله بصورة فرضيّة مجهولة فيه آلاف من إشكالات لن تنحل أبداً، وإنّ معرفة الله لن تكون علماً مثبتاً إلاّ بالفلسفة ».[٢]

فيا ترىٰ! هل تفتقر الأمة الإسلامية إلى تلك الكتب والآراء التي تولّدت وكبرت في حجر الفراعنة والجبابرة فأولدت صراعاً عنيفاً آنذاك، ثمّ أهداها لنا اليونانيّون، وقد مرّت علىٰ أيد مصبوغة بدماء الذريّة الطاهرة من البلاط الأموي والعباسي، تلك التي أدخلت في الأوساط المسلمة فناقضت ضروريّات الشريعة الغرّاء بل جميع الشرايع السماويّة والنواميس الدينيّة!؟

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٥ / ٨ / ٨.

(٢) تعليقات الشيخ مرتضى مطهرى على اصول فلسفه و روش رئاليسم: ٥ / ٥٦.

كيف تفتقر ـ و لم تفتقر ولن تفتقر ـ وبين يديها كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الكتاب الذي لا ريب فيه، هدىً للمتقين، وقد تجلّىٰ الله لخلقه فيه ؟!

وكيف تفتقر، وهي حاملة لكلمات النبي الكريم ـ الذي تجلّىٰ الله بنوره لأنبيائه ـ واحتجاجاته علىٰ الملحدين في التوحيد، تلك التي طفحت بغرر الحكم ودرر الكلم التي لم تبلغ ملائكة السماء مستوىً يتحمّل جزأً منها ؟!

وكيف تفتقر، وبين يديها الخطب التوحيديّة التي صدرت من مشكاة نور الله، وهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ألا وهو كتاب نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؟!

وكيف تفتقر، وعندها كلمات محالّ معرفة الله ومعادن حكمته، الذين لا يسبقهم ثناء الملائكة في الاخلاص والخشوع ولا يضادهم ذو ابتهال وخضوع ؟!

١٣ ـ الرسول صلّى الله عليه وآله واسطة المعرفة في العوالم السابقة

إنّ تواتر الروايات دلّ على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أوّل من قال بلى في عالم الذرّ، حينما أخذ الله الميثاق من عباده وقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] بل حتىٰ في العوالم التي سبقت عالم الذرّ كان هو الأوّل في الإقرار بالله تعالى، وبذلك سبق جميع الرسل وفضّل عليهم.

فمن ذلك ما رواه الصدوق عن الصائغ، عن أحمد الهمداني، عن جعفر بن عبيد الله، عن ابن محبوب عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن بعض قريش قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: بأي شيء

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

سبقت الأنبياء وفضّلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من أقر بربي جل جلاله، وأول من أجاب، حيث أخذ الله ميثاق النبيين، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم قالوا بلى، فكنت أول نبي قال بلى فسبقتهم إلى الاقرار بالله عز وجل».[1]

وغير ذلك من الروايات الكثيرة.

وقد يظنّ الكثير أنّ سبقه صلّى الله عليه وآله بالإقرار كان لأجل سرعته في تلبية نداء الرب زماناً حيث تأخّر غيره وتسامح في إجابة نداء الرب، ثمّ الذي بادر بعده في التلبية فضّل على غيره وهكذا إلى أن تكاملت سلسلة الائمّة والأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء وغيرهم كلٌّ بحسب درجته ورتبته، فكلّ سابق في التلبية فُضّل على المسبوق.

ولكنّ هذا الظنّ ناشى من قلّة التدبّر في الأخبار، ولو كان علّة التفضيل والتقديم هو السبق الزماني، فلعمري لقد تأخّرت الأنبياء والأوصياء والأولياء كثيراً عن الإقرار وتساهلوا وتهاونوا في إجابة نداء الرب، دع عنك سائر المؤمنين والموحّدين. وذلك لما يوجد من كثرة التفاضل بين هؤلاء المقرّبين، كما قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾[2] فلو فرضنا درجات القرب إلى الله ألفاً فالذي قد أخّر الإجابة إلى أن صار آخر من لبّى فلايعدّ إلاّ متساهلاً ومتهاوناً، فكيف بما إذا كانت درجات القرب والفضيلة بالآلاف بل بما لايعدّ ولايحصى.

لكنّ الذي يظهر من الأخبار أنّ سبقه صلّى الله عليه وآله إلى الإقرار كان سبقاً إصطفائياً.

فقد روى النعماني في تفسير القرآن قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٥ / ١٥ / ٢١ عن العلل.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

عقدة قال: حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه عن إسماعيل بن جابر قال:

سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول:... ولقد سأل أمير المؤمنين صلوات الله عليه شيعته عن مثل هذا، فقال:... وأما من أنكر فضل رسول الله صلّى الله عليه وآله فالدليل على بطلان قوله قول الله عز وجل: ﴿ وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلىٰ ﴾[1] فأول من سبق من الرسل إلى بلىٰ محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله، لأنّ روحه أقرب الأرواح إلى ملكوت الله تعالى، والدليل على ذلك قول جبرئيل عليه السلام لما أسري برسول الله صلّى الله عليه وآله إلى السماء السابعة قال: يا محمد تقدّم فإنّك قد وطئت موطئا لم يطأه قبلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فلولا أن روحه كانت من ذلك المكان لم يقدر أن يتجاوزه، وذلك أنه إذا أمر الله تعالى فأول ما يصل أمره إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله لقربه إلى ملكوته، ثم سائر الأنبياء على طبقاتهم». الخبر[2]

وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبي عن ابن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام:

«أول من سبق من الرسل إلى بلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء: تقدّم يا محمد فقد

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩٠ / ٨٧ ـ ٨٨.

وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل. ولولا أنّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عز وجل كما قال الله: ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[١] أي بل أدنى فلما خرج الامر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام» الخبر.[٢]

فسبقه صلى الله عليه وآله إلىٰ الإقرار كان لأجل قربه إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، وقد بلغ من قربه ودنوّه إلىٰ الله ـ وليس القرب والدنوّ المكاني عزّ جلاله عن ذلك ـ ما لم يكن لجبرئيل أن يقترب منه، فحينما صدر النداء من الله ما كان في الخلق أحد أقرب منه إلىٰ المنادي، فسبق الجميع بالإقرار، ثمّ بعد ذلك وصل النداء منه إلىٰ سائر الخلق، فهو الوسيط في إيصال نداء الربّ إلىٰ الأنبياء فمن دونهم. وليس كما قد يظنّ أنّ نداء الحقّ المتعال عمّ جميع الخلائق سوياً في مرتبة واحدة، فسبقهم رسول الله بالإقرار زماناً.

وقد سبق الجميع لقربه ومكانته من الله بالمكان الذي لايبلغه ملك مقرّب ولانبي مرسل، فكان من الله قاب قوسين بل أدنى من ذلك، فلايتوسّط بينه وبين الحضرة الربوبيّة شيء، وقد خلق روحه و نفسه من ذلك المكان. فلمّا خرج الأمر من الله وقع إليه وإلى أوليائه أولاً، ثم إلى سائر الخلق تبعاً، وبها سبق الأنبياء وفُضّل عليهم مع أنّه بعث آخرهم، وهذا ما يسمّىٰ بالسبق الإصطفائي.

فروح رسول الله أقرب الأرواح الى ملكوت الله تعالى وقد اصطفاه الله من بين جميع خلقه لذلك المقام، وأول من وصل إليه أمر الله تعالى هو رسول الله صلّى الله عليه وآله لقربه إلى ملكوت الله تعالى، ثمّ عبر النداء منه ووصل إلى سائر الأنبياء على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم.

---

(١) النجم: ٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥ / ٢٣٦ / ١٢ و ١٥ / ١٥ / ٢٠.

وممّا يدلّ علىٰ ذلك أيضاً ما رواه الصدوق عن القطان، عن ابن زكريا، عن البرمكي، عن عبد الله بن داهر، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام :

«يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام ؟ قلت : بلى، قال : أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته و اتباع أمره ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار ؟ فقلت : بلى». الخبر.[1]

فأرواح الأنبياء إنّما عرفت الله في العوالم السابقة ـ قبل أن يخلق لتلك الأرواح أبدان ـ بتعليم رسول الله ودعوته ووساطته، وما كان لهم طريقاً للمعرفة دونه، فإن كان ذلك كذلك، فكيف يتصوّر وصول نداء الربّ إليهم ومعرفتهم لتوحيد الله دون وساطة سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله ؟

نظام الإصطفاء

ثمّ إنّه لايتوهمنّ أحدٌ، أنّه ليس في السبق الإصطفائي أيّ فضل ودرجة.

كلاّ! فإنّ قرب سيّد الرسل إلىٰ الملكوت ووصول النداء إليه أولاً، وسبقه صلى الله عليه وآله إلىٰ الإقرار، إنّما كان لأجل أن الله اصطفاه واجتباه واختاره لقربه وسرّه.

والإصطفاء معناه: الإختيار والإنتخاب والتزويد والترفيد بجملة من إمكانيات متميّزة من بدء الخلق وقبل الإختبار. وليس هذا الإجتباء والإصطفاء منه تعالىٰ عبثاً ولغواً، بل مبنيٌّ علىٰ علمه السابق بأنّه سوف يسبق جميع الخلق في الطاعة

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٥ / ١٤ / ١٧ عن العلل.

والإنقياد، فهو تعالى قد علم قبل أن يخلق الخلق وقبل أن يملّكهم القدرة والإختيار، أنّ أحداً من خليقته ـحتىٰ لو كان متساوياً مع غيره في الإمكانيات ـ سوف يفعل باختياره ما لايفعله غيره، فاجتباه من أوّل الخلق، وأعطاه من الشرف والقرب والمكانة ما لايحظى به غيره، فهو يرتقي أعلىٰ درجات الكمال إثر ذلك الإصطفاء المؤسّس علىٰ العلم بحسن الإختيار. فليس هناك جبر وإلجاء علىٰ تزويد العبد بهذه المميّزات الخاصّة، ثمّ بلوغه إلىٰ تلك الدرجة من القرب والكمال؛ لبناء الإصطفاء علىٰ العلم بحسن إختيار العبد، ولاتفويض للعبد في بلوغه إلىٰ تلك الدرجة؛ لأنّه لولا هذا الإصطفاء ولولا هذا الترفيد والتسديد ـالذي هو من صنع الله، وقد اختصّ به دون غيره ـلم يكن ليبلغها، فلاجبر ولاتفويض بل أمر بين الأمرين.[1]

قال تعالىٰ في بيان إصطفائه طالوت علىٰ بني إسرائيل: **﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ ﴾**.[2]

فالزيادة في بسط العلم والقدرة التي ميّز بهما طالوت عن غيره وبهما صار مؤهّلاً للإمامة والقيادة، إنّما كانتا من صنعه تعالىٰ، ولو لم يكن هذا العطاء من الله لطالوت لم يكن ليبلغ إلىٰ هذا المستوىٰ من الدرجة العالية. فمع أنّهما من عطائه تعالىٰ ـحيث قال: ﴿ وَ زَادَهُ ﴾ أي الله تعالىٰ قد زاده ـإلا أنّ طالوت قد فُضّل بهما علىٰ بني اسرائيل. وما ذلك إلاّ لإرتكاز هذا الإصطفاء علىٰ علمه تعالىٰ بسبق

---

(١) ثمّ إنّ علمه تعالىٰ لايمكن أن يصير سبباً لضرورة صدور الفعل عن العبد وسلب الإختيار عنه؛ لأنّه تعالىٰ علم أنّ العبد إنما يفعل الحسنات أو السيّئات بالقدرة والإختيار والإرادة، فلو صدر منه بغير الإختيار والإرادة لزم الجهل في علمه تعالىٰ جّل عن ذلك. وللإستزادة راجع ما كتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد باقر علم الهدىٰ في كتاب: سدّ المفرّ علىٰ القائل بالقدر ص ٢١٧.

(٢) البقرة: ٢٤٧.

طالوت لغيره في القرب من حضرة القدس الإلهي بحسن إختياره حتىٰ لو لم يكن متميّزاً بهذه الزيادة في العلم والقدرة. فلما علم هذه الطوعانيّة والخضوع لطالوت، اصطفاه وأعطاه من إمكانيات بلغ بها إلىٰ مستوى الإمامة لبني إسرائيل. فليس بلوغ طالوت إلىٰ هذه الدرجة من الكمال جبراً ولاتفويضاً بل أمر بين الأمرين، ولذا يُمدح و يُثنىٰ عليها.

ونظير ذلك ورد في إصطفاء مريم حيث قال تعالىٰ:

﴿وَإِذْ قٰالَتِ الْمَلاٰئِكَةُ يٰا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفٰاك وَطَهَّرَك وَاصْطَفٰاك عَلىٰ نِسٰاءِ الْعٰالَمِينَ﴾.[1]

فحين طهّرها الله تعالىٰ فضّلت علىٰ نساء العالمين، إلا أنّها تُمدح علىٰ بلوغها هذه الدرجة من التطهير؛ لأنّه لم يكن تطهيراً عبثاً ولغواً، بل مؤسسّاً علىٰ علمه السابق بحسن إختيارها.

وقال تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى الْعٰالَمِينَ ﴾.[2]

فالإصطفاء بهذا المعنىٰ، عين الفضل والكمال والقرب، بل ليس سواه فضل وكمال.

وقد تجلّىٰ نظام الإصطفاء جليّاً في دعاء الندبة حيث قال:

«اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقرّبتهم، وقدّمت لهم الذكر العلي

---

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) آل عمران: ٣٣.

والثناء الجلي، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرّمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك، والوسيلة إلى رضوانك».[(١)]

فحيث علم تعالىٰ وفاءهم بشروط العبوديّة، قبلهم وقرّبهم وقدّم لهم الذكر العلي والثناء الجلي، وأهبط عليهم ملائكته وكرّمهم بوحيه ورفدهم بعلمه وجعلهم الذريعة إليه والوسيلة إلىٰ رضوانه، كلّ ذلك قبل أن يفوا بشرطهم، بل فُضّلوا وقُدّموا وقُرّبوا وأُرفدوا بالعلم الإلهي، بمجرّد علمه سبحانه بأنّهم سوف يزهدون في الدنيا. ولذلك تختلف خلقتهم عن خلقة من سواهم، ويزوّدون بما لايزوّد به غيرهم من بدء الخلق.

ونظير ذلك ما ورد في الخطبة الفدكيّة التي ألقتها سيّدة نساء العالمين الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها علىٰ حشد من المهاجرين والأنصار:

«وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور».[(٢)]

كما ورد في زيارتها التي رواها الشيخ بسنده عن أبي جعفر عليه السلام:

«يا ممتحنة امتحنك الله الذى خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة».[(٣)]

---

(١) المزار، محمد بن المشهدي: ٥٧٤، وعنه: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩٩ / ١٠٤.

(٢) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ١٩ / ١٦٤.

(٣) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٩ / ٦.

ونظام الإصطفاء، نظام عليه سيرة العقلاء في جميع الأمم، ففي المدرسة ما ان يعرفوا أنّ أحداً من الطلاب سوف يجتهد ويمتاز بجهوده عن الآخرين، إلاّ ويميّزوه عن غيره ويرفدونه ـ من بدأ الدراسة، وقبل الإمتحان ـ بإمكانيات ممتازة لا يرفدون بها غيره. ثمّ إنّه لأجل هذه الإمكانيّات المتميّزة يرتقي إلىٰ قمّة لم يكن ليبلغها لولاها، فينتفع هو وسائر المجتمع بعلمه. وحرمانه عن هذه الإمكانيات المتميّزة من بدء الدراسة يعدّ ظلماً وجفاءً له وللمجتمع، حيث حرم من عالم متقدّم ينتفع بعلمه في مجالاته المختلفة. كما أنّ إعطاء تلك الإمكانيات لغيره أيضاً ظلم وجفاء، حيث لايستفيد منها في سبيل الرقي ويجعلها هباء منثوراً، إن لم يستثمرها للإضرار بالمجتمع.

فالتزويد والترفيد ببعض المميّزات والإمكانيات قبل الشروع في العمل، وإختيار بعض الطلاّب والدارسين واصطفائهم قبل الإختبار، إذا كان مؤسّساً علىٰ العلم السابق ممّا لابدّ منه، ويعدّ تركه ظلماً وجفاءً لهم، ولغيرهم ممّن كانوا يستفيدون منهم لو كانوا مزوّدين بتلك الإمكانيات أثناء عملهم ودراستهم. كما أنّ إصطفاء غيرهم ممّن ليسوا بدرجتهم، وإعطائهم الصلاحيات والإمكانيّات المتميّزة هو الآخر أيضاً ظلم وجفاء. وقد ورد نظير ذلك في الحكمة: **«لا تحدّثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»**.[1]

نعم هناك فوارق كثيرة بين الإصطفاء البشري والإصطفاء الإلهي؛ فإنّ الله تعالىٰ قد أحاط بكلّ شيء علماً، وليس علمه تعالىٰ ـ كعلم البشر ـ مبتنياً علىٰ التخرّص والتظنّي، بل علمه تعالىٰ بالخلق قبل خلقه كعلمه به بعده. كما أنّه ليس في وسع البشر إعطاء كثير من الإمكانيات لمن يختاره ويجتبيه، كالإستعداد والقابليّة أو

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٤٢.

الذكاء والفطنة، لكنّ الله تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيء، فإذا أراد أن يصطفي أحداً من خلقه، يخلقه من نور ويشتقّ له إسماً من إسمه، وينسبه إلىٰ نفسه، ويلهمه العلم إلهاماً، ويجعله واسطة بينه وبين سائر عباده، وأمينه في بلاده، بل يخلق سائر خلقه ويرزقهم ويُعرّفهم نفسه بنوره وقدسه.

١٤ ـ امتناع معرفة الله إلاّ بمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم

قد جعل الله لكلّ شيء سبباً وأبى أن يجرى الأشياء إلا بأسبابها، وجعل لكلّ شيء باباً وأبى أن يدخل أحد إلا من بابه، ولايستثنى من هذا القانون الإلهي معرفته تعالى، فمعرفته إنّما تتيسّر من قبل الباب والسبب الذي من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله. وقد ورد روايات مستفيضة بل متواترة تدلّ علىٰ ذلك:

فقد روى الصفار في باب «معرفة العالم الذي من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله تعالى والسبب الذي يوفق لمعرفته» عن أحمد بن محمد عن الحسين بن السعيد عن محمد بن الحسين بن صغير عمن حدثه عن ربعي بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«أبى الله ان يجرى الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكم سبب شرحاً وجعل لكلّ شرحاً علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن».[1]

وبهذا المضمون روايات كثيرة أخرى. ويستفاد منها أنّ معرفته تعالىٰ غير مستثنية من قاعدة: «**أبى الله أن يجرى الأشياء إلاّ بالأسباب**» كما يظنّه البعض.

---

(١) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٢٦.

وفي صحيحة علي بن جعفر، عن أخيه، قال: قال أبو عبد الله:

«إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزّانه في سماواته وأرضه، ولولانا ما عرف الله».(١)

وتشمل هذه الروايات ـ على كثرتها ـ معرفة كلّ مخلوق لربّه من الملائكة إلى الأنبياء والصدّيقين والإنس والجنّ والحيوان والنبات والجماد، والمخلوقات العلويّة والسفليّة، كما أنّها شاملة لمعرفته تعالى في جميع العوالم والنشآت سواء في عالم الذّر أو الأشباح والأظلّة أو الدنيا والبرزخ والآخرة.

روى الخزّاز بسنده عن محمد ابن بكير، قال:

دخلت على زيد بن علي عليه السلام وعنده صالح ابن بشر، فسلمت عليه وهو يريد الخروج إلى العراق، فقلت له: يا ابن رسول الله حدثني بشيء سمعته من أبيك عليه السلام. فقال: **نعم،... حدثني أبي عن هذه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: من أحبنا أهل البيت في الله حشر معنا وأدخلناه معنا الجنة،... يا ابن بكير بنا عرف الله وبنا عبد الله ونحن السبيل إلى الله ومنا المصطفى والمرتضى ومنا يكون المهدي قائم هذه الأمة».**(٢)

روى جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف**﴾(٣) قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته،

---

(١) مسائل علي بن جعفر: ٣١٩، وبصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ١٢٥.

(٢) كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٢٩٨.

(٣) آل عمران: ١١٠.

فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيما ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطا بالعظمة ونور علي محيطا بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الابصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري ونوري مشتق من نوره... من آمن بنا آمن بالله، ومن رد علينا رد على الله، ومن شك فينا شك في الله، ومن عرفنا عرف الله، ومن تولى عنا تولى عن الله، ومن أطاعنا أطاع الله، و نحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله. الحديث.[١]

ظهر من الحديث أنّ جميع الأنوار مشتقّة من نورهم عليهم السلام التي من جملتها نور العقل والفهم والمعرفة فهم معدن الأنوار، فمحال أن يوجد نور علم ومعرفة عند أحد من الخلق إلا و هو مقتبس من أنوارهم عليهم السلام، وبهم يعرف الله وهم الوسيلة بين الله وخلقه، بل جعل معرفتهم معرفة الله والشك فيهم شك في الله لكونهم أسماء الله وآياته. وهذه الوسيلة لا يتوسّل بها في درجات القرب الى الحضرة الربوبيّة فحسب، بل في أصل معرفة الربّ المتعال، وهم الموصِلونَ الى رضوان الله ولايتوصّل إلى رضوانه تعالىٰ إلاّ من طريقهم عليهم السلام.

وروى الصدوق عن ابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحجال، عن نصر العطار عمن رفعه باسناده قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«ثلاث أقسم أنّهن حق: إنّك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، وعرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه».[٢]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥ / ٢٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ٩٩ / ٢ عن الخصال.

وروى الصدوق في الصحيح عن ابن أبي يعفور، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

«... نحن حجة الله في عباده... وبابه الذي يدل عليه... بنا عرف الله، وبنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله»[١].

وروى الصفار عن أحمد بن موسى عن الحسن بن موسى الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«... بنا عبد الله ولولانا ما عرف الله و نحن ورثة نبي الله وعترته».[٢]

وروى الصفار قال حدثنا عبد الله بن جعفر عن محمد بن علي عن الحسين بن سعيد عن علي بن الصلت عن الحكم وإسماعيل عن بريد قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وحّد الله ومحمد صلّى الله عليه وآله حجاب الله».[٣]

وروى الصفار عن علي بن محمد عن القسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن سفيان بن موسى عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول:

«نحن خزان الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خزاننا ولولانا ما عرف الله».[٤]

---

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٥٢ / ٩.

(٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨١.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ٨٤.

(٤) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ١٢٥.

وروى الكليني بسنده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه».[(١)]

والروايات صريحة في امتناع معرفة الله إلا بسبيلهم عليهم السلام فهم الوسائط في افاضة هذه المعرفة على العباد. فلولاهم ما عرف الله لافي الدنيا ولافي عالم الذر، ولا الأظلة ولا الأرواح ولافي غيره من النشآت السابقة واللاحقة، وما كان ليعرفه أحد من الأنبياء والمرسلين ولا الملائكة المقرّبين، فكلّ مخلوق عرف الله تعالى في أي زمان وفي أي مكان إنّما عرفه بهم وبسبيل معرفتهم عليهم السلام الذين هم أسماء الله الحسنىٰ وأمثاله العليا، ولايُعرَف الله تعالىٰ إلا من قِبَل أسمائه.

روى الكليني عن محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن هارون بن مسلم عن على بن حسان عن الرضا عليه السلام قال:

سئل أبي عن إتيان قبر الحسين عليه السلام فقال:... تقول:... السلام على محال معرفة الله... السلام على الذين من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله و من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله، ومن تخلى منهم فقد تخلى من الله. الحديث.[(٢)]

ورواه إبن قولويه في كامل الزيارات والمفيد في المزار والصدوق في الفقيه والعيون والشيخ في التهذيب.[(٣)]

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٩٣ / ٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ٤ / ٥٧٩.

(٣) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ٥٠٤ و ٥٢٢، المزار، الشيخ المفيد: ٢٠٥، من ←

فمن جملة شؤونهم عليهم السلام أنّهم محال معرفة الله، فلايمكن حصول المعرفة بالله تعالى إلا بهم ومنهم عليهم السلام، ولأجل هذا عقّبه بقوله: **«من عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله»** كائناً من كان. وهذه قاعدة كليّة مستخرجة من عشرات الآيات والأخبار وهي عامّة وشاملة للجميع وفي جميع النشآت.

وروى الصدوق قال حدثنا علي بن عيسى القمي رضي الله عنه، قال: حدثني علي بن محمد ماجيلويه، قال: حدثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن خلف بن حماد الأسدي، عن أبي الحسن العبدي، عن سليمان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«... يا علي، أنا وأنت والأئمة من ولدك سادة في الدنيا، وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزوجل».[1]

وروى الصدوق قال حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«... أنا وعلي أبوا هذه الأمة من عرفنا فقد عرف الله عز وجل، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل...»[2]

← لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٠٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١ / ٣٠٤، تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٦ / ١٠٢.

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٧٥٤ / ١٠١٥.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٢٦١ / ٧.

وفي مكاتبة الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر التي رواها الحلي في مختصر البصائر قوله عليه السلام:

«أخبرك ان أصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الايمان وهو امام أهل زمانه فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه ولا يعرف الله ودينه وشرايعه بغير ذلك الامام كذلك جرى بان معرفة الرجال دين الله عز وجل».(١)

وهذه المكاتبة صدرت من الإمام عليه السلام يفسّر للمفضل بعض أقوال الخطابيّة والطعون التي وجّهها الجمهور لهم ممّا أثار استغرابه، ومن جملة الطعون الواردة عليهم أنّهم اكتفوا بمعرفة الإمام عن معرفة الله وعن العمل بالوظائف المقرّرة. وقد بيّن الإمام أنّ ذلك ليس كما يتوهّم، بل إنّ لهذه المقالة أصل من الصحّة إلا أنّه حرّف وبدّل من قِبَل بعض الجهات المناوئة لتيار الخطابيّة، أو من قِبَل بعض أتباعهم ممّن لاباع له في المعارف. فأصل الدين وأساسه هو الإمام ولايمكن معرفة الله الا بمعرفته؛ لأنّه هو محلّ معرفة الله ومن جهله فقد جهل الله فمعرفة الرجال دين الله عزوجل، لاأنّه يكتفى بمعرفتهم عن معرفة الله وعن دينه بل لأنّهم السبيل والطريق الوحيد للمعرفة ولسائر مسائل الدين.

وفي كتاب سليم بن قيس، عن سلمان وأبي ذر والمقداد:

إن نفرا من المنافقين اجتمعوا فقالوا: إن محمدا ليخبرنا عن الجنة وما أعد الله فيها من النعيم لأوليائه وأهل طاعته، وعن النار وما أعد الله فيها من الأنكال والهوان لأعدائه وأهل معصيته. فلو أخبرنا عن آبائنا وأمهاتنا ومقعدنا في الجنة والنار، فعرفنا الذي

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي: ٨٢.

يبنى عليه في العاجل والآجل فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأمر بلالا فنادى بالصلاة جامعة. فاجتمع الناس حتى غص المسجد وتضايق بأهله. فخرج مغضبا حاسرا عن ذراعيه وركبتيه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:... **يا علي، ما عرف الله إلا بي ثم بك. من جحد ولايتك جحد الله ربوبيته يا علي، أنت علم الله بعدي الأكبر في الأرض**. الحديث.(١)

وفي كتاب سليم أيضاً، قال:

قلت لأبي ذر: حدثني رحمك الله بأعجب ما سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول في علي بن أبي طالب عليه السلام. قال:... سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: **لولا أنا وعلي ما عرف الله، ولولا أنا وعلي ما عبد الله، ولولا أنا وعلي ما كان ثواب ولا عقاب. ولا يستر علياً عن الله ستر، ولا يحجبه عن الله حجاب، وهو الستر والحجاب فيما بين الله وبين خلقه**.(٢)

والحديث صريح في أنّ ما سواه عليه السلام مهما بلغ ليس له طريق الى الله والى معرفته إلاّ منه، وهو الستر والحجاب بين الله وبين خلقه، أي ليس لهم أن يعرفوا ربّهم ويناده إلاّ بالمرور علىٰ الحجاب والستر، وليس بينه وبين الله ستر، وذلك لإتّحاد نوره مع نور سيّد الرسل الذي هو أعظم الأسماء.

قال المازندراني في شرح الحديث الشريف: «**ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى**»:

« أشار إلى أن سلوك سبيل الله تعالى لا يمكن إلا بالتوسل بمحمد صلّى الله

---

(١) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: ٣٧٦.

(٢) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: ٣٨١.

عليه وآله، لأنّه حجاب الله المرشد إلى كيفية سلوك طريقه الموصل إليه والمبيّن لمراحله ومنازله وما لا بد منه للسائرين فيه من العلم والعمل. ثم لا يمكن التوسل بذلك الحجاب إلا بالتوسل بأوليائه الطاهرين وأوصيائه المعصومين، لأنهم ورثة علمه وسالكون مسلكه بتعليمه والمنزّهون عن الجور والطغيان، والمتصفون بالعدل والعرفان »[١].

فلولا محمّد وعلي لما عرف الله ولا عبد وما كان ثواب ولاعقاب. وكونهما حجاباً بين الله وخلقه غير مختص بهذه النشأة، بل عام شامل لجميع النشآت والعوالم، فمحال على أحد أن يصل إلىٰ الله دون المرور علىٰ حجابه وبابه.

وفي كشف الغمة عن كتاب دلائل الحميري، عن أبي هاشم الجعفري قال:

كنت عند أبي محمد عليه السلام فسأله محمد بن صالح الأرمني عن قول الله: ﴿ **وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلىٰ شَهِدْنا** ﴾[٢] قال أبو محمد عليه السلام: **ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه.**

قال أبو هاشم: فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه وجزيل ما حمله، فأقبل أبو محمد علي فقال: **الامر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم و أعظم! ما ظنّك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق وبمعرفتهم موقن »**.[٣]

---

(١) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٤ / ٢٣٢.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥ / ٢٦٠.

والحديث مشعر بأنّ المعرفة الحاصلة في عالم الذر إنّما حصلت بهم عليهم السلام ووساطتهم، كيف وهم أسماء الله العظمى ووجه الله الذي اليه يتوجّه الأولياء ولايمكن التوجّه الى المسمّىٰ الا بالتوجّه الى وجهه وإسمه.

روى المشهدي في مواضع متعدّدة من أعمال مسجد الكوفة قوله:

«السلام على المستقرين في مرضاة الله، السلام على الممحصين في طاعة الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله ومن تخلى عنهم فقد تخلى عن الله».(١)

روى الحلي في المحتضر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

«... نحن الأسماء الحسنى الذين لايقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا... إن الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقى، والدليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، ونزل الغيث من السماء، ونبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبد الله تعالى، ولولانا لما عرف الله تعالى، وأيم الله لولا كلمة سبقت وعهد اخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل منه الأولون والآخرون».(٢)

وفي كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: روى الشيخ أبو جعفر الطوسي،

---

(١) فضل الكوفة ومساجدها، محمد بن المشهدي: ٦٩، المزار، محمد بن المشهدي: ٩٨ و ١٥٥ و ٥٦٦.

(٢) المحتضر، حسن بن سليمان الحلي: ٢٢٨.

بإسناده عن الفضل بن شاذان، عن رجاله، عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال:

«إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد من اختراعه، من نور عظمته وجلاله، وهو نور لاهوتيته الذي تبدى وتجلى لموسى عليه السلام في طور سيناء، فما استقر له ولا أُطاق موسى لرؤيته، ولا ثبت له حتى خرّ صعقاً مغشياً عليه، وكان ذلك النور نور محمد صلّى الله عليه وآله، فلما أراد أن يخلق محمداً منه قسّم ذلك النور شطرين: فخلق من الشطر الأول محمداً، ومن الشطر الآخر علي بن أبي طالب، ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهمابيده ونفخ فيهما بنفسه لنفسه، وصوّرهما على صورتهما وجعلهما أمناء له، وشهداء على خلقه، وخلفاء على خليقته، وعيناً له عليهم، ولساناً له إليهم، قد استودع فيهما علمه، وعلّمهما البيان، واستطلعهما على غيبه، وبهما فتح بدء الخلائق، وبهما يختم الملك والمقادير.

ثم اقتبس من نور محمد فاطمة ابنته كما اقتبس نوره من المصابيح، هم خلقوا من الأنوار، وانتقلوا من ظهر إلى ظهر، وصلب إلى صلب، ومن رحم إلى رحم في الطبقة العليا من غير نجاسة، بل نقل بعد نقل، لا من ماء مهين ولا نطفة خشرة كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، لأنهم صفوة الصفوة، اصطفاهم لنفسه، لأنه لا يرى ولا يدرك، ولا تعرف كيفيته ولا إنيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه، المتصرفون في أمره ونهيه، فبهم تظهر قدرته، ومنهم ترى آياته ومعجزاته، وبهم ومنهم عبادة نفسه، وبهم يطاع أمره، ولولاهم ما عرف الله، ولا يدرى كيف يعبد الرحمن، فالله يجري أمره كيف يشاء فيما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون».[1]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٥ / ٢٨ / ٢٤.

وصراحة الخبر في استحالة معرفة الله من دون وساطة نور النبي والوصي ممّا لاسبيل لإنكارها، فالنبي موسى حينما يأتي لمناجاة ربّه ويصل إلى أوج كمال معرفته بالله، يتجلّى له الله بهذا النور، فحتىٰ الأنبياء ليس لهم أن يعرفوا الله دون وساطة نور سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله.

ثمّ بيّن عليه السلام وجه الإضطرار إلىٰ نور الأصفياء في معرفة الله فقال: بما أنّ الله تعالى لايُرىٰ ولايدرك، وليس في وسع العباد أداة ينالون بها المعرفة، ولايوجد للخلق طريق للإرتباط والوصول الىٰ ربّهم القدّوس ومعاينته، فمن أجل ذلك خلق هؤلاء الصفوة من نور لاهوتيّته وجعلهم أسماء وآياتاً تجلّىٰ بهم لخلقه، وأودعهم علمه وحكمته وجعلهم خليفته ولسانه وعينه، وهم الناطقون عنه، وبهم تظهر قدرته وحكمته وعلمه، وبهم يعرف الله ويعبد؛ لأنّه تعالىٰ إنّما يعرف بفعله وصنعه وبأسمائه وآياته.

ثمّ أكّد في الخاتمة، أنّ الله يجري أمره كيف يشاء فيما يشاء ولايسئل عمّا يفعل، ليسدّ باب الإعتراض علىٰ صنع الله وفعله، فإنّه قد شاء وأراد أن يُعرَف بنور حبيبه ونور وليّه ونور حبيبته، وأجرىٰ أمر معرفته فيهم وقد اصطفاهم لنفسه دون غيرهم، وزوّدهم من بدء خلقهم بما لم يزوّد به غيرهم علماً منه تعالىٰ بمآل الأمور، فمنهم تُرىٰ آياته ومعجزاته وبهم يعرف ويعبد، وهم الناطقون عنه والسفراء والحُجُب بينه وبين خلقه.

وقد وقع نظير هذا الإستدلال من الإمام الرضا عليه السلام في مناظرته مع رؤساء الأديان، فحينما سأله عمران الصابي أنّه كيف يعرف الله تعالىٰ؟ أجابه الامام عليه السلام بقوله:

«لأن الله عزّوجل وتقدّس تدرك معرفته بالصفات والأسماء، ولا تدرك بالتحديد بالطول و العرض والقلة والكثرة واللون والوزن

وما أشبه ذلك، وليس يحلّ بالله جلّ وتقدّس شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا، ولكن يدلّ على الله عز وجل بصفاته، ويدرك بأسمائه، ويستدل عليه بخلقه، حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب، فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدلّ عليه، وأسماؤه لا تدعو إليه، والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه، كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلولا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله تعالى، لأن صفاته وأسماءه غيره».[1]

فلمّا كان تعالىٰ لايدرك بالتحديد والتكييف، وليس يشبهه شيء من خلقه، جعل لنفسه آيات وأسماء يعرفه الخلق بها، وليس لهذه الآيات والأسماء إلا شأن الربط والدلالة علىٰ المعنىٰ وهو الذات الأحدية، ومن هنا لاتعدّ معرفته بالأسماء شركاً ومعرفة لغير الله. بل لاتعدّ تلك المعرفة معرفة الله بغير الله، فإنّ جميع تلك الأسماء والآيات من صنعه تعالىٰ وفعله، ووقد جعلها أسباباً لتعريفه نفسه لعباده و تجلّيه لهم، حيث يأبىٰ أن يجري الأمور إلا بأسبابها. وتوسّط الوسائط في أفعاله تعالىٰ لايخرج الفعل عن كونه فعلاً له تعالىٰ، كما في نظائرها من الخلق والرزق والقبض والبسط والإماتة والإحياء والتدبير والتقدير، فإنّ جميع ذلك صنع الله لكنّه عبر الوسائط والأسباب.

فظهر غاية الظهور أنّ معرفة الله تعالى ممتنع للخلق، وليس لهم سبيل إلىٰ ذلك إلا سبيل واحد وليس سواه طريق ولاسبيل، فلا الأنبياء ولا الملائكة ولا الجن

---

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٤٣٧.

ولا الإنس يمكنهم أن يتعدّوا عنه، وهو النبي وأهل بيته عليهم السلام الذين هم أسماء الله الحسنى ووجهه الاعظم وكلمته التامّة، وإنّ الله تعالىٰ إنّما يعرّف ذاته القدّوس بهذه الأسماء والآيات، وتوسّط هذه الوسائط والأسماء لايخرج المعرفة عن كونها صنع الله كما مرّ بيانه. وقد ذكرنا طوائف متعدّدة من الآيات والأخبار الدالّة علىٰ ذلك مع ما فيها من براهين عقليّة مستمدّة من أنوار كلماتهم عليهم السلام. فلايعرف الله إلا بهم ولايوحّد إلا من قبلهم، ولايعرف المسمّى إلا بمعرفة أسمائه وذو الآية بمعرفة آياته، وليس تجلّي الله علىٰ قلوب العارفين إلا بهم، والأولياء لايتوجّهون إلا إليهم، ويتفاضل الخلائق بعضهم على بعض بمعرفتهم والقرب منهم، وبسبب معرفة آدم بأسمائهم، سجدت له الملائكة وخفضت له جناح الذلّ والطاعة.

فأين تذهبون؟

قال مولىٰ الموحّدين وأمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«فأين تذهبون؟! وأنّىٰ تؤفكون؟! والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة.
فأين يتاه بكم؟! بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟! وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، و ردوهم ورود الهيم العطاش... فلاتستعملوا الرأي فيما لايدرك قعره البصر ولاتتغلغل إليه الفِكَر».[1]

فياترىٰ! إلىٰ أين يتوجّه البعض حين يعرض عن وجه الله؟

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة ٨٧.

وكيف يستبدّ في معرفة الله بعقله المحدود، بل بما وصل إليه من تراث دخيل عن بعض ملل الكفر والإلحاد، بجهود غير مشكورة من أعداء الدين ومخرّبي شريعة سيّد المرسلين، مع نكران كلمات أهل الذكر ومثيري دفائن العقول؟

فهل يعجبك أنت ـ أيها القاري الكريم ـ بعد هذا كلّه أن تسمّي من رام أن يعرف الله ولم يعرف أهل البيت عارفاً، أو من أتعب نفسه في إقامة البراهين على معرفة الله مستبعداً تعاليمهم حكيماً إلهياً أو متألّهاً؟

كيف وإنّ من جهلهم فقد جهل الله ومن تخلّى عنهم فقد تخلّى عن الله.

و هل يمكن الوصول إلى الحضرة الربوبية من دون المرور على حجاب الله؟

أو يمكن معرفة المسمّى مع استنكار الأسماء؟

أو التوجّه إلى الله مع التولّي عن وجه الله؟

كلا فإنّ الطريق منحصر بهم عليهم السلام شئنا أم أبينا، ولايوجد إلا من عندهم.

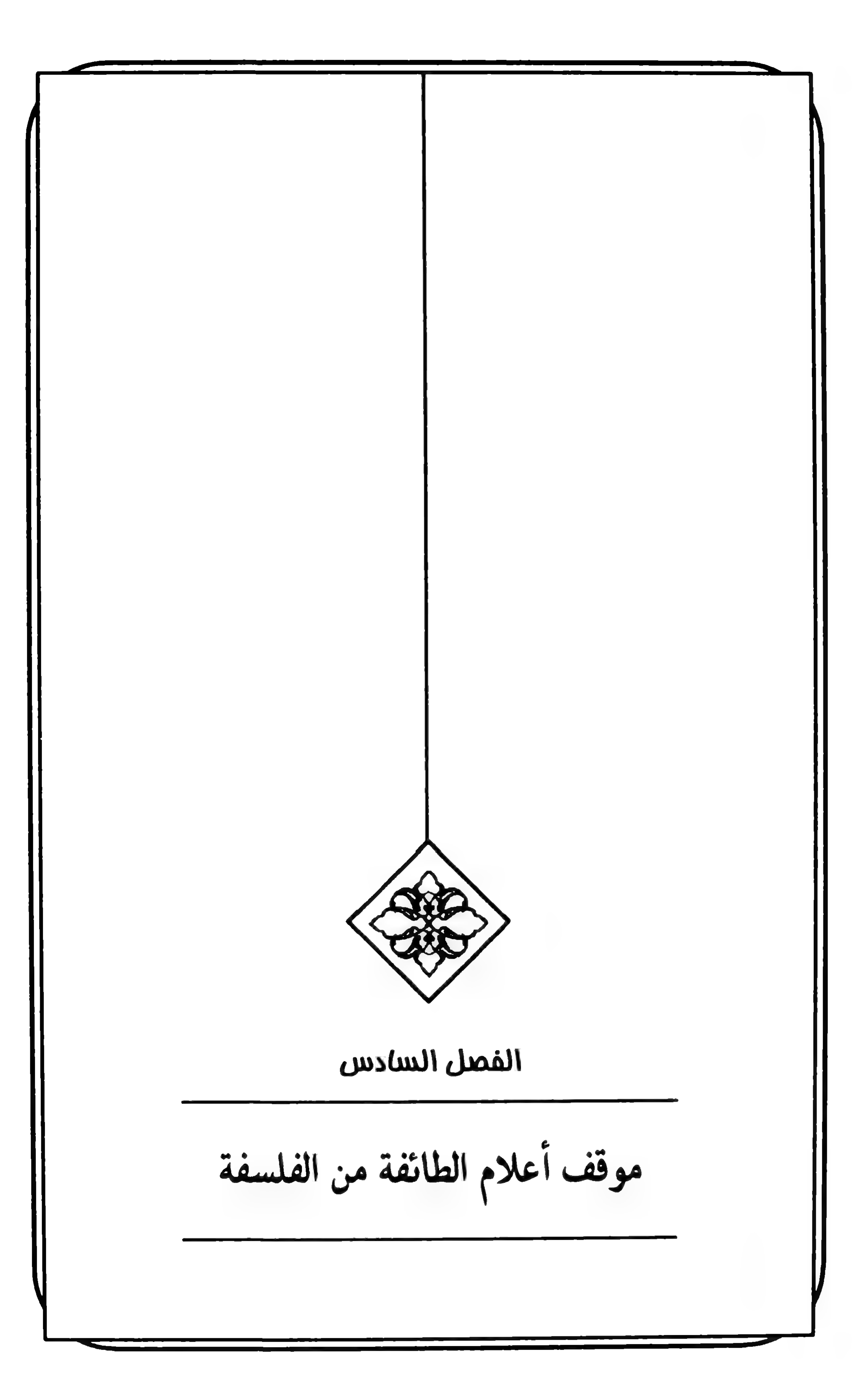
وحينئذ فليس على العارف بالله ومن راقه معرفة الله إلا العكوف علىٰ باب بيتهم، فإنّها محالّ معرفة الله ومساكن ذكر الله ومعادن حكمته. وعليه أن يبتدئ بادئ ذي بدء، بالتتبّع والنظر في أخبارهم وتراثهم نظر تفقّه وتمعّن ـ حتى في ما هو محتمل الصدور عنهم ـ فيمعن فكره فيه ويتدبّره، عسىٰ أن يقف على علم ومعرفة؛ لأنّ أهميّة المحتمل ـ كما مرّ ـ تسري إلىٰ الإحتمال فتزيده ثراءً. وذلك؛ لأنّ هذه الكلمات منسوبة إلىٰ أبواب الله وأدلائه وخزّان علمه وأركان توحيده، وقد تجلّىٰ الله تعالىٰ بشعاع أنوارهم لأنبيائه ورسله فقاموا بين يديه متملّقين، والملائكة عرفوا ربّهم بتعليمهم عليهم السلام، وسبّحوا بتسبيحهم، وهلّلوا بتهليلهم، وكبّروا بتكبيرهم، فإنّ إحتمال صدور خبر عن مثل هؤلاء المكرّمين في الخلقة لايستهان به، بل ليس في وسع البشر تقدير قيمة هذا الإحتمال.

كيف لا وانّ الله لايعرف ولايوحّد ولايعبد إلا بهم؟ ولولاهم لما عرف الله، وقد

أمر الله عباده بالتوجّه إليه بهذه الأسماء والوجهاء، التي عنت لها جميع الوجوه وبها عرفت لله الغلبة دهر الدهور، وبها تجلّىٰ لأهل سمائه وأرضه.

لا أن يعكف علىٰ أبواب غيرهم ليلاً طويلاً، إلىٰ أن يبني عقيدته ويستقي معرفته من تلك الجداول الراكدة الكدرة المنتنة بأخطاء البشر، فإن سنحت له الفرصة مرّ علىٰ كلمات أهل الذكر مرور الكرام، بغية اصطياد ما يوافق رأيه وعقيدته من نصوصهم فيزيد فرحاً وبطراً، أو تأويل ما يخالف رأيه إن لم يجسر علىٰ طرحه. فهو يعرض تراث أهل البيت عليهم السلام علىٰ رأيه وعقيدته، ويجعل كلماتهم هي الموزون وعقيدته ـ بل ذلك التراث الدخيل ـ هو الميزان.

كلاّ! ثمّ كلاّ! ليس له أن ينال أدنىٰ درجات المعرفة أو يتقدّم شبراً في القرب إلىٰ الله تعالىٰ، فإنّ من أراد الله **إنّما يبدأ بهم**، فإنّهم وجه الله وحجابه وبابه وصراطه، وإسمه وآيته ونوره وبرهانه.



الفصل السادس

موقف أعلام الطائفة من الفلسفة

مرّ في الفصل الأوّل من هذا الكتاب أنّ حركة نقل كتب الفلاسفة إلى العربيّة بدأت في حكومة بني أميّة وقد استمرّ عليها العباسيّون، فجمعوا مئات من الكتب والرسائل الفلسفيّة من شتى بقاع الأرض ونقلوها إلىٰ العربيّة وصرفوا كميّة هائلة من الأموال والثروات لإنفاذ مهمّتهم هذه. ومن ثمّ تأثّر المسلمون في عقيدتهم بهذا التراث الدخيل، وسبّب بروز كثير من الإختلافات والمنازعات في الساحة آنذاك.

وقد اتّخذ أصحاب الأئمّة عليهم السلام منذ بدأ حركة الترجمة أي في القرن الثاني، مواقف سلبيّة تجاه هذا التراث الدخيل، فألّفوا كتباً كثيرة في الرد علىٰ الفكر الفلسفي، كما كانوا يناقشون في معطياتهم التي تمسّ العقيدة ويبيّنون انحيازهم عن العلم، كلّ ذلك ببركة أنوار أهل بيت العصمة عليهم السلام. وكان يعتبر اتخاذ هذا الموقف منهم مجابهة للسياسة الملكيّة المتشدّدة التي اتخذتها العباسيون، ومن أجل ذلك كانت المواجهة مع الفلسفة آنذاك مجاهدة كبيرة قد تؤدّي إلىٰ الهجرة والعزلة والتعذيب والقتل كما حدث ذلك بالفعل في حقّ بعضهم رضوان الله تعالىٰ عليهم.

ثمّ من بعد ذلك وقف علماؤنا الأبرار جيلاً بعد جيل تجاه الفكر الفلسفي موقف المندّد والمشنّع، وحذّروا من التأثير ببعض معطيات الفلاسفة التي تباين

عندهم ضرورة الشرايع، كما أفتوا بحرمة تعليمها و تعلّمها وأحياناً كفّروا من يعتنق ببعض تلك المبادىء.

وتلك الجهود الجبّارة التي بدأت من القرن الثاني واستمرّت الىٰ عصرنا الراهن، غير مقصورة علىٰ التنديد بالفكر الفلسفي، بل حاولت الردّ والإستنكار علىٰ معطيات الفكر الصوفي أيضاً، فبيّنت انحرافها عن نهج أهل بيت العصمة عليهم السلام وكشفت عن مواضع خطئها وانحرافها.

وقد صرّح العلامّة الطباطبائي رحمه الله بأنّ الجمهور من علماء المسلمين لاسيما المتكلمين منهم بالغوا في إنكار الفلسفة منذ بزوغها بين المسلمين في عهد ترجمة كتب الفلسفة الى العربيّة. قال:

« وفي هذه البرهة من الزمن (عهد العباسيين) نقلت علوم الأوائل من المنطق والرياضيات والطبيعيات والإلهيات والطب والحكمة العملية إلى العربية ، نقل شطر منها في عهد الأمويين ثم أكمل في أوائل عهد العباسيين. فقد ترجموا مئات من الكتب من اليونانية والرومية والهندية والفارسية والسريانية إلى العربية ، وأقبل الناس يتدارسون مختلف العلوم ولم يلبثوا كثيرا حتى استقلّوا بالنظر ، وصنفوا فيها كتبا ورسائل.

وكان ذلك يغيظ علماء الوقت ، ولا سيما ما كانوا يشاهدونه من تظاهر الملاحدة من الدهرية والطبيعية والمانوية وغيرهم على المسائل المسلمة في الدين ، وما كان عليه المتفلسفون من المسلمين من الوقعية في الدين وأهله ، وتلقى أصول الاسلام ومعالم الشرع الطاهرة بالإهانة والازراء ، ولا داء كالجهل.

ومن أشد ما كان يغيظهم ما كانوا يسمعونه منهم من القول في المسائل المبتنية على أصول موضوعة مأخوذة من الهيئة والطبيعيات كوضع الأفلاك البطليموسية ، وكونها طبيعة خامسة ، واستحالة الخرق والالتيام فيها ، وقدم

الأفلاك والفلكيات بالشخص وقدم العناصر بالنوع ، وقدم الأنواع ونحو ذلك فإنها مسائل مبنية على أصول موضوعة لم يبرهن عليها في الفلسفة ،لكن الجهلة من المتفلسفين كانوا يظهرونها في زي المسائل المبرهن عليها ، وكانت الدهرية وأمثالهم وهم يومئذ منتحلون إليها يضيفون إلى ذلك أمورا أخرى من أباطيلهم كالقول بالتناسخ ونفى المعاد و لا سيما المعاد الجسماني ، ويطعنون بذلك كله في ظواهر الدين. وربما قال القائل منهم : إن الدين مجموع وظائف تقليدية أتى بها الأنبياء لتربية العقول الساذجة البسيطة وتكميلها ، وأما الفيلسوف المتعاطي للعلوم الحقيقية فهو في غنى عنهم وعما أتوا به ، وكانوا ذوي أقدام في طرق الاستدلال.

فدعا ذلك الفقهاء والمتكلمين وحملهم على تجبيههم بالانكار والتدمير عليهم بأي وسيلة تيسّرت لهم من محاجة ودعوة عليهم وبراءة منهم وتكفير لهم ، حتى كسروا سورتهم وفرّقوا جمعهم وأفنوا كتبهم في زمن المتوكل. وكادت الفلسفة تنقرض بعده حتى جدده ثانياً المعلم الثاني أبو نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ ثم بعده الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ ثم غيرهما من معاريف الفلسفة كأبى على بن مسكويه وابن رشد الأندلسي وغيرهما ، ثم لم تزل الفلسفة تعيش على قلة من متعاطيها وتجول بين ضعف وقوة.

وهى وإن انتقلت ابتداء إلى العرب لكن لم يشتهر بها منهم إلا الشاذ النادر كالكندي وابن رشد ، وقد استقرت أخيرا في إيران ،والمتكلمون من المسلمين وإن خالفوا الفلسفة وأنكروا على أهلها أشد الانكار ،لكن جمهورهم تلقوا المنطق بالقبول فألّفوا فيها الرسائل والكتب لما وجدوه موافقا لطريق الاستدلال الفطري ».[1]

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ،السيد محمد حسين الطباطبائي: ٥ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

وهذه العبارة تعطي لنا الصورة الواضحة عن الطابع العام الموجود آنذاك تجاه الفلسفة، من وقوف الجمهور من علماء الاسلام في صفّ واحد ضدّ هذه العلوم الدخيلة حتىٰ كادت أن تنقرض في زمن المتوكّل. وقد ذكر أنّ كثيراً من التشكيكات والشبهات التي اغتاظ لأجلها العلماء انما نشأت من تلك الاصول، حيث زعموا أنّها مبرهنة ومسلّمة لكنّها من الأصول الموضوعة، وقد كانوا يزعمون أنّها مبرهنة لكنّها ظهر فسادها بعد حين، كالهيأة البطلميوسيّة وغيرها.

أقول: لم يمنع مانع عن عدم كشف الخطأ في المباني الحديثة لدى الفلاسفة سواء في الحكمة المتعالية أو غيرها، تلك المباني التي زعموا أنّها مبرهنة ومسلّمة ولأجلها رفعوا اليد عن كثير من الظواهر بل النصوص الدينيّة. وعلىٰ كل حال فما يظهر من هذه العبارة هو أن الاتجاه الفلسفي منذ دخوله في الاوساط المسلمة كان يتمثّل في الأقليّة التي تعيش على خوف و وجل من الأكثريّة الغالبة من علماء المسلمين سنّة وشيعة الذين اغتاظوا منهم وواجهوهم أشد المواجهة.

ويحكي الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله عن السيرة المستمرّة لدىٰ أصحابنا الإماميّة في تكفير الفلاسفة المنكرين لبعض الضروريات. قال رحمه الله:

« ويؤيّدها ما ذكرنا من أن التارك للتدين ببعض الدين خارج عن الدين، والسيرة المستمرّة من الأصحاب في تكفير الحكماء المنكرين لبعض الضروريات مع العلم أو الظن بأنه لم يكذب النبي صلّى الله عليه وآله في ذلك، لا أقل من الأحتمال »[١].

وهذه السيرة المستمرّة من أصحابنا الإماميّة وفقهائنا العظام أعلىٰ الله كلمتهم مستلهمة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، حيث حذّروا عن سلوك هذه المناهج

---

(١) كتاب الطهارة، الشيخ الأنصاري: ٢ / ٣٥٦.

في روايات متعدّدة مرّت جملة منها في الفصل الرابع، بل مرّ أنّهم أمروا شيعتهم في بعض تلك الروايات بمجانبتهم ولزوم الوقوف أمامهم، كما قال الإمام أبو محمد العسكري لأصحابه بخصوص الفيلسوف الكندي:

«أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟»[1].

وقد روىٰ الكليني بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس ولا يتعلّمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[2].

قال العلامة المجلسي قدّس سرّه:

«كأنّ المراد بأهل الريب الذين يشكّون في الدين ويشككون الناس فيه بالقاء الشّبهات، وقيل: المراد بهم الذين بناء دينهم على الظّنون والأوهام الفاسدة، كعلماء أهل الخلاف... »[3].

وقال في مرآة العقول:

« الوقيعة في الناس: الغيبة. والظاهر أن المراد بالمباهتة الزامهم بالحجج القاطعة وجعلهم متحيرين لا يحيرون جوابا كما قال تعالى:

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣ / ٥٢٥.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٧٥، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧١ / ٢٠٢.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧١ / ٢٠٢

﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾[1] ويحتمل أن يكون من البهتان للمصلحة ، فإنّ كثيراً من المساوى يعدّها الناس محاسن خصوصاً العقائد الباطلة. والأول أظهر »

وقال الشيخ مرتضى الانصاري:

« وما تقدم من الخبر في الغيبة من قوله عليه السلام في حق المبتدعة : « باهتوهم كيلا يطمعوا في إضلالكم » ، محمول على اتهامهم وسوء الظن بهم بما يحرم اتهام المؤمن به ، بأن يقال : لعله زان ، أو سارق ، وكذا إذا زاده ذكر ما ليس فيه من باب المبالغة ».[2]

وقال المولىٰ صالح المازندراني:

« والمراد بسبّهم الإتيان بكلام يوجب الإستخفاف بهم... والبهت : التحيّر والدهش ، ولعلّ المراد به إلزامهم بالحجج البالغة لينقطعوا ويبهتوا كما بهت الذي كفر في محاجة إبراهيم عليه السلام ».[3]

وقبل ذكر القائمة الإجماليّة من علماء المذهب الذين وقفنا عليهم من الذين وقفوا موقف المندّد والمشنّع للإتّجاه الفلسفي والصوفي، يعجبنا الإشارة إلى بعض النقاط:

الأولىٰ: قد تكرّر علىٰ ألسنة العلماء أنّهم حينما يقومون بذكر النظريات والآراء المختلفة في مبحث، وردّ ما يخالف عندهم من تلك الآراء، ينسبون رأياً ومقالة من تلك المقالات إلى الفلاسفة ثمّ يقومون بالرّد عليهم وإبطال مقالتهم، نظير

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) كتاب المكاسب، الشيخ الأنصاري: ٢ / ١١٨.

(٣) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ١٠ / ٤٣.

قولهم: قالت الفلاسفة، أو على ما زعمت الفلاسفة، أو يرد على مقالة الفلاسفة أو الفلسفي، أو هذا قول الفلاسفة.

وهذا النمط من البيان ظاهر في مجانبة صاحبه للفلاسفة حيث يعتبر الفلاسفة والفلسفة مذهباً آخر غير ما هو عليه ثمّ يقوم بالردّ عليه، فإنّه لايميّز مدرسة فلسفيّة عن أخرىٰ ولافيلسوف مشخّص عن غيره، بل ينسب القول إلىٰ الفلاسفة بقول مطلق ثمّ يرد عليها. وهذا يدلّ بالدلالة الإلتزاميّة علىٰ مجانبته للفلاسفة. ويشهد على هذا أنّ واحداً من الفلاسفة إذا قام بردّ مذهب فيلسوف آخر أو مقالته ورأيه، لن ينسبه إلى الفلاسفة بقول مطلق، فلايقول مثلاً هذا باطل كما يقوله الفلسفي أو الفلاسفة، كيف وهو من الفلاسفة بعد.

فظهر أنّ نسبة رأي إلى الفلاسفة بقول مطلق، ومحاولة نقد ذلك الرأي دليل على مجانبة صاحبها للفلاسفة ومخالفته إيّاهم.

الثانية: قد مرّ في أوائل هذا الكتاب أنّ من المغالطات الشائعة هو عدّ كلّ مبحث عقلي فلسفة وتفلسفاً، فإنّه لو صحّ لكان غير الفلسفة من سائر العلوم مبتنياً على غيرالعقل، فبيان المباحث العقليّة الغامضة لايعني قبول النهج الفلسفي. كما أنّ التأليف في الفلسفة لايعني الإقرار بطريقتهم ومنهجهم، فقد يؤلّف ويصنّف في ذلك من لايعتقد بطريقتهم لأغراض شتّىٰ، كما سيأتي غن جابر بن حيّان والمحقّق الخواجة نصير الدين وغيرهما حيث بالغوا في النكير على الفلاسفة والرّد عليهم ومع ذلك ألّفوا بعض الكتب في الفلسفة، و لعلّ ذلك لبيان شدّة تمهّرهم في هذا الفنّ حتى إذا تصدّوا لنقده لايتّهمهم من لاخبرة له بعدم إحاطتهم بالمباحث الفلسفيّة. وقد مرّ أنّه حينما اعترض على أمير المؤمنين بأنه لايعلم الفلسفة أبدى كلاماً جامعاً في الفلسفة انبهر السامع، كي لايتوهمنّ أحد أنّه حينما يرفض طريقة الفلاسفة لايجيد فهم كلامهم.

كما قال المحدّث الجزائري في إبن أبي جمهور الاحسائي:

« وأما اطّلاعه وكمال معرفته بعلم الفلسفة وحكمتها ، وعلم التصوف وحقيقته ، فغير قادح في جلالة شأنه ، فإن أكثر علمائنا من القدماء والمتأخرين قد حقّقوا هذين العلمين ، ونحوهما من الرياضي ، والنجوم ، والمنطق ، وهذا غني عن البيان ، وتحقيقهم لتلك العلوم ونحوها ليس للعمل بأحكامها وأصولها ، والإعتقاد بها ، بل لمعرفتهم بها ، والإطّلاع على مذاهب أهلها »[١].

الثالثة: انّه قد صدر من بعض الأصحاب الذين عرفوا بالفلسفة كلمات في إستنكار النهج الفلسفي أو تخطئة بعض المعطيات الفلسفيّة، فحيث رأينا أنّ تلك الكلمات مفيدة ونافعة ذكرناها مع التصريح بأنّ صاحبها قد اشتهر بالفلسفة أو عدّ من الفلاسفة.

الرابعة: قد اعتمدنا كثيراً في عملية الفحص عن أقوال العلماء والفقهاء على طريقة الفحص اللفظي، وهذه الطريقة وإن تميّزت بالدقّة والضبط، إلا أنّها لاتحظى بالشموليّة والإستقراء، لأنّ في كثير من كلمات الأصحاب التي ذكروها في ردّ الفلاسفة وكذا كتبهم التي ألّفوها نقضاً عليهم وإبطالاً لمرامهم، لم يصرّح بعنوان معروف يشير إليهم، بل ذكروهم بأسماء وصفات مختلفة لايكاد يجمعها لفظ واحد، وهذا سبّب عدم وقوفنا عليها عبر هذه الإحصائيّة اللفظيّة.

وهذه المشكلة تتبلور أكثر في الكتب التي ألّفها الاصحاب في ردّ الفلاسفة التي ما وصل إلينا إلا أسماءها، فإن لم يصرّح بكلمة الفلسفة وما شابهها في إسم الكتاب الذي ألّفه في الردّ على الفلاسفة، فلايكون ثمّ طريق لنوقف على أنّ هذا الكتاب إنّما ألّف ردّاً عليهم وإبطالاً لطريقتهم. فهذا العلامة الحلّي ألّف كتابه القيّم

---

(١) نقل عنه الميرزا النوري في خاتمة المستدرك: ١ / ٣٤٤.

«المقاومات» في مجلدات كثيرة، ناقش فيه جميع الفلاسفة السابقين وآراءهم، ذكره في الخلاصة وقال: «باحثنا فيه الحكماء السابقين وهو يتم مع تمام عمرنا»[1]، فلو لم يكن هذا التصريح منه لم يكن لنا سبيل إلى فهم أنّ هذا الكتاب إنّما ألّف للرّد على الفكر الفلسفي.

وهذا شيخنا جابر بن حيّان ألّف خمسمائة كتاب في النقض والرّد على الفلاسفة على ما صرّح به نفسه في ذكر فهرس كتبه كما سيأتي، ولو لم يكن هذا التصريح منه لماستطعنا أن نقف على أنّ هذه الكتب قد اُلّفت في الردّ على الفلاسفة؛ لأنّ أسماءها غير ظاهرة في هذا المعنى، بل ما وصلت إلينا حتىٰ أسماء بعض تلك الكتب.

وكم لهما من نظير، فنحن حينما نذكر أنّ هشام بن الحكم أو فضل بن شاذان ألّف ثلاثة كتب في ردّ الفلسفة لايعني إنحصارها فى ذلك، فلربّما ألّف العشرات من الكتب لهذه المهمّة؛ ولكن للأسف الشديد فأنّ كثيراً من تلك الكتب لم يصل إلينا حتى أسماءها كما ستقف عليه.

فهذه الإحصائيّة ناقصة كثيراً، وأنّ الواقع الموجود عند أصحابنا الإماميّة في تحاملهم على الفلاسفة والقيام بردّ مبانيهم أكثر ممّا ذكرناه بكثير.

فإليك قائمة بذكر ما وقفنا عليه من أسمائهم:

من أعلام القرن الثاني:

١ ـ جابر بن حيّان، المتوفى سنة ١٦٠ أو ١٩٠

أبو عبد الله ويقال أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الطرسوسي الكوفي،

---

(١) خلاصة الاقوال في علم الرجال، العلامة الحلي: ١١٢.

من كبار أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأحد أبوابه ومن وجهاء الشيعة. وهو من أعاظم المذهب ومن مفاخر الطائفة الإماميّة، وقد ألّف حوالي خمسمائة كتاب في نقض الفلسفة. قال في ترجمته صاحب أعيان الشيعة:

« كان حكيماً رياضياً فيلسوفاً عالماً بالنجوم، طبيباً منطقياً رصدياً مؤلفاً مكثراً في جميع هذه العلوم وغيرها: كالزهد والمواعظ. من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام واحد أبوابه ومن كبار الشيعة، وما يأتي عند تعداد مؤلفاته يدلّ على أنّه كان من عجائب الدنيا ونوادر الدهر، وإنّ عالما يؤلف ما يزيد على ٣٩٠٠ كتاب في علوم جلّها عقلية وفلسفية لهو حقّاً من عجائب الكون، فبينا هو فيلسوف حكيم ومؤلف مكثر في الحيل والنيرنجات والعزائم ومؤلف في الصنائع وآلات الحرب، إذا هو زاهد واعظ مؤلف كتبا في الزهد والمواعظ. ومن يكون بهذه الإحاطة في العلوم، متى يتسع وقته لتأليف ١٣٠٠ كتاب في الحيل كما يأتي؟ ومن لا يكون متخصصا بعلم الطب ولا مشهورا به، كيف يؤلف فيه ٥٠٠ كتاب، وأي شيء أغرب من أن يكون ـ وهو فيلسوف ـ يؤلف ٥٠٠ كتاب نقضاً على الفلاسفة ».[١]

ولاغرو أن ألّف شيخنا العبقري خمسمائة كتاب في نقض الفلاسفة، إذ هو عالم خبير بكلماتهم ويعرفها ويعرف مواقع الخطأ فيها أكثر منهم، فقد ألّف ثلاثمائة كتاب في الفلسفة وسبر غورها، ثمّ بعد ذلك ألّف خمسمائة كتاب في النقض على الفلاسفة، و لذلك زعم بعض الفلاسفة أنّه منهم[٢]. فهو ينقض الفلسفة حينما أحكم قواعدها وأتقن مبانيها وأحاط بجوانبها، ولذلك تعجّب

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٤ / ٣٠.

(٢) فهرست إبن النديم: ٤٢٠.

سيّدنا الامين العاملي فقال أي شيء أغرب من أن ألّف فيلسوف قد أتقن الفلسفة خمسمائة كتاب نقضاً على الفلاسفة.

والملفت للنظر أنّ جابر بن حيّان بنفسه أخبرنا عن هذا الكمّ الهائل من كتبه في نقض الفلاسفة، لا أنّ واحداً من العلماء اطّلع على كتبه ورأى أنّ هذا الكمّ منه ألّف للنقض عليهم، لوضوح الفرق بينهما. فإنّ غيره قد لايحيط بغور كلماته أو يرى منه كلمة تصدّى فيه للردّ على مطلب فلسفي فيغترّ بذلك فيظنّ أنّ الكتاب بأجمعه مؤلّف للنقض والرّد عليهم، أمّا إذا صرّح المؤلّف نفسه بأنّه ألّف خمسمائة كتاب في ردّ الفلاسفة بعد أن ألّف ثلاثمائة في بيان قواعدها، فلا يتأتّى فيه ذلك الزعم بل يعلم من ذلك غرضه من التأليف وأنّ مذهبه كان مخالفاً لمذهب الفلاسفة.

ففي فهرست إبن النديم البغدادي عن محمّد بن اسحاق أنّ جابر قال في كتاب فهرسته:

«ألّفتُ ثلاثمائة كتاب في الفلسفة، وألف وثلثمائة كتاب في الحيل، على مثال كتاب تقاطر، وألف وثلثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب. ثم ألّفت في الطب كتاباً عظيماً، وألّفت كتباً صغاراً وكباراً، وألّفت في الطب نحو خمسمائة كتاب مثل كتاب المجسة والتشريح. ثم ألّفت كتب المنطق على رأى أرسطاليس. ثم ألّفت كتاب الزيج اللطيف، نحو ثلثمائة ورقة... ثم ألّفت كتباً في الزهد والمواعظ. وألّفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة. وألّفت كتباً في النيرنجات. وألّفت في الأشياء التي يعمل بخواصها، كتباً كثيرة. ثم ألّفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقضاً على الفلاسفة. ثم ألّفت كتاباً في الصنعة يعرف بكتاب الملك، وكتاباً يعرف بالرياض».[1]

---

(١) فهرست إبن النديم: ٤٢٣ ـ ٤٢٢.

و يظهر من عبارته هذه أنّ تأليف هذه الخمسمائة كتاب في نقض الفلاسفة كان في أواخر عمره ومن آخر كتبه و تأليفاته، وأنّه بعد تأليف كتبه في نقض الفلاسفة ما ألّف إلا كتابين فقط.

٢ ـ هشام بن الحكم، المتوفى سنة ١٧٩

من كبار أصحاب الامام الصادق والكاظم عليهما السلام الذي قال فيه الامام على ما رواه الكليني: «ناصرنا بقلبه و لسانه و يده»[١]. وكان شديد النكير على الفكر الفلسفي الذي تصدّى العباسيون آنذاك لنشره و ترجمته.

قال النجاشي:

« هشام بن الحكم أبو محمد، مولى كندة، وكان ينزل بني شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة ويقال: إن (إنّه) في هذه السنة مات.

له كتاب يرويه جماعة. أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال: حدّثنا علي بن حاتم قال: حدّثنا ابن ثابت قال: حدّثنا عبيد الله بن أحمد بن نهيك عن ابن أبي عمير عنه بكتابه و... كتابه الدلالة على حدث الأجسام... وكتابه الرد على أرسطاليس (أرسطاطاليس) في التوحيد، كتابه المجالس في التوحيد »[٢].

وقال الشيخ:

« هشام بن الحكم، كان من خواصّ سيدنا ومولانا موسى بن جعفر عليهما السلام، وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأصول

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٧١.

(٢) رجال النجاشي: ٤٣٣ / ١١٦٤.

وغيرها... وله من المصنفات كتب كثيرة، منها: كتاب الإمامة، وكتاب الدلالات على حدوث الأشياء... وكتاب الردّ على أرسطاطاليس في التوحيد »[١]

وقال إبن شهر آشوب:

« أبو محمد هشام بن الحكم الشيباني، كوفي تحوّل إلى بغداد ولقي الصادق والكاظم عليهما السلام... وقوله عليه السلام: « هشام بن الحكم رائد حقّنا وسائق قولنا المؤيّد لصدقنا والدامغ لباطل أعدائنا من تبعه وتبع أثره تبعنا ومن خالفه وألحد فيه فقد عادانا وألحد فينا». من كتبه: كتاب الدلالات على حدوث الأشياء... كتاب الرد على ارسطاطليس في التوحيد »[٢].

وقد أخذ الطعن على الفلاسفة وإظهار أباطيلهم آنذاك طابعاً سياسياً، حيث كان تعتبر تلك المحاولة مخالفة علنيّة للخلافة العباسيّة. لكن هشام لم يتراجع عن مواقفه تلك، وقد استشهد أخيراً على يد هارون لما كان يقوم به من الطعن على الفلاسفة.

ففي رجال الكشي: أحمد بن محمد الخالدي، عن محمد بن همام، عن إسحاق بن أحمد عن أبي حفص الحداد، وغيره، عن يونس بن عبد الرحمان قال:

« كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئا من طعنه على الفلاسفة، وأحبّ أن يغري به هارون ونصرته على القتل... »[٣].

---

(١) الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٥٨ / ٧٨٣.

(٢) معالم العلماء، إبن شهر آشوب: ١٦٣ / ٨٦٢.

(٣) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي: ٢ / ٥٣٠ / ٤٧٧ وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٨ / ١٨٩.

و في طرائف المقال:

« وقد نقل عن « كش » أيضا عن يونس بن عبد الرحمن أنه قال : إن هشام يطعن في أصول الفلاسفة ، ومع ذلك كان هارون مائلا به بواسطة كلام صدر منه في باب ارث النبي صلّى الله عليه وآله المشار إليه. وأما يحيى بن خالدالبرمكي ،فكان ضدا له ومكدرا منه ، ويطلب الفرصة في دفعه ، وينتظر الوقت والمقام »[١].

وهذا النصّ يفيد مدى تحسّس الخلفاء من مواقف مخالفي الفلسفة، ومنه يتبيّن جليّاً سياستهم المتشدّدة المتّخذة لنشرها صدّاً لباب أهل بيت العصمة والوحي. وقد مرّ في الفصل الأوّل بعض الكلام عن هشام ومواقفه ضدّ الفلاسفة.

من أعلام القرن الثالث:

٣ ـ القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام، المتوفى سنة ٢٤٦[٢]

له كتاب الدليل الكبير الذي ألّفه ردّاً على الفلاسفة و بالغ في ذلك، ذكره في الذريعة وقال:

« كتاب الدليل الكبير للامام القاسم الرسي ابن إبراهيم طباطبا ابن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط

---

(١) طرائف المقال، السيد علي البروجردي: ٢ / ٥٧٠.

(٢) نسبه الزيديّة إلى أنفسهم، بل قد عدّ من أئمّة الزيديّة، وإن كان للمناقشة فيه مجال، كما يظهر من ذكر النجاشي اياه في رجاله الذي خصّصه لذكر تصانيف أصحابنا الإماميّة وسلفنا الصالح. رجال النجاشي: رقم ٨٥٩.

عليه السلام، المتوفى (٢٤٦)، قال الفقيه حميد في الحدائق الوردية: «انه بالغ فيه الكلام على الفلاسفة بما لا ينتهى فيه الا المحصّلون».[1]

٤ ـ الفضل بن شاذان، المتوفى سنة ٢٦٠

قال النجاشي:

«الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الأزدي النيشابوري (النيسابوري) كان أبوه من أصحاب يونس، و روى عن أبي جعفر الثاني، وقيل [عن] الرضا أيضا عليهما السلام وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء والمتكلمين، وله جلالة في هذه الطائفة، وهو في قدره أشهر من أن نصفه. وذكر الكنجي أنّه صنّف مائة وثمانين كتاباً وقع إلينا منها :... كتاب الرد على الفلاسفة»[2].

وقال الشيخ:

«الفضل بن شاذان النيشابوري، فقيه متكلّم، جليل القدر. له كتب ومصنفات، منها :... كتاب الوعيد والمسائل في العالم وحدوثه، وكتاب الأعراض والجواهر... وكتاب النقض على من يدّعي الفلسفة في التوحيد والاعراض والجواهر والجزء... وله غير ذلك مصنفات كثيرة لم تعرف أسماؤها»[3].

وقال إبن شهر آشوب:

«أبو محمد الفضل بن شاذان بن جبرئيل النيسابوري، لقي علي بن محمد

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٨ / ٢٥٦ / ١٠٦٦.

(٢) رجال النجاشي: ٣٠٦.

(٣) الفهرست، الشيخ الطوسي: ١٩٧ / ٥٦٣.

التقي عليه السلام، « **دخل الفضل على أبى محمد عليه السلام فلما أراد أن يخرج سقط منه كتاب من تصنيفه فتناوله أبو محمد عليه السلام ونظر فيه وترحّم عليه** »، وذكر أنّه قال: « **أغبط أهل خراسان مكان الفضل بن شاذان وكونه بين أظهرهم** ». وله مائة وستّون مصّنفاً (منها) : كتاب... المسائل في العالم وحدوثه، الاعراض والجواهر... الرد على من يدعي الفلسفة في التوحيد والاعراض والجواهر والجزء »[١].

وذكر في الذريعة كتابه النقض على من يدّعي الفلسفة.[٢]

٥ ـ علي بن محمد بن العباس

قال النجاشي:

« كان عالما بالاخبار والشعر والنسب والآثار والسير، وما رؤي في زمانه مثله، وكان مجرّدا في مذهب الإمامية (الإمامة)، وكان قبل ذلك معتزليّاً، وعاد وهو أشهر من أن يشرح أمره. له كتب، منها :... كتاب الردّ على أهل المنطق، وكتاب الردّ على الفلاسفة »[٣].

٦ ـ هلال بن إبراهيم أبو الفتح

قال النجاشي:

« رجل لا بأس به، سمع الحديث وكان ثقة. له كتاب الردّ على من ردّ آثار الرسول واعتمد نتائج العقول »[٤].

---

(١) معالم العلماء، إبن شهر آشوب: ١٢٥ / ٦٢٧.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٤ / ٢٩٠ / ١٥٠٦.

(٣) رجال النجاشي: ٢٦٩ / ٧٠٤.

(٤) رجال النجاشي: ٤٤٠ / ١١٨٦.

والفلاسفة من أظهر مصاديق من ردّ آثار الرسول إعتماداً علىٰ نتائج العقول، فإنّهم قد أنكروا كثيراً من ضروريات الدين الحنيف اعتماداً علىٰ ما يزعمونه من البرهان العقلي، وإن كان ينطبق هذا العنوان أيضاً علىٰ المعتزلة والقائلين بحجيّة القياس من أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان.

من أعلام القرن الرابع:

٧ ـ الحسن بن موسى النوبختي، المتوفى سنة ٣١٠

قال الشيخ في الفهرست:

« الحسن بن موسى النوبختي، ابن أخت أبي سهل بن نوبخت، يكنّى أبا محمد، متكلّم فيلسوف، وكان يجتمع إليه جماعة من نقلة كتب الفلسفة، مثل أبي عثمان الدمشقي وإسحاق وثابت وغيرهم، وكان امامياً حسن الاعتقاد، نسخ بخطه شيئاً كثيراً. وله مصنفات كثيرة في الكلام وفي نقض الفلسفة وغيرهما، منها: كتاب الآراء والديانات، لم يتمه. وكتاب الرد على أصحاب التناسخ، كتاب التوحيد وحدوث العالم »[1].

قال في الروضات:

« هو صاحب الأبحاث الواردة الغفيرة على حكماء اليونان »[2].

وقال بعض الأعلام في ترجمته:

« تبرز شيخنا المترجم على نظرائه من المتكلمين والفلاسفة، ونبوغه في قرني الثالث والرابع من أزهى عصور الاسلام أكبر مدح وثناء عليه...

---

(١) الفهرست، الشيخ الطوسي: ٩٦.

(٢) عنه مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٨ / ٢٩٦.

ولا عجب في تبرزه على أعلام عصره قد نشأ في بيت أمجاد لم ينطو حديثهم من سجلات الكتب...وقد خدموا الأمة بالتأليف والترجمة والانشاء والتدريس والمناظرات ونقد الآراء الباطلة ، معظمين لشعائر الاسلام غير متخلفين عن الدين وعن شرايعه متمسكين بحبل ولاية أهل البيت عليهم السلام فلم يتخلّفوا عن هديهم ، ولم يختلّفوا في مذهبهم مع أنّ عصرهم هي عصر التفرّق ونشوء المذاهب الباطلة ، وكان لهم وجاهة في الدنيا وفيهم من تشرّف بزيارة مولانا الحجة صلوات الله عليه وبمكاتبته ، وفيهم السفير الحسين بن روح رحمه الله ، ففي حضانة أمثالهم تربى الحسن بن موسى... وامتاز بكثرة التصنيف وإجادته ، واحاطته بالآراء والمذاهب ، ونقد الفلسفة وآراء المتكلمين كما ستقف على بعضها »[١].

٨ ـ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني ، المتوفى سنة ۳۲۹

قال رحمه الله في ديباجة الكافي في بيان السبب لتأليف موسوعته الضخمة من تراث أهل البيت عليهم السلام:

« أما بعد ، فقد فهمت يا أخي ما شكوت من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها ، ومباينتهم العلم وأهله ، حتى كاد العلم معهم أن يأزر كلّه وينقطع موادّه ، لما قد رضوا أن يستندوا إلى الجهل ، ويضيعوا العلم وأهله. وسألت : هل يسع الناس المقام على الجهالة والتديّن بغير علم ، إذا كانوا داخلين في الدين ، مقرّين بجميع أموره على جهة الاستحسان ، والنشوء عليه ، والتقليد للآباء ، والأسلاف والكبراء ، والإتّكال على عقولهم في دقيق الأشياء وجليلها »[٢].

---

(١) تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي ، السيد محمد على الأبطحي : ٢ / ٢١١.

(٢) الكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ٥.

و يستفاد من هذه العبارة أنّ الباعث لتأليف الكتاب هو إتّفاق أهل دهره على الجهالة و التقليد للآباء و الاسلاف، والإتّكال على عقولهم في جميع الاشياء و الاستغناء عن منبع مشكاة نور العصمة. وهذه الأوصاف كما تنطبق على المذاهب الفقهية المنحرفة عن أهل البيت عليهم السلام التى تستند على الاستحسان والقياس فى استكشاف حكم الله تعالى، كذلك تنطبق على من استغنى عن علوم أهل البيت عليهم السلام فى معرفة اصول العقائد و أمّهات المعارف، و استبدّ بعقله فى نيل المعارف الحقة. ويشهد لذلك أنّه لم يقتصر فيه على ذكر روايات الفروع بل صدّر كتابه بروايات الاصول والمعارف. وقد نبّه على ذلك المولىٰ صالح المازندرانى فى شرحه على الكافي حيث قال:

« والاتكال على عقولهم في دقيق الأشياء وجليلها » يعني: في أصول العقائد وفروعها كما هو شأن بعض الحكماء والمتكلمين وتابعيهما، وبعض الفقهاء المتمسّكين بالأدلة العقلية مثل الاستحسان والاستصحاب والمفهومات وغيرها ».[١]

و منه يتّضح أنّ من أغراض الكلينى أعلى الله مقامه الشريف لتصنيف الكافي هو الرّد علىٰ الفلاسفة وإبطال مذهبهم.

ثمّ قال الكلينى أعلى الله مقامه الشريف:

« فاعلم يا أخي رحمك الله أن الله تبارك وتعالى خلق عباده خلقة منفصلة من البهائم في الفطن والعقول المركبة فيهم، محتملة للأمر والنهي، وجعلهم جلّ ذكره صنفين: صنفاً منهم أهل الصحة والسلامة، وصنفاً منهم أهل الضرر والزمانة. فخصّ أهل الصحة والسلامة بالأمر والنهي، بعد ما أكمل لهم آلة التكليف، ووضع التكليف عن أهل الزمانة

---

(١) شرح أصول الكافي، مولىٰ صالح المازندراني: ١ / ٤٤.

والضرر ، إذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للأدب والتعليم وجعل عزّوجل سبب بقائهم أهل الصحة والسلامة ، وجعل بقاء أهل الصحة والسلامة بالأدب والتعليم.

فلو كانت الجهالة جائزة لأهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم ، وفي جواز ذلك بطلان الكتب والرسل والآداب ، وفي رفع الكتب والرسل والآداب فساد التدبير ، والرجوع إلى قول أهل الدهر. فوجب في عدل الله عز وجل وحكمته أن يخصّ من خلق من خلقه خلقة محتملة للأمر والنهي ، بالأمر والنهي ، لئلا يكونوا سدى مهملين ، وليعظّموه ويوحّدوه ، ويقرّوا له بالربوبيّة ، وليعلموا أنّه خالقهم ورازقهم ، إذ شواهد ربوبيّته دالّة ظاهرة ، وحججه نيّرة واضحة ، وأعلامه لائحة تدعوهم إلى توحيد الله عزّوجل ، وتشهد على أنفسها لصانعها بالربوبيّة والإلهيّة ، لما فيها من آثار صنعه ، وعجائب تدبيره ، فندبهم إلى معرفته لئلا يبيح لهم أن يجهلوه ويجهلوا دينه وأحكامه ، لأنّ الحكيم لا يبيح الجهل به ، والانكار لدينه. فقال جل ثناؤه : ﴿ **أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لاَ يَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَق** ﴾[1] وقال : ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ** ﴾[2]. فكانوا محصورين بالأمر والنهي ، مأمورين بقول الحق ، غير مرخّص لهم في المقام على الجهل ».

بيّن قدّس سرّه فى هذه العبارة أنّ الله تعالى لم يترك الناس سدى بل ألزمهم معرفته، و لايسع للناس أن يبقوا فى جهالتهم. و انّ الله تعالى حرّم على عباده القول بغير العلم كما حرّم عليهم التكذيب بغير العلم، فكما أنّ الإعتقاد و الالتزام

---

(۱) الأعراف : ۱٤۹.

(۲) يونس : ۳۹.

من دون الحجّة والبيّنة محذور عنه، كذلك النفي و التكذيب من دون الاستناد فى ذلك إلى الحجّة والبرهان. فهو تعالى قد حصر عباده بين أمرين: يجب عليهم قبول الحق و لايجوز لهم الاستناد على غير العلم. و هذا مفاد ما روى عنهم عليهم السلام مستشهداً بالآيتين آنفتي الذكر:

«أنّ الله تعالى حصّن عباده بآيتين من كتابه أن لايقولوا حتى يعلموا، و لايردوا ما لم يعلموا»[١]

وليس كلامه هنا مختصّاً بالفروع بل شاملاً لأصول العقائد كما صرّح بذلك، فلايجوز البقاء في الجهل فيها و لا القبول والرد من دون الحجّة والبرهان.

ثمّ قال رحمه الله:

« أمرهم بالسؤال، والتفقه في الدين فقال: ﴿ **فَلَوْ لاٰ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طٰائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذٰا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** ﴾[٢] وقال: ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ** ﴾[٣]. فلو كان يسع أهل الصحة والسلامة، المقام على الجهل، لما أمرهم بالسؤال، ولم يكن يحتاج إلى بعثة الرسل بالكتب والآداب، وكادوا يكونون عند ذلك بمنزلة البهائم، ومنزلة أهل الضرر والزمانة. ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين، فلما لم يجز بقاؤهم إلا بالأدب والتعليم، وجب أنّه لا بد لكل صحيح الخلقة، كامل الآلة من مؤدب، ودليل، ومشير، وآمر، وناه، وأدب، وتعليم، وسؤال، ومسألة.

فأحقّ ما اقتبسه العاقل، والتمسه المتدبر الفطن، وسعى له الموفق

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢ / ١٨٦.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) النحل: ٤٣.

المصيب، العلم بالدين، ومعرفة ما استعبد الله به خلقه من توحيده، وشرائعه وأحكامه، وأمره ونهيه وزواجره وآدابه، إذ كانت الحجة ثابتة، والتكليف لازماً، والعمر يسيراً، والتسويف غير مقبول والشرط من الله جل ذكره فيما استعبد به خلقه أن يؤدوا جميع فرائضه بعلم ويقين وبصيرة، ليكون المؤدّي لها محموداً عند ربّه، مستوجباً لثوابه، وعظيم جزائه. لأن الذي يؤدّي بغير علم وبصيرة، لا يدري ما يؤدّي، ولا يدري إلى من يؤدي. وإذا كان جاهلاً لم يكن على ثقة مما أدّى، ولا مصدّقاً، لأن المصدّق لا يكون مصدّقاً حتى يكون عارفاً بما صدّق به من غير شك ولا شبهة. لأنّ الشاك لا يكون له من الرغبة والرهبة والخضوع والتقرب مثل ما يكون من العالم المستيقن. وقد قال الله عز وجل: ﴿ **إلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[1]. فصارت الشهادة مقبولة لعلة العلم بالشهادة، ولولا العلم بالشهادة، لم تكن الشهادة مقبولة. والأمر في الشاك المؤدّي بغير علم وبصيرة، إلى الله جل ذكره، إن شاء تطوّل عليه فقبل عمله، وإن شاء ردّ عليه، لأن الشرط عليه من الله أن يؤدّي المفروض بعلم وبصيرة ويقين، كيلا يكونوا ممن وصفه الله فقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصٰابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصٰابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرٰانُ الْمُبِينُ** ﴾[2] لأنه كان داخلا فيه بغير علم ولا يقين، فلذلك صار خروجه بغير علم ولا يقين. وقد قال العالم عليه السلام: «**من دخل في الإيمان بعلم ثبت فيه، ونفعه إيمانه، ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه**».

بعد بيان لزوم التكليف و الامر والنهى بيّن قدّس سرّه أنّ العبادة لايمكن إلا

---

(١) الزخرف: ٨٦.

(٢) الحج: ١١.

بالعلم و اليقين و البصيرة والمعرفة، معرفة بما يؤدّى و معرفة بمن يؤدّى له. فإن كان الدخول فى الدين و عبادة الربّ بالمعرفة و العلم و اليقين و البصيرة فهو مقبول منه،و الا فلايؤمن خروجه عن الدين فهو من الذين يعبدون الله على حرف. و غير خفي عليك أنّ هذا الملاك شامل للمعرفة باصول الدين و فروعه، بل ركن كلامه و مرمى بيانه هو الاصول و العقائد. ثمّ شرع فى بيان منهج المعرفة و طريق الوصول الى اليقين و البصيرة الذى لا يبقى دين و ايمان من دونها، فقال:

« وقال عليه السلام: «من أخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن تزول ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردّته الرجال». وقال عليه السلام: «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن» ».

يتّضح من ذكره هذين الحديثين الشريفين أنّ مراده قدّس سرّه من الأخذ بالعلم والبيّنة و اليقين و البصيرة هو الأخذ من الكتاب و السنّة، فإنّ العلم منحصر فيهما و لايمكن تحصيل المعرفة و البصيرة و اليقين من دونهما. فمن ترك القرآن وراء ظهره وحاول أن يثبّت ايمانه بما جاء من غيرهم هو من الذين يعبدون الله على حرف ولايحصل له يقين و علم البتة، بل انّه مقيم على الجهالة. و من هنا يتّضح أنّ مراده من الذين اقاموا على الجهالة هم الذين استغنوا عن الكتاب و السنّة في معرفة الملك والملكوت، و استبدّوا بآرائهم و عقولهم في نيل مراتب المعرفه، من الفلاسفة و غيرهم كما صرّح به المولىٰ المازندرانى في عبارته السالفة. ثمّ شرع فى بيان حال هذه الفرق و أقاويلها الشنيعة التي تشمّ منها رائحة الكفر فقال:

« ولهذه العلة انبثقت على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة، والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلّها. وذلك بتوفيق الله تعالى وخذلانه، فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه

ثابتا مستقرا ، سبّب له الأسباب التي تودّيه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيه صلوات الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة ، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي. ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معارا مستودعا ـ نعوذ بالله منه ـ سبّب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة ، فذاك في المشيئة إن شاء الله تبارك وتعالى أتمّ إيمانه ، وإن شاء سلبه إياه. ولا يؤمن عليه أن يصبح مؤمنا ويمسي كافرا ، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، لأنه كلما رأى كبيرا من الكبراء مال معه ، وكلما رأى شيئا استحسن ظاهره قبله ، وقد قال العالم عليه السلام : « **إن الله عز وجل خلق النبيين على النبوة، فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق الأوصياء على الوصية، فلا يكونون إلا أوصياء، وأعار قوما إيمانا فإن شاء تمّمه لهم، وإن شاء سلبهم إياه. قال: وفيهم جرى قوله: ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ ﴾** ».[1]

فاتّضح أنّ الكليني رحمه الله قد ألّف كتابه الكافي ردّاً على من يحاول أن يقتبس العلم والمعرفة من غير الكتاب و السنة سواء في الأصول أو في الفروع، و منهلاً رويّاً لمن يريد أن يقتبس العلم و يتدرج في درجات المعرفة و يكون ايمانه عن بصيرة وعلم و يقين و بيّنة.

ثمّ قال:

« وقد يسر الله ـ وله الحمد ـ تأليف ما سألت ، وأرجو أن يكون بحيث تُوخّيت فمهما كان فيه من تقصير فلم تقصر نيتنا في إهداء النصيحة ، إذ كانت واجبة لإخواننا وأهل ملّتنا ، مع ما رجونا أن نكون مشاركين لكل من اقتبس منه ، وعمل بما فيه دهرنا هذا ، وفي غابره إلى انقضاء الدنيا ».

---

(١) الأنعام: ٩٨. الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٥ ـ ٨.

فتلخّص من عبارات ديباجة الكافي أنّه قدّس سرّه يقسّم الناس الى قسمين: احدهما من يقيم على الجهالة و تكون عبادته على حرف و ايمانه مستودع ويقلّد الكبراء و السادات، و يتّكل على عقله المحدود في صغائر الامور و كبائرها. وثانيهما من يكون على بصيرة و بيّنة و علم و يقين و ايمانه ثابت و هو أصلب من الجبال الرواسى، و هو يشهد بالعلم و يصدّق باليقين، وهذا لايحصل إلا لمن طلب العلم والمعرفة من الكتاب و السنّة فمن لم يعرف من القران لم يتنكّب الفتن.

وأنت ترى أنّ التقسيم عند الكليني حاصر و جامع، فهو يرى أنّ من لم يأخذ دينه من أهل البيت عليهم السلام مقيم على الجهالة و مقلّد و معرض عن الحق وشاكّ فى دينه.

ثمّ إنّ كلامه هذا ناظر إلى الأصول و الرؤى والمناهج المعرفية قبل أن يكون ناظراً إلى الفروع و المناهج الفقهية، كما يشهد بذلك أنّه لايركّز فى كتابه على فقه الفروع فقط بل يبدأ بذكر المباحث المعرفيّة و الاعتقاديّة أوّلا.

و هو قد ألّف هذا الكتاب ـ الذى قد يعدّ عند البعض من الكتب النقليّة المغايرة للكتب المعرفيّة و العقليّة ـ ليكون دليلاً على من يريد أن يكون عقيدته عن بصيرة وعلم ويقين، و ينجو من التقليد و الإتّكال على العقول الناقصة فى دقائق المعرفة، ويستمدّ من العقل الكامل لاثارة دفائن عقله حتى يكون اعتقاده على يقين وشهود و عيان.

فمن ملاحظة مجموع ما ذكرنا لامحيص من الإلتزام بأنّ ثقة الإسلام الكلينى يرى إتّباع منهج الفلاسفة إقامة على الجهل والريب و الشك والعمى، و هم الذين أشار إليهم بقوله:

« ولهذه العلة انبثقت على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة، والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلّها ».

وقوله:

« اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها ، ومباينتهم العلم وأهله ، حتى كاد العلم معهم أن يأزر كلّه وينقطع موادّه ، لما قد رضوا أن يستندوا إلى الجهل ، ويضيعوا العلم وأهله ».

وهم الذين اقاموا على الجهالة و تديّنوا بغير العلم كما أفصح عنهم في قوله:

« على جهة الاستحسان ، والنشوء عليه ، والتقليد للآباء ، والأسلاف والكبراء ، والإتكال على عقولهم في دقيق الأشياء وجليلها ».

و ذلك لأنّ الفلاسفة داخلون فى القسم الأوّل من التقسيم المشار اليه في كلام الكليني كما لايخفى على المتأمّل المنصف، فهو ألّف كتابه الكافي لكي يكون منهجا معرفيّاً و مشرعاً لاقتباس العلم و المعرفة، و صدّاً عن الجهالة والتقليد والعمى، ولاستيفاء هذا الغرض تجنّب عن ذكر أقوال فحول البشر وفلاسفتهم ونظريّاتهم، ـكما يصنع ذلك الآخرين ـ حيث ذكر كلمات منبع العصمة، ومشكاة الولاية، و مستقى العلم و المعرفة، فالعلم و المعرفة واليقين والبصيرة والشهادة والتصديق والايمان الثابت لايحصل عند ثقة الإسلام إلا بذلك.

٩ ـ علي بن أحمد أبو القاسم الكوفي، المتوفى سنة ٣٥٢

من أحفاد الإمام الجواد عليه السلام صاحب الكتاب المعروف «الإستغاثة في بدع الثلاثة»، وهو من علماء المذهب و له جلالة ووجاهة عند الطائفة وقد اعتمد عليها جمهرة كبيرة من الأصحاب، رغم بعض الطعون الصادرة في حقّه من أبناء

مدرسة العضائري.[1] ذكر النجاشي من جملة كتبه:

«كتاب الرد على أرسطاطاليس ،... كتاب الرد على من يقول إن المعرفة من قبل الموجود »[2].

١٠ ـ الشيخ محمّد علي بن حسين بن بابويه الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١

ذكر في سبب تأليف كمال الدين وتمام النعمة، محادثة جرىٰ بينه وبين أحد من أصحابه بنيشابور، وقال:

« فبينا هو يحدّثني ذات يوم إذ ذكر لي عن رجل قد لقيه ببخارا من كبار الفلاسفة والمنطقيين كلاما في القائم عليه السلام قد حيره وشككه في أمره لطول غيبته وانقطاع أخباره ،فذكرت له فصولا في إثبات كونه عليه السلام ورويت له أخبارا في غيبته عن النبي و الأئمة عليهم السلام سكنت إليها نفسه ، وزال بها عن قلبه ما كان دخل عليه من الشك والارتياب والشبهة ، وتلقى ما سمعه من الآثار الصحيحة بالسمع والطاعة والقبول والتسليم ، وسألني أن أصنّف في ذلك كتاباً فأجبته إلى ملتمسه »[3].

ثمّ يذكر قصّة تشرّفه بلقاء صاحب الزمان صلوات الله عليه فأمره عليه السلام بتصنيف ذلك الكتاب.

وقد ذكر الشيخ الحرّ العاملي أنّه بالغ في الرّد على الصوفيّة وعقائدهم نظير الحلول والإتحاد ووحدة الوجود فقال:

« الشيخ الجليل رئيس المحدثين أبو جعفر بن بابويه رضي الله عنه وقد

---

(١) لتحقيق الحال راجع: خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ١ / ١٦٣ ـ ١٧٢.

(٢) رجال النجاشي: ٢٦٥ / ٦٩١.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٣.

عرفت أنه ولد بدعوة صاحب الزمان عليه السلام وفضائله أكثر من أن تحصى، وقد بالغ في الرد عليهم في كتاب الإعتقاد وكتب الحديث مثل عيون الأخبار ومعاني الأخبار والتوحيد والعلل وغيره حيث روى الأحاديث في الرد عليهم».[١]

وقال في التوحيد:

« قد قال الصادق عليه السلام: «لولا الله ما عرفنا ولولا نحن ما عرف الله» ومعناه لولا الحجج ما عرف الله حق معرفته، ولولا الله ما عرف الحجج، وقد سمعت بعض أهل الكلام يقول: لو أن رجلاً ولد في فلاة من الأرض ولم ير أحدا يهديه ويرشده حتى كبر وعقل ونظر إلى السماء والأرض لدله ذلك على أن لهما صانعاً ومحدثاً، فقلت: إن هذا شيء لم يكن، و هو إخبار بما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون، ولو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلا حجة الله تعالى ذكره على نفسه، كما في الأنبياء عليهم السلام منهم من بعث إلى نفسه، ومنهم من بعث إلى أهله وولده، ومنهم من بعث إلى أهل محلّته، ومنهم من بعث إلى أهل بلده، ومنهم من بعث إلى الناس كافّة. وأما استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة ثم إلى القمر ثم إلى الشمس، وقوله لما أفلت: ﴿ يٰا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ ﴾[٢] فإنّه عليه السلام كان نبيّاً ملهماً مبعوثاً مرسلاً وكان جميعاً قوله بإلهام الله عز وجل إياه، وذلك قوله عز وجل: ﴿ وَ تِلْكَ حُجَّتُنٰا آتَيْنٰاهٰا إِبْرٰاهِيمَ عَلىٰ قَوْمِهِ ﴾[٣] وليس كل أحد كإبراهيم عليه السلام. ولو استغنى في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عزوجل

---

(١) الإثنا عشريّة، الحرّ العاملي: ٤٨.

(٢) الأنعام: ٧٨.

(٣) الأنعام: ٨٣.

وتعريفه لما أنزل الله عز وجل ما أنزل من قوله: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ ﴾[١] ومن قوله: ﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَد ﴾[٢] إلى آخرها ومن قوله: ﴿ بَدِيعُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الأَرْضِ أَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدُ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صٰاحِبَةُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير ﴾[٣] وآخر الحشر، وغيرها من آيات التوحيد».[٤]

وهذا تصريح منه رحمه الله ببطلان منهج الفلاسفة الذين راموا معرفة الله وإقامة الحجج والبراهين عليه بنظرهم وفكرهم، فإذا كان إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام لايهتدي الى الحجّة الا بعد الهام الباري فمن عسىٰ أن يكون غيره من المتفلسفين؟

١١ ـ الصاحب بن عبّاد، المتوفى سنة ٣٨٥

أبو القاسم الملقب بالصاحب كافي الكفاة إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الديلمي الأصفهاني القزويني الطالقاني، كان رحمه الله وزيراً لمؤيد الدولة ثم فخر الدولة من آل بويه. وقد عدّ من أحد كُتّاب الدنيا الأربعة، ولد لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٣٢٦ بإصطخر فارس، وقيل بالطالقان طالقان قزوين، وتوفي ليلة الجمعة ٢٤ من صفر سنة ٣٨٥ بالري[٥].

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

« الصاحب الوزير الكبير العلامة الصاحب، أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد بن عباس الطالقاني الأديب الكاتب، وزير الملك مؤيّد الدولة بويه بن ركن

---

(١) محمّد: ١٩.

(٢) الإخلاص: ١.

(٣) الأنعام: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٩٠.

(٥) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣ / ٣٢٩ ـ ٣٢٨.

الدولة... وكان شيعياً معتزلياً مبتدعاً، تياهاً صلفاً جباراً، وقيل: إنه ذكر له البخاري، فقال: ومن البخاري؟ حشوي لا يعوّل عليه... وكان يتفقد علماء بغداد في السنة بخمسة آلاف دينار، وأدباءها، وكان يبغض من يدخل في الفلسفة »[١].

و في أعيان الشيعة عن لسان الميزان:

« وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة ولذلك أقصىٰ أبا حيان التوحيدي فحمله ذلك على أن جمع مصنفاً في مثالبه أكثره مختلق ».[٢]

وقد حاول السيد محسن الأمين المقايسة بينه و بين شيخه ابن العميد فقال:

« الصاحب هو تلميذ ابن العميد وصنيعته ووارثه في الوزارة والطابع على غراره في السياسة والأدب والمربى عليه في الجود والأبهة. يتشابه الوزيران في الأدب ومناحيه وأساليبه ويختلفان في العلم والأخلاق فابن العميد طويل الباع في الفلسفة وفروعها غير متمكن من العلوم الدينية راجح العقل قليل الكلام ذو تؤدة وروية في أعماله وأقواله لا يحب التعاظم والتبجح في علمه وعمله. والصاحب عالم في أصول الدين وفروعه يقدم النص على العقل منحرف عن الفلسفة وأصحابها ».[٣]

وابن العميد هذا قد ذكره الذهبي فقال:

« وكان مع سعة فنونه لا يدري ما الشرع، وكان متفلسفاً، متهمّاً بمذهب الأوائل ».[٤]

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٦ / ٥١٣ / ٣٧٧.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣ / ٣٣٢.

(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣ / ٣٣٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٦ / ١٣٧.

من أعلام القرن الخامس:

١٢ ـ الشّيخ المفيد، المتوفى سنة ٤١٣

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي المعروف بالشيخ المفيد. ولد سنة ٣٣٦ وقيل سنة ٣٣٨ في عكبرا وتوفي سنة ٤١٣ وشيّعه ثمانون ألفاً من الباكين عليه.

قال النجاشي:

« شيخنا وأستاذنا رضي الله عنه وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم... لما توفّي صلّى عليه الشريف المرتضىٰ بميدان الأشنان وضاق على الناس مع كبره ».[١]

وقال العلامة الحلي:

« من أجلّ مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم، وكل من تأخّر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، أوثق اهل زمانه وأعلمهم، انتهت رئاسة الامامية اليه في وقته، وكان حسن الخاطر دقيق الفطنة حاضر الجواب، له قريب مائتي مصنّف كبار وصغار، ودفن عند رجلي الجواد عليه‌السلام إلى جانب قبر شيخه جعفر بن محمد بن قولويه ».[٢]

وقال الشيخ الطوسي:

« كان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف له والمؤالف ».[٣]

---

(١) رجال النجاشي: ٤٠٣ / ١٠٦٧.

(٢) خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٤٨.

(٣) الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٣٩.

وقد خاطبه الإمام الحجّة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في توقيع له بقوله:

«للشيخ السديد والمولى الرشيد الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله اعزازه».(١)

وكانت له نشاطات واسعة في مختلف الفنون والعلوم الدينيّة، ومن جملة نشاطاته أنّه تصدّىٰ للذبّ عن المذهب تجاه الهجوم الفكري الفلسفي آنذاك.

فقد ألّف كتابه أوائل المقالات في العقيدة والمعرفة وتجنّب فيها عن الفكر الفلسفي بل حاول المناقشة فيه، وقال في مقدّمة كتابه أنّه ألّفه نظراً ووفاقاً لما جاء عن أئمّة الهدىٰ من آل محمّد صلى الله عليه وآله، وفي هذه العبارة إشعار إلىٰ تجنّبه منهج الفلاسفة. وقد قيل في ذلك:

« وأما قوله : (نظراً ووفاقاً لما جاء عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله) فهذا إشارة إلى الخط الذي يمشي عليه في اتخاذ آرائه في هذا الكتاب ، فإنّه كما التزم على نفسه طريق التعقل والتفقه في المسائل الأصول والمحاربة مع الأخباريين بشدة ، كذلك أخذ على نفسه التزاماً أن يحارب الإفراط في التفلسف والبعد عن الكتاب والسنة أو التساهل فيهما وتأويلهما لتطبيقهما على الآراء العقلية الكلامية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وهذا هو السبب في عنايته الخاصة بنقل آراء بني نوبخت وتفنيدها في أكثر الموارد ».(٢)

ومن جملة ما زيّفه في هذا الكتاب من آراء الفلاسفة القول بكون إرادة الباري

---

(١) خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ٣ / ٢٢٤.

(٢) التعليقة علىٰ أوائل المقالات، إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئيني: ٢٩٥.

من الصفات الذاتية وهي راجعة إلى العلم بالنظام الأحسن، قال:

« إن إرادة الله تعالى لأفعاله هي نفس أفعاله، وإرادته لأفعال خلقه أمره بالأفعال، وبهذا جاءت الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام، وهو مذهب سائر الإمامية إلا من شذّ منها عن قرب وفارق ما كان عليه الأسلاف. وإليه يذهب جمهور البغداديين من المعتزلة وأبو القاسم البلخي خاصة وجماعة من المرجئة، ويخالف فيه من المعتزلة البصريون ويوافقهم على الخلاف فيه المشبّهة وأصحاب الصفات ».[1]

وقال بعض الأعلام في توضيح كلامه:

« قوله: (إرادة الله تعالى لأفعال نفسه هي نفس أفعاله) مراده قده: إنّ إرادة الأفعال متحدة مع نفس الأفعال مصداقاً وإن اختلفا مفهوماً، في مقابل الأشعري الذي جعلها صفة زائدة على الذات، وفي مقابل الفلاسفة الذين جعلوا الإرادة من صفات الذات فردهم بقوله: (هي نفس أفعاله) ومراده بقوله: (إلا من شذّ منها) بعض المتفلسفين من الإمامية ذهبوا إلى أن الإرادة من صفات الذات، فردّهم باثبات كونها من صفات الفعل ».[2]

كما قال بتوقيفيّة أسماء الإلهيّة خلافاً للفلاسفة الذين سمّوا ربّهم من عند أنفسهم بأسماء لم ينزّل بها من سلطان، فقال:

« إنّه لا يجوز تسمية الباري تعالى إلاّ بما سمّى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وآله أو سمّاه به حججه من خلفاء نبيّه، وكذلك

---

(١) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٥٣.

(٢) التعليقة على أوائل المقالات، إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئيني: ٢٩٩.

أقول في الصفات. وبهذا تطابقت الأخبار عن آل محمد عليهم السلام، وهو مذهب جماعة الإمامية وكثير من الزيدية والبغداديين من المعتزلة كافة وجمهور المرجئة وأصحاب الحديث، إلا أن هؤلاء الفرق يجعلون بدل الإمام الحجة في ذلك الإجماع».[١]

وقال ردّاً على مبنى القائل بوجود الإستعدادات الذاتيّة في الأشياء، وجعل هذا القول قول الفلاسفة الملحدين، وقد يعدّ هذا المبنى من المسلّمات عند الفلاسفة قديماً وحديثاً، ومرّ أن جالينوس ردّ على موسى عليه السلام لأجل إنكاره هذا المبنى. قال رحمه الله:

«إنّ ما يتولّد بالطّبع فإنّما هو لمسبّبه بالفعل في المطبوع، وإنّه لا فعل على الحقيقة لشيء من الطّباع، وهذا مذهب أبي القاسم الكعبي و هو خلاف مذهب المعتزلة في الطّباع، وخلاف الفلاسفة الملحدين أيضا فيما ذهبوا إليه من أفعال الطّباع»[٢].

وقد تصدّى لنقد شبهات الفلاسفة في سائر كتبه أيضاً، نظير ما جاء في المسألة السّابعة عشرة من المسائل العكبريّة، حيث فنّد فيها أحد متبنيّات الفلاسفة التي تعدّ عندهم من أمّهات المسائل، وبطلانها يستلزم بطلان الكثير من القواعد الفلسفيّة، ألا وهي مسألة قدم العالم زماناً وحدوثه رتبة. فإنّها من لوازم القول بكون الموجودات معلولات للذات الربوبية، حيث انّ المعلول لاينفك عن علّته ولايتأخّر عنها إلا رتبة، وهو يسانخها في الذات، وليس صدور المعلول عن العلّة بالإختيار، بل ليس للعلّة بعد تماميّتها الإمتناع عن صدور المعلول عنه. فالمناقشة

---

(١) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٥٣.

(٢) أوائل المقالات، الشّيخ المفيد: ١٠١.

في هذا المبنىٰ تعني رفض جميع تلك المتبنيات الفلسفيّة. وقد مرّ في الفصل الأوّل أنّ هذه المسألة قد تسرّبت إلىٰ أفكار الفلاسفة المسلمين تأثراً بفلسفة أرسطو، حيث بالغوا في ترجمة كتبه في عهد الترجمة، وقد تأثر المسلمون بأفكاره كثيراً. قال الشيخ المفيد رحمه الله:

« اعترض فلسفي فقال: إذا قلتم إن الله وحده لا شيء كان معه، فالأشياء المحدثة من أي شئ كانت ؟ فقلنا له: مبتدعة لا من شئ. فقال: أحدثهما معاً أو في زمان بعد زمان ؟ قال: فإن قلتم: معاً، أوجدنا كم أنها لم تكن معاً وأنها حدثت شيئاً بعد شيء. وإن قلتم: أحدثها في زمان بعد زمان، فقد صار معه شريك وهو الزمان.

والجواب ـ وبالله التوفيق ـ: أن الله لم يزل واحداً لا شيء معه ولا ثاني له، وأنه ابتدأ ما أحدثه في غير زمان. وليس يجب إذا أحدث بعد الأول حوادث أن يحدثها في زمان، ولو فعل لها زماناً لما وجب بذلك قدم الزمان، إذ الزمان حركات الفلك أو ما يقوم مقامها مما هو بقدرها في التوقيت. فمن أين يجب عند هذا الفيلسوف أن يكون الزمان قديماً إذا لم توجد الأشياء ضربة واحدة، لولا أنه لا يعقل معنى الزمان ؟ »[1].

كما قال في أوائل المقالات في بيان حدوث العالم وأنّه لاينقض بعدم حدوث الزمان:

« إن الوقت هو ما جعله الموقت وقتاً للشيء وليس بحادث مخصوص، والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفلك محتاجاً في وجوده إلىٰ وقت ولا زمان، وعلى هذا القول ساير الموحدين ».[2]

---

(١) المسائل العكبريّة، الشّيخ المفيد: ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ١٠٠.

وجعل هذا المعنىٰ قول سائر الموحّدين إشعار بخروج الفلاسفة عن الموحّدين حيث قالوا بقدم العالم، كما قال بعض الأعلام في توضيح كلامه:

« قوله: (وعلى هذا القول ساير الموحدين) أقول: أصل البحث عن الزمان ثم تفسيره على نحو لا يشمل الفلك فما فوقها، ثم جعله قولاً للموحدين، إشارة إلى أن تصريح المتكلمين بالحدوث الواقعي للعالم في مقابل الفلاسفة القائلين بالحدوث الذاتي لا يستلزم الحدوث الزماني، بل هو جمع بين إثبات الحدوث الحقيقي في متن الواقع وبين إنكار الحدوث الزماني بهذا المعنى، إلا أن يفسّر الزمان بمعنى آخر ».[1]

وقد حكم بخروج القائل بالقدم عن التوحيد، فقال فيمن يثبت لله أحوالاً يكون بها عالماً وقادراً وحياً وسميعاً وبصيراً:

« متى كانت (هذه الأحوال) موجودة لزمه ـ على أصله وأصولنا جميعًا ـ أنّها لا تخلو من القدم والحدوث، وليس يمكنه الإخبار عنها بالقدم فيخرج بذلك عن التّوحيد ويصير به أسوء حالا من أصحاب الصّفات.[2]

وقال ردّاً علىٰ القائلين بقدم العالم بجميع أصنافهم:

« وأصحاب برقلس[3] ومن دان بالهيولى وقدم الطبيعة أعذر من هؤلاء القوم (الذين قالوا بأنّ جواهر العالم وأعراضه لم تكن حقائقها بالله) إن

---

(١) التعليقة علىٰ أوائل المقالات، إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئيني: ٣٥٦.

(٢) الحكايات في مخالفات المعتزلة من العدليّة والفرق بينهم وبين الشيعة الإماميّة، الشيخ المفيد: ٥٥. وأصحاب الصفات هم القائلون بأنّ لله أعضاء هي صفات أزلية.

(٣) فيلسوف يوناني من أصحاب الأفلاطونيّة الجديدة، وقد كتب كتابه «العلل» في إثبات قدم العالم، لاحظ مذاهب الإسلاميين للبدوي: ١ / ١١ ـ ٥١٢.

كان لهم عذر. ولا عذر للجميع فيماارتكبوه من الضلال لأنّهم يقولون: إنّ الهيولى هو أصل العالم، وإنّه لم يزل قديماً، وإنّ الله تعالى هو محدث له كما يحدث الصائغ من السّبيكة خاتماً والنّاسج من الغزل ثوباً والنجّار من الشجرة لوحاً، فأضافوا إلىٰ الصانع الاعيان لصنعه ما أحدث فيها من التغيّرات... ومن تأمّل قول هذا الفريق علم أنّه قول أصحاب الهيولى في معنى قدم أصل العالم بعينه وإن فارق أهله في العبارة»[1].

وفي مسألة قدرة الباري تعالىٰ ناقش قول الفلاسفة حيث قالوا: ليس من شرط كون الذات قادراً إمكان أن لايفعل. وذلك لأنّ نظام العلّة والمعلول التي بنوا عليه لايتلائم إلا مع ضرورة صدور المعلول عن العلّة، فليس للعلّة بعد تماميّتها الإمتناع عن صدور المعلول، كما ليس لها إيجاد المعلول قبل تماميّة العلّة. فلايتصوّر وجود القدرة ـ التي هي السلطنة علىٰ طرفي الفعل والترك ـ في العلّة قبل تماميّتها وبعدها.

فإن كان الباري ـ جلّ عن ذلك وتقدّس ـ علّة للمخلوقات بمعناه الفلسفي، وكانت المخلوقات معاليل لذاته القدّوس، فلامحالة يكون صدور المعلولات عن الذات ضرورياً ويكون هو تعالىٰ عاجزاً عن عدم الصدور. وهذا المبنىٰ كما ترىٰ إنكار صريح لقدرة الله ونسبة العجز إليه تعالىٰ. فلأجل الفرار عن الرمي بالكفر والزندقة لعبوا في معنىٰ القدرة فقالوا: إنّ القدرة لاتنافي ضرورة صدور الفعل، فليس من شرط كون الذات قادراً إمكان أن لايفعل، بل إنّه يسمّىٰ قادراً حتىٰ مع عجزه عن عدم الفعل.[2]

---

(١) الحكايات في مخالفات المعتزلة من العدليّة والفرق بينهم وبين الشيعة الإماميّة، الشيخ المفيد: ٦١.

(٢) كما قال ملاصدرا الشيرازي: «ليس من شرط كون الذات مريداً و قادراً إمكان أن لا يفعل... ظهر ←

والشيخ المفيد ردّ على مقالتهم هذه في معنى القدرة فقال:

« فإن قيل: موجد الحوادث قادر مختار أم موجَب ؟ فالجواب: قادر مختار.
فإن قيل: ما حدّ القادر وما حد الموجَب ؟ فالجواب: القادر هو الذي يمكنه الفعل ويمكنه الترك بالنسبة إلى شيء واحد، والموجَب هو الذي يفعل ولا يمكنه الترك كالنار في الإحراق.
فإن قيل: ما الدليل على أن موجد الحوادث قادر مختار ؟ فالجواب: الدليل على ذلك أنّه لو لم يكن قادراً لكان موجباً لما عرفت من أنّه لا واسطة بين القادر والموجَب. ولو كان موجَباً لكانت الحوادث التي هي آثاره قديمة لقدمه، وقدم الحوادث محال، فكونه موجباً محال، فيكون قادراً مختاراً وهو المطلوب ».[1]

والجدير بالذكر أنّه يناقش هذا المبنى من الفلاسفة بذكر ما يترتّب عليه من الفساد، وهو القول بقدم العالم، فجعل بطلان القول بقدم العالم من الضروريّات التي لامجال للشّك فيه، وهو كذلك، إلاّ أن الفلاسفة تأثّراً بمدرسة أرسطو ـ التي حازت بالشرف الأول في لجان الترجمة ـ خالفوا جميع الموحّدين في ذلك.

وقال في نقد كلام شيخه أبو جعفر الصدوق رحمه الله:

« فأما ما ذكره من أنّ الأنفس باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضادّ

← أوضح الظهور أنّ مدار القادرية على كون المشية سبباً لصدور الفعل أو الترك. وإنّ القادر هو الذي إن شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل، وان وجبت المشيّة وجوباً ذاتياً أو غيرياً وامتنعت اللاّمشيه امتناعاً ذاتيّاً أو غيريّاً». الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ملاصدرا الشيرازي: ٨ / ٣١٨. لتفصيل الكلام في ذلك راجع ما كتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد باقر علم الهدى في كتاب سدّ المفرّ على القائل بالقدر: ١٠٩.

(١) النكت الإعتقادية، الشيخ المفيد: ٢٢.

ألفاظ القرآن.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ يَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ﴾[١] والذي حكاه من ذلك وتوهّمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين الذين زعموا أن الأنفس لا يلحقها الكون والفساد، وأنّها باقية، وإنما تفنى وتفسد الأجسام المركبة، وإلى هذا ذهب بعض أصحاب التناسخ وزعموا أن الأنفس لم تزل تتكرّر في الصور والهياكل لم تحدث ولم تفن ولن تعدم، وأنها باقية غير فانية. وهذا من أخبث قول وأبعده من الصواب، وبما دونه في الشناعة والفساد شنّع به الناصبة على الشيعة ونسبوهم إلى الزندقة، ولو عرف مثبته ما فيه لما تعرّض له، لكن أصحابنا المتعلّقين بالأخبار أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلة فطنة يمرّون على وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث ولا ينظرون في سندها، ولا يفرّقون بين حقّها وباطلها، ولا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها، ولا يحصلون معاني ما يطلقونه منها».[٢]

وقال بعد ذكر قصّة عزير، صاحب الحمار الّذي أحياه الله بعد مائة عام:

« وهذا منصوص في القرآن مشروح في الذّكر والبيان لا يختلف فيه المسلمون وأهل الكتاب، وهو خارج عن عادتنا وبعيد من تعارفنا، منكر عند الملحدين ومستحيل على مذهب الدّهريّين والمنجّمين وأصحاب الطّبائع من اليونانيين وغيرهم من المدّعين الفلسفة والمتطبّبين »[٣].

وقد خصّص بعض تأليفاته القيّمة بالمناقشة والنقد لبعض آراء الفلاسفة نظير

---

(١) الرحمن: ٢٦ و ٢٧.

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: ٨٧.

(٣) الفصول العشرة، الشّيخ المفيد: ٨٧.

كتابه: «جوابات الفيلسوف في الإتّحاد»، و«جوابات الفيلسوف في الأشرار» ذكرهما السيّد أمين العاملي[١].

كما تصدّىٰ للردّ علىٰ الفكر الصوفي الذي تمثّل آنذاك في الحلاج وأصحابه، فألّف كتابه «الردّ على أصحاب الحلّاج». وقد ذكر الشيخ الحرّ عن بعض علمائنا أنه قال في هذا الكتاب:

« اعلم أيدك الله أن كثيراً من هذا العالم قائل بالإمامة على ظاهر من القول مليح وباطن من الفعل قبيح، يعلن تقىً وإيماناً، ويبطن كفراً وعدواناً، يأكل الدنيا بالدين ويدخل الشبه على المستضعفين من المؤمنين، إلحاداً في دين الله وعناداً لآل رسول الله صلّى الله عليه وآله. ولما رأينا انهماك الحلاجية في إغواء ضعفاء الفرقة الناجية توجّهنا إلى سد إضلالهم ورد أقوالهم لئلا يغيروا بإيهامهم في المغالاة ويعرضوا بإعراضهم عن مسلك النجاة كما مر في مقدمة الخبر الأول من هذا الكتاب المسمى بكتاب الرد على أصحاب الحلاج الذين نكبوا ونكسوا عن المنهاج والذين ألحوا في حب الله قولاً ومكيدةً وبالغوا في عداوته فعلاً وعقيدةً ».[٢]

١٣ ـ السيّد الشريف المرتضى علم الهدى، المتوفى سنة ٤٣٦

قال رحمه الله بعد بيان في حقيقة النوم وأقسامه:

« وهذا الذي رتبناه في المنامات وقسّمناه أسدّ تحقيقاً من كل شيء قيل في أسباب المنامات، وما سطر في ذلك معروف غير محصّل ولا محقّق. فأما ما يهذي إليه الفلاسفة، فهو مما يضحك الثكلى، لأنهم ينسبون ما

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ٤٢٣.

(٢) الإثنا عشريّة، الحرّ العاملي: ٤٦.

صحّ من المنامات لَمّا أعيتهم الحيل في ذكر سببه، إلى أن النفس اطّلعت إلى عالمها، فأشرفت على ما يكون. وهذا الذي يذهبون إليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط، فكيف إذا أضيف إليه الإطّلاع على عالمها. وما هذا الاطلاع وإلى أي يشيرون بعالم النفس؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الاطلاع؟ فكلّ هذا زخرفة ومخرقة وتهاويل لا يتحصّل منها شيء وقول صالح فيه، مع أنه تجاهل محض أقرب إلى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة »[١].

ومن جملة كتبه كتاب تقريب الأصول على ما ذكره في الذريعة وقال:

« تقريب الأصول، في علم الكلام للسيد الشريف المرتضى علم الهدى المتوفى ٤٣٦، ذكر النجاشي أنّ فيه الرد على يحيى بن عدي الفيلسوف المنطقي تلميذ الفارابي ومترجم الكتب السريانية إلى العربية، المتوفى ببغداد في ٣٦٤ ».[٢]

وذكر الشيخ الحرّ أنّه ألّف في الرد على الصوفيّة كِتاباً، ذكره جمع من علمائنا، كما قد بالغ في الرد عليهم أيضا في كتبه الكلامية في عدة مواضع.[٣]

١٤ ـ أبو الصلاح الحلبي، المتوفى سنة ٤٤٧

أبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي (٣٧٤ ـ ٤٤٧)، تلميذ السيد المرتضى والشيخ الطوسي والسلاّر، و من كبار الفقهاء والمتكلّمين، أثنى عليه غير واحد من العلماء فقد قال أستاذه الشيخ الطوسي في حقّه:

« ثقة عين، قرأ علينا وعلى المرتضى وحاله شهير ».[٤]

---

(١) رسائل الشريف المرتضى: ٢ / ١٣.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٤ / ٣٦٥ / ١٥٩٤.

(٣) الإثنا عشريّة، الحرّ العاملي: ٤٧.

(٤) رجال الطوسي، الشيخ الطوسي: ٤١٧ / ٦٠٣٤.

وقال الشيخ منتجب الدين:

« فقيه، عين، ثقة، قرأ على الأجل المرتضى علم الهدى نضر الله وجهه وعلى الشيخ الموفق أبي جعفر ».[١]

قال رحمه الله بعد بيان العقيدة الصحيحة في التوحيد:

« مسألة في لزوم الاعتقاد بمسائل التوحيد: وإذا تقرّر ما قدّمناه من مسائل التوحيد وعلمنا صحتها بالبرهان، لزم كل عاقل اعتقادها، أمناً من ضررها، قاطعاً على عظيم النفع بها، وفساد ما خالفها من المذاهب، وحصول الأمان من معرتها، ونزول الضرر بمعتقدها، من حيث كان علمه بحدوث الأجسام والأعراض يقضي بفساد مذاهب القائلين بقدم العالم من الفلاسفة وغيرهم، وعلمه بحاجتها إلى فاعل قادر متخير عالم حي يوجب فساد مذهب من أضافه إلى علة أو طبيعة أو غير ذلك ممن ليس في هذه الصفات ».[٢]

١٥ ـ الشيخ أبو الفتح الكراجكي، المتوفى سنة ٤٤٩

قال الكراجكي ـ تلميذ السيد المرتضى ـ في كتاب كنز الفوائد رداً على مبنى القدم الذي التزم به الفلاسفة:

« اعلم ـ أيدك الله ـ إن من الملاحدة فريقاً يثبتون الحوادث ومحدثها ويقولون: إنه لا أول لوجودها ولا ابتداء لها، ويزعمون: أن الله سبحانه لم يزل يفعل ولا يزال كذلك، وإن أفعاله لا أول لها ولا آخر، فقد خالفونا في قولهم: إنّ الأفعال لا أول لها.. إذ كنّا نعتقد إن الله تعالى ابتدأها وإنه

(١) الفهرست، منتجب الدين: ٣٤ / ٦٠.

(٢) تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبي: ٩٢.

موجود قبلها... اعلم إنّ الملاحدة لمّا لم تجد حيلة تدفع بها تقدم الصانع على الصنعة، قالت: إنّه متقدّم عليها تقدّم رتبة لا تقدّم زمان »[١].

١٦ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠

تصدّى رحمه الله لنقد جملة من عقائد الفلاسفة التي كانت تمسّ العقائد الحقّة، نظير قولهم في المعراج استناداً إلى الهيأة البطلميوسيّة، فقال في رسالة كتب فيها خمسون مسألة اعتقاديّة:

« معراج الرسول بالجسم العنصري علانية، في غير منام حقٌّ، والاخبار عليه بالتواتر ناطقة، صريحة، فمنكره خارج عن الاسلام، وانّه مرّ بالأفلاك من أبوابها من دون حاجة إلى الخرق والإلتيام، وهذه الشبهة الواهية مدفوعة مسطورة بمحالها ».[٢]

كما قال في مسألة المعاد الجسماني الذي لم يستقم على أصول الفلاسفة:

« ان الله يعيد الأجسام الفانية كما هي في الدنيا، ليوصل كل حقّ إلى المستحقين، وذلك أمر ممكن، والأنبياء أخبروا به، لا سيما القران المجيد مشحون به ولا مجال للتأويل، فالإعتقاد بالمعاد الجسماني واجب ».[٣]

١٧ ـ السيد أبو المعالي محمد بن عبد الله الحسيني كان حياً سنة ٤٧٥

ألّف كتاباً في بيان الأديان وشنّع فيه على الصوفيّة، نقل عنه الشيخ الحرّ العاملي وقال:

« إنّه قد صنف كتاباً سنة ٤٧٥ في بيان الملك والأديان

---

(١) كنز الفوائد، الكراجكي: ١ / ٣٣ ـ ٤١.

(٢) رسالة العقائد الجعفريّة، الشيخ الطوسي، المطبوع مع جواهر الفقه للقاضي ابن البراج: ٢٤٨.

(٣) رسالة العقائد الجعفريّة، الشيخ الطوسي، المطبوع مع جواهر الفقه للقاضي ابن البراج: ٢٥٠.

بالفارسية[1] فقال فيه ما معناه: ذكر مذاهب الصوفية هؤلاء لهم أسماء متكثرة وبناء مذهبهم من أبي هاشم الكوفي تابع بني أمية وفرقهم متعددة ويدعي بعضهم ترك النفس وإنها باطلة وإنه مستغرق في الحق ويقولون: كلنا الحق، ورووا عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: سبحاني ما أعظم شأني وأولوا هذا الكفر بنفي نفسه. ومن هذه الطبقة الحسين بن منصور الحلاج ادعى الإلهية وعبادتهم وطاعتهم التفكر ويرجحونه على الصلاة الواجبة وهو أكبر الطاعات عندهم وأتعبوا أنفسهم في الرياضات.

وبعضهم يسمون ملامية لفعلهم المعاصي جهارا ليلومهم الناس ووقعوا في السماع واللهو والتحير والإغماء ويقولون: إنهم في الباطن من الحق وفي الظاهر بغيره ويقولون: نحن عارفون وينشدون الشعر ويرقصون ويسمونه شوقا، ويسمون أنفسهم عشاقا وكلامهم كله عن العشق ويتركون التكسب ويلزمون الراحة ويدعون علم الغيب والفراسة. ومنهم بزعمهم زهاد لا يتزوجون وكثير من البله والعوام يغترون بهم ويميلون إلى طريقتهم ويظهرون النظافة واحترام بعضهم بعضا وبعضهم يؤدي الفرائض في وقتها ليعتقدوا فيها وإن لم يكن معتقداً وشغفهم بالسماع ويظهرون الوصول إلى مرتبة عدم الشعور، وليس له أصل وأكثرهم من أهل السنة. منهم النورية يقولون: المحبة نور أزلي وقع في القلب وبرز منه فصار صافيا والحلولية يقولون: جز الهي حل فيهم لتركهم الشهوات حتى وصلوا إلى كونهم كلهم الحق وأكثر أهل السنة والجماعة أنكروا الصوفية وجميع الشيعة أنكروهم ونقلوا عن أئمتهم أحاديث كثيرة في مذمتهم وصنف علماء الشيعة كتبا كثيرة في ردهم وكفرهم.

---

(١) الظاهر أنّ اسم الكتاب «بيان الأديان» كما ذكره في الذريعة: ج ٢٦ ص ١١٥، و ج ٣ ص ١٧٦. نعم هناك بعض الإختلافات في إسم المؤلّف.

منها: كتاب الشيخ المفيد في الرد على أصحاب الحلاج وذكر فيه أن الصوفية في الأصل فرقتان حلولية واتحادية وكل الشيعة على هذا القول فيهم إلا القليل فإنهم جعلوا الحلولية والاتحادية فرقة واحدة وأكثر أهل السنة يجعلونهما أيضا فرقة واحدة وكل الشيعة على كفرهم والرد عليهم بطريق المبالغة العظيمة إلى حد لم يجوزوا لغير ضرورة التسمية بالصوفية ورووا بهذا المعنى أحاديث كثيرة عن أئمتهم».[1]

١٨ ـ الأمير محمد تقي بن الأمير محمد علي الكشميري المتوفى سنة ٤٩٤

ألّف كتاب الرّد على الصوفيّة، وذكر اتّحادهم مع الفلاسفة ففي الذريعة:

«الرد على الصوفية، للأمير محمد تقي بن الأمير محمد علي الكشميري. قد نقل الميرزا محمد الاخباري في ج ٥ من كتابه «تسلية القلوب» الحزينة الجاري مجرى الكشكول والسفينة الذي الفه (١٢١٦)، عبارة هذا الكتاب الفارسي في بيان معنى الصوفي، من أنّه اسم يوناني كان يسمّى به كل من تمهّر في فنّ من فنون العلم والحكمة، ثم لما تسمّى جمع من الشعراء والرقاصين أنفسهم بهذا الاسم، منع الحكيم فيثاغورس أن يسمّى الحكماء بهذا الاسم، بل سماهم بفيلسوف. نقل ذلك عن كثير من المؤرخين القدماء».[2]

من أعلام القرن السادس:

١٩ ـ الشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨

قال رحمه الله في تفسير سورة الفيل:

«وفيه حجّة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة والملحدين، المنكرين

---

(١) الإثنا عشريّة، الحرّ العاملي: ٥٢.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٠/ ٢٠٦/ ٥٥٨.

للآيات الخارقة للعادات ، فإنّه لا يمكن نسبة شيء مما ذكره الله تعالى من أمر أصحاب الفيل إلى طبع وغيره ، كما نسبوا الصيحة ، والريح العقيم ، والخسف ، وغيرهما مما أهلك الله تعالى به الأمم الخالية ، إلى ذلك ، إذ لا يمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير معها أحجار معدة مهيأة لهلاك أقوام معينين ، قاصدات إياهم دون من سواهم ، فترميهم بها حتى تهلكهم ، وتدمر عليهم ، حتى لا يتعدى ذلك إلى غيرهم ، ولا يشكّ من له مسكة من عقل ولبّ ، أن هذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى ، مسبّب الأسباب ، ومذلّل الصعاب. وليس لأحد أن ينكر هذا ، لأنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلم لما قرأ هذه السورة على أهل مكة ، لم ينكروا ذلك ، بل أقرّوا به ، وصدقوه مع شدّة حرصهم على تكذيبه ، واعتنائهم بالردّ عليه. وكانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل ، فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة وأصل ، لأنكروه وجحدوه ، وكيف وأنهم قد أرّخوا بذلك كما أرّخوا ببناء الكعبة ، وموت قصي بن كعب ، وغير ذلك. وقد أكثر الشعراء ذكر الفيل ، ونظموه ، ونقلته الرواة عنهم »[1].

وقال في جوامع الجامع في تفسير السورة:

« وهذه السورة من قواصم الظهور للملاحدة والفلاسفة المنكرة للمعجزات الخارقة للعادات ، فإنه لا يمكن أن ينسب شيء من أمر أصحاب الفيل إلى طبع وغيره ، وكيف يكون في أسرار الطبيعة أن تأتي جماعات من الطير معها أحجار معدة لإهلاك أقوام معينين فترميهم بها حتى تهلكهم بأعيانهم ؟ ولا يمكن أحد جحده والشك فيه ؛ لأن نبينا صلّى الله عليه وآله وسلم تلاها على أهل مكة فلم ينكروه ، بل أقرّوا

---

(١) تفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ١٠ / ٤٤٧.

به مع شدة حرصهم على تكذيبه، وكيف وقد أرّخوا بذلك كما أرخوا ببناء الكعبة وغيره »[١].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾[٢]:

« قيل فيه وجوه :... والآخر :أنّ المراد علم الفلاسفة كانوا يصغرون علم الأنبياء إلى علمهم.

وعن سقراط أنّه قيل :ائت موسى عليه السلام وكان في زمانه، فقال: نحن قوم مهذّبون، فلا حاجة بنا إلى من يهدينا »[٣].

٢٠ ـ قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن الراوندي، المتوفى سنة ٥٧٣

قال رحمه الله في مفتتح الخرائج والجرائح:

« بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد الحمد الله الذي هدانا إلى منهاج الدليل والصلاة على محمد وآله الذين سلكوا بنا سواء السبيل، فإنّ قوماً من الذين أقرّوا بظاهرهم بالنبوات، جحدوا في الإمامة كون المعجزات، فضاهوا الفلاسفة والبراهمة الجاحدين في النبوّة الاعلام الباهرات فدعواهم جميعا باطلة فاضحة، إذ الأدلّة على صحّة جميع ذلك واضحة »[٤].

وقال أيضاً:

« فصل واعلم أن الفلاسفة أخذوا أصول الاسلام ثم أخرجوها على

---

(١) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ٣ / ٨٤٦.

(٢) غافر: ٨٣.

(٣) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ٣ / ٢٥٤.

(٤) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ١ / ١٧.

رأيهم، فقالوا في الشرع والنبي: إنّما أريدا كلاهما لإصلاح الدنيا. فالأنبياء يرشدون العوام لإصلاح دنياهم، والشرعيات تهذّب أخلاقهم، لا أنّ الشرع والدين كما يقول المسلمون، من أنّ النبي يراد لتعريف مصالح الدين تفصيلا وإنّ الشرعيات ألطاف في التكليف العقلي. فهم يوافقون المسلمين في الظاهر، وإلا فكل ما يذهبون إليه هدم للاسلام وإطفاء لنور شرعه ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[١].

وقال أيضاً:

« من الفلاسفة من يقول لمجاملة أهل الاسلام: إنّ الطريق إلى معرفة صدق المدعي للنبوة هو أن يعلم أنّ ما أتى به مطابق لما يصلحون به في دنياهم، ولأغراضهم »[٢].

وقد ذكر من جملة مؤلفاته كتاب: « تهافت الفلاسفة »، قال الشيخ منتجب الدين في ترجمته:

« الشيخ الامام قطب الدين أبو الحسين سعد بن هبة الله بن الحسن الراوندي. فقيه، عين، صالح، ثقة، له تصانيف :... وتهافت الفلاسفة »[٣].

وكذا ذكره الأردبيلي في جامع الرواة[٤]، والشيخ الحرّ في أمل الآمل[٥]، والشيخ آقا بزرگ في الذريعة وقال: يوجد نسخة منه في الخزانة الرضويّة

---

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ٣ / ١٠٦١.

(٢) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ٣ / ١٠٥٤.

(٣) الفهرست، منتجب الدين: ٦٧ / ١٦٧.

(٤) جامع الرواة، محمد علي الأردبيلي: ١ / ٣٦٤.

(٥) أمل الآمل، الحر العاملي: ٢ / ١٢٥.

على ما في فهرسها[١].

٢١ ـ السيد عزّ الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي، المتوفى سنة ٥٨٥

قال الشيخ الحرّ:

« فاضل عالم ثقة جليل القدر، له مصّنفات كثيرة منها :... ونقض شبه الفلاسفة، ومسألة في الردّ على من زعم أن الوجوب والقبح لا يعلمان إلا سمعا، ومسألة في الرد على من قال في الدين بالقياس »[٢].

وقال أيضاً:

« إنّه صنف كتاب الهادي إلى النجاة من جميع المهلكات ونقل فيه أخبارا كثيرة في الرد على هؤلاء (أي الصوفيّة) ومذمتهم عن الشيخ المفيد وغيره من المتقدمين »[٣].

وله أيضاً كتاب الرّد على الفلاسفة ودفع شبههم، كما ذكره الذريعة عن الرياض، فقال:

« الرد على للفلاسفة ودفع شبههم، للسيد أبي المكارم حمزة بن علي بن أبي المحاسن زهرة الحلبي كما في الرياض ».[٤]

كما ذكر كتابه نقض شبه الفلاسفة.[٥]

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٤ / ٥٠٢ / ٢٢٥٤.

(٢) أمل الآمل، الحر العاملي: ٢ / ١٠٥ / ٢٩٣، وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٦ / ٢٥٠.

(٣) الإثنا عشريّة، الحرّ العاملي: ٤٧.

(٤) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٠ / ٢١٦ / ٦١٣.

(٥) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٤ / ٢٨٧ / ١٤٧٩.

من أعلام القرن السابع:

٢٢ ـ السيّد رضي الدين بن طاووس، المتوفى سنة ٦٦٤

وقد شنّع علىٰ الفلاسفة بما لامزيد عليه، فجعل الفلاسفة فئة مخالفة في عقيدتها للمسلمين كافّة، فقال:

« ومما يقال للمجبرّة: قد رحمناكم لشدّة غفلتكم، وخاصّة الذين يقولون منكم لا فاعل سوى الله تعالى، ثم يقولون إنّ العبد غير مختار وإنّه مضطرّ فيما يصدر عنه. ويا لله والعجب من جهالاتكم إذا كان لا فاعل سوى الله تعالى، وعندكم وعند كافّة أهل الإسلام إن الله تعالى مختار غير مضطرّ ولا ملجأ، وكيف صارت أفعاله الصادرة عن العباد في الصورة وهي صادرة عنه في التحقيق خارجة عن حكم اختياره، وبطل على قولكم كونه مختاراً وصرتم إلى مذهب الفلاسفة في أنّه جل وعلا غير مختار ».[١]

وإنكار قدرته تعالىٰ واختياره من لوازم غير واحد من متبنيّات الفلاسفة، كقولهم أنّ الشيء ما لم يجب لم يوجد، وقولهم بأنّه تعالىٰ بذاته علّة العلل، بداهة عدم قدرة العلّة علىٰ صدور المعلول عنه و عدمه، وقولهم بأنّ الإرادة هي العلم بالنظام الأحسن، وقولهم أنّ الواحد لايصدر عنه إلا الواحد، وقولهم بقدم العالم، وقولهم أنّه ليس من شرط كون الذات مريداً وفاعلاً إمكان أن لايفعل، وغيرها من المباني الفاسدة التي مرّت الإشارة إليها. وإنكار الفلاسفة لقدرة الله تعالىٰ كان من الواضحات حيث استشهد به السيّد بن طاووس في احتجاجه علىٰ المجبّرة.

و صرّح أيضاً بمباينة الفلاسفة للأنبياء فقال:

« الباب التاسع فيما نذكره عمن يقول إن النّجوم لا تصح ان تكون دلالات

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس: ٣٣٢.

على الحادثات. اعلم أن المنكرين لذلك من المسلمين فرق... وفريق سمعوا أنّ هذا العلم ابتدعه قوم غير الأنبياء من الفلاسفة والحكماء فهربوا من التصديق بشيء من معانيه لئلا يقعوا فيما وقع أولئك فيه من الضلالة والتشبيه. وقد قدّمنا الدلالات الواضحات على أن هذا العلم من علوم الأنبياء والأوصياء عليهم الصلوات وأوضحنا ذلك بما ذكرنا من المعقولات والمنقولات ».[1]

وقال في وجه ضلال الفلاسفة:

« لقد وجدت الفلاسفة وأكثر من ضلّ بغير عناد، أنّ ضلالهم كان من طريق التوكّل والاعتماد على العقول والقلوب والاجتهاد مع الغفلة عن سلطان المعاد. ولقد كان الله جل جلاله أعذر إليهم وركب الحجة عليهم بما أراهم في العقول والقلوب من مماتها بالنسيان وكثرة آفاتها وتفاوت إرادتها بما يظهر في تصرفاتها من النقصان ما كان كافيا في ترك الاعتماد عليهما مع سقم الغفلة عنه جل جلاله بالاستناد عليها »[2].

٢٣ ـ المحقّق خواجه نصير الدين الطوسي، المتوفى سنة ٦٧٢

قال في كتاب الفصول رداً على مبنى الفلاسفة في الحدوث:

« أصل: قد ثبت أن وجود الممكن من غيره، فحال إيجاده لا يكون موجودا، لاستحالة إيجاد الموجود، فيكون معدوما، فوجود الممكن مسبوق بعدمه وهذا الوجود يسمى: حدوثا، والموجود: محدثا، فكل ما سوى الواجب من الموجودات محدث، واستحالة الحوادث لا إلى

---

(١) فرج المهموم، السيد ابن طاووس: ٢١٦.

(٢) جمال الأسبوع، السيد ابن طاووس: ٢٢.

أول ـ كما يقوله الفلسفي ـ لا يحتاج إلى بيان طائل بعد ثبوت إمكانها المقتضي لحدوثها ».[١]

و من جملة كتبه تهافت الفلاسفة، ذكره في الذريعة وقال:

« تهافت الفلاسفة، للمحقق خواجة نصير الدين الطوسي المتوفى (٦٧٢)، كذا قاله في « اكتفاء القنوع »، ثمّ قال: « أنّه تعرّض فيه للرد على الغزالي وهو لم يطبع بعد ». أقول: أوّل من ألّف بعنوان « تهافت الفلاسفة » الغزالي المتوفى في (٥٠٥)... وأما « تهافت الفلاسفة » للخواجه نصير الدين الموجود في مكتبة نور عثمانية ، ومكتبة بشير آغا في اسلامبول كما يظهر من فهرسيهما، يعبّر عنه بشرح تهافت الفلاسفة، أي الذي ألّفه الغزالي، ونسخة أخرى من شرح التهافت للخواجه نصير الدين موجودة في تبريز في مكتبة الحاج ميرزا باقر القاضي ».[٢]

ونحن لاندري ما في كتابه هذا، إلاّ أنّ جعل عنوان التهافت أو شرح التهافت ممّا يقرّب كونه نقضاً ورداً على الفلاسفة، لا أنّه ردّ لتهافت الغزالي كما ذكره في اكتفاء القنوع، فإنّه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يسمّيه بنقض التهافت أو ما شابه ذلك.

كما أنّ مؤلّفاته ما ذكره في الذريعة:

« الواحد لا يصدر منه الا الواحد، لنصير الدين الطوسي والنسخة بخط عبد الرحيم بن محمد علي التستري كتبها في سفر المشهد ١٣٠٤، أثبت فيها: أنّ الواحد يصدر منه أكثر من واحد، و « فائدة في صدور الكثرة عن الواحد » مع القول بأنّه لا يصدر من الواحد إلا الواحد أيضا للخواجه نصير الدين ».[٣]

---

(١) عنه بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٤ / ٢٤٥.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٤ / ٥٠٢ / ٢٢٥٥.

(٣) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٥ / ٦ / ٣٠.

وفي كتابه تجريد الإعتقاد ـ الذي يمتاز من بين كتبه ببيان ما يتبنّاه من عقائد ـ نقوض كثيرة على الفلاسفة. منها ما تصدّى للرّد على شبههم في حدوث العالم، واثبات اختياره تعالىٰ المقابل للعلّة التامّة. فإنّه لو كان الباري تعالىٰ بذاته علّة للعالم ـ بالمعنىٰ الفلسفي للعلّة ـ فذاك يعني سلب القدرة والإختيار عنه تعالىٰ، بداهة أنّ العلّة بعد فرض تماميّتها يصدر عنها المعلول المسانخ لها قهراً بلا إرادة ولا إختيار، وليس في وسعه الإمتناع عن صدور المعلول أو تبديله بمعلول آخر، وقد قال تعالىٰ:

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ قَدِيراً ﴾[1].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[2].

وليست للعلّة أن تدّعي مثل هذه الدعاوى، فليس لها المنع عن صدور المعلول المسانخ لها بعد تماميّتها أو تبديلها بمعلول آخر، بل يستحيل أن تكون لها قدرة وإرادة لإيجاد ما سواه من ساير المعاليل أو افناء معلوله، وهذا هو العجز والضعف. ولايؤثّر في رفع العجز كونه منبعثاً من صميم ذاتها دون أن تكون مقهورة لشيء آخر، وذلك أنّ العجز عجز من أي سبب كان، بل الضعف الناشي من قصور الذات أشدّ من الضعف الناشي من غلبة الغير.

كما أنّ من لوازمه إنكار الحدوث للعالم، حيث لايمكن التفكيك بين العلّة ومعلولها إلا في الرتبة، وهو الآخر مخالف لضرورة جميع الشرايع السماويّة.

لكنّ المحقّق الخواجة نصير الدين الطوسي أعلى الله مقامه، قد تصدّىٰ لهدم جميع هذه الشبهات الفلسفيّة بكلّ وضوح، وأبطل كلماتهم في غير موضع من

---

(١) النساء: ١٣٣.

(٢) إبراهيم: ١٩و٢٠ وقد ورد ذيل الآية الأولى وتمام الآية الثانية مرّة أخرى في سورة فاطر: ١٦و١٧.

كتابه «تجريد الإعتقاد». فمن ذلك قوله:

«الثاني في صفاته وجود العالم بعد عدمه ينفي الإيجاب».(١)

قال العلامة الحلي في توضيح كلامه:

«أقول: لما فرغ من البحث عن الدلالة على وجود الصانع تعالى شرع في الاستدلال على صفاته تعالى و ابتدأ بالقدرة، والدليل على أنه تعالى قادر أنا قد بيّنا أنّ العالم حادث، فالمؤثر فيه إن كان موجباً لزم حدوثه أو قدم ما فرضناه حادثاً، أعني: العالم، و التالي بقسميه باطل. بيان الملازمة أن المؤثر الموجب يستحيل تخلّف أثره عنه، وذلك يستلزم إما قدم العالم، و قد فرضناه حادثاً، أو حدوث المؤثّر ويلزم التسلسل؛ فظهر أن المؤثر للعالم قادر مختار».(٢)

وقال في موضع آخر:

«فلهذا جاز استناد القديم الممكن إلى المؤثر الموجب لو أمكن و لا يمكن استناده إلى المختار».(٣)

وقال العلامة في شرحه:

«أقول: هذا نتيجة ما تقدم من أن الممكن الباقي إذا ثبت أنه محتاج إلى المؤثر ثبت جواز استناد القديم الممكن إلى المؤثر الموجب، أما استناده إلى المختار فغير ممكن، لأن المختار هو الذي يفعل بواسطة القصد و الاختيار، والقصد إنما يتوجّه في التحصيل إلى

---

(١) تجريد الإعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد: ٢٨١.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، العلامة الحلي: ٢٨١.

(٣) تجريد الإعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد: ٨٢.

شيء معدوم، لأن القصد إلى تحصيل الحاصل محال، و كل معدوم تجدّد فهو حادث».[1]

وقال في موضع آخر أيضاً في ردّ مبنىٰ القدم:

« و لا قديم سوى الله تعالىٰ لما يأتي ».[2]

وقال العلامة في شرحه:

« أقول : قد خالف في هذا جماعة كثيرة : أما الفلاسفة فظاهر لقولهم بقدم العالم ».

ثمّ بعد ذلك تعرّض العلامة إلىٰ بيان من قال بالقدم من المسلمين فقال:

« و أما المسلمون فالأشاعرة ... ».[3]

وفي العبارة إشارة واضحة إلىٰ خروج الفلاسفة عن فرق المسلمين.

وقال في نقض قاعدة أخرىٰ للفلاسفة التي يستلزم منها القدم، وهي قاعدة: كلّ حادث مسبوق بمادّة ومدّة، فقال:

« ولا يفتقر الحادث إلى المدة و المادة و إلا لزم التسلسل ».

وقال العلامة في شرحه:

« أقول : ذهبت الفلاسفة إلى أن كل حادث مسبوق بمادة و مدة ، لأنّ كل حادث ممكن و إمكانه سابق عليه ، وهو عرض لا بد له من محل ، وليس المعدوم لانتفائه ، فهو ثبوتي هو المادة. و لأنّ كل حادث يسبقه عدمه

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، العلامة الحلي : ٨٢.

(٢) تجريد الاعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد : ٨٢.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي : ٨٢.

سبقاً لا يجامعه المتأخر ، فالسبق بالزمان يستدعي ثبوته.
وهذان الدليلان باطلان ؛ لأنه يلزم منهما التسلسل ، لأن المادة ممكنة فمحل إمكانها مغاير لهافيكون لها مادة أخرى على أنا قد بينا أن الإمكان عدمي لأنه لو كان ثبوتيا لكان ممكنافيكون له إمكان و يلزم التسلسل... ».

ثمّ تصدّىٰ للجواب عن ساير شبه الفلاسفة في الحدوث فقال:

« والحدوث اختص بوقته ، إذ لا وقت قبله ، والمختار يرجح أحد مقدوريه لا لأمر عند بعضهم ».[1]

وقال العلامة في شرحه:

« أقول : لما بيّن حدوث العالم شرع في الجواب عن شبه الفلاسفة ، وأقوى شبههم ثلاثة أجاب المصنف رحمه الله عنها في هذاالكتاب. الشبهة الأولى : و هي أعظمها... ».[2]

والشبهة هي: أنّه علىٰ فرض الحدوث يلزم الترجيح بلا مرجّح والتخصيص بلا مخصّص ، إذ كيف خصّ الله تعالىٰ هذا الزمان دون سائر الأزمنة للحدوث ، مع كونه تعالىٰ تاماً في مؤثّريته.

وقد أجاب علىٰ ذلك المحقّق الخواجة بأنّ فرض استحالة الترجيح من غير المرجّح إنّما يكون في الفواعل القهريّة التي لاإرادة لها ولا إختيار كالعلّة التامّة ، وأمّا الفاعل المختار الذي يستند فعله إلىٰ قدرته واختياره ، فلايمكن أن يتوقّف إختياره للفعل علىٰ وجود المرجّح والمخصّص ، فإنّ ذلك يستلزم منه الخُلف. إذ المفروض كونه قادراً ، فلو كان هو بقدرته غير قادر علىٰ اختيار الفعل أو الترك

---

(١) تجريد الإعتقاد ، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد : ١٧٣.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد ، العلامة الحلي : ١٧٣.

إلا بعد وجود المرجّح للفعل أو الترك، وكان بقدرته غير قادر علىٰ إختيار الفعل بعد وجود المرجّح للترك، وغير قادر علىٰ الترك بعد وجود المرجّح علىٰ الفعل، فهذا يعني إجتماع القدرة وعدم القدرة، وهو جمع بين النقيضين وخُلف للفرض. فالقدرة بنفسها كافية لاختيار أحد مقدوري القادر وهي المخصّص والمرجّح، ولاتتوقّف مرجحيّة القدرة ومخصّصيتها علىٰ شيء آخر، والا لزم الخُلف واجتماع النقيضين. وهكذا أجاب المحقّق الخواجة عن هذه الشبهة التي تعدّ من أعظم شبه الفلاسفة في الحدوث.

ثمّ قال:

« و المادة منفية ».[1]

وقال العلامة في شرحه:

« أقول : هذا جواب عن الشبهة الثانية... و قد سلف تحقيقه ».[2]

ثمّ قال:

« و القبلية لا تستدعي الزمان و قد سبق تحقيقه ».[3]

قال العلامة في شرحه:

« أقول : هذا جواب عن الشبهة الثالثة و تقريرها أنهم قالوا كل حادث فإن عدمه سابق على وجوده ، و أقسام السبق منفية هنا إلا الزماني ، فكل حادث يستدعي سابقة الزمان عليه ، فالزمان إن كان حادثاً لزم أن يكون زمانياً و هو محال ، و إن كان قديماً و هو مقدار الحركة لزم

(١) تجريد الإعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد: ١٧٤.
(٢) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، العلامة الحلي: ١٧٤.
(٣) تجريد الإعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد: ١٧٥.

قدمها، لكن الحركة صفة للجسم فيلزم قدمه.
والجواب ما تقدم من أن السبق لا يستدعي الزمان و إلا لزم التسلسل ».[١]

وقال في ردّ قاعدة أخرىٰ فلسفيّة وهي قاعدة الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، وما رتّبوا عليها من القول بالعقول العشرة والأفلاك التسعة:

« وأدلة وجوده مدخولة، كقولهم الواحد لا يصدر عنه أمران، و لا سبق لمشروط باللاحق في تأثيره أو وجوده، و لا لما انتفت صلاحية التأثير عنه، لأن المؤثر هنا مختار »[٢]

وقال العلامة في شرحه:

« أقول: لما بين انتفاء الجزم بعدم الجوهر المجرد الذي هو العقل، شرع في بيان انتفاء الجزم بثبوته و ذلك ببيان ضعف أدلة المثبتين.
واعلم أن أكثر الفلاسفة ذهبوا إلى أن المعلول الأول هو العقل الأول، وهو موجود مجرّد عن الأجسام و المواد في ذاته و تأثيره معاً، ثم إنّ ذلك العقل يصدر عنه عقل و فلك لتكثيره باعتبار كثرة جهاته الحاصلة من ذاته ومن فاعله، ثم يصدر عن العقل الثاني عقل ثالث و فلك ثان، و هكذا إلى أن ينتهي إلى العقل الأخير وهو المسمى بالعقل الفعال وإلى الفلك الأخير التاسع و هو فلك القمر.
و استدلوا على إثبات الجواهر المجردة التي هي العقول بوجوه :... إذا عرفت هذا الدليل فنقول: بعد تسليم أصوله إنّه إنما يلزم لو كان المؤثر موجباً، أما إذا كان مختاراً فلا؛ فإن المختار تتعدد آثاره و أفعاله، وسيأتي الدليل على أنه مختار ».[٣]

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، العلامة الحلي: ١٧٥.

(٢) تجريد الإعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد: ١٧٦.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، العلامة الحلي: ١٧٧.

كماأجاب عن الدليلين الآخرين الذين أقامهما الفلاسفة لإثبات هذه القاعدة وقد زيّفهما المحقّق الخواجة.

وقال أيضاً:

« و عمومية العلّة تستلزم عمومية الصفة ».

قال العلامة في شرحه:

« أقول : يريد بيان أنه تعالى قادر على كل مقدور و هو مذهب الأشاعرة ، و خالف أكثر الناس في ذلك ؛ فإن الفلاسفة قالوا إنه تعالى قادر على شيء واحد لأن الواحد لا يتعدد أثره ، و قد تقدم بطلان مقالتهم ».

و رداً علىٰ مبنىٰ آخر عند الفلاسفة وهو مبنىٰ استحالة المعاد الجسماني ، قال في تجريد الإعتقاد:

« و وجوب إيفاء الوعد والحكمة يقتضي وجوب البعث ، و الضرورة قاضية بثبوت الجسماني من دين النبي صلّى الله عليه وآله مع إمكانه ».[١]

وقال العلامة الحلّي رحمه الله في شرح كلامه:

« أقول :اختلف الناس هنا فذهب الأوائل إلى نفي المعاد الجسماني ، وأطبق المليّون عليه... و استدل على ثبوت المعاد الجسماني بأنه معلوم بالضرورة من دين محمد صلّى الله عليه وآله ، والقرآن دلّ عليه في آيات كثيرة بالنص ، مع أنه ممكن ، فيجب المصير إليه. »[٢]

وفي هذه العبارة تلميح وإشارة إلىٰ خروج الفلاسفة المنكرين للمعاد الجسماني عن المليّين ومخالفتهم لضرورة الدين.

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي : ٤٠٤.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي : ٤٠٥.

ثمّ تصدّىٰ رحمه الله لبيان زيف أدّلتهم علىٰ ذلك فقال:

« و لا تجب إعادة فواضل المكلف ».

وقال العلامة في شرحه:

« و غرض المصنف رحمه الله بهذا الكلام الجواب عن اعتراضات الفلاسفة على المعاد الجسماني ».

والشبهة هي المعروفة بشبهة الآكل والمأكول، وقد أجاب عنها الخواجة ـ كما أوضحه العلامة ـ بأنّ المُعاد في المَعاد هي الأجزاء الأصليّة للمكلّف دون الزوائد، وهذه الأجزاء الأصليّة محفوظة في علم الله، لاتصير جزءً لبدن انسان آخر.

وأجاب عن سائر الشبهات في المعاد الجسماني بقوله:

« و عدم انخراق الأفلاك، وحصول الجنة فوقها، ودوام الحياة مع الإحتراق، وتولد البدن من غير التوالد، وتناهي القوى الجسمانية ؛ استبعادات ».

قال العلامة في شرحه:

« أقول: احتج الأوائل على امتناع المعاد الجسماني بوجوه... والجواب عن الكل واحد: و هو: أن هذه استبعادات... ».

هذا بعض ما قام به المحقّق الخواجة نصير الدين الطوسي من جهود في مواجهة الشبهات والإثارات الفلسفيّة التي استهدفت عقائد المسلمين. ثمّ بعد هذا كلّه لانأبه بكلام بعض رماة القول علىٰ عواهنه حيث عدّوه رحمه الله من المدافعين عن الفكر الفلسفي ومن مروجي مبانيه. فهل يعدّ من اغتنم كلّ فرصة للجواب علىٰ شبه الفلاسفة وملأكتبه منها، بل خصّص بعض مؤلفاته الثمينه لهذا الغرض، مروجاً لمبانيهم؟

وقد يستدلّ لذلك بما كتبه في شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا، لكنّه

غفلة عن منهجه في الشرح وغرضه من تأليف كتابه هذا.

فإنّه قد ذكر سبب تأليفه أنّ الفخر الرازي كتب شرحاً علىٰ الإشارات، وقد جاوز حدّ الإعتدال في النقض والردّ علىٰ ابن سينا، حيث ما وعىٰ كلامه فردّ عليه من دون تفهّم. ثمّ قال: أنّه ليس هذا من أسلوب الشارحين، فإنّ ديدنهم انما استقرّ علىٰ ايضاح مقاصد صاحب الكتاب وبذل الجهد في الذبّ عن مبناه ونصرته ليكونوا بذلك شارحين غير ناقضين. وقد طلب منه البعض أن يكتب كتاباً لإيضاح مقاصد الشيخ الرئيس في الإشارات، وأن يشير إلىٰ نقاط الضعف في نقوض الفخر الرازي، فتصدّىٰ رحمه الله لشرح الإشارات وإيضاحها علىٰ مبنىٰ الشيخ الرئيس وقواعده، مراعياً أسلوب الشراح في تجنّب النقض والردّ علىٰ صاحب الكتاب، وقد تعرّض لضعف حجج الفخر في جملة من الموارد، كما التزم بنقوضه في جملة أخرىٰ. وإليك بعض المقاطع من كلامه في مقدّمة شرح الإشارات:

« وقد شرحه فيمن شرحه الفاضل العلامة فخر الدين ملك المناظرين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي جزاه الله خيراً... إلا أنه قد بالغ في الرد على صاحبه أثناء المقال و جاوز في نقض قواعده حدّ الاعتدال ، فهو بتلك المساعي لم يزده إلا قدحاً ، ولذلك سمّى بعض الظرفاء شرحه جرحاً. ومن شرط الشارحين أن يبذلوا النصرة لما قد التزموا شرحه بقدر الاستطاعة ، وأن يذبّوا عمّا قد تكفّلوا إيضاحه بما يذبّ به صاحب تلك الصناعة ،ليكونوا شارحين غير ناقضين ، ومفسرين غير معترضين. اللهم إلا إذا عثروا على شيء لايمكن حمله على وجه صحيح ،فحينئذ ينبغي أن ينبّهوا عليه بتعريض أو تصريح ، متمسكين بذيل العدل و الإنصاف ، متجنبين عن البغي و الاعتساف ، فإن إلى الله الرجعىٰ و هو أحقّ بأن يخشىٰ.

و لقد سألني بعض أجلّة الخلان من الأحبة الخلصان و هو الرفيع رئيس

الدولة وشهاب الملة، قدوة الحكماء و الأطباء و سيد الأكابر و الفضلاء، بلغه الله ما يتمناه وأحسن منقلبه و مثواه: أن أقرّر ما تقرّر عندي مع قلّة البضاعة و أودع ما قبض عليه يدي مع قصور الباع في الصناعة، من معاني الكتاب المذكور و مقاصده و ما يقتضي إيضاحه، مما هو مبني على مبانيه و قواعده، ما تعلّمته من المعلمين المعاصرين و الأقدمين، أو استفدته من الشرح الأول و غيره من الكتب المشهورة، أو استنبطته بنظري القاصر وفكري الفاتر، وأشير إلى أجوبة بعض ما اعترض به الفاضل الشارح مما ليس في مسائل الكتاب بقادح، وأتلقّى ما يتوجّه منها عليها بالإعتراف، مراعياً في ذلك شريطة الإنصاف».[1]

فالخواجه لايوافق صاحب الإشارات في مبانيه، وإنّما قصده توضيح كلام ابن سينا. وهذا أسلوب شائع عند الناقدين، حيث يتعرّضون بادئ ذي بدء لإيضاح كلام الخصم ويذبّون عنه بما لو كان حياً لم يزد عليه، ثمّ بعد ذلك يتعرّضون لذكر مواضع الخلل فيه، كي لايتّهمهم من لاخبرة له بعدم الوقوف على مقاصد الكلام. وقد مرّ نظير ذلك في جابر بن حيان وغيره من الأعلام، بل مرّ نظير ذلك في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام،[2] وقد أفتى تلميذه العلامة الحلي بجواز تعلّم الفلسفة للنقض.[3]

وكان له غرض ثان، وهو تبيين إفلاس مدرسة الاشعري الذي كان يرأسها الفخر الرازي آنذاك عن فهم كلام الفلاسفة ونقدهم، وهذا الجهد في الحقيقة يصبّ في الجهود التي بذلها الخواجة للقضاء على المذهب السني الرسمي في

---

(١) شرح الإشارات، الخواجة نصيرالدين الطوسي: ١ / ٢.

(٢) الفصل الرابع من الكتاب، ح ١٤٠ و ١٤١.

(٣) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٩ / ٣٦ و ٣٧.

ايران، واعلان قصورهم العلمي واعوازهم أمام الملأ.

ثمّ إنّه لم يكتف بما ذكره في مقدّمة الكتاب، بل كرّر أسلوبه هذا في الشرح، كي لايتوهمنّ أحد أنّه يوافق صاحب الكتاب في المبنىٰ، فقال في مفتتح قسم الفلسفة من شرح الإشارات:

«وأشترط علىٰ نفسي أن لا أتعرّض لذكر ما أعتمده فيما أجده مخالفاً لما أعتقده، فإنّ التقرير غير الردّ، والتفسير غير النقد».[1]

بل أشار ـ في هذه المقدّمة ـ الىٰ كثرة وقوع الإشتباه والخطأ بين الفلاسفة في الحكمة الإلهيّة والطبيعيّة، وأنّ تلك المباحث مظلمة لايتيسّر فيها التمييز بين الوهم والعقل لأكثر الباحثين، ومن هنا صارت مسائل الفنين معتركاً للآراء المتخالفة والأهواء المتقابلة، قال رحمه الله:

«اعلم انّ هذين النوعين من الحكمة النظريّة ـ أعني الطبيعي والإلهي ـ لايخلوان عن انغلاق شديد واشتباه عظيم، إذ الوهم يعارض العقل في مأخذهما، والباطل يشاكل الحقّ في مباحثهما. ولذلك كانت مسائلهما معارك الآراء المتخالفة ومصادم الأهواء المتقابلة، حتىٰ لايرجىٰ أن يتطابق عليها أهل زمان ولا يكاد يتصالح عليها نوع من الإنسان ... فانّ من تيسّر له الإستبصار فيهما فقد فاز فوزاً عظيماً، وإلا خسر خسراناً مبيناً؛ لانّ الفائز بهما مرتقٍ إلىٰ مراتب الحكماء المحقّقين الذين هم أفاضل الناس، والخاسر بهما نازل في منازل المتفلسفة المقلّدين الذين هم أراذل الخلق».[2]

وقد حكم في هذه العبارة بضلال قاطبة الفلاسفة وخسرانهم، حيث صرّح

---

(١) شرح الإشارات، الخواجة نصيرالدين الطوسي: ٢ / ١.

(٢) شرح الإشارات، الخواجة نصيرالدين الطوسي: ٢ / ١.

بتعارض العقل مع الوهم وكثرة الإشتباهات في هذين الفنين، ثمّ استشهد لذلك بالإختلافات والإشتباهات العريقة بين أصحاب الحكمتين حتىٰ غدت نظريّات أهل زمان واحد لاتتطابق فيهما. فخلط الوهم بالعقل وإتباع الأوهام كثير بين أبناء الفنين، وأنّ جلّهم -إن لم يكن كلّهم- صاروا أسارىٰ أوهامهم وهم يظنون بأنفسهم خيراً. ثمّ بعد ذلك قسّم الباحثين فيهما إلىٰ فائز وخاسر، فمن نجى من أسر الوهم واستبصر بنور العقل فقد فاز فوزاً مبيناً، وإلا فقد خسر خسراناً مبيناً. فحكمه بضلال من لم يتيسّر له الإستبصار، بعد بيان كثرة الإبتلاء بالوهم، صريح في الحكم بضلال الجلّ إن لم يكن الكلّ وخسرانهم، وأنّهم من المتفلسفين المقلّدين الذين هم أراذل الخلق.

وقد أكّد مرّة ثالثة علىٰ أسلوبه في الشرح والتفسير دون النقد في نهاية الكتاب وقال:

« هذا ما تيسّر لي من حل مشكلات كتاب الإشارات والتنبيهات، مع قلة البضاعة وقصور الباع في هذه الصناعة، وتعذر الحال وتراكم الأحوال، والتزام الشرط المذكور في مفتتح الأقوال ».[1]

يظهر من هذا التأكيد والتكرار مدىٰ اهتمامه قدّس سره بتوضيح مخالفته لآراء صاحب الإشارات، فلائتّهم بمتابعة الفلاسفة فيما ذهبوا إليه من آراء تخالف محكمات الأديان السماويّة.

٢٤ ـ ابن ميثم البحراني، المتوفى سنة ٦٧٩

تصدّى رحمه الله لنقد جملة من القواعد الفلسفيّة في كتابه قواعد المرام في

---

(١) شرح الإشارات، الخواجة نصير الدين الطوسي: ٣ / ٤٢٠.

علم الكلام، فقال:

« البحث الثاني: الجسم مركب من أجزاء بالفعل لا تتجزى خلافا للفلاسفة. لنا وجوه... ».[١]

وقال في رد مبنى قدم العالم:

« الأصل الثاني في أنّ الحوادث متناهية ولها بداية خلافا للفلاسفة لنا وجوه... »[٢].

وقال أيضاً في علم الباري تعالى منتقداً للفلاسفة:

« البحث الثاني: في كونه تعالى عالما، إتّفق جمهور العقلاء من المتكلمين وغيرهم على أنه تعالى عالم، إلا قوما من الفلاسفة، فإن منهم من نفى عنه العلم أصلا »[٣].

« البحث التاسع: في كونه تعالى عالما بكل معلوم خلافا للفلاسفة وبعض المتكلمين... أما الفلاسفة فقد علمت أن منهم من أنكر كونه عالما بذاته، ومنهم من أنكر كونه عالما بغيره، وقد سبق تقرير شبههم والجواب عنها. ومنهم من أنكر كونه عالما بالجزئيات على الوجه الجزئي المتغير، وإنما يعلمها من حيث هي ماهيات معقولة ».[٤]

وقال في دفع شبه الفلاسفة المنكرين للمعاد الجسماني:

« أماالمنكرون للمعاد الجسماني من الفلاسفة فقد احتجوا بوجوه... »[٥].

---

(١) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ٥٢.

(٢) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ٥٦.

(٣) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ٨٥.

(٤) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ٩٨.

(٥) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ١٤٣.

« واتفقت الفلاسفة على أن إعادته غير ممكن »[١].

« البحث الثاني : مذهب محققي الفلاسفة أن النفوس البشرية متحدة بالنوع. وحجتهم... والجواب... »[٢].

وقال أيضاً في الرّد عليهم:

« البحث الخامس :اتفقت الفلاسفة على بقاء النفوس. وحجتهم :...لكن ذلك باطل... »[٣].

من أعلام القرن الثامن :

٢٥ ـ العلامة الحلي، المتوفى سنة ٧٢٦

قال في بيان أحكام تعلّم أنواع العلوم:

« العلم إما فرض عين أو فرض كفاية أو مستحب أو حرام. فالأول :العلم بإثبات الصانع تعالى وصفاته وما يجب له ويمتنع عليه ... والحرام : ما اشتمل على وجه قبح ،كعلم الفلسفة لغير النقض ،وعلم الموسيقى وغير ذلك ممانهى الشرع عن تعلّمه ،كالسحر ،وعلم القيافة والكهانة وغيرها »[٤].

فالفلسفة ـباطلاقهاـ عند العلامة مشتملة على القبح الذاتي وقد نهى الشارع عن تعلّمها، فتعلّم الفلسفة حرام بالعنوان الأولي كالسحر والكهانة، وانّما يجوز تعلّمها للنقض كتعلّم السحر لإبطال سحر السحرة. والظاهر أنّه ليس نظر العلامة

---

(١) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ١٤٧.

(٢) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ١٥١.

(٣) قواعد المرام في علم الكلام، ابن ميثم البحراني: ١٥٣.

(٤) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٩ / ٣٦ و ٣٧.

إلىٰ مدرسة خاصة فلسفيّة دون أخرىٰ أو رأي فلسفي خاص دون غيره، بل إنّه يرىٰ المحذور في سلوك منهج الفلاسفة المغاير لمنهج الأنبياء والذي يكون مبنياً علىٰ أسس تمتازه عن غيره، وقد مرّ تنقيح ذلك في مقدمة الكتاب.

وقال في نهج الحق في جواب القاعدة الفلسفيّة التي تستلزم منها الجبر وهي قاعدة الشيء ما لم يجب لم يوجد، وكذا شبهة أخرىٰ التي ذكروها الفلاسفة وهي لزوم صدور الأفعال عن العباد لتعلّق علم الباري تعالىٰ بها[1]:

---

(١) وقد استدلّ بهذين الوجهين للجبر مؤسس مدرسة الحكمة المتعالية ومن مشىٰ علىٰ دربه، قال الملاصدرا:

«فقد ظهر أنّ صنع العلّة في المعلول هو الإيجاب لا غير، وأنّ الشّيء ما لم يجب لم يوجد، فما دام الشّيء على حالة إمكانه يستحيل فرض وقوعه أو لا وقوعه، وإنّما يتعيّن له أحد الطّرفين بالوجوب من تلقاء العلّة المقتضية» الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ملاصدرا الشيرازي: ٨ / ٣٢١ ـ ٣٢٢.

وقال أيضاً:

«حيث إنّ الله تبارك و تعالىٰ إذا علم أنّه يفعل الفعل الفلانيّ في الوقت الفلانيّ فذلك الفعل لو لم يقع لكان علمه جهلاً، و ذلك محال، و المؤدّي إلى المحال محال، فعدم وقوع الفعل محال فوقوعه واجبٌ لاستحالة خروجه من طرفي النّقيض» الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ملاصدرا الشيرازي: ٨ / ٣١٨.

وقد نقّحنا الجواب عن هاتين الشبهتين في ماكتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد باقر علم الهدىٰ في كتاب: سدّ المفر علىٰ القائل بالقدر: ١٤٣ و ٢١٧.

وملخّص الكلام في الشبهة الأولىٰ أنّ موضوع القاعدة إنّما هو الفواعل التكوينيّة التي لا إرادة لها ولا إختيار، وأمّا الفاعل الإرادي الذي يستند فعله إلىٰ القدرة والإرادة فلا، فإنّ القدرة هي السلطنة وهي تقابل العجز والإلجاء، ولا يمكن الجمع بينهما، فالإستدلال بهذا الوجه مصادرة علىٰ المطلوب، حيث المفروض في موضوع القاعدة هي الفواعل غير الإراديّة وهو أولّ الكلام.

وأمّا الجواب عن الشبهة الثانية فهو أنّ علم الله تعالىٰ قد تعلّق بالأفعال الصادرة عن العباد بجميع خصوصياته ومميّزاته، ومن أهم خصوصيات الفعل هو كونه صادراً بالقدرة أو الجبر، وقد كان تعالىٰ يعلم أن الفعل الفلاني في الوقت الفلاني إنما يصدر عن الفاعل بالقدرة والإختيار، فلو صدر جبراً لزم منه الجهل فيه تعالىٰ، مع أنّ العلم ـ كما قال الخواجة ـ كاشف وتابع للمعلوم وليس المعلوم تابعاً للعلم.

« فقد ظهر من هذا أنّ هذين الدليلين آتيان في حقّ الله تعالى، وهما إن صحّا لزم خروج الواجب عن كونه قادراً، ويكون موجباً، وهذا هو الكفر الصريح، إذ الفارق بين الإسلام والفلسفة هو هذه المسألة...

والحاصل: أنّ هؤلاء إن اعترفوا بصحّة هذين الدليلين لزمهم الكفر، وإن اعترفوا ببطلانهما سقط احتجاجهم بهما. فلينظر العاقل من نفسه: هل يجوز له أن يقلّد من يستدلّ بدليل يعتقد صحّته، ويحتجّ به غدا يوم القيامة؟ وهو يوجب الكفر، والإلحاد؟

وأي عذر لهم عن ذلك؟

وعن الكفر والالحاد؟

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا؟

هذه حجّتهم تنطق بصريح الكفر على ما ترى. وتلك الأقاويل التي لهم قد عرفت أنّه يلزم منها نسبة الله سبحانه إلى كل خسيسة ورذيلة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وليحذر المقلّدون! وينظروا كيف هؤلاء القوم الذين يقلّدونهم، فإن استحسنوا لأنفسهم بعد البيان والإيضاح اتباعهم كفاهم بذلك ضلالاً، وإن راجعوا عقولهم، وتركوا إتّباع الأهواء، عرفوا الحق بعين الإنصاف، وفّقهم الله لإصابة الثواب »[1].

وللعلاّمة كلمات صارمة في وجوب الجهاد مع الفلاسفة المنكرين لضروريّات الدين لا يكاد يتحمّلها بعض النفوس، قال رحمه الله:

« الذين يجب جهادهم قسمان: مسلمون خرجوا عن طاعة الإمام وبغوا عليه، وكفّار، وهم قسمان: أهل كتاب أو شبهة كتاب، كاليهود

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي: ١٢٤.

والنصارى والمجوس وغيرهم من أصناف الكفار ،كالدهرية وعباد الأوثان والنيران ،ومنكري ما يعلم ثبوته من الدين ضرورة ،كالفلاسفة وغيرهم. قال الله تعالى : ﴿ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَ لاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم ﴾[3]. وقال : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾[4]. دلّت هذه الآيات على وجوب جهاد الأصناف السابقة ».[5]

وقد أفتى رحمه الله بكفر القائلين بالقدم، فقال في الجواب عن سؤال السيد المهنا:

« ما يقول سيدنا فيمن يعتقد التوحيد والعدل والنبوة والإمامة لكنة يقول بقدم العالم ؟ مايكون حكمه في الدنيا والآخرة ؟ بين لنا ذلك ،أدام الله سعدك وأهلك ضدك.

قال : من اعتقد قدم العالم فهو كافر بلا خلاف ، لأن الفارق بين المسلم والكافر ذلك ،وحكمه في الآخرة حكم باقي الكفار بالإجماع.

وقال السيد المهنا: ما يقول سيدنا في المثبتين القائلين بأن الجواهر والأعراض ليست بفعل الفاعل، وأن الجوهر جوهر في العدم كما هو جوهر في الوجود؟

---

(١) الحجرات : ٩.

(٢) التوبة : ٢٩.

(٣) التوبة : ٥.

(٤) محمّد : ٥.

(٥) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي : ٩ / ٤١.

فهل يكون هذا الاعتقاد الفاسد الظاهر البطلان موجبا لتكفيرهم ، وعدم قبول إيمانهم وأفعالهم الصالحة ، وعدم قبول شهادتهم ، وجواز مناكحتهم ؟ أم لا يكون موجبا لشيء من ذلك وأي شيء يكون حكمهم في الدنيا والآخرة ؟ وما الذي يجب أن يعتقد المكلف في معتقد هذه المقالة المتدين بها ، المناظر عليها ، مع ظهور فسادها.. أوضح لنا ذلك غاية الإيضاح.

فأجاب العلامة رحمه الله : لا شك في رداءة هذه المقالة وبطلانها ، لكنها لا توجب تكفيرا ولا عدم قبول إيمانهم وأفعالهم الصالحة ، ولا رد شهادتهم، ولا تحرم مناكحتهم ، وحكمهم في الدنيا والآخرة حكم المؤمنين، لأن الموجب للتكفير إنما هو اعتقاد قدم الجواهر وهم لا يقولون بذلك ، لأن القديم يشترط فيه الوجود وهم لا يقولون بوجوده في الأزل »[١].

وقال العلامة الحلي رحمه الله في شرح كلام المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد : « ولا قديم سوى الله تعالى » :

« قد خالف في هذا جماعة كثيرة ، أما الفلاسفة فظاهر لقولهم بقدم العالم... إلى أن قال : وكل هذه المذاهب باطلة ، لأن كل ما سوى الله ممكن ، وكل ممكن حادث »[٢].

وقال رحمه الله في كتاب نهاية المرام في علم الكلام :

« القسمة العقلية منحصرة في أقسام أربعة : الأول : أن يكون العالم محدث الذات والصفات وهو مذهب المسلمين وغيرهم من أرباب الملل وبعض قدماء الحكماء. الثاني : أن يكون قديم الذات والصفات ، وهو قول أرسطو وجماعة من القدماء ، ومن المتأخرين قول أبي نصر الفارابي

---

(١) أجوبة المسائل المهنائية ، العلامة الحلّي : ٨٩ ـ ٨٨.

(٢) شرح التجريد : ٥٧.

والرئيس، قالوا: السماوات قديمة بذواتها وصفاتها إلا الحركات والأوضاع فإنها قديمة بنوعها لا بشخصها، والعناصر الهيولى منها قديمة بشخصها، وصورها الجسمية قديمة بنوعها لا بشخصها، والصور النوعية قديمة بجنسها لا بنوعها ولا بشخصها »[١].

وقال في شرح كلام المحقق الطوسي حيث تصدّى للرّد على شبه الفلاسفة القائلين بقدم العالم:

« أقول: لما بيّن حدوث العالم شرع في الجواب عن شبه الفلاسفة، وأقوى شبههم ثلاثة أجاب المصنف رحمه الله عنها في هذاالكتاب ».[٢]

وقال في ردّ قاعدة الواحد ومبنى العقول العشرة، وأنّ ذلك مستلزم لكونه تعالى فاعل موجب فاقد للقدرة والإختيار:

« واعلم أن أكثر الفلاسفة ذهبوا إلى أن المعلول الأول هو العقل الأول، وهو موجود مجرد عن الأجسام والمواد في ذاته وتأثيره معا، ثم إن ذلك العقل يصدر عنه عقل وفلك لتكثيره باعتبار كثرة جهاته الحاصلة من ذاته ومن فاعله، ثم يصدر عن العقل الثاني عقل ثالث وفلك ثان وهكذا إلى أن ينتهي إلى العقل الأخير وهو المسمى بالعقل الفعال، وإلى الفلك الأخير التاسع وهو فلك القمر. واستدلّوا على إثبات الجواهر المجردة التي هي العقول بوجوه :... إذا عرفت هذا الدليل فنقول: بعد تسليم أصوله أنه إنّما يلزم لو كان المؤثر موجباً، أما إذا كان مختاراً فلا فإنّ المختار تتعدّد آثاره وأفعاله، وسيأتي الدليل على أنه مختار ».[٣]

---

(١) نهاية المرام في علم الكلام، عنه بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٤ / ٢٤٨.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٢٦٤.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٢٦٨ ـ ٢٧٠.

وقال أيضاً شرحاً لكلام المحقّق الطوسي في إبطال معتقد الفلاسفة من قاعدة الواحد وما يلزمه من تحديد قدرة الله تعالى:

« قال : وعمومية العلة تستلزم عمومية الصفة. أقول : يريد بيان أنه تعالى قادر على كل مقدور وهو مذهب الأشاعرة ، وخالف أكثر الناس في ذلك فإن الفلاسفة قالوا : إنه تعالى قادر على شيء واحد ، لأن الواحد لا يتعدد أثره ، وقد تقدم بطلان مقالتهم. والمجوس ذهبوا إلى أن الخير من الله تعالى والشر من الشيطان ، لأن الله تعالى خير محض وفاعل الشر شرير. والمانوية ذهبوا إلى أن الخير من النور والشر من الظلمة ».[١]

وقال فيما ذكره من الدليل على حسن البعثة ما يشهد على خروج الفلاسفة عن أهل الملّة وأرباب الملل:

« المسألة الأولى في حسن البعثة اختلف الناس في ذلك ، فذهب المسلمون كافة وجميع أرباب الملل وجماعة من الفلاسفة إلى ذلك ومنعت البراهمة منه »[٢].

كما يظهر من هذه العبارة مجانبتهم للإماميّة:

« وخالفت الأشاعرة كافة العقلاء في هذه المسألة ، حيث حكموا بأن الله تعالى يرى للبشر. أما الفلاسفة ، والمعتزلة ، والإمامية ، فإنكارهم لرؤيته ظاهر لا يشك فيه ».[٣]

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي : ٣٩٥.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، العلامة الحلي : ٤٦٨.

(٣) نهج الحق وكشف الصدق ، العلامة الحلي : ٤٧.

وقال في ردّ شبهات الفلاسفة على إنكار المعاد الجسماني:

« وغرض المصنّف رحمه الله بهذا الكلام الجواب عن اعتراضات الفلاسفة على المعاد الجسماني »[١].

و أمّا رأيه بالنسبة إلى الفلكيّات عند الفلاسفة فقال رحمه الله:

« والتنجيم حرام، وكذا تعلّم النجوم مع اعتقاد تأثيرها في عالم العنصريات على ما يقوله الفلاسفة ».[٢]

كما تصدّىٰ للردّ علىٰ الصوفيّة فقال رحمه الله:

« البحث الخامس فى أنّه تعالى لايتّحد بغيره؛ الضرورة قاضية ببطلان الاتحاد فانّه لايعقل صيرورة الشيئين شيئا واحدا، و خالف فى ذلك جماعة من الصوفيّة من الجمهور فحكموا بانّه يتّحد بابدان العارفين حتى حتى تمتدى بعضهم فقال ان الله تعالى نفس الوجود و كلّ موجود فهو الله تعالى و هذا عين الكفر و الالحاد الحمد لله الذى فضّلنا باتباع اهل البيت دون الاهواء المضلّة »[٣].

والظاهر من العبارة تكفيره رحمه الله للقائلين بوحدة الوجود والموجود. وقال أيضاً:

« المبحث السادس في أنه تعالى لا يحلّ في غيره. من المعلوم القطعي أن الحالّ مفتقر إلى المحل، والضرورة قضت بأن كل مفتقر إلى الغير ممكن، فلو كان الله تعالى حالا في غيره لزم إمكانه فلا يكون واجبا هذا

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٥٤٩.

(٢) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ١٢ / ١٤٥.

(٣) نهج الحق وكشف الصدق، العلامه الحلي: ٥٧.

خلف. وخالفت الصوفية من الجمهور في ذلك ، وجوّزوا عليه الحلول في أبدان العارفين ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فانظر إلى هؤلاء المشايخ الذين يتبرّكون بمشاهدهم (بمشاهدتهم خ ل) كيف اعتقادهم في ربّهم وتجويزهم عليه ، تارة الحلول وأخرى الاتحاد ، وعبادتهم الرقص والتصفيق والغناء ، وقد عاب الله تعالى على الجاهلية الكفار في ذلك ، فقال الله تعالى عز من قائل : ﴿ **وَ مٰا كٰانَ صَلاٰتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّٰ مُكٰاءً وَ تَصْدِيَةً** ﴾[١] وأي تغفّل أبلغ من تغفّل من يتبرّك بمن يتعبّد الله بما عاب به الكفار ، ﴿ **فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾[٢]. ولقد شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولانا الحسين صلوات الله عليه ، وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالسا لم يصل ، ثم صلوا بعد ساعة العشاء سوى ذلك الشخص ، فسألت بعضهم عن ترك صلاة ذلك الشخص ، فقال : وما حاجة هذا إلى الصلاة وقد وصل ، أيجوز أن يجعل بينه وبين الله تعالى حجابا ؟ فقلت لا ، فقال : الصلاة حاجب بين العبد والرب. فانظر أيها العاقل إلى هؤلاء وعقائدهم في الله تعالى كما تقدم ، وعبادتهم ما سبق واعتذارهم في ترك الصلاة بما مر ، ومع ذلك فإنّهم عندهم الأبدال فهؤلاء هم أجهل الجهّال ».[٣]

و للعلاّمة كتباً ضخمة قد تربو على عدّة مجلدات فى الرد على الفلاسفة ومناقشة آرائهم. قال السيد الأمين فى ترجمته:

« وبرع في الحكمة العقلية حتى أنه باحث الحكماء السابقين في

---

(١) الأنفال: ٣٥.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) نهج الحق وكشف الصدق ، العلامة الحلّي: ٥٨.

مؤلفاتهم وأورد عليهم. وحاكم بين شراح الإشارات لابن سينا، وناقش النصير الطوسي، وباحث الرئيس ابن سينا وخطأه »[١].

وفي أعيان الشيعة أنّ من جملة مصنّفاته:

« الأسرار الخفية في العلوم العقلية من الحكمة والكلام والمنطق، مجلد يردّ به على الفلاسفة، ألّفه باسم هارون بن شمس الدين الجويني نسخته بخط المؤلف في الخزانة الغروية ».[٢]

و هذا الكتاب توجد نسخة منه أيضاً في مكتبة الإمام الحكيم العامة بالنجف الأشرف ويظهر أنّها بخطّ العلامة، تقع في ٤٦٠ صفحة[٣].

و من جملة مؤلفاته الضخمة، كتابه المقاومات الذى باحث فيه مع جميع الفلاسفة و الحكماء و ناقشهم. ذكره في الخلاصة وقال:

« باحثنا فيه الحكماء السابقين وهو يتم مع تمام عمرنا »[٤].

وفي نسخة الخلاصة التي نقل عنها في الذريعة: المقامات الحكيمة فى مباحثات مع جميع الحكماء، وقال:

« هو من تصانيفه الكبيرة فى مجلدات كثيرة »[٥].

و من جملة تصانيفه كتاب ايضاح التلبيس من كلام الرئيس الذى باحث وناقش فيه ابن سينا كما ذكره فى الخلاصة[٦]. وفي إجازة المهنا: كشف التلبيس

---

(١) اعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٥ / ٣٩٦.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٥ / ٤٠٥.

(٣) صفاء الدين البصري في مقدّمة منتهى المطلب: ٣٩.

(٤) خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ١١٢.

(٥) الذريعة الى تصانيف الشيعة، آقابزرگ الطهراني: ٢٢ / ٩ / ٥٧٥٩.

(٦) خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ١١٢.

وبيان سهو الرئيس.

و الّف ايضا فى الرد على الفلاسفة كتابه: التعليم التمام في الحكمة والكلام. ذكره في الروضات وقال:

« وذكره في الإجازة باسم التعليم الثاني وقال : في عدة مجلدات خرج منه بعضها »[١].

وفي نسخة الإجازة التي اعتمد عليها في الرياض: التعليم التام. وفي نسخة الخلاصة التي اعتمد عليها في البحار: التعليم الثاني[٢]. وقال في الذريعة:

« والظاهر أنه غير كتابه المقاومات الذي باحث فيه تمام الحكماء وإن احتمل الاتحاد بعض الأفاضل »[٣].

والعجب العجاب بعد هذا كلّه كيف يغفل البعض أو يتغافل فينسب العلاّمة قدّس الله نفسه الزكيّة إلى الفلاسفة و يراه مروّجاً ومؤيّداً لها؟!

والغريب أنّه بعد كلّ هذه الجهود الجبارة التي قام بها علاّمتنا للذبّ عن المذهب تجاه الفكر الفلسفي، أن يقال في ترجمته:

« وفي عصره أرجعت إلى الحلة ـ وهي مدينة بابل ـ مكانتها العلمية القديمة، فصارت مركزا فلسفيّا للشيعة، وازدهرت فيها مدارسهم بعد ما عانت من الاضطهاد مدداً طويلة، ومنها كانت تستقي مدرسته السيارة، التي أسّست في معسكر السلطان لتجوب البلاد الإسلامية لنشر العلم والفلسفة »[٤].

فياترى هل أنّ تعلّم الفلسفة للنقض كتعلّم السحر لذلك تعبير عن قبوله لها؟

---

(١) روضات الجنات، المحقّق الخوانساري: ٢ / ٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٠٤ / ٥٧ و ١٠٥ / ٢٣.

(٣) الذريعة الى تصانيف الشيعة، آقابزرگ الطهراني: ٤ / ٢٢٦ / ١١٣٧.

(٤) مقدّمة منتهى المطلب في ترجمة المؤلف: ١٢.

أم أنّ كتابة شيء من باب المجاراة معهم يفصح عن تأثّره بها؟

أليس هو الذي أفتى بكلّ صراحة بحرمة تعلّم الفلسفة لغير النقض؟

أفليس علاّمتنا الحلّي هو الرجل الذي ميّز بين الإسلام والفلسفة و قال أنّ المايز بينهما هو مسألة قدرة الباري؟

أليس هو الذي نصح الفلاسفة و قال لهم: أيّ عذر لكم يوم القيامة عن الكفر والإلحاد؟

أليس هو الذي بدأ في أواخر عمره الشريف في تأليف موسوعته الضخمة الكبيرة التي ناقش فيها جميع الفلاسفة، و قال: انّه ينتهي بانتهاء عمره؟

أليس هو صاحب الكلمات الصّارمة في وجوب الجهاد مع الفلاسفة؟

أليس هو صاحب الفتوى الصريحة في كفر من قال بوحدة الوجود وقدم العالم؟

٢٦ ـ الحسن بن محمّد بن عبد الله الطيبي، المتوفىٰ سنة ٧٣٣

قال في الروضات:

« كان شديد الرّد على الفلاسفة مظهراً فضائحهم مع استيلائهم حينئذ »[١].

من أعلام القرن التاسع:

٢٧ ـ الشيخ أبي القاسم علي بن جمال الدين محمد بن طي العاملي المتوفىٰ سنة ٨٥٥

فقد قال رحمه الله في كتاب الزكاة:

« يجوز لطالب العلم المباح واللغة والنحو أن يأخذ من الزكاة والخمس، وإن كان قادرا على التكسب، دون العلم المحرّم كالفلسفة وغيره »[٢].

(١) عنه مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٨ / ٢٩٧.

(٢) سلسلة الينابيع الفقهية، علي أصغر مرواريد: ٢٩ / ٣٨٨.

من أعلام القرن العاشر:

٢٨ ـ المحقق الدواني، المتوفىٰ سنة ٩٠٨

جلال الدين محمد بن سعد الدين الدواني توفي سنة ٩٠٨ وقد تجاوز عمره الثمانين ودفن قريبا من قرية دوان وعلى قبره قبّة بجنبها منارة. وصل فضله وكماله إلى أطراف العالم في مدّة قليلة، واقتبست من أنوار علومه جماعة كثيرة، صرّح هو نفسه بتشيعه في رسالته نور الهداية الفارسية المطبوعة، وقد ذكره السيد مهدي بحر العلوم في رجاله. وله مؤلّفات كثيرة.(١)

قال في أنموذجه علىٰ ما نقله عنه العلامة المجلسي:

« وقد خالف في الحدوث الفلاسفة أهل الملل الثلاث، فإنّ أهلها مجمعون على حدوثه بل لم يشذّ من الحكم بحدوثه من أهل الملل مطلقا إلاّ بعض المجوس، وأما الفلاسفة فالمشهور أنّهم مجمعون على قدمه على التفصيل الاتي، ونقل عن أفلاطون القول بحدوثه وقد أوّله بعضهم بالحدوث الذاتي »(٢).

ثمّ قال:

« لا يذهب عليك أنه إذا ظهر الخلل في دلائل قدم العالم، وثبت بالتواتر وإخبار الأنبياء الذين هم أصول البرايا وإجماع أهل الملل على ذلك، وقد نطق به الوحي الإلهي على وجه لا يقبل التأويل إلا بوجه بعيد تتنفر عنه الطبائع السليمة والأذهان المستقيمة، فلا محيص عن إتّباع الأنبياء في ذلك والأخذ بقولهم. كيف وأساطين الفلاسفة ينسبون أنفسهم إليهم

---

(١) مذكورة في أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ١٢٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٤ / ٢٥٢.

وينسبون أصول مقالاتهم على ما يزعمون أنّها مأخوذة منهم ، فإذن تقليد هؤلاء الأعاظم الذين اصطفاهم الله تعالى وبعثهم لتكميل العباد ، والإرشاد إلى صلاح المعاش والمعاد ، وقد أذعن لكلامهم الفلاسفة أولى وأحرى من تقليد الفلاسفة الذين هم معترفون برجحان الأنبياء عليهم السلام عليهم ، ويتبرّكون بالإنتساب إليهم.

ومن العجب العجاب أن بعض المتفلسفة يتمادون في غيّهم ويقولون إن كلام الأنبياء مؤوّل ولم يريدوا به ظاهره ، مع أنّا نعلم أنّه قد نطق القرآن المجيد في أكثر المطالب الإعتقادية بوجه لا يقبل التأويل أصلا....

ثم التأويلات التي يتمحّلونها في كلام الأنبياء عسى أن يتأتى مثلها في كلام الفلاسفة ، بل أكثر تلك التأويلات من قبيل المكابرات للسوفسطائية ، فإنا نعلم قطعا أنّ المراد من هذه الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة هي معانيها المتعارفة عند أهل اللسان ، فإنا كما لا نشك في أنّ من يخاطبنا بالاستفسار عن مسألة الجزء الذي لا يتجزأ لا يريد بذلك الاستفسار عن حال زيد مثلا في قيامه وقعوده ، كذلك لا نشك في أنّ المراد بقوله تعالى : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيم قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1] هو هذه المعاني الظاهرة ، لا معنى آخر من أحوال المعاد الروحاني الذي يقول به الفلاسفة ! وبالجملة : فنصوص الكتاب يجب الحمل على ظاهرها ، والتجاوز عن هذا النهج غيٌّ وضلال ، والتزامه طريق أهل الكمال »[2].

قال العلامّة المجلسي بعد نقل كلامه:

« ولقد أحسن وأجاد ،لكن ما يظهر من كلامه من أنّ النصوص الواردة في

---

(١) يس: ٧٨ و ٧٩.

(٢) نقل عنه العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار: ٥٤ / ٢٥٨.

الحدوث قابلة للتأويل البعيد ليس كذلك ، بل إن كان بعضها قابلاً فالمجموع يفيد القطع بالمقصود ، ولعلّه إنما قال ذلك لعدم اطلاعه على نصوص أئمة الهدى عليهم السلام أو لعدم اعتقاده بها كما هو ظاهر حاله ، وإن أشعر بالتدين بالحق في بعض المواضع ».[١]

٢٩ ـ المحقق الكركي ، المتوفىٰ سنة ٩٤٠

قد حكم قدس سرّه بمخالفة الفلاسفة مع اهل الملل قاطبة ، فقال في رسائله :

« المسألة الثانية عشرة في اثبات الغرض في أفعال الله تعالى. اعلم أنّ أهل الملل قاطبة قالوا باختياره ، وبأنّ فعله معلّل بالغرض ، إذ لو لم يفعل للعلم بالفائدة لكان فعله عبثا ، والفطرة الصحيحة تحكم بذلك وتشهد بذلك الروايات. غير أن الأشاعرة وافقوا الحكماء في أن أفعاله ليست معللة بالغرض لوجهين على ما سيجئ. وإنما قلنا أنهم وافقوا الحكماء ، فإن الحكماء وإن قالوا بأن أفعال الله تعالى معللة بالغرض ، صرحوا بأن غرض فعله وغايته إنما هو ذاته تعالى ».[٢]

وقد ذكر الشيخ الحرّ عنه أنّه صنّف في الرد على الصوفيّة كتاباً سمّاه كتاب المطاعن المجرمية نقل فيه أخباراً كثيرة وأحاديث متعددة تدل على الرد عليهم وذمهم وكفرهم وذكر وجوهاً عقلية متعددة. وذكر عن ولده أنّه قال : « وقد قال والدي رحمه الله نقلاً عن ثقات الإمامية في كتابه الموسوم بمطاعن المجرمية في طعنها أخباراً كثيراً ».[٣]

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٤ / ٢٥٨.

(٢) رسائل الكركي : ٣ / ١٥٥.

(٣) الإثنا عشريّة ، الحرّ العاملي : ٥٠.

٣٠ ـ غياث الدين منصور الدشتكي الشيرازي، المتوفىٰ سنة ٩٤٨

وهو ـ كما ذكره القاضي نور الله التستري ـ من الفحول في المسائل العقليّة، وقال: لو كان أرسطو وأفلاطون وغيرهم من حكماء الدهر والقرون أحياء في زمانه، لكانوا يتفاخرون بالتلمذة عنده والإستفادة منه.(١)

لكنّه مع ذلك كلّه لم يكن منبهراً بهذه الحكمة البشريّة لتفسد عليه عقيدته وما كانت الفلسفة عنده من المقدّسات التي توزن بها الشريعة، بل كان يرىٰ بعض متبنيات الفلاسفة مخالفاً لضرورة الشرايع، فكان يحذّر من قراءة الفلسفة قبل استحكام العقيدة من القرآن والحديث. قال الشيخ آقا بزرگ: أنّه ألّف كتابه «جام گيتى نما» بالفارسيّة، وقد رأى منه عدّة نسخ في مكتبة السيد مهدي آل حيدر الكاظمي. وفي خاتمة الكتاب ما معناه:

«أنّه ليس كلّما يقوله الحكماء حقّاً، بل بعض كلماتهم مخالف للشرع، كقدم العالم وامتناع الخرق والإلتيام، وغيرهما، فطريق النجاة لمن يطلب الحقّ أن يجعل القرآن والحديث ميزاناً يصحّح بهما عقائده، ثمّ بعد استحكام العقائد من الكتاب والسنّة ينظر في كلمات المتكلّمين والصوفيّة والحكماء كي يصل إلى درجة اليقين في عقائده ويجعلها راسخاً».(٢)

قال صاحب الذريعة: قد نسب الكتاب في بعض نسخه إلى الخواجه نصير الدين الطوسي، لكنّه زيّف هذا الإحتمال.

---

(١) عنه: الشيخ عباس القمي في الفوائد الرضويّة: ٦٦٨.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٥ / ٢٥.

٣١ ـ الشيخ زين الدين بن علي الشهيد الثاني، استشهد سنة ٩٦٦

أفتى رحمه الله بحرمة تعلّم قسم من الفلسفة:

« وبقي علوم أخر بعضها محرّم مطلقا، كالسحر والشعبذة وبعض الفلسفة، وكلّ ما يترتب عليه إثارة الشكوك. وبعضها محرم على وجه دون آخر كأحكام النجوم والرمل، فإنّه يحرم تعلّمها مع اعتقاد تأثيرها وتحقيق وقوعها، ومباح مع إعتقاد كون الأمر مستنداً إلى الله تعالى »[١].

وفي كتابه منية المريد وصيّة لطالب العلم في الإجتناب عن صرف العمر في تعلّم الفلسفة، فبعد أن ذمّ من اقتصر على معرفة الفقه الأصغر ـ الفروع والأحكام ـ وترك الفقه الأكبر ـ العقائد والمعارف ـ قال رحمه الله:

« وإذا كان هذا مثال حال الفقيه العارف بشرع الله ورسوله وأئمته ومعالم دين الله، فكيف حال من يصرف عمره في معرفة عالم الكون والفساد الذي مآله محض الفساد، والاشتغال بمعرفة الوجود، وهل هو نفس الموجودات أو زائد عليها أو مشترك بينها، أو غير ذلك من المطالب التي لا ثمرة لها، بل لم يحصل لهم حقيقة ما طلبوا معرفته فضلا عن غيره.

وإنما مثالهم في ذلك مثال ملك اتخذ عبيدا، وأمرهم بدخول داره والاشتغال بخدمته وتكميل نفوسهم فيما يوجب الزلفى لدى حضرته واجتناب ما يبعد من جهته، فلما أدخلهم داره ليشتغلوا بما أمرهم به أخذوا ينظرون إلى جدران داره وأرضها وسقفها حتى صرفوا عمرهم في ذلك النظر وماتوا، ولم يعرفوا ما أراد منهم في تلك الدار، فكيف ترى حالهم عند سيدهم المنعم عليهم المسدي جليل إحسانه إليهم مع هذا

---

(١) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٨١.

الاهمال العظيم لطاعته، بل الانهماك الفظيع في معصيته ؟ !
واعلم أن مثال هؤلاء أجمع مثال بيت مظلم باطنه، وضع السراج على سطحه حتى استنار ظاهره، بل مثال بئر الحش، ظاهرها جص، وباطنها نتن، أو كقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة، وكمثال رجل قصد ضيافة الملك إلى داره فجصص باب داره، وترك المزابل في صدر داره، وذلك غرور واضح جلي.
بل أقرب مثال إليه: رجل زرع زرعا فنبت، ونبت معه حشيش يفسده، فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله، فأخذ يجز رأسه ويقطعه، فلا يزال يقوى أصله وينبت، لان مغارس النقائص ومنابت الرذائل هي الأخلاق الذميمة في القلب، فمن لا يطهر القلب منها لم تتم له الطاعات الظاهرة إلى مع الآفات الكثيرة.
بل كمريض ظهر به الجرب، وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء: أما الطلاء ليزيل ما على ظاهره، والدواء ليقلع مادته من باطنه، فقنع بالطلاء وترك الدواء، وبقي يتناول ما يزيد في المادة، فلا يزال يطلي الظاهر، والجرب دائما يتزايد في الباطن إلى أن أهلكه. نسأل الله تعالى أن يصلحنا لأنفسنا، ويبصرنا بعيوبنا، وينفعنا بما علمنا ولا يجعله حجة علينا، فإن ذلك بيده، وهو أرحم الراحمين»[1].

ومن جملة مؤلّفاته كتاب تقليد الميّت، ذكره في الذريعة وقال:

«تقليد الميت، للشيخ زين الدين بن علي الشهيد (٩٦٦) كتبه للسيد حسين بن أبي الحسن... وختم الكتاب بالترغيب والتحريض إلى علم الفقه والحديث والتحذير عن الإشتغال بعلوم الفلاسفة وآخر كلامه:

---

(١) منية المريد، الشهيد الثاني: ١٥٨ ـ ١٥٩.

ما أردت إلا الإصلاح وما توفيقي الا بالله. وصرّح بأنه كتبه في جزء يسير من يوم واحد قصير خامس شوال (٩ ١٤٩) »[١].

وبيّن رحمه الله مجانبة الفلاسفة للمسلمين قاطبة في إنكارهم للمعاد الجسماني وردّ عليهم، فقال:

« المعاد الجسماني اتفق المسلمون قاطبة على إثباته، وذهب الفلاسفة إلى نفيه وقالوا بالروحاني »[٢].

وقد قسّم الناس في الجواب عن شبهة في التوحيد على ستّة أقسام، منهم من لايخطر بباله هذه الشبهة لصفاء خاطره أو لفرط محبّته، ومنهم من يخطر ولكن لايضرّ باعتقاده، ومنهم من يقوى الردّ عليه. إلى أن ذكر القسم السادس وقد عبّر عنهم بالكلاب الذين تحيّروا في وادي التيه والضلالة، للأنس بكلمات الفلاسفة والملاحدة، وقال: انّها مزخرفات يوجب الطبع على القلوب بحيث يرى الإنسان الحقّ باطلاً والباطل حقّاً، فيَضلّ و يُضلّ. قال:

« القسم السادس: كلبهم الذي تحيّر في تيه الضلالة والدور، وتاه في بادية التسلسل، ولا يصل إلى مقصوده أبدا، فيغوى طول عمره، ويبحث بالباطل، ويدحض به الحق، فيغلب على مزاجه مرة صفراء الجهل، فيجد طعم شهد الحق مرا، ويشتبه على الحق بالباطل، فلا يرى الحق حقا، ولا يرى الباطل باطلا، فعند ذلك طبع الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وله عذاب أليم. وإنما ينشأ هذه الحالة للانسان من الأنس ببرهان الملاحدة، والألف بمزخرفات الفلاسفة، إذ الطبيعة سراقة. وبالجملة

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٤ / ٣٩٢ / ١٧٣٦.

(٢) حقائق الايمان، الشهيد الثاني: ١٥٩.

فالإيمان هداية ونور من الرحمن، ولذا قال جل جلاله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾[1]، وقال عز وعلا: ﴿ يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾.[2]

٣٢ ـ الشيخ حسن بن المحقق الكركي، كان حياً في سنة ٩٧٢

قال رحمه الله في كتابه «عمدة المقال فى كفر أهل الضلال»:

« و الصوفيّة جوّزوا اتحاده تعالى و حلوله فى ابدان العارفين حتى تمادى بعضهم و قال: انه سبحانه نفس الوجود و كل موجود فهو الله تعالى، والذين يميلون الى طريقتهم الباطلة يتعصّبون لهم و يسمّونهم الاولياء، و لعمرى انّهم رؤوس الكفرة الفجرة، و عظماء الزنادقة و الملاحدة، و كان من رؤوس هذه الطائفة الضالّة المضلّة الحسين بن منصور الحلاج و ابو يزيد البسطامى »[3].

٣٣ ـ الشيخ محمد بن أحمد الشهير بخواجه كي شيخ الشيرازي، كان حياً في سنة ٩٧٨

تلميذ المحقّق الدواني، له كتاب باحث فيه الفلاسفة و ردّ عليهم، ذكره في الذريعة وقال:

« المحجة البيضاء في مذهب آل العبا، للشيخ محمد بن أحمد الشهير بخواجه كي شيخ الشيرازي، فيه اثبات الأصول الخمسة على مذهب الاثني عشرية وردّ مخالفيهم، والبحث مع الفلاسفة والحكماء والأشاعرة.

---

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) النور: ٣٥. حقائق الإيمان، الشهيد الثاني: ١٧٣.

(٣) نقل عنه الحر العاملي قدّس سرّه: الإثنا عشرية فى الرد على الصوفية: ٥١.

كتبه باسم أبي المظفر السلطان عادل شاه وأهداه إليه، وهو ملك لار من ولد كيلويه المعاصر للشاه إسماعيل الصفوي ».[١]

٣٤ ـ أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلي، المتوفى سنة ٩٩٣

صنّف كتابه المعروف بحديقة الشيعة وذكر فيه كثيراً من بدع الصوفيّة وعقائدهم الباطلة كعقيدة وحدة الوجود والحلول والإتّحاد، وشنّع على رؤسائهم نظير محي الدين العربي والنسفي واللاهيجي، وقال إنّ سبب ضلالهم و تماديهم في الطغيان هو قراءة كتب الفلاسفة، ثمّ قال: انّ الفلاسفة هم المسبّبين لضلال أكثر أهل الباطل لاسيما الملاحدة.

قال رحمه الله ما ترجمته:

« بعض المتأخرين من الإتحاديّة كمحي الدين العربي والشيخ عزيز النسفي وعبد الرزاق الكاشي، قد جاوزا الحدّ في الكفر والزندقة وقالوا بوحدة الوجود، وقالوا: انّ كلّ موجود هو الله، تعالىٰ الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً.

ومما ينبغي أن يعلم هو أن سبب تماديهم وطغيانهم في الكفر هو اشتغالهم بقرائة كتب الفلاسفة، فلما وقفوا علىٰ رأي أفلاطون القبطي وأتباعه اختاروا ذلك جهلاً وضلالاً. ولأجل أن لا يعرف أحد أنّهم السارقون لمقالات و عقائد الفلاسفة القبيحة، ألبسوها ثوباً جديداً وسمّوها باسم وحدة الوجود... ولو تأمّل أحد جيّداً سيعلم أنّ الفلاسفة خذلهم الله تعالىٰ هم المسبّبين لضلال أكثر أهل الباطل لاسيما الملاحدة ».[٢]

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٠ / ١٤٦ / ٢٣١٦.

(٢) حديقة الشيعة، المحقّق الأردبيلي: ٢ / ٧٥٤.

وقال أيضاً:

«لو رفع أحد حجاب العمىٰ عن بصره بيد الإنصاف ورفض العصبيّة، يرىٰ أنّ هذه الجماعة الصوفيّة إن اعتقدوا بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع ذلك اعتقدوا بألوهيّة حسين بن منصور الحلاج الكافر ونظرائه، بل بألوهيّة كلّ موجود، فهم كفار لأنّ ذلك الإعتقاد ينافي الإيمان والإسلام...

وإنّ الترّهات والكفريات التي تفوّه بها هؤلاء الزنادقة ومخربي شريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله كثيرة قد لاتستوعبها كتب جمّة. وقد طعن عليهم العلامة الحلي رحمه الله في بعض كتبه لأجل هذه العقائد الباطلة، وكذا الشهيد قدس سرّه أشار في بعض مصنّفاته إلىٰ حرمة سلوك طريقتهم[1].

وقد طعن علىٰ هؤلاء الزنادقة كثير من علمائنا العارفين بالله والرسول والأئمّة بالدليل والبرهان، لتعلم أنّ متأخري الشيعة لم يغترّوا بظاهر هؤلاء الجماعة السنيّة الذين هدموا دين خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله.

ومن جملة ما يسجّل عليهم أنّهم ـ كالملاحدة ـ يفسّرون ويأوّلون الآيات والأخبار كيفما شاؤوا ليوافق مذهبهم. وكذا قولهم بالجبر والتشبيه والتجسيم والصورة والرؤية لله تعالىٰ، كما يظهر ذلك من كتبهم ومقالاتهم. وهذا من أسباب اقتراب بعض الأشاعرة وجملة من فرق النواصب إليهم لموافقتهم في بعض هذه العقائد.

ومن ذلك أيضاً أنّهم ادّعوا العلم بالغيب وسمّوه الكشف التامّ وقد تمادوا في ذلك ونسبوا العلم بالمغيبات إلىٰ كفّار الهند...

فمن وقف علىٰ سوء اعتقاد القوم ثمّ رآهم علىٰ الحقّ فقد انحرف عن طريق الحقّ وتبرّء من مذهب الإماميّة، وهو مضلّ وحاله أسوأ من

---

(١) راجع: نهج الحق، العلامه الحلّي: ٥٧و٥٨، و الدروس الشرعية، الشهيد الأول: ٢ / ٢٧٥.

غيره. فلو ادّعىٰ مثل هذا الشخص التشيّع فعلىٰ الشيعة أن لايقبلو منه ويرفضوه ولايعدّوه من جماعتهم ، وذلك أنّه لامناص له من الإعتراف بالحلول والإتحاد و وحدة الوجود ، وكذا لامناص له من القول بالجبر والمحبّة لليهود والنصارىٰ والمجوس ، ومحبّة أبي‌بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد وأبو سفيان وجميع الفسّاق والفجار والمشركين والكفار. ولو أظهر العداوة لهؤلاء الأشخاص فعلىٰ الشيعة أن لايقبلوا ذلك منه ، ولو لعنهم فلايغترّ الشيعة بذلك ، وذلك أنّهم يرون اللعنة عين الرحمة... وكذا يجب أن يعلم أنّ أكثر الملاحدة جعلوا من مقالات هذه الطائفة جُنّة وملاذاً لسوء اعتقادهم و إلحادهم ، كما أشير اليه في الحديث لذي مرّ ذكره... وعلىٰ المؤمن أن يعتقد في كلّ حال بأن الحلول والإتحاد وكذا وحدة الوجود كفر ، وكذا علىٰ الشيعي أن يعلم أنّ كلّ ما قاله أهل الحلول والإتحاد و وحدة الوجود عن أنفسهم وعن مشايخهم وعن ساير الموجودات ، قد قاله النصارىٰ في ألوهيّة عيسىٰ عليه السلام وغلاة الشيعة في ألوهيّة الإمام علي وبعض الائمّة عليهم السلام. ومن العجب أن البعض قد قالوابكفر النصارىٰ والغلاة من الشيعة لأنّهم جعلوا عيسىٰ أو بعض الأئمّة المعصومين إلهاً ، لكنّهم عدّوا جماعة من غلاة السنّة الذين قالوا بألوهيّة الحلاّج الكافر وأشباهه بل ألوهيّة جميع الأشياء ، من أكابر أولياء الله... فلعنة الله عليهم وعلىٰ مشايخهم الزنديقين ».[1]

من أعلام القرن الحادي عشر :

٣٥ ـ الشيخ محمود بن محمد بن علي بن حمزة الاهمالي، كان حيّاً في سنة ٩٩٤ جاء في صورة إجازته للسيد الأمير معين الدين محمد ابن شاه أبي تراب الذي

---

(١) حديقة الشيعة : المحقق الأردبيلي : ٢ / ٧٥٨ ـ ٧٦٦.

ذكره العلامة في البحار:

« أمّا بعد: فإنّ أحكام الشرع إنما تنقل وتروى وتعرف وتدرى بعد سيّد الأنبياء من آله النجباء، فإنّ أهل البيت بما فيه أدرى. فلا محالة جهالة ما لا يطابق طريقهم من وسوسة المتصوفة، و مغالطة ما لا يوافق سبيلهم من سفسطة المتفلسفة فضلاً عمّا يمثل بالرأي القايسون، ويسول بالإستحسان المستحسنون، من سلك غير الآل ألحد، وتزندق من بغير طريقهم تعبّد »[١].

٣٦ ـ القاضي نور الله التستري الشهيد في سنة ١٠١٩

من أعاظم علماء الإماميّة وكان سيفا صارماً علىٰ النواصب والمخالفين، مؤلّف كتاب إحقاق الحق في الرد على ابن روزبهان، ومجالس المؤمنين، والصوارم المهرقة في الرد على الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي وغيرها من الكتب. قتل على يد النواصب في أكبر آباد من بلاد هند، ومرقده هناك يزار ويتبرّك به.[٢] وانّه وإن عرف بالتسامح والتغافل عن فلتات وانحرافات بعض من ينتسب إلىٰ الإسلام من الفلاسفة والمتصوّفة فلم يناقشهم، إلا أنّ له كتاباً ألّفه ردّاً على شبهات الفلاسفة القدامىٰ. ففي الذريعة:

« جواب شبهات إبليس، وهي سبعة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل، وهي عمدة شبهات الفلاسفة القدماء، للقاضي نور الله التستري الشهيد في (١٠١٩)، طبع مقدار من أوائله في هامش أواخر « مجالس المؤمنين » له. في الطبع الثاني ».[٣]

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٠٥ / ١٨٥.

(٢) الفوائد الرضويّة، المحدّث القمّي: ٦٩٧.

(٣) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٥ / ١٨٤ / ٨١٥.

٣٧ ـ السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي، المتوفىٰ سنة ١٠٢٠

قال في بيان حصر العلم بما خرج من أهل البيت و ذمّ طلب ما سواه من علوم الفلاسفة:

« ولا شك أنّ من كان عقله مؤيّدا بأخذ ما لا يدركه العقل من النبي والأئمة عليهم السلام كان عالماً بأحكام الشريعة؛ إذ لا علم سواه ولا يحمد الإنسان على غيره، بل قد يذمّ، كما قال في الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾[1] يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان ».[2]

٣٨ ـ الفاضل الورع ملاعبد الله بن الحسين الشوشتري، المتوفّىٰ سنة ١٠٢١

تلميذ المقدس الأردبيلي وأستاذ الشيخ محمد تقي المجلسي، والسيد مصطفى التفريشي صاحب نقد الرجال، والمولى عناية الله القهپائي مؤلف مجمع الرجال، صرّح الأخيران بأن أكثر فوائد كتابيهما منه قدّس سرّه.

قال التفرشي في ترجمته:

« شيخنا وأستاذنا الإمام العلامة المحقق المدقق، جليل القدر، عظيم المنزلة دقيق الفطنة، كثير الحفظ، وحيد عصره وفريد دهره وأروع أهل زمانه، ما رأيت أحدا أوثق منه، لا يحصى مناقبه وفضائله، قائم الليل صائم النهار، وأكثر فوائد هذا الكتاب من تحقيقاته، جزاه الله تعالى عني أفضل جزاء المحسنين ».[3]

وكان يوم وفاته بمنزلة يوم عاشوراء، وصلّى عليه قريب من مائة ألف، ولم ير

---

(١) جاثيه: ٨٣.

(٢) الحاشية على أصول الكافي، السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي: ٤٨.

(٣) نقد الرجال، التفرشي: ٣ / ٩٩ / ٣٠٥٢.

هذا الإجتماع على غيره من العلماء.[١]

قال رحمه الله في رسالته الفارسية كما نقله الكرمانشاهي في الخيراتيّة ما تعريبه:

« أظنّ انّ أكثر ما ذكرته الفلاسفة والمتفلسفة يوجب ازدياد الشكّ والشبهة، والأولىٰ والأنسب عدم قراءة كتبهم والنظر في كلماتهم، لاسيما لمن لم يكن صاحب إدراك واسع وراسخ. وأظنّ أنّ إشتغالهم بكلمات الفلاسفة ابتداء من دون عروض شبهة تجب إزالتها محرّم شرعاً. وصاحب الإدراك الراسخ الذي لايضطرب من ملاحظة تشكيكاتهم وشبههم في غاية الندرة، وانّه ـ علىٰ ما يُعلَم ـ أنّ معظم الخلايق ليسوا بالغين إلىٰ ذلك الحدّ. وإن كان كلّ أحد يرىٰ نفسه بالغاً إلىٰ هذه المرتبة العالية ولأجل ذلك الزعم الفاسد يقع في المهالك العظيمة. فَلِمَ يعلّلون طبيعتهم السليمة بظنّ إمكان علاجها؟ ولايتيسّر العلاج إلاّ بتوفيق من الله ولطفه والتضرّع والخشوع عنده وتصفية النيّة في هذا الباب، إن كان معتقداً بوجود الصانع ».[٢]

٣٩ ـ الشيخ البهائي، المتوفىٰ سنة ١٠٣١

قال في كشكوله ينصح من يصرف أوقاته الثمينة في قراءة الكتب الفلسفيّة:

« من أعرض عن مطالعة العلوم الدينيّة وصرف أوقاته في إفادة الفنون الفلسفيّة، فعن قريب لسان حاله يقول عند شروع شمس عمره في الأفول:

تمام عمر با اسلام در داد وستد بودم

كنون مى‌ميرم و از من بت و زنّار مى‌ماند[٣]

---

(١) ذكره تلميذه المجلسي الأوّل في شرح المشيخة كما في: الرسائل الرجالية، الكلباسي: ٢ / ٤٧٥.

(٢) خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيّة، آقا محمّد علي الكرمانشاهي: ٢ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٣) الكشكول، الشيخ البهائي: ١ / ٢١٤. يقول: أمضيت عمري أتعامل مع الإسلام بالتجارة، فالآن أموت ويبقى منّي الصنم والوثن.

وفي ردّ مبناهم في إمتناع الخرق على الأفلاك ومن ثمّ إنكارهم للمعراج وغيره من المعتقدات الثابتة، هذا المبنى الذي انهدم بنيانه في هذه العصور بفضل التجربة البشريّة، فأفصح عن قصور الفلاسفة عن العلوم المحسوسة التجريبيّة فكيف بالمعارف الحكميّة الإلهيّة، قال رحمه الله:

« ودعوى امتناع الخرق على الأفلاك لم تقرن بالثبوت، وما لفّقه الفلاسفة لإثباتها أوهن من بيت العنكبوت؛ لابتنائه على عدم قبول الأفلاك بأجزائها للحركة المستقيمة، ودون ثبوته خرط القتاد، والتنزيل الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها. وما ثبت من معراج نبينا صلّى الله عليه وآله بجسده المقدس إلى السماء السابعة صاعداً شاهد بانخراقها ».[١]

قال الشيخ الحرّ العاملي في ترجمته:

« شيخنا الجليل الشيخ بهاء الدين قدس سره فقد عرفت ما نقله في الكشكول من الحديث الشريف في مذمتهم وتكفيرهم (أي الصوفيّة) وقد صرّح بالإنكار عليهم في مواضع متعددة في الكتاب المذكور وغيره. وأما ما نقله عنهم أحيانا شيئا يتعلق بالزهد ونحوه فلا منافاة فيه وكذا ما تضمن تفاوت درجات الناس في المعرفة ولا يخفى صرف عمره في علوم الشريعة قراءة وبحثا وتحقيقا وتأليفا ».[٢]

وقال الشيخ البهائي أيضاً:

« قال الشيخ العارف مجد الدين البغدادي: رأيت النبي صلّى الله عليه

---

(١) الحديقة الهلالية، الشيخ البهائي: ٨٣.

(٢) الإثنا عشريّة، الحرّ العاملي: ٥٣.

وآله في المنام فقلت: ما تقول في حق ابن سينا؟ فقال: هو رجل أراد أن يصل إلى الله بلا وساطتي فحجبته هكذا بيدي، فسقط في النار»[١].

وما رآه في المنام تعبير عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[٢]. و ذلك لأنّه صلّى الله عليه وآله وأوصياؤه المطهرون عليهم السلام هم آيات الله التي لها دعوة ومقال، وهم أكبر من أن يستكبر عليهم أحد، وهم أبواب الله وبهم عرف الله ووحّد، ومن أراد الله بدء بهم، و لولاهم ما عرف الله، و هم السبيل اليه تعالى، فمن استكبر عنهم و عن تعلّم علومهم، و رام الوصول إلى ساحة عظمة الله تعالى من غير طريقتهم، واستبدّ بعقله عن تعليم واهب العقول فلا تفتّح له أبواب السماء ولايدخل الجنّة حتىٰ يلج الجمل في سمّ الخياط.

قالت الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها المعروفة:

« فاحمدوا الله الذي بعظمته و نوره ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجّة غيبه، وورثة أنبيائه»[٣].

بيّنت سلام الله عليها أنّ الوصول إلى ساحة عظمة الله تعالى لايمكن إلا عبر الوسيلة التي جعلها الله تعالى مؤدّيةً إليه، فجميع من في السماوات والأرض، من الملائكة والكروبيّين وجميع سكّان الملك والملكوت، والانبياء و الصدّيقين، والأرواح والنفوس وسكّان الجنّة والعرش والكرسي واللوح والقلم، انّما توصّلوا

---

(١) عنه: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٥ / ٣٢٥.

(٢) الأعراف: ٤٠.

(٣) دلائل الإمامة، الطبري الإمامي: ١١٣.

إلى معرفة الله تعالى وقربه بوساطتهم عليهم السلام، فهم وسيلة الله الذي ابتغاهم و قصدهم كلّ من في السماء والأرض للوصول إلى الله تعالى، وهم الباب الذي من سلك غيره هلك. فإذا كان جبرائيل و ميكائيل واسرافيل وغيرهم من سكّان الملكوت لايمكنهم معرفة الله تعالى والوصول إليه إلاّ بوساطتهم، فهم ماعرفوا التسبيح حتى سبّح الائمّة عليهم السلام، و ما عرفوا التكبير حتى كبّر الائمّة عليهم السلام، فإذا كان هذا حال الكرّوبيين و ملائكة السماوات والأرضين، فما ظنّك بأمثال إبن سينا وسائر المتفلسفين والمتصوفّين؟

ومن عسى أن يكون هو و قبيله؟

حيث راموا الوصول إلى ساحة قدس الله تعالى بأوهامهم وأضغاث أحلامهم؟

٤٠ ـ المولىٰ محمد أمين الأسترآبادي، المتوفىٰ سنة ١٠٣٣

قال ردّاً عليهم:

« إرادة الله تعالى حادثة وليست قديمة كما زعمت الفلاسفة ومولعوا فن الكلام من علماء الإسلام، وكيف تكون قديمة وفي ليلة القدر من كل سنة يقدر الله ما يقع في تلك السنة، والبداء في حقه تعالى حدوث إرادته وفي حق غيره حدوث علمه »[1].

وللمحدّث المذكور اشكال في تكفّل علم المنطق عصمة الذهن عن الخطأ في ما هو العمدة لوضع علم المنطق له، ألا و هي الحكمة الإلهيّة، وهذه الإشكاليّة قد ذكرها الشيخ مرتضى الأنصاري في رسائله عنه، قال:

« والدليل التاسع: مبني على دقيقة شريفة تفطنت لها بتوفيق الله تعالى، وهي أن العلوم النظرية قسمان: قسم ينتهي إلى مادة هي قريبة من

---

(١) نقل عنه المولىٰ محمد صالح المازندراني في شرحه على الكافي: ١١ / ٤٦١.

الإحساس، ومن هذا القسم علم الهندسة والحساب وأكثر أبواب المنطق. وهذا القسم لا يقع فيه الاختلاف بين العلماء والخطأ في نتائج الأفكار. والسبب فيه: أن الخطأ في الفكر إما من جهة الصورة وإما من جهة المادّة، والخطأ من جهة الصورة لا يقع من العلماء، لأن معرفة الصورة من الأمور الواضحة عند الأذهان المستقيمة، ولأنهم عارفون بالقواعد المنطقية وهي عاصمة عن الخطأ من جهة الصورة. والخطأ من جهة المادة لا يتصور في هذه العلوم لقرب مادة المواد فيها إلى الاحساس. وقسم ينتهي إلى مادة هي بعيدة عن الإحساس، ومن هذا القسم الحكمة الإلهية والطبيعية وعلم الكلام وعلم أصول الفقه والمسائل النظرية الفقهيّة وبعض القواعد المذكورة في كتب المنطق، كقولهم: « الماهية لا يتركّب من أمرين متساويين »، وقولهم: « نقيض المتساويين متساويان »، ومن ثمّ وقع الإختلاف والمشاجرات بين الفلاسفة في الحكمة الإلهية والطبيعية، وبين علماء الإسلام في أصول الفقه والمسائل الفقهية وعلم الكلام وغير ذلك من غير فيصل. والسبب في ذلك ما ذكرناه: من أن القواعد المنطقية إنّما هي عاصمة عن الخطأ من جهة الصورة لا من جهة المادة، إذ أقصى ما يستفاد من المنطق في باب مواد الأقيسة تقسيم المواد على وجه كلّي إلى أقسام، وليست في المنطق قاعدة بها نعلم أن كل مادة مخصوصة داخلة في أي قسم من تلك الأقسام، بل من المعلوم عند أولي الألباب امتناع وضع قاعدة تكفل بذلك ».[1]

ثمّ قال:

« ومن الموضحات لما ذكرناه من أنه ليس في المنطق قانون يعصم عن

---

(١) الفوائد المدنية، محمد أمين الإسترآبادي: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

الخطأ في مادة الفكر : أن المشائيين ادعوا البداهة في أن تفريق ماء كوز إلى كوزين إعدام لشخصه وإحداث لشخصين آخرين ، وعلى هذه المقدمة بنوا إثبات الهيولي. والاشراقيين ادعوا البداهة في أنه ليس إعداماً للشخص الأول وفي أن الشخص الأول باق ، وإنما انعدمت صفة من صفاته وهو الاتصال.

ومن الموضحات لما ذكرناه : أنه لو كان المنطق عاصما عن الخطأ من جهة المادة لم يقع بين فحول العلماء العارفين بالمنطق اختلاف ، ولم يقع غلط في الحكمة الإلهية وفي الحكمة الطبيعية وفي علم الكلام وعلم أصول الفقه والفقه ، كما لم يقع في علم الحساب وفي علم الهندسة »[1].

وقال أيضاً :

« فائدة شريفة نافعة فيها توضيح لما اخترناه من أنه لا عاصم عن الخطأ في النظريات التي مبادؤها بعيدة عن الإحساس إلا التمسك بأصحاب العصمة (عليهم السلام) وهي أن يقال : الاختلافات الواقعة بين الفلاسفة في علومهم والواقعة بين علماء الإسلام في العلوم الشرعية السبب فيها إما أنّ أحد الخصمين ادّعى بداهة مقدمة هي مادة المواد في بابها وبنى عليها فكره ، والخصم الآخر ادّعى بداهة نقيضها واستدلّ على صحة نقيضها وبنى عليه فكره ، أو منع صحتها. وإما أن أحد الخصمين فهم من كلام خصمه غير مراده ولم يخطر بباله مراده فاعترض عليه ، فلو خطر بباله احتمال مراده لرجع عن ذلك. وبالجملة سبب الاختلاف : إمّا إجراء الظن مجرى القطع ، أو الذهول والغفلة عن بعض الاحتمالات ، أو التردّد والحيرة في بعض المقدّمات. ولا عاصم عن الكل إلا التمسك

---

(١) الفوائد المدنية ، محمد أمين الإسترآبادي : ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

بأصحاب العصمة عليهم السلام، والمنطق بمعزل عن أن ينتفع به في هذه المواضع، وإنما الانتفاع به في صورة الأفكار فقط »[١].

وقال رحمه الله:

« في ذكر طرف من أغلاط الفلاسفة وحكماء الإسلام في علومهم والسبب فيه ما حقّقناه سابقا: من أنّه لا يعصم عن الخطأ في مادّة الموادّ في العلوم التي مبادئها بعيدة عن الإحساس إلا أصحاب العصمة عليهم السلام ومن أنّ القواعد المنطقية غير نافعة في هذا الباب، وإنما نفعها في صورة الأفكار كإيجاب الصغرى وكلية الكبرى »[٢].

وقال أيضاً:

« في كتاب الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني ـ وهو موضع في خراسان بين نيسابور وخوارزم ـ: ومن الفلاسفة حكماء الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات أصلاً. ومنهم حكماء العرب وهم شرذمة قليلة، لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع وخطرات الفكر، وربما قالوا بالنبوات. ومنهم حكماء الروم وهم منقسمون إلى القدماء الذين هم أساطين الحكمة وإلى المتأخرين منهم ـ وهم المشاؤون وأصحاب الرواق وأصحاب أرسطاطاليس ـ وإلى فلاسفة الإسلام الذين هم حكماء العجم، وإلا فلم ينقل عن العجم قبل الإسلام مقالة في الفلسفة، إذ حكمهم كلها كانت متعلقات من النبوات، إما من الملة المتقدمة وإما من سائر الملل، غير أن الصابئة كانوا يخلطون الحكمة بالصبوة. فنحن نذكر مذاهب الحكماء القدماء من

(١) الفوائد المدنية، محمد أمين الإسترآبادي: ٢٦٠.

(٢) الفوائد المدنية، محمد أمين الإسترآبادي: ٤٧١.

الروم واليونانيين على الترتيب الذي نقل في كتبهم، ونعقب ذلك بذكر سائر الحكماء، فإن الأصل في الفلسفة والمبدأ في الحكمة للروم وغيرهم كالعيال لهم. انتهى ما أردنا نقله عن الملل والنحل.

انظر أيها اللبيب إلى أنّه كانت عادة العجم دائما التمسك بكلام أصحاب العصمة وأرباب الوحي، وما كان دأبهم الاعتماد على فلتات الطبع ولا على الأنظار العقلية التي قد تصيب وكثيرا ما تخطئ، كما يشهد بذلك من تتبع كتب الأصوليين وغيرها. وهذا من جملة الأدلة على أنهم أصحاب أذهان مستقيمة وفطنة قويمة »[1].

٤١ ـ السيّد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي المعروف بالمحقّق الداماد، المتوفى سنة ١٠٤١

قال المحدّث القمّي فيه:

« سيّد اجلّ محقّق نحرير وعالم مدقّق، خبير حكيم متكلّم وماهر في العقليات وكامل في النقليات، العالم الوقّاد ذو الطبع الوقّاد السيّد الداماد، الذي حلي بعقود نظمه وجواهر نثره عواطل الأجياد وسبق بجواد فهمه الصافنات الجياد، بلغه الله أقصى المراد يوم التناد ».[2]

وكان بارعاً في العلوم المختلفة ومن جملتها الفلسفة، وقد تلمّذ على يديه الملاصدرا الشيرازي. وله تصانيف متعدّدة في الكلام والفلسفة والتفسير والحديث والفقه والرجال. وهو في حين تمهّر في الفلسفة إلا أنّه لم يكن ليغفل عن الإنحرافات التي وقع فيها بعض الفلاسفة، فكان يحذر من النظر في كتب

---

(١) الفوائد المدنية، محمد أمين الإسترآبادي: ٥٣٤ ـ ٥٣٣.

(٢) الفوائد الرضويّة، المحدّث القمّي: ٤١٨.

الفلاسفة إلا لمن قوي يقينه حتىٰ لايضلّ بسبب قراءته للفلسفة، كما أنّه كان يمنع عن قراءة كتب الصوفيّة منعاً باتاً الا للنقض والردّ عليهم. فقد نقل عنه تلميذه السيّد أحمد بن زين العابدين العاملي أنّه كان يقول دائماً ما تعريبه:

« يحرم على الجميع مطلقاً النظر في كتب الصوفيّة، إلاّ على الفاضل الديّن الذي يكون بصدد النقض على أقوالهم، وكذا يحرم قراءة كتب الفلاسفة على من ضعف يقينه و لم يستحكم عقيدته، وذلك لأنّه يزلّ إثر قراءته لهذه الكتب بسرعة، فيمنعه عن الصراط المستقيم ».[١]

وقال أيضاً:

« سئل عن سيّدنا الأستاذ واستاذ الكلّ في الكلّ المحقّق الداماد: هل يصحّ ما يقولون من انّ التصوّف طريق ينتهي إلى الإلحاد؟ فقال: إنّه غلط فإنّ التصوّف هي بيت الإلحاد ».[٢]

كما قال رحمه الله:

« وامّا جانب الحدوث والدخول في الوجود من بعد العدم الصريح، فلم يكن لاحد من الناس إليه سبيل من طريق القياس البرهاني، لا في جاهليّة الفلسفة ولا في إسلام الحكمة ».[٣]

٤٢ ـ السيّد أحمد بن زين العابدين العاملي

السيّد الجليل العظيم الشأن تلميذ الشيخ البهائي والمير داماد وصهره علىٰ

---

(١) تقوب الشهاب في رجم المرتاب، السيّد أحمد بن زين العابدين العاملي. عنه: خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيّة، آقا محمّد علي بن الوحيد البهبهاني: ٢ / ١٩١.

(٢) تقوب الشهاب في رجم المرتاب، السيّد أحمد بن زين العابدين العاملي. عنه: خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيّة، آقا محمّد علي الكرمانشاهي بن الوحيد البهبهاني: ٢ / ١٩١.

(٣) إثنا عشر رسالة، المحقق الداماد: ٤ / ١٣.

كريمته.[١] ألّف كتابين في الردّ على الفلاسفة والمتصوّفة، أحدهما: شهاب المؤمنين في رجم الشياطين المبتدعين، والآخر: ثقوب الشهاب في رجم المرتاب.[٢]

قال رحمه الله في «ثقوب الشهاب في رجم المرتاب» على ما نقله عنه آقا محمّد علي الكرمانشاهي حفيد الوحيد البهبهاني ما ترجمته:

«وينبغي أن يعلم أنّ أكثر رؤوس الملاحدة والصوفية كانوا من الفلاسفة، فما كان يمنعهم حديث «لا تفكّر في ذات الله» عن التفكّر في الذات، وقد ملأوا عيون بصيرة عقلهم القاصر بتراب الأغواط، فإنّ الطائفة الإسماعيليّة النزاريّة المسمّين بملاحدة أَلَمُوْت، ومحمود البسيخاني ونظائرهما كانوا جميعاً من الفلاسفة.

وقد سمعنا عن كثير من الثقات والعدول كثرة أناس فاسدي العقيدة في هذا الزمان، وقد اشتهروا بالإلحاد بين الخواص والعوام شهرة تامّة، ومنهم من يلبس زي طالب العلم ويسيء إلى سمعة طلاب العلوم الدينيّة. وذلك لأنّهم يقرأون كتب الفلاسفة والصوفيّة من دون قوّة اليقين واستحكام العقيدة من الدين، فيؤثّر ذلك في اعتقادهم الباطل، وأغلب هؤلاء يشتغلون بإغراء الجهال من الناس، وقد صنعوا من الدين مصيدة لمكرهم وغرورهم...

---

(١) الفوائد الرضويّة، المحدّث القمّي: ١٧، الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٤ / ٢٥٥.

(٢) نقل الشيخ آقا بزرگ الطهراني عن السيّد محمّد علي بن محمّد مؤمن الطباطبائي أنّه قال في كتابه الذي ألّفه في الردّ على الصوفيّة في سنة ١٢٢١: «إنّي رأيت الكتاب الموسوم بثقوب الشهاب تأليف السيّد الجليل تلميذ المير الداماد». ثمّ قال الطهراني: ونقل في كتابه كثيراً عن ثقوب الشهاب هذا وعن كتابه الآخر الموسوم بشهاب المؤمنين. والمشهور من تلاميذ المير الداماد القابل لتوصيفه بالسيّد الجليل العظيم الشأن والرادّ على الصوفيّة ـ على ما أظنّه ـ هو السيّد أحمد بن زين العابدين العاملي مؤلّف إظهار الحقّ... ولعلّه المؤلّف لهذين الكتابين، والله العالم. الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٥ / ٨.

وبعض الاجلاف يضيعون الوقت ويتعذرون عن قراءة تلك الكتب ويقولون: ليست الغاية من قراءة كتب الفلاسفة والصوفيّة إلاّ تحصيل الإستعداد لفهم الأحاديث المشكلة.

فقد غلطوا أو تغالطوا، كلا وحاشا من ذلك! ألم تكن هناك طرق لفهم تلك الأحاديث قبل شيوع الفلسفة وظهور المبتدعة بين الطوائف الإسلاميّة؟ فهؤلاء الشرذمة يرون أنّ إكمال الدين واتمام الشريعة إنما توقّف علىٰ وجود محى الدين وابن سينا.

والمشهور أنّ في زمان محى الدين كتب حوالي أربعمائة من علماء الشيعة والسنّة كتباً في كفر الملعون وإبطال مقالاته المشحونة بالزندقة، وأنّ الكثير من العلماء والفضلاء قد كفّروا ابن سينا في زمانه ونسبوه إلىٰ الإلحاد...

صان الله تعالىٰ جميع أهل الإيمان من شرّ الملاحدة المتظاهرين بالتشيع من المبتدعة والمتفلسفة وغيرهما».[١]

٤٣ ـ المولىٰ مراد التفرشي، المتوفىٰ سنة ١٠٥١

قد يعدّ من المحقّقين في الفلسفة، لكنّه مع كمال إطلاعه عليها لم يكن ليوقفه ذلك عن إبداء المناقشة فيها. فقد ألّف رحمه الله رسالة فقهيّة في ماء الكرّ، لكنّه ابتدأ فيه بالرّد على الفلاسفة. و هذا يدل على غاية إهتمامه ببيان شبه الفلاسفة والردّ عليهم كيلا يغترّ بعض بظاهر كلماتهم، فتراه لم يترك كتابه خالياً عن شيء من الرّد عليهم حتّى لو كان الكتاب مؤلّفاً في مسألة فقهيّة، إمتثالاً لقوله صلّى الله عليه وآله: **«إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»**.[٢]

---

(١) خيراتيّه درابطال طريقه صوفيّة، آقا محمد علي الكرمانشاهي: ١٦٨ ـ ١٧١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ٥٧.

ففي الذريعة:

«الكرّية، للمولى مراد التفرشي، المولود ٩٦٥ والمتوفى ١٠٥١ في مسألة الكرّ، غير أنه استطرد في أولها على ردّ الفلاسفة، ومسألة شبهة الجذر الأصم وغيره، يوجد منها نسخة بخط ابنه تاريخ كتابتها ١٧ رجب ١١٠٠».[1]

٤٤ ـ المولىٰ محمد صالح المازندراني، المتوفىٰ سنة ١٠٨١

تصدّىٰ رحمه الله للردّ علىٰ شبه الفلاسفة والطعن عليهم في مواضع متعدّدة من شرحه علىٰ أصول الكافي، فقال في باب حدوث العالم من شرح الكافي:

«المراد بالعالم ما سوى الله وهو مع تكثّره منحصر في الجوهر والعرض، وبحدوثه أن يكون وجوده مسبوقاً بالعدم، وقد اختلف الناس فيه فذهب المسلمون واليهود والنصارى والمجوس إلى أنّ الأجسام حادثة بذواتها وصفاتها، وذهب أرسطو وأتباعه إلى أنّها قديمة بذواتها وصفاتها، وذهب أكثر الفلاسفة إلى أنّها قديمة بذواتها ومحدثة بصفاتها وقالوا لتوجيه ذلك ما لا طايل تحته».[2]

وقد حكم في هذه العبارة بخروج الفلاسفة عن زمرة المليّين جميعاً.

قال فى شرح ديباجة الكافى حيث قال الكلينى رحمه الله:

«أما بعد، فقد فهمت يا أخي ما شكوت من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها، ومباينتهم العلم وأهله، حتى كاد العلم معهم أن يأزر كلّه وينقطع موادّه، لما قد رضوا أن يستندوا

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٧ / ٢٩٣ / ٣٧٢.

(٢) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٣ / ٣.

إلى الجهل، ويضيعوا العلم وأهله. وسألت: هل يسع الناس المقام على الجهالة والتديّن بغير علم، إذا كانوا داخلين في الدين، مقرّين بجميع أموره على جهة الاستحسان، والنشوء عليه، والتقليد للآباء، والأسلاف والكبراء، والإتّكال على عقولهم في دقيق الأشياء وجليلها».

فقال المازندرانى:

«والاتكال على عقولهم في دقيق الأشياء وجليلها» يعني: في أصول العقائد وفروعها كما هو شأن بعض الحكماء والمتكلمين وتابعيهما، وبعض الفقهاء المتمسّكين بالأدلة العقلية مثل الاستحسان والاستصحاب والمفهومات وغيرها».[١]

و منه يتّضح أنّ الكلينى أعلى الله مقامه الشريف إنّما ألّف كتابه للرّد عليهم كما مرّ بيانه.

وقال فى موضع آخر في مباينة أقوال الفلاسفة لكلام الشرايع:

«ويؤيد ما قلنا ما رواه مسلم عن عمران بن حصين أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير» و«الحياء كله خير». وحمل هذا على الايجاب الجزئي لا وجه له، على أنّ اصطلاح الحكماء ليس حجة علينا، ولذلك لما سمع بشر بن كعب عن عمران ما نقله عارضه بقول الحكماء، فقال عمران أحدّثك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وتحدّثني عن صحيفة الحكماء. فانكار عمران دلّ على أن لا وجه لمعارضة السنة بقول الحكماء».[٢]

---

(١) شرح أصول الكافي: ١ / ٤٤.

(٢) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ١ / ٢٧٠.

وقال في شرح الحديث الشريف أنّه لو لم يكن الحجّة لم يعرف الحقّ من الباطل:

« قوله : لم يعرف الحق من الباطل الظهور إلف النفس بالمحسوسات والوهميات والمتخيلات المؤدّية إلى الباطل والشبهات. فلو لم يكن استاد مرشد مؤيد من عند الله تعالى بالعصمة عن الخطأ والغلط في العقائد والأقوال والأعمال من جميع الوجوه ، لمال كل نفس إلى هواها والتبس عليه الحق والباطل. فربما يعتقد أن الحق باطل والباطل حقّ. كما ترى في كثير من المتّكلين بعقولهم من الحكماء والمتكلمين ، هذا على فرض بقاء الأرض وأهلها بغير إمام وإلا فالحق الثابت أنه لا بقاء لهما بدونه طرفة عين ».[١]

و يستفاد من كلامه قدّس سرّه أن سرّ ضلال الفلاسفة هو إستغناؤهم عن منبع العصمة ومنهل العلم والحكمة ، واستبدادهم بعقولهم الناقصة ، والحال أنّ معرفة الحق والباطل لايمكن إلا بالاستضاءة من مشكاة علومهم والاقتباس من منبع انوارهم عليهم السلام.

و قال في بيان حصرية طريق الوصول إلى معرفة الله بالنبي و أهل بيته عليهم السلام في شرح الحديث الشريف: « ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى » :

« أشار إلى أن سلوك سبيل الله تعالى لا يمكن إلا بالتوسل بمحمد صلّى الله عليه وآله ، لأنه حجاب الله المرشد إلى كيفية سلوك طريقه الموصل إليه والمبيّن لمراحله ومنازله وما لا بد منه للسائرين فيه من العلم والعمل. ثم لا يمكن التوسل بذلك الحجاب إلا بالتوسل بأوليائه الطاهرين وأوصيائه

---

(١) شرح أصول الكافي ، مولي محمد صالح المازندراني : ٥ / ١٢٤.

المعصومين، لأنهم ورثة علمه وسالكون مسلكه بتعليمه والمنزّهون عن الجور والطغيان، والمتصفون بالعدل والعرفان »[١].

و للمولى المازندراني كلمات كثيرة في طيّات كتابه يهدم أساس بنيان القواعد الفلسفيّة التي تبتني عليها كثير من معتقداتهم لابأس بالإشارة إلى بعضها، فقال إبطالاً لقول الفلاسفة بقدم العالم:

« أي قبل كل واحد منها، لأنّه كان ولم يكن معه شيء ثم أحدثه بمجرد حكمته فهو متفرّد بالقدم، وفيه ردٌّ على بعض الفلاسفة، وليس المراد بالقبلية القبلية الزمانية حتى يلزم أن يكون في زمان وأن لا يكون متقدّما عليه، لأن القبلية الزمانية إنما يكون في الزمانيّات كما بيّن في موضعه والله سبحانه ليس بزماني. « **والدائم الذي به قوامها** » قوام الشيء ـ بالكسر ـ: نظامه، وتقديم الظرف للحصر؛ وفيه ردٌّ على من أسند نظام هذا العالم إلى غيره كالدهرية والمبتدعة من الفلاسفة وأضرابهم »[٢].

قال أيضاً في بيان الحديث: « **ولا من شيء خلق ما كان قدرة** »:

« الظاهر أن « كان » تامّة بمعنى وجد، وقدرة بالنصب على التميز أو بنزع الخافض وإن كان شاذا في مثله. وفي بعض نسخ هذا الكتاب وكتاب التوحيد للصدوق « بقدرة » وهو يؤيّد الثاني، أي لم يخلق ما وجد من الممكنات بقدرته الكاملة من مثال سابق يكون أصلا له ودليلا عليه، ولا من مادّة أزليّة كما زعمت الفلاسفة من أن الأجسام لها أصل أزلي هي المادة، بل هو المخترع للممكنات بما فيها من المقادير والأشكال

---

(١) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٤ / ٢٣٢.

(٢) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ١ / ٢١.

والنـهايات ، والمـبتدع للـمخلوقات بـما لهـا مـن الهيئات والآجـال والغايات بمحض القدرة على وفق الإرادة والحكمة »[١].

و ناقش في قاعدة الواحد و ايجاب صدور الفعل عن الباري تعالى فقال:

« وأما ثانيا فلأنه لا دلالة فيه على أن غير العقل من الممكنات صدر منه تعالى بتوسط العقل ، وهو ظاهر بل لا يبعد القول بـبطلان ظـاهر هـذا الحكم لأنّ بناء ظاهره على تخليط الفلاسفة ، وهو أنّ أرسطو ومن تابعه من فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا قالوا :إنّ الباري تعالى من حيث إنّه واجب الوجود يجب أن يكون واحداً ، ومن حيث إنّه واحد يجب أن لا يخلق إلا واحدا ،إذ لو خلق إثنين لكان ذلك باعتبار أمرين مختلفين في ذاته ، وتلك كثرة تنافي ما وجب له من الوحدة وذلك الواحد الصادر هو العقل ، ثم صدر عن ذلك العقل أربعة جواهر ، عقل ونفس وفلك مركب من جوهرين مادة وصورة ، ثم صدر عن العـقل الثـاني أربـعة جـواهـر أيضا ، ثم هكذا على الترتيب إلى أن كـملت عشـرة عـقول وتسـع أنـفس وتسعة أفلاك. ثم تحرّكت الأفلاك فحدثت العناصر الأربعة التـي هـي الماء والهواء والنار والتراب ، ثم تمازجت هذه العناصر فحدث العالم السفلي وهو ما تحت الفلك القمر عـالم الكـون والفسـاد...ثـم تـركّبت الموجودات في عالم الكون والفساد من آثار طبايع العناصر ،وآثار عالم الكون والفساد قابلة لاختلاف الأشكال والصور والآثار التي في العـالم العلوي متناسبة غير قابلة لاختلاف الصور ، فالشمس مـثلا لا تـقبل أن تكون على غير تلك الصورة ، وما يجري في العالم السفلي هو مـن آثـار نفوس الأفلاك وعقولها. وكان أصل أكثرهم في الموجود الأول أن لا يخلق

---

(١) شرح أصول الكافي ، مولي محمد صالح المازندراني : ٤ / ١٣١.

شيئا بالاختيار، فإيجاد العقل الأول إنما هو بحسب الذات إيجاب العلة معلولها فإن العالم العلوي والسفلي لا مفتتح لوجودهما عندهم لأن العلة والمعلول موجودان معا وتقدم العلة على المعلول إنما هو بالذات لا بالوجود، إلى غير ذلك من المزخرفات التي ليس هذا موضع استيفائها، ولا مستند لهم على طريق البرهان فإذا ضويقوا في المطالبة به قالوا: لا تدرك هذه الأمور بالبرهان، وإنما تدرك بالرياضات أو بالرياضيات فمن أحكمها علم ذلك ضرورة. ولا يخفى فساد هذا القول أما الرياضات فإنّ الأنبياء والأوصياء وهم الأقدمون في باب الرياضة والمكاشفة لم يخبروا بذلك. وأما الرياضيات فقال المحقّقون: هذا أسخف لأن الرياضيات كالهندسة والحساب والهيئة والموسيقى لا ارتباط بينها وبين المطلوب، فإن الهندسة تنظر في هيئة الجسم المتصل، والحساب ينظر في الكم المنفصل، والهيئة تنظر في كيفية الأجسام، والموسيقي ينظر في ترتيب الألحان وتقطيعها على وجه معروف مخصوص، ثم إنهم رضوا في القطعيات بما لا يفيد علماً ولا ظناً، والحق أن كلّ هذا باطل والموجود الأول قديم وحده وفاعل العقول والأجسام والجواهر والأعراض ولوازمها كلّها بالإختيار على سبيل الحدوث لا بالايجاب، وإلى قدرته ينسب الجميع. خالق كل شيء لا إله إلا هو الواحد القهار».[1]

و قال أيضاً في ردّ مبنى الشيء ما لم يجب لم يوجد وقاعدة الواحد عند بيانه للحديث الشريف: «**أنشأ ما شاء حين شاء بمشيته**»:

«أي بمجرد مشيته وإرادته بلا آلة ولا حركة ولا رويّة ولا مادة، فقد ظلم نفسه وكفر بالله العظيم من قال: أنّه تعالى فاعل بالايجاب لا قدرة

---

(١) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ١ / ٢٠٢ ـ ٢٠٤.

له على فعله ، ومن قال : إنّه لم يوجد إلا شيئا واحدا ولم يقدر على إيجاد غيره ، ومن قال : إنّه يحتاج في خلق شيء إلى مادّة ، فإن ذلك ليس من صفة ربنا جلّ شأنه »[١].

و قال أيضاً ردّاً على هذه القاعدة الفلسفيّة في شرح قوله عيه السلام :« المتفرد بخلق كل شيء »

« إذ لا شريك له في فعله ، ويستثنى منه ذاته تعالى وأفعال العباد ، وفيه رد على من زعم أنه واحد لا يصدر عنه إلا واحد وأن خلق البواقي مستند إلى العقول »[٢].

و قد صرّح بأنّ هذه المقالة مقالة الكفرة فقال :

« كما يقول بعض الفلاسفة إن الله سبحانه لم يخلق إلا واحدا ، هو العقل الأول ثم كان عن هذا العقل غيره إلى أن ينتهى ذلك إلى الأمطار والعناصر والمعادن والنباتات والحوادث اليومية ، فنهى الشرع عن القول بذلك ، لأنّ ذلك إن كان عن اعتقاد فهو كفر ، وإن كان بمجرد قول كما إذا قال المؤمن بأن الفاعل هو الله تعالى أمطرنا السحاب أو أبرد الهواء طلوع الكوكب الفلاني أو نحو ذلك فهو شبيه بالكفر ، فنهى الشارع عنه أيضا حسماً لمادة الكفر ومنعا لترويجه ، وخوفا لأن يعتقد أحد بظاهر هذا القول »[٣].

و قال ردّاً على الفلاسفة القائلين بقدم العالم و ايجاب صدور الفعل عن البارى تعالى :

« فمن زعم أنه قدر على نقض واحدة » من هذه الخصال السبع « فقد

---

(١) شرح أصول الكافي ، مولي محمد صالح المازندراني : ٣ / ١٢٠.

(٢) شرح أصول الكافي ، مولي محمد صالح المازندراني : ١٢ / ١٠٢.

(٣) شرح أصول الكافي ، مولي محمد صالح المازندراني : ١٢ / ٤٦٥.

كفر»، كما زعمت الفلاسفة أنّ الأجسام قديمة لا أجل لها، وأن الفاعل الحق موجب لا إرادة له، وتمسّكوا لإثبات ذلك بمفتريات عقولهم الكاسدة ومكتسبات أوهامهم الفاسدة، وقد بيّن فساد ذلك في موضعه»[١].

و قال نفياً لما ذكره الفلاسفة من الإستعدادات الذاتيّة:

«وبالإرادة **ميّز أنفسها**» أي أنفس الأشياء «**في ألوانها وصفاتها**»، من الكيفيات والحدود وغيرها، وفيه إشارة إلى أن تخصيص كل شيء بلون مخصوص وصفات معينة بمجرد الإرادة من غير ملاحظة استعداد واعتبار قابلية كما هو مذهب الفلاسفة»[٢].

و قال أيضاً في بيان الحديث: «**وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله**»:

«فيه ردّ على الفلاسفة القائلين بأن الأفلاك متصل واحد لا يقبل الخرق»[٣].

و قال أيضاً في بيان الحديث: «**لم لا تسقط السماء**»:

«بالحركة المستقيمة أو مع الحركة الدورية التي لها في نفس الأمر «**على الأرض**»، إذ الحركة المستقيمة لا تنافي الحركة الدورية، وما ذكره الفلاسفة من امتناع حركة السماء على الإستقامة فهو ممنوع لم يقم عليه برهان»[٤].

---

(١) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٤ / ٢٦٧.

(٢) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٤ / ٢٦١.

(٣) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٢ / ٩٠.

(٤) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٣ / ١٥.

٤٥ ـ المحقق الميرزا رفيع النائيني، المتوفىٰ سنة ١٠٨٢

كان عالماً بالفلسفة ومحقّقاً فيها، لكنّه مع ذلك كان ناقداً لجملة من متبنياتهم مما تمسّ العقيدة وتنافي ضرورات الشرايع، فتراه يهجم علىٰ بعض المتفلسفين الذين أنكروا الحدوث الزماني، فقال ما ترجمته:

«لابد أن يعلم إن الظاهر بل الضروري من الشريعة المقدسة حدوث العالم ـ أي ما سوى الله ـ زمانا، بمعنى أن لوجوده ابتداء، وزمان وجوده من الابتداء إلى الآن متناه، فالقول بقدم العالم ـ أي المعنى المقابل لما ذكرناه ـ كما ذهبت إليه الحكماء باطل وفاسد... ومع هذا فقد ذهب في هذه الأعصار جمع من الجهال، الفضلاء غير المطلع بالشرع أو المقيد به تبعا للحكماء إلى قدم العالم. وقد أشرت إلى حقيقة الحال لأن يحترز كل من كان مقيدا بالدين من متابعة هذه الفرقة التي لا دين لها»[١].

٤٦ ـ الشيخ فخر الدين الطريحي، المتوفىٰ سنة ١٠٨٥

قال رحمه الله في بيان مخالفة الفلاسفة لإجماع المسلمين:

«قيل: إن الجن أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقولٌ وأفهام وقدرة على الاعمال الشاقة. وحكى ابن الأعرابي إجماع المسلمين على أنهم يأكلون ويشربون وينكحون، خلافا للفلاسفة النافين لوجودهم».[٢]

وقال ردّاً على مبنى قدم العالم لدى الفلاسفة ومخالفتهم للبراهين القطعيّة:

«وفي حديث أول ما خلقه الله تعالى «ولو كان أول ما خلق من خلقه

---

(١) شجره‌ى الهيه، الميرزا رفيع النائيني: ٤٨.

(٢) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ١ / ٤١٥.

الشيء من الشيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله ومعه شيء ليس هو يتقدمه». قال بعض الشارحين: فيه رد على ما زعمته الفلاسفة ومن تابعهم أن كل حادث مسبوق بمادة، ولو صحّ ذلك للزم محالان: أحدهما التسلسل في جانب المبدأ. والثاني خلاف ما أجمعت عليه البراهين القطعية».[1]

وقال أيضاً للردّ على الفلاسفة:

« وفي الحديث: «**إذا دنى الرجل من المرأة وجلس مجلسه حضر الشيطان فإن هو ذكر اسم الله تنحى الشيطان عنه. وإن فعل ولم يسم أدخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعا والنطفة واحدة**» قال الراوي: قلت بأي شيء يعرف هذا؟ فقال: «**بحبنا وببغضنا**». قيل: وفي الحديث ما يعضد ما قاله المتكلمون من أن الشياطين أجسام شفافة تقدر على الولوج في بواطن الحيوانات وتمكنها من التشكل بأي شكل شاءت. وبهذا يضعف ما قاله بعض الفلاسفة من أنها النفوس الأرضية المدبّرة للعناصر أو النفوس الناطقة الشريرة المتعلقة بالأبدان فتمدها وتعينها على الشر والفساد».[2]

وقال في ردّ مازعمته الفلاسفة من عدم علم الباري تعالى بالجزئيّات وشبههم الواهية في ذلك:

« والله تعالى عالم بكلّ معلوم على ما هو عليه، من كونه واجبا وممكنا وممتنعا، وكليا وجزئيا، لنسبة ذاته إلى جميع الممكنات بالسوية. وما

---

(١) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ١ / ٦٩٥.

(٢) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٢ / ٥٠٥.

زعمه الفلاسفة من عدم علمه بالجزئيات الزمانية باطل، وشبههم ضعيفة لا تستحق أن تذكر».[١]

٤٧ ـ ملا محسن الفيض الكاشاني، المتوفىٰ سنة ١٠٩١

شدّد رحمه الله الطعن علىٰ ابن العربي في جملة من عقائده، نظير إستنكاره وجود إمام العصر عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف، وما صدر عنه من سوء الأدب في الخطاب مع الله تعالىٰ. فقال في حقّه:

« هو من أئمّة صوفيّتهم، ومن رؤساء أهل معرفتهم يقول في فتوحاته: اني لم أسأل الله أن يعرّفني إمام زماني، ولو كنت سألته لعرّفني... وفي كلامه من مخالفات الشرع الفاضحة ومناقضات العقل الواضحة ما يضحك منه الصبيان، وتستهزء به النسوان، كما لا يخفىٰ علىٰ من تتبّع تصنيفاته... وفي كتبه وتصانيفه من سوء أدبه مع الله في الأقوال ما لا يرضىٰ به مسلم بحال، في جملة كلمات مزخرفة مخبّطة تشوّش القلوب وتدهش العقول وتحيّر الأذهان... ولعلّه ربما يختلّ عقله لشدّة الرياضة والجوع».[٢]

وقال في كتابه قرة العين:

« إعلموا إخواني ـ هداكم الله كما هداني ـ إني ما اهتديت إلا بنور الثقلين وما اقتديت إلا بالأئمة المصطفين، وبرئت إلى الله مما سوى هدى الله، فإن الهدى هدى الله. نه متكلّم ونه متفلسف ونه متصوف ونه متكلف، بلكه مقلّد قرآن وحديث پيغمبر، وتابع اهل بيت آن سرور، از سخنان

---

(١) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٣ / ٢٣٦.

(٢) بشارات الشيعة، الفيض الكاشاني: ١٥٠.

حيرت افزاى طوائف أربع ملول وكرانه، واز ما سواى قرآن مجيد وحديث اهل بيت وآنچه به اين دو آشنا نباشدبيگانه.

من هرچه خوانده‌ام همه از ياد من برفت

إلا حديث دوست كه تكرار مى كنم »

وبهذا المضمون قال في رسالة الإنصاف[١].

وفي الذريعة:

« الانصاف في طريق العلم بأسرار الدين المختصّ بالخواص والأشراف وبيان الفرق بين الحق والاعتساف، للمحقق المحدث المولىٰ محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١ أوله « الحمدلله الذي أنقذنا بالتمسك بحبل الثقلين من الوقوع في مهاوي الضلال »، ذكر فيه بعض أحواله وبيّن عذره عما كتبه من الكتب على مذاق الفلاسفة والمتصوفة وغيرهما بعبارات واضحة ملمعة عربية وفارسية ألّفه سنة ١٠٨٣ كما في فهرسه ثم اختصره بنفسه وسمّاه « هدية الاشراف » كما يأتي، طبع مستقلا سنة ١٢٩٧، وضمن مجموعة من رسائله سنة ١٣١١ »[٢].

وقال ايضاً ـ علىٰ ما نقله عنه الكرمانشاهي ـ :

« منهم من أولع بالنظر إلى كتب الفلاسفة ليس له طول عمرهم سواه ولا له في غيره هواه من غير أن يحكم علماً شرعيّاً أصليّاً أو فرعيّاً. وربما

(١) عنه: مستدرك سفينة البحار: ٨ / ٢٩٩. ترجمته: لست متكلماً ولا متفلسفاً ولا متصوفاً ولا متكلفاً، بل مقلّد للقرآن وحديث النبي وتابع لأهل بيته، وقد مللت وسئمت من كلمات الطوايف الأربع، وبرئت من كلّ ما سوىٰ القرآن وحديث أهل البيت وما له صلة بهما. ذهب عن بالي كلّ ما قرأته، إلا كلام الحبيب الذي أكرّره.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢ / ٣٩٨ / ١٥٩٥.

لم يسمع قطّ ممّا جاء به نبيّه في ذويه سوى ما أخذه في صغره عن أمّه وأبيه، لم يتعلّم من الشريعة أدباً ولا سنّة، ولم يتقلّد من صاحبها في علمه منته، ولعلّه لم يميّز النافلة من الفريضة مع دعاويه العريضة، كأنّه حسب أنّ العلوم الفلسفيّة أعلىٰ من العلوم الدينيّة ».

ثمّ ذكر أنّ الفلاسفة إنّما اقتبسوا موادّ علومهم من الأنبياء فكيف يمكن أن تكون علومهم أعلىٰ من علوم الأنبياء. ثمّ قال:

« ومن هؤلاء من يتعلّل بأنّ غرضه من ذلك تحصيل الإستعداد لفهم الحديث والقرآن، وكذلك سوّلت له نفسه والشيطان مع أنّه لا يفرغ للحكمة العمليّة، لا المنقولة عنهم ولا النبويّة. مع أنّ العمل متقدّم علىٰ العلم عند كلا الفريقين، وشرط له في كلا المنهجين، ولكنّ الشيطان يصدّه عنه فينتقم الله منه فيصرف قلبه عن فهم الشرايع والأحكام، والله عزيز ذو انتقام »[١].

ثمّ ناقش الكرمانشاهي في قول الفيض: أنّ الفلاسفة أخذوا موادّ علومهم من الأنبياء، وقال: انّ هذا الكلام وهم أو افتراء. فإنّ إجماع المليين قائم علىٰ استنكاف الفلاسفة عن متابعة الأنبياء وكانوا يرون إتباعهم عاراً عليهم، كما يظهر من التتبّع والإستقراء كمال المباينة بين الحكماء والأنبياء، فما ورد عن نبي من الأنبياء القول بقدم العالم ولا الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد ونظائرهما من كفريّات الحكماء.[٢]

أقول: إنّ هناك اختلافاً شديداً حول إنتماء الفيض المعرفي، فمنهم من عدّه

---

(١) كلمات طريفه، الفيض الكاشاني: ٥١ و ٥٢، نقل عنه آقا محمد علي الكرمانشاهي في خيراتيّه در ابطال طريقه صوفيّه: ٢ / ٢٩٠.

(٢) خيراتيّة در إبطال طريقه صوفيّه، آقا محمّد علي الكرمانشاهي: ٢ / ٢٩٢.

من الفلاسفة والصوفيّة لما يشاهد منه تبنّيه بعض مبانيهم في جملة من كتبه، ومنهم من يقول: انّه تاب و رجع عن عقائد الفلاسفة والصوفيّة في نهاية عمره، ويستشهد لذلك بتلك العبارات التي مرّ ذكرها عنه. ولا يهمّنا الآن تحقيق ذلك بعد ظهور تلك العبارات التي نقلناها عنه في معناها، كما أنّ مواجهته لابن العربي في مسألة إمام العصر وكذا بعض معتقداته الآخر، مما لاسبيل للترديد فيه.

٤٨ ـ محمد طاهر بن محمد حسين القمي، المتوفىٰ سنة ١٠٩٨

المولىٰ محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي الأصل القمي المسكن والدفن. اصله من شيراز ونشأته في النجف الأشرف، وأعطي امامة الجمعة ومشيخة الاسلام في قم فاستوطنها إلى أن مات. وكان في عصر الشاه سليمان الصفوي وهو من اجلاء علماء ذلك العصر المعروفين بطول الباع وقد تلمّذ لديه العلامة محمد باقر المجلسي. وهو من أبرز المخالفين للفلاسفة والمتصوّفة وقد ألّف كتباً في النقض عليهم، وقد عدّه السيد الأمين العاملي من روّاد النهضة التي قامت ضدّ الفلاسفة في الدور الثاني من العهد الصفوي.

قال المحقّق الاردبيلي:

«محمد طاهر بن محمد حسين القمي مد ظله العالي، الإمام العلامة المحقّق المدقّق، جليل القدر، عظيم المنزلة، دقيق الفطنة، ثقة ثبت عين دين، متصلّب في الدين لا يحصى مناقبه وفضائله، جزاه الله تعالى أفضل جزاء المحسنين له كتب نفيسة منها :... وكتاب جليل القدر والمرتبة في الردّ على حكمة الفلاسفة وغيرها من الكتب... ورسالة في الرد على الصوفية»[1].

---

(١) جامع الرواة، محمد علي الأردبيلي: ٢ / ١٣٣.

ومن جملة كتبه كتاب الحقّ اليقين في أصول الدين، ذكره في الذريعة وقال:

« الحق اليقين في أصول الدين، للمولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي القمي النجفي المذكور في ج ٤ ص ٤٩٧، ومؤلّف « تحفة الأخيار » و « حجة الاسلام » وغيرهما، وزعيم نهضة الفقهاء ضد المتصوفين المتوفى (١٠٩٨). وهو في مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة. ذكر في المقدمة أنه ألّفه على مذهب النبيين ومخالفا لمذهب المتفلسفة والمتكلمين المبتدعين، وقال في الفصل الثاني من الباب الأول إنّا فصّلنا بطلان قول الفلاسفة بتجرد الروح الانسانية في كتابنا « حكمة العارفين » المذكور في العدد ٣٠٦ من هذا المجلد، وفي أول الباب الرابع أحال إلى كتابه « الأربعين » ونسخه شايعة منها في الرضوية وفي كربلا عند السيد محمد باقر الحجة نسخة منتسخة عن الأصل في (٢٤ صفر ـ ١٠٩٨)، وفي أصفهان عند السيد محمّد علي بن محمد هاشم حفيد صاحب الروضات نسخة تاريخها (١٢٤٠) في ١١١ ورقة أوله « الحمدلله رب العالمين... اما بعد فقد ألّف بتوفيق الله سبحانه »[١].

قال في كتابه تحفة الأخيار في ابن العربي:

« انّه أكفر الكافرين باعتقاد أهل الدين ».

وقال بعد نقل جملة من عباراته:

« انّ كلماته المذكورة كلّ واحد منها دليل واضح على كفره، ومن لم يحكم بكفر صاحب هذه الكلمات فلاشبهة في كفره وأنّه لادين له ».[٢]

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٧ / ٤٠ / ٢٠٧.

(٢) تحفة الأخيار، محمد طاهر القمي: ١٠١ ـ ١٦٦.

و أمّا كتابه الآخر المسّمى بحكمة العارفين فقد أثنى عليه السيّد المرعشي وقال:

« ولله در العلامة المحقق خادم علوم الأئـمة الهـداة المـهديين المـولىٰ محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي ثم القمي قده حيث أبان الحق في كتابه الموسوم بحكمة العارفين وأثبت أن الحكمة الحقة هي المـتخذة عن آل الرسول صلى الله عليهم ، لا ما نسجته النساجون والحـيكة التـي تتبدل بتلا حق الأفكار والأزمنة ».[1]

وذكره في الذريعة وقال:

« حكمة العارفين في رد شبه المخالفين من المـتصوفين والمـتفلسفين ، للمولى محمد طاهر الشيرازي المذكور في ص ٤٠ ، أوّله « الحمدلله الذي جعلنا بمعرفته ومعرفة دينه علماء فقهاء » ، رأيت منه نسخا فـي مكتبة التسترية ، و الرضوية وفي المكتبات الشخصية لسردار الكـابلي بكرمانشاه ، والميرزا محمد علي الأردوبادي في النجف ، أحال التفصيل في مسألة الإحباط وعدّ الكبائر إلى كتابه « فرحة الدارين » ، وتـعرض فيه الرد على الشيخ البـهائي ، والمـولىٰ صدرا ، وتـلميذه الفـيض ، وفـي الأخير تعرّض لكلمات ابن العربي إلى قوله « فانظروا أيها المهتدون إلى هؤلاء الكفرة الفجرة وإلى عقول مريديهم ومصدقيهم واشكروا الله على ما هداكم ». وقد كتب الحكيم محمد مؤمن الطبيب في ردّ المولىٰ محمّد طاهر هذا كتابه « تبصرة المؤمنين » المذكور في ج ٣ ص ٣٢٥ »[2].

وله أيضاً كتاب الفوائد الدينية في ابطال التصوف والفلسفة ، ذكره في الذريعة.[3]

---

(١) شرح إحقاق الحق ، السيد المرعشي : ١ / ٩٧.

(٢) الذريعة ، آقا بزرگ الطهراني : ٧ / ٥٨ / ٣٠٦.

(٣) الذريعة ، آقا بزرگ الطهراني : ٢١ / ٧٧ / ٤٠٣٠.

وفي أعيان الشيعة أنّ من جملة كتبه:

« كتاب حجة الاسلام متن في الأصول والكلام ، والفوائد الدينية في رد الحكماء والصوفية ،وحكمة العارفين في رد المتصوفين والمتفلسفين ، منه نسخة مخطوطة في مكتبة الحسينية في النجف كتب في آخرها : قد سود في دار السلطنة كابل في ذي القعدة سنة ١٣٠١ ».[١]

من أعلام القرن الثاني عشر :

٤٩ ـ محمد بن نظام الدين محمد المعروف بعصام ، المتوفىٰ أوائل القرن ١٢

تلميذ المولىٰ محمّد صاهر القمّي ، و قد جاء في ترجمته:

« فاضل متتبع كثير الاطلاع في العقائد والمذاهب ، شديد الطعن على الصوفية والفلاسفة. والظاهر أنه كان يقيم بأصبهان ، وهو من أعلام أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر ، وقد عبّر عن نفسه في كتابه بعصام مع التصريح بأن اسمه محمد ، وقد لقبه بعض معين الدين ولا أعلم مصدره. له هداية العوام وفضيحة اللئام ».[٢]

وقد الّف كتابه صيحة الكرام وفضيحة اللئام في ردّ الفلاسفة كما في الذريعة:

« نصيحة الكرام وفضيحة اللئام ، فارسي لمحمد بن نظام الدين محمد المعروف بعصام. كذا كتبه شيخنا النوري بخطه على حاشية « كشف الحجب » وعدّه من كتب الشيعة. ونقل مؤلف « الرد علي الصوفية والفلاسفة » المؤلف ١٢٢١ عبارات من خاتمة « نصيحة الكرام وفضيحة

---

(١) أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين : ٩ / ٣٧٥.

(٢) تراجم الرجال ، السيد أحمد الحسيني : ٢ / ٥٧٠.

اللئام » ناسبا له إلى معين الدين المولىٰ عصام. ولفظه : « بدانكه مطاعن مبتدعه وفلاسفه بسيار است... »[١] إلى أن نقل عنه أسماء جملة من الكتب المؤلفة في الردّ عليهم مثل « السهام المارقة عن أغراض الزنادقة » للشيخ علي صاحب « الدر المنثور » م د ١١٠٤، وقال المير لوحى في كتابه « كفاية المهتدي » في ص ٩ من نسخة المجلس : « أن المولىٰ محمد بن نظام الدين محمد المشهور بعصام انتخب كتابه هذا من بينات المولىٰ محمد طاهر القمي مع زيادات من نفسه ». أقول والمير لوحى وعصام وأستاذه الطاهر القمي كلهم من الجماعة المهوسة ضد المجلسي والصوفية والفلاسفة من الشيعة في حركة ردة ظاهرية قشرية حصلت في الدور الثاني من العهد الصفوي كما مر تفصيله ».[٢]

٥٠ ـ القاضي سعيد القمي المتوفى بعد سنة ١١٠٣

وهو من الفحول في المسائل العقليّة، قال رحمه الله في الردّ علىٰ قول الفلاسفة بقدم الإرادة:

« من أصولهم عليهم السلام المقرّرة عندهم مما لامرية ولاتأويل يعتريه أمور : أولها : حدوث الإرادة والمشيّة بمعنىٰ كونهما عين الفعل... وكلّ من قال غير ذلك فقد ناقض مقتضىٰ مذهبه وعاند الائمّة الطاهرة في قوله ، إذ ليسوا يعجزون عن أن يقولوا : ذاته ارادة كما يقولوا ذاته علم كلّه ، قدرة إلىٰ غير ذلك. ولم يكن في ذلك تقيّة ، بل القائلون بالصفات الأزليّة في زمانهم أكثر. علىٰ أنّ الأمور الصادرة عنهم للتقية قد ورد خلافها أيضاً إتماماً للحجّة وإكمالاً للهداية ، وليس في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل

---

(١) أي: إعلم أنّ مطاعن المبتدعة والفلاسفة كثيرة.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٤ / ١٨٢ / ٩٤٦.

من بين يديه ولا من خلفه ولا في السنّة النبويّة وأخبار الائمّة الطاهرة ما يشعر بخلاف حدوث الإرادة كما هو غير خفي علىٰ أهل البصيرة ».[١]

وقال في موضع آخر:

« هي (أي الإرادة) من صفات الذات كما هو المتلقّى من أهل بيت النبوّة والحكمة ، والضروري من أهل بيت العصمة والطهارة حيث عارضوا متكلّموا زمانهم وكان ذلك مما يعدّ من مذهبهم ومما اشتهر منهم بين الموافق والمخالف. فإنكار ذلك مستلزم للردّ عليهم ، والرادّ عليهم كالرادّ علىٰ الله ، والرادّ علىٰ الله علىٰ حدّ الكفر ».[٢]

وقال أيضاً:

« اعلم انّ حدوث الإرادة والمشيّة من مقرّرات طريقة أهل البيت بل من ضروريات مذهبهم صلوات الله عليهم ، فالقول بخلاف ذلك فيهما مثل القول بالعينيّة والزيادة الأزليّة وأمثالهما إنّما نشأ من القول بالرأي في الأمور الإلهيّة. وأكثر العقلاء من أهل الإسلام لما لم يفكّوا رقبتهم عن ربقة تقليد المتفلسفة بالكليّة ، وأرادوا تطبيق ما ورد عن أهل البيت علىٰ هذه الآراء المزيّفة ؛ فتارة يقولون : نحن لانفهم حقائق هذه الأخبار التي هي أخبار الآحاد ، ولعلّهم أضمروا في أنفسهم أنّ الأمر ليس كذلك لكن لا يجرؤون علىٰ إظهاره ».[٣]

وقال في الردّ علىٰ مبنىٰ السنخيّة ووحدة الوجود بأقسامها:

« القول بأنّ المبدأ هو الوجود بلاشرط و(أمره) هو الوجود بشرط لا

---

(١) شرح الأربعين ، القاضي سعيد القمي : ٦٤٠ ـ ٦٤٢.

(٢) شرح توحيد الصدوق ، القاضي سعيد القمّي : ٢ / ١٥٩.

(٣) شرح توحيد الصدوق ، القاضي سعيد القمي : ٢ / ٥٠٧.

أو بالعكس، والمعلول هو الوجود بشرط شيء، وكذا القول بأنّ المبدأ هو الوجود الشخصي المتشخّص بذاته الواقع في أعلىٰ درجات التشكيك المشتمل علىٰ جميع المراتب السافلة، وبالجملة فالقول بكون المعلول عين العلّة بالذات وغيره بالإعتبارات السلبيّة، وكذا القول بالجزئيّة سواء كانت من طرف العلّة أو المعلول، والقول بالأصليّة والفرعيّة، والقول بالسنخيّة، أو الترشّح أو العروض سواء كان الأخير من جهة العلّة أو المعلول، والقول بالكمون والبروز وما يضاهي ذلك، علىٰ حدّ الشرك والكفر. وكلّ ذلك تولّد معنوي وتناسل حقيقي وموجب لتهوّد القائل به ومستلزم لتنصّر الذاهب إليه حيث قالت اليهود: ﴿ **عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ والنصارىٰ: ﴿ **الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ ».[1]

وقال في كتابه فوائد الرضويّة الذي ألّفه لشرح مناظرة الإمام الثامن عليه السلام مع رأس الجالوت:

« إن الحكمة كل الحكمة ما ورد في الكتاب والسنة، والعلم حق العلم ما صدر عن مدينة العلم، وإنّ في أخبار الأئمة الطاهرين لبلاغاً لقوم عابدين، إن في ذلك لذكرى للعالمين، كيف لا؟ وهم عليهم السلام أهل بيت الحكمة، ومعدن الوحي والرسالة، فالكليم البس حلّة الإصطفاء لما شاهدوا منه الوفاء، وجبرئيل في جنان الصاغورة ذاق من حدائقهم الباكورة، وأنّى يكون لغيرهم، وفيهم الإمام المبين، وقال عزّ من قائل: **«وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين»**.

ثمّ بيّن أنّ المتفلسفين قاصرون ومحرومون عن فهم المعارف العالية من الحكمة الإلهيّة، لأنّهم لم يأتوا البيوت من أبوابها، فقال:

« ثمّ إن في الخبر الذي رواه أصحابنا، ودار في ألسنة إخواننا رضوان الله

---

(١) التوبة: ٣٠. شرح توحيد الصدوق، القاضي سعيد القمي: ٢ / ٦٦.

عليهم ، وأثبتوه في دفاترهم ، من سؤال رأس الجالوت مولانا أبا الحسن الرضا عليه السلام ، وما أجابه الإمام عليه السلام ،لحكمة بالغة لا تبلغها أيدي الخائضين في الحكمة المتعالية ، فضلاً عن الفلسفة الرسمية ، وأسرار رائقة لا يكاد ينالها إلا من أتى البيوت من أبوابها ، وأنوار بارقة لا يستنير بأشعّتها الشارقة إلا من اقتبس من مشكاة الولاية الفائقة ».

ثمّ بيّن أنّ فهم هذا الخبر مختصّ بمن تقلّد أهل البيت بالتابعيّة المحضة وفاز بالمحبوبيّة الكاملة لديهم، وآجر نفسه لخدمتهم، حتى يكونوا هم الذين ينوّرونه بنور العلم والفهم ،فقال:

« وإني بعد ما نصفت السبعين ، وكنت في عشر الأربعين ، اطّلعت على هذه الرواية ، واستسعدت بتلك الزيارة ، فوجدتها عذراء لم يطمثها قبل ذلك الأوان إنس ولا جان ، بل لم يخطبها الفحول ولا الفتيان ، وكيف لهم من ذلك ، وإنّها لمن أهل بيت النبوة ، ولم يكافأها أحد من الأمة ، اللهم إلا من آجر نفسه ثماني حجج من اثنتي عشر من الحجج ، وتقلّد بالتابعية المحضة ، وفاز بالمحبوبية الكاملة ، حتى يكون الله سبحانه سمعه وبصره وعقله ، فيسمع بسمعه ، ويبصر ببصره ، ويعقل بعقله إذ لا يحمل عطاياهم إلا مطاياهم ، ولا يعلم ما في الدار إلا محارم الأسرار ».

ثمّ بيّن كيفية وقوفه على الرواية وإقباله على تدبّر كلمات الأئمّة عليهم السلام وانشراح صدره لتحمّلها و فهمها، بعد أن كان حيناً من دهره غير متصفّح للأخبار ولا ناظراً في الآثار، فقال:

« وهذا المسكين وإن كان قليل البضاعة في هذه التجارة ، ولم يسعد لتلك الإجارة ، إلا أن الكريم لا ينظر إلى البضاعة ونفاقها ويبتدئ بالنعم قبل استحقاقها ، فلقد أتى عليّ حين من الدهر لم أكن متفحصا لآثارهم ،

خادماً لأخبارهم، راصداً لأسرارهم، سائراً في أنوارهم، حتى أتاني في مبشرة نومية أمر من جنابهم بالنظر في خطابهم، فقمت بمأمورهم، حتى فتح الله بصيرتي بسرورهم، وشرح صدري بنورهم، وزاد في يقيني بأمورهم. ولعمر الحبيب إن أمرهم صعب مستصعب، لا يحتمله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو مؤمن ممتحن قلبه للإيمان عند الرب».(١)

وفي أثناء توضيحه للحديث بيّن رحمه الله وجه كفر الفلاسفة ومعناه، فقال:

«ثم بعد ما تعرّفت من معنى الكفر اللغوي إعلم أن الكفر بالله هو اعتقاد أن الله عزّ برهانه غيب ما ظهر قطّ، وهذا هو القدر المشترك بين طبقات الكفر، لأنّه يشتمل على كونه سبحانه منفياً مطلقاً أو غيره:

فمنها: القول بالنفي والتعطيل.

ومنها: القول بالوجود، وأنّه الظاهر بمعنى كون مصنوعاته ظاهرة تدلّ عليه، فهو الظاهر بواسطة الدلالات والعلامات، وهذا من قبيل قول بعضهم: إن الكلي موجود بمعنى كون أفراده موجودات. والقائل به وإن كان في زمرة المسلمين لكنّه كفر خفي عند العارفين، وهو كفر أهل العلم من المتكلمين والمتفلسفين وبعض المتصوفة وأكثر النصارى، حيث زعم الأولان أن الله غيب ويدلّ عليه بالآيات، والآخر أنّه سبحانه يحلّ في هياكل الكمّل كالمسيح وغيره من الأبرار. وزعم بعض الفرقة الثالثة أنّه سبحانه تطوّر بلباس الأكوان واختفى بها، وأنّ الممكنات عوارض الموجود الحقيقي الذي هو الله تعالى بزعمهم. وقد ردّ عليهم سيد الشهداء عليه وعلى آبائه وأولاده شرائف الصلاة والثناء حيث قال في دعاء عرفة: «كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون

---

(١) الفوائد الرضوية، القاضي سعيد القمي: ٤٠ ـ ٤٥.

لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً».(١)

بيّن رحمه الله أنّ قول الفلاسفة لابدّ وأن يرجع إلى أحد الأمرين: إمّا كون ظهور الآيات والمصنوعات أشدّ من ظهوره تعالى حتى تكون هي المظهرة لله تعالى، أو أنّ الله تعالى قد حلّ في هياكل المصنوعات فالمظهِر والمظهَر هو الله تقدّس و تعالى، وكلا القولين كفر به تعالى. وهذا لاينافي كونه تعالىٰ هو المعرّف لذاته القدوس عبر آياته ومصنوعاته كما مرّ بيانه في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

٥١ ـ الشيخ الحر العاملي، المتوفىٰ سنة ١١٠٤

ذكر إجماع الشيعة الإماميّة على بطلان التصوّف بما يشتمل عليه من العقيدة بوحدة الوجود أو الموجود والحلول والإتّحاد فقال:

«إجماع الشيعة الإمامية وإطباق جميع الطايفة الاثني عشرية على بطلان التصوف والرد على الصوفية من زمن النبي صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام إلى قريب من هذا الزمان وما زالوا ينكرون عليهم تبعا لأئمتهم في ذلك... فعلم قطعا أنّ الائمّة داخلون في هذا الإجماع قطعا، فظهرت حجته وعلمت صحته وذلك معلوم علما يقينا من حال الشيعة الإماميّة يعرفه كلّ من عرف أحوالهم أو طالع كتبهم. ومع ذلك قد نقل بهذا الإجماع جماعة من أجلائهم وصرّح به غير واحد من فضلاء علمائهم وستقف ان شاء الله على بعض أسمائهم. وموافقة الائمّة عليهم السلام لهذا الإجماع ظاهرة من الأحاديث السابقة وأمثالها حتى أنّ

---

(١) الفوائد الرضوية، القاضي سعيد القمي: ٦٤ ـ ٦٥.

هذا الإسم لم يطلقه أحد عليهم ولانسبه شيعتهم ولاغيرهم اليهم...
واعلم أن من جملة من نقل الاجماع السيد الجليل أبا المعالي محمد بن نعمة الله الحسيني رحمه الله في كتابه الذي صنفه في الملل والأديان في بحث مذهب الصوفية :
وأكثر أهل السنة والجماعة أنكروا الصوفية وجميع الشيعة أنكروهم ونقلوا عن أئمتهم أحاديث في مذمتهم إلى أن قال : وكل الشيعة على كفرهم والرد عليهم بطريق المبالغة العظيمة إلى وجه لم يجوزوا لغير الضرورة التسمية بالصوفية ورووا بهذا المعنى أحاديث كثيرة عن أئمتهم عليهم السلام انتهى.
ولنذكر في هذا المقام إشارة إلى بعض من رد عليهم من العلماء وقال بكفرهم وصرّح بضلالتهم وصنّف في إبطال مذاهبهم المصّنفات أو تعرّض للرّد عليهم في بعض المؤلفات ، ومن هنا يظهر انعقاد الاجماع ويرتفع النزاع مع ما هو معلوم من موافقة غيرهم وعدم ظهور مخالف لهم أصلا ولنقتصر من ذكر العلماء المشار إليهم على الاثني عشر ».[١]

ثم ذكر اثنى عشر من علماء الطائفة كالشيخ المفيد والصدوق و السيد علم الهدى والشيخ الطوسي وابن حمزة والدويرستى والعلامة الحلّي والمحقّق الكركي وابنه الشيخ حسن والمقدس الاردبيلى والشيخ البهائي.

وفيما ذكره من كلمات هؤلاء الأعلام ما فيه التصريح بكفر القائل بوحدة الوجود نظير العبارة التي نقلناها عن الشيخ حسن بن المحقق الكركي حيث قال:

« تمادى بعضهم و قال : انه سبحانه نفس الوجود وكل موجود فهو الله تعالى... ولعمرى انّهم رؤوس الكفرة الفجرة ، وعظماء الزنادقة والملاحدة».

---

(١) الإثنا عشريّة ، الحرّ العاملي : ٤٤.

وكذا ذكر عن المحقّق الأردبيلي أنّه قال:

« إنّ الشيخ محي الدين بن عربي والشيخ عزيز النسفي وعبد الرزاق الكاشي قائلون بوحده الوجود وإن كل موجود فهو الله تعالى نعوذ بالله من هذه الاعتقادات ».

وقال رحمه الله بعد ذلك في ذكر الأدلّة على بطلان عقيدة الحلول والإتّحاد:

« إنّ بطلان هذا الإعتقاد من ضروريّات مذهب الشيعة الإماميّة لم يذهب إليه أحد منهم، بل صرّحوا بإنكاره و أجمعوا على فساده و شنّعوا على من قال به ،فكلّ من قال به خرج عن مذهب الشيعة ، فلاتصحّ دعوى التشيّع من القائل به ، و هو كاف لنا في هذا المقام كما لا يخفى على ذوي الأفهام »[١]

وقد عقد فصلاً في الردّ علىٰ ابن العربي وجمع أموراً من كفرياته وانحرافاته وقال:

« ولنذكر ما وصل إلينا من آثاره القبيحة اثنى عشر أمرا ».[٢]

٥٢ ـ غواص بحار أنوار الأئمّة الأطهار العلامة محمّدباقر المجلسي، المتوفىٰ سنة ١١١١

للعلامّة رسالة في الرد على الفلسفة والتصوّف، قال العلامة النمازي: رأيتها مخطوطة في مكتبة الوزيري في يزد.[٣]

وقد ذكرنا كثيراً من كلماته في ضلال الفلاسفة والمتصوفّة وأنّه حكم بكفرهم،

---

(١) الإثنا عشريّة، الحر العاملي: ٥٩.

(٢) الإثنا عشريّة، الحر العاملي: ١٦٩.

(٣) مستدرك سفينة البحار ٨ / ٣١١.

ولنذكر هنا جملة أخرىٰ منها. قال رحمه الله عند البحث عن حدوث العالم:

« المقصد الخامس في دفع بعض شبه الفلاسفة الدائرة على ألسنة المنافقين ،والمشككين القاطعين لطريق الطالبين للحقّ واليقين »[1].

ثمّ بعد أن فنّد جميع شبههم في الحدوث قال:

« و أنت بعد ما أحطت خبرا بما حققناه ، و تركت تقليد السادة والكبراء و التمسك بالشكوك و الأهواء ، لا أظنك تستريب في قوة دلائل الحدوث و ضعف شبه القدم. و لو لم تكن أقوى فلا ريب في أنها متعارضة ، فلو كانت متكافئة أيضاً كيف تجترئ على مخالفة الكتب السماوية و الأخبار المتواترة النبوية و الآثار المتظافرة المأثورة عن الأئمة الهادية و العترة الطاهرة ، الذين هم معادن الحكمة والوحي والإلهام ، و بعثهم الله لتكميل الأنعام لشبه واهية ، اعترف مبدؤها بضعفها حيث قال الشيخ و أرسطو : إنها مسألة جدلية الطرفين.

فيا إخوان الدين ! و خلان اليقين ! إن لم يغلب على قلوبكم الرين فافتحوا العين و ارفعوا العناد من البين ، و انظروا بأبصار مكحولة بالإنصاف ، مشفية من رمد التعصب و الإعتساف فتكونوا في أصول الدين من أصحاب اليقين ، و تدخلوا في حزب الأنبياء و الأوصياء والصديقين ، و لا تعتمدوا على أصولكم و لا تتكلموا على عقولكم ، لا سيما في المقاصد الدينية و المطالب الإلهية. فإن بديهة العقل كثيرا ما تشتبه ببديهة الوهم ، و المألوفات الطبيعية بالأمور اليقينية ، والمنطق لا يفي بتصحيح مواد الأقيسة. و زن أفكارك بميزان الشرع

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٤ / ٢٧٨.

المبين و مقياس الدين المتين ، و ما تحقق صدوره عن الأئمة الراسخين صلوات الله عليهم أجمعين لئلا تكون من الهالكين ».[١]

وقال:

« وفي قريب من عصرنا لما ولع الناس بمطالعة كتب المتفلسفين ، ورغبوا عن الخوض في الكتاب والسنة وأخبار أئمة الدين ، وصار بُعْدُ العهد عن أعصارهم عليهم السلام سببا لهجر آثارهم ، وطمس أنوارهم ، واختلطت الحقائق الشرعية بالمصطلحات الفلسفية صارت هذه المسألة معترك الآراء ومصطدم الأهواء ، فمال كثير من المتسمين بالعلم المنتحلين للدين ،إلى شبهات المضلين ، وروجوها بين المسلمين فضلوا وأضلوا ، وطعنوا على أتباع الشريعة حتى ملوا وقلوا ، حتى أن بعض المعاصرين منهم يمضغون بألسنتهم ، ويسودون الأوراق بأقلامهم أن ليس في الحدوث إلا خبر واحد هو «**كان الله ولم يكن معه شيء**» ثم يؤوّلونه بما يوافق آراءهم الفاسدة ، فلذا أوردت في هذا الباب أكثر الآيات والاخبار المزيحة للشك والارتياب ، وقفيتها بمقاصد أنيقة ، ومباحث دقيقة ، تأتي بنيان شبههم من قواعدها وتهزم جنود شكوكهم من مراصدها ، تشييدا لقواعد الدين ، وتجنبا من مساخط رب العالمين ، كما روي عن سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله : «**إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[٢].

و قال في البحث عن حقيقة الملائكة:

« اعلم أنه أجمعت الامامية بل جميع المسلمين إلا من شذ منهم من

---

(١) بحارالأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٤ / ٣٠٥.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٧ / ٢٣٤.

المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة، وأنهم أجسام لطيفة نورانية أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر، قادرون على التشكل بالاشكال المختلفة، وأنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الاشكال والصور على حسب الحكم والمصالح، ولهم حركات صعودا و هبوطا، وكانوا يراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. والقول بتجردهم وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطبائع وتأويل الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة تعويلا على شبهات واهية واستبعادات وهمية زيغ عن سبيل الهدى، واتباع لأهل الجهل والعمى »[1].

و قال رحمه الله بعد نقل كلام لجالينوس في بيان تشريح الأعضاء وفوائدها، وأنّه بيّن الفرق في ما بين إيمان موسى وإيمانه وأفلاطون وسائر اليونانيين، فقال قدّس سرّه:

« انتهى كلامه ضاعف الله عذابه وانتقامه. وأقول: قد لاح من الكلام الرديء المشتمل على الكفر الجلي أمور:

الأوّل: ما أسلفنا من أنّ الأنبياء المخبرين عن وحي السماء لم يقولوا بتوقّف تأثير الصانع ـ تعالى شأنه ـ على استعداد المواد، ولا إستحالة تعلّق إرادته بإيجاد شيء من شيء من دون مرور زمان أو إعداد، وله أن يخلق كل شيء كان من أي شيء أراد.

الثاني: أنّ الحكماء لم يكونوا يعتقدون نبوّة الأنبياء ولم يؤمنوا بهم، وأنّهم يزعمون أنهم أصحاب نظر وأصحاب آراء مثلهم، يخطئون و يصيبون، ولم يكن علومهم مقتبسة من مشكاة أنوارهم كما زعمه أتباعهم.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٩ / ٢٠٢.

الثالث : أنّهم كانوا منكرين لأكثر معجزات الأنبياء عليهم السلام ، فإنّ أكثرها مما عدّوها من المستحيلات.

الرابع : أنّهم كانوا في جميع الأعصار معارضين لأرباب الشرائع والديانات كما هم في تلك الأزمنة كذلك ».[١]

وقال رحمه الله في مبحث البرزخ وبقاء النفس بعد الموت:

« لمّا كانت هذه المسألة من أعظم الأصول الإسلامية وقد أكثرت المتفلسفة والملاحدة الشبه فيها ورام بعض من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه تأويلها وتحريفها أطنبت الكلام فيها بعض الاطناب »[٢].

وقال في مبحث المعاد:

« إعلم أنّ القول بالمعاد الجسماني مما اتّفق عليه جميع المليّين وهو من ضروريّات الدين ومنكره خارج عن عداد المسلمين ، والآيات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها ، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردّها ولا الطعن فيها ، وقد نفاه أكثر ملاحدة الفلاسفة تمسكاً بامتناع إعادة المعدوم ولم يقيموا دليلاً عليه ، بل تمسّكوا تارة بادعاء البداهة ، وأخرى بشبهات واهية لا يخفى ضعفها على من نظر فيها بعين البصيرة واليقين وترك تقليد الملحدين من المتفلسفين »[٣].

وقال أيضاً:

« اعلم أنّ الايمان بالجنّة والنار على ما وردتا في الآيات والاخبار من

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٧ / ١٩٤.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦ / ٢٨١.

(٣) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٧ / ٤٧.

غير تأويل من ضروريّات الدين، ومنكرهما أو مؤولهما بما أوّلت به الفلاسفة خارج من الدين»[1].

وقال رحمه الله في بيان تباين طريقتهم مع طريقة الأنبياء وعلّة إنتسابهم إلى مولى الموحّدين عليه السلام:

«اعلم أنّ دأب أصحابنا رضي الله عنهم في إثبات فضائله صلوات الله عليه الاكتفاء بما نقل عن كل فرقة من الإنتساب إليه عليه السلام لبيان أنّه كان مشهورا في العلم مسلّما في الفضل عند جميع الفرق، وإن لم يكن ذلك ثابتاً، بل وإن كان خلافه عند الإماميّة ظاهراً، كانتساب الأشعرية وأبي حنيفة وأضرابهم إليه، فإنّ مخالفتهم له عليه السلام أظهر من تباين الظلمة والنور.

ومن ذلك ما نقله ابن شهرآشوب رحمه الله من كلامه في الفلسفة، فإنّ غرضه أنّ هؤلاء أيضا ينتمون إليه ويروون عنه، وإلاّ فلا يخفى على من له أدنى تتبّع في كلامه عليه السلام أنّ هذاالكلام لا يشبه شيئاً من غرر حكمه وأحكامه، بل لا يشبه كلام أصحاب الشريعة بوجه، وإنما أدرجت فيه مصطلحات المتأخّرين، وهل رأيت في كلام أحد من الصحابة والتابعين أو بعض الأئمة الراشدين لفظ الهيولي أو المادة أو الصورة أو الاستعداد أو القوة؟ والعجب أنّ بعض أهل دهرنا ممن ضلّ وأضلّ كثيرا يتمسّكون في دفع ما يلزم عليهم من القول بما يخالف ضرورة الدين إلى أمثال هذه العبارات. وهل هو إلا كمن يتعلق بنسج العنكبوت للعروج إلى أسباب السماوات؟!

أولا يعلمون أنّ ما يخالف ضرورة الدين ولو ورد بأسانيد جمّة لكان

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨ / ٢٠٥.

مؤولا أو مطروحا ؟ مع أنّ أمثال ذلك لا ينفعهم فيما هم بصدده من تخريب قواعد الدين ، هدانا الله وإياهم إلى سلوك مسالك المتقين ، ونجانا وجميع المؤمنين من فتن المضلّين »[1].

وقال رحمه الله في بيان قول أمير المؤمنين عليه السلام: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبة»**:

« ويحتمل أن يكون المراد به المنع عن مجالسة أرباب الشكوك والشبهات ، الذين يوقعون الشبه في الدين ، ويعدونها كياسة ودقة فيضلّون الناس عن مسالك أصحاب اليقين كأكثر الفلاسفة والمتكلّمين ، فمن جالسهم وفاوضهم لا يؤمن بشيء ، بل يحصل في قلبه مرض الشك والنفاق ، ولا يمكنه تحصيل اليقين في شيء من أمور الدين ، بل يعرضه إلحاد عقلي لا يتمسك عقله بشيء ولا يطمئن في شيء كما أن الملحد الديني لا يؤمن بملة ، فهم كما قال ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً** ﴾[2].

وأكثر أهل زماننا سلكوا هذه الطريقة ، وقلما يوجد مؤمن على الحقيقة ، أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين من ذلك ، وحفظنا عن جميع المهالك »[3].

وقال في بيان حديث عن أبي عبد الله عليه السلام: **«من رقّ وجهه رقّ علمه»**:

« وقيل :المرادبرقة العلم الاكتفاء بما يجب ويحسن طلبه ، لا الغلو فيه ، بطلب مالا يفيد بل ، يضر كعلم الفلاسفة ونحوه »[4].

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤٠ / ١٧٣.

(٢) البقرة : ١٠.

(٣) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٧١ / ٢١٤.

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦٨ / ٣٣١.

وقال في مفتتح مرآة العقول في ذكر السبب لتأليف هذا الكتاب:

« إنّي لمّا ألفيت أهل دهرنا على آراء متشتّتة و أهواء مختلفة قد طارت بهم الجهالات إلى أوكارها، وغاصت بهم الفتن في غمارها، وجذبتهم الدواعي المتنوّعة إلى أقطارها، وحيّرتهم الضلالة في فيافيها وقفارها.
فمنهم من سمّى جهالة أخذها من حُثالة[1] من أهل الكفر والضلالة، المنكرين لشرائع النبوة وقواعد الرسالة حكمة، واتخذ من سبقه في تلك الحيرة والعمى أئمة، يوالي من والاهم ويعادي من عاداهم، ويفدي بنفسه من اقتفى آثارهم، ويبذل نفسه في إذلال من أنكر آراءهم وأفكارهم، ويسعى بكلّ جهده في إخفاء أخبار الائمّة الهادية صلوات الله عليهم وإطفاء نورهم ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[2].
ومنهم من يسلك مسالك أهل البدع والأهواء المنتمين إلى الفقر والفناء، ليس لهم في دنياهم وأخراهم إلا الشقاء والعناء، فضحهم الله عند أهل الأرض كما خذلهم عند أهل السماء، فهم اتّخذوا الطعن على أهل الشرايع والأديان بضاعتهم، وجعلوا تحريف العقائد الحقّة عن جهاتها وصرف النواميس الشرعيّة عن سماتها بضمّ البدع إليها صناعتهم »[3].

قال رحمه الله في بيان قوله تعالى حكاية عن اليهود حيث قالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[4]:

« الرابع: لعله كان فيهم من كان على مذهب الفلسفة، وهو أنّ الله تعالى

---

(١) الحثالة بالضم: الرديء من كل شيء.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) مرآة العقول، العلامة المجلسي: ١ / ٢.

(٤) المائدة: ٦٤.

موجب لذاته ، وأن حدوث الحوادث عنه لا يمكن إلا على نهج واحد وسنن واحد ، وأنّه تعالى غير قادر على إحداث الحوادث غير الوجوه التي عليها يقع فعبّروا عن عدم الإقتدار على التغيير والتبديل بغلّ اليد »[١].

بيّن قدّس سرّه أنّ لازم معتقدات الفلاسفة من قاعدة الشيء ما لم يجب لم يوجد، و ضرورة صدور المعلول عن العلّة، وقاعدة الواحد، وغيرها سلب القدرة عن الباري تعالى و كون يده تعالى مغلولة عن التغيير والتبديل، و هذا مما لاغبار عليه، وقد نقّح في محله[٢]، وإن برّء ساحة الفلاسفة من هذا القول بعض المحشّين على البحار، ونسب العلامة المجلسي إلى سوء الفهم في المقاصد البرهانيّة.

و قال في بيان المعراج وانكار الفلاسفة له من جهة ما تقتضيه مدرسة بطلميوس في الهيأة من لزوم الخرق و الإلتيام، ذاك المبنى الذي أكل عليه الدهر و شرب، فقال قدّس سره:

« اعلم أن عروجه صلّى الله عليه وآله إلى بيت المقدس ثم إلى السماء في ليلة واحدة بجسده الشريف مما دلت عليه الآيات والأخبار المتواترة من طرف الخاصة والعامة ، وإنكار أمثال ذلك أو تأويلها بالعروج الروحاني أوبكونه في المنام ينشأ إما من قلّة التتبع في آثار الأئمة الطاهرين ، أو من قلّة التدين وضعف اليقين ، أو الإنخداع بتسويلات المتفلسفين. والأخبار الواردة في هذا المطلب لا أظن مثلها ورد في شيء من أصول المذهب ، فما أدري ما الباعث على قبول تلك الأصول وادعاء العلم فيها والتوقف في هذا المقصد الأقصى. فبالحري

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤ / ٩٨.

(٢) راجع ما كتبناه تقريراً لأبحاث شيخنا الأستاذ محمد باقر علم الهدىٰ في كتاب «سدّ المفرّ على القائل بالقدر»: ١٠٨ و ١٤٣.

أن يقال لهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[1]. وأما اعتذارهم بعدم قبول الفلك للخرق والالتيام فلا يخفى على اولي الافهام أنّ ما تمسكوا به في ذلك ليس إلا من شبهات الأوهام، مع أن دليلهم على تقدير تمامه إنما يدل على عدم جواز الخرق في الفلك المحيط بجميع الأجسام، والمعراج لا يستلزمه. ولو كانت أمثال تلك الشكوك والشبهات مانعة من قبول ما ثبت بالمتواترات لجاز التوقف في جميع ما صار في الدين من الضروريات، وإني لأعجب من بعض متأخري أصحابنا كيف أصابهم الوهن في أمثال ذلك، مع أن مخالفيهم مع قلة أخبارهم وندرة آثارهم بالنظر إليهم و عدم تدينهم لم يجوزوا ردّها، ولم يرخصوا في تأويلها، وهم مع كونهم من أتباع الأئمة الأطهار عليهم السلام وعندهم أضعاف ما عند مخالفيهم من صحيح الآثار يقتصمون آثار شرذمة من سفهاء المخالفين، ويذكرون أقوالهم بين أقوال الشيعة المتدينين، أعاذنا الله وسائر المؤمنين من تسويلات المضلين »[2].

و قد صرّح بتباين منهج الفلسفة و منهج الشرع المبين فقال بعد بيان تحقيق عن الشيخ المفيد رحمه الله:

« فلعله ـ رحمه الله ـ حاول تحقيق الامر على مذاق المتفلسفين، ومزج رحيق الحق بمموهات آراء المنحرفين عن طرق الشرع المبين، مع تباين السبيلين، و وضوح الحق من البين »[3].

---

(١) البقرة: ٨٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٨ / ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٦ / ٢١٦.

وقال في مرآة العقول، في باب حدوث العالم وإثبات المحدث:

« أقول: أراد بالعالم: ما سوى الله تعالى، والمراد بحدوثه: كونه مسبوقا بالعدم وكون زمان وجوده متناهيا في جانب الأول، وقد اختلف الناس فيه، فذهب جميع المليين من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس إلى أنها حادثة بذواتها وصفاتها وأشخاصها وأنواعها، وذهب أكثر الفلاسفة إلى قدم العقول والنفوس والأفلاك بموادها وصورها وقدم هيولى العناصر، وإليه ذهبت الدهرية والناسخية. ولما لم يكن في صدر الإسلام مذاهب الفلاسفة شايعة بين المسلمين، وكان معارضة المسلمين في ذلك مع الملاحدة المنكرين للصانع كانوا يكتفون غالبا في إثبات هذا المدعى بإثبات الصانع، مع أنه كان مقررا عندهم أن التأثير لا يعقل في القديم »[١].

وقال رحمه الله في حقّ اليقين ما ترجمته:

« اعلم! انّ لزوم الإعتقاد بالجنّة والنار الجسمانيين علىٰ ما صرّحت به الآيات والأخبار المتواترة من ضروريّات دين الإسلام، فمن أنكر الجنّة والنار كالملاحدة أو أوّلهما كالفلاسفة فهو كافر بلاشك...
ومن كان له أدنىٰ حظّ من الشعور والإيمان حين يرجع إلىٰ عقائد الفلاسفة الباطلة وكلماتهم الواهية يعلم أنّ أكثرها لا يوافق الإيمان بشرايع الأنبياء. وانّ بعض من اعتقد بأصولهم حينما يضطرّ أن يعيش مع المسلمين، يتفوّه ببعض ضروريات الدين خوفاً من القتل أو التكفير، لكنّ قلبه يأبىٰ عن ذلك ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[٢].

---

(١) مرآة العقول: ١ / ٢٣٥.

(٢) آل عمران: ١٦٧.

وقد يتظاهرون ببعض أصول الدين استهزاءً، وحينما يخلون بتلاميذهم وخواصّهم يقولون: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[1]، وقد اقتنعوا بالإيمان الظاهري ﴿ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ تَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2]

فعُلِم أنّ الإعتقاد بأصول الحكماء لايجتمع مع أكثر ضروريّات الدين، فليس لهم إلا أن يجحدوا نبوة الأنبياء، أو أن يحسبونهم من أرباب الحيل والألغاز الغامضة الذين ليس لهم همّ في حياتهم إلا إضلال الناس وأغرائهم بالجهل المركّب، وتلبيس الباطل في لباس الحقّ، وإيكال هدايتهم إلىٰ هذه الفرقة الضالّة.

والأعجب من كلّ ذلك، قوم يزعمون أنّهم من أهل الشرع ويهتمّون كثيراً باتيان الآداب والمستحبات، لكنّهم يدرّسون هذه الكتب اعتقاداً! ولم يُرىٰ أن تصدّوا للردّ عليهم والإنكار علىٰ شبهاتهم، وحينما يتصدّى أحد للنقض وإبطال هذه العقائد يلقون الشبهة علىٰ العوام من جهة أخرىٰ علّهم يروّجون عقائدهم الباطلة، ويطعنون علىٰ من يلعن صاحب هذه العقائد، ويفخرون أنّهم ليسوا من اللاعنين ﴿ يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِئُوا نُوْرَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُوْنَ ﴾[3]

وقال رحمه الله في كتابه عين الحياة في بطلان عقيدة وحدة الوجود ما ترجمته:

« اعتقد جمع من الصوفيّة من أهل السنّة ومن متكلّميهم بل أكثرهم بحلول الله تبارك وتعالىٰ في الأشياء... وفرّ بعض الصوفيّة من أبناء العامّة

---

(١) البقرة: ١٤.

(٢) التوبة: ٨.

(٣) الصفّ: ٨. حق اليقين، العلامة المجلسي: ٥٦٧ ـ ٥٦٩.

من الحلول لكنّهم وقعوا في ما هو أقبح منه وأشنع وهو الإتحاد. ويقولون : انّ الله تعالىٰ متحد مع كلّ شيء بل هو كلّ شيء ولاوجود لغيره ، وهو الذي يظهر بصور مختلفة ، فتارة علىٰ صورة زيد وأخرىٰ علىٰ صورة عمرو وثالثة علىٰ صورة الكلب والهرّة وأخرىٰ علىٰ صورة القاذورات والأوساخ ،كالبحر فإنّه يتلاطم وتظهر منه صور مختلفة ، لكن في الحقيقة لاوجود لغير البحر ،كما قيل في الفارسيّة :

كه جهان موج‌هاى اين درياست

موج دريا يكى است غير كجاست(١)

ويرون أنّ الماهيّات الممكنة أموراً إعتباريّة عرضت علىٰ ذات واجب الوجود ، وقد صرّحوا في جميع كتبهم وأشعارهم بهذه الترّهات والكفريات ، وهذا هو اعتقاد بعض كفار وملحدي الهند بعينه. وكتاب «جوك» الذي ألّفه البراهمة لعقائدهم الفاسدة مشحون بهذه الترّهات ، فلذا بعض من له مشرب التصوّف في عصرنا يحترم هذاالكتاب غاية الإحترام ويجعله أكثر اعتباراً من كتب الشيعة ،بل عدّوه من كتب عقائد الشيعة وقالوا أنّه لابدّ لكلّ شخص أن يكون عنده نسخة منه !

وزعم بعض بسطاء الشيعة أنّ هؤلاء أهل الحقّ وأحسن من في العالم ، فيقرؤون كلامهم بجهالة فيكفرون... وقد تلبّس بعضهم بزي التصوّف والبعض الآخر بزي أهل العلم ، وأكثر هؤلاء العلماء المطروحة كتبهم كفرة وغواة العالَم ».(٢)

وقال أيضاً:

« انّهم (أي الصوفيّة) لعنهم الله لايقنعون بتلك البدع ، بل يحرّفون

---

(١) أي : انّ العالم انما هي أمواج البحر ، والموج متحد مع البحر ، وليس سواه شيء.

(٢) عين الحيوة ، العلامة المجلسي : ١ / ٧٠ الأصل الثاني.

أصول الدين ويقولون بوحدة الوجود، والمعنىٰ المشهور في هذا الزمان المسموع من مشايخهم كفر بالله العظيم».[١]

٥٣ ـ السيد محمد بن محمّد المير لوحي الحسيني السبزواري، المتوفّىٰ بعد سنة ١٠٨٣

تلميذ المحقّق الداماد والشيخ البهائي قدّس الله أسرارهم، ذكره في الذريعة من جملة الجماعة التي قامت بالرّد على الصوفيّة والفلاسفة من الشيعة في الدور الثاني من العهد الصفوي[٢]، وقد ألّف بعض الكتب في الردّ علىٰ الصوفيّة نظير كتابه: **إدراء الغافلين واخزاء المجانين**[٣] وكتاب: **تنبيه الغافلين و اعلام المحبين** أيضاً في الرد على الصوفيّة[٤]، وفي كتابه كفاية المهتدي في أحوال المهدي نقوض عليهم.

٥٤ ـ السيد نعمة الله الجزائري، المتوفىٰ سنة ١١١٢

قال في الأنوار النعمانيّة:

«إنّ أكثر أصحابنا قد تبعوا جماعة من المخالفين من أهل الرأي والقياس ومن أهل الطبيعة والفلاسفة وغيرهم من الذين اعتمدوا على العقول واستدلالاتها، وطرحوا ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام حيث لم يأت على وفق عقولهم، حتى نقل أن عيسى على نبينا وآله وعليه السلام لما دعا أفلاطون إلى التصديق بما جاء به أجاب بأنّ عيسى رسول إلى ضعفة

---

(١) الإعتقادات، العلامة المجلسي: ١٨.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٤ / ١٨٢ / ٩٤٦.

(٣) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١ / ٣٨٨ / ٢٠٠٢.

(٤) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٩ ق ٤ / ٧٨٢٦ / ١٢٢١ و ٢٦ / ٢٣٦ / ١١٩٢، فهرست مكتبة مجلس الشورى في طهران: ٣ / ٦١، فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله العظمىٰ گلپايگاني: ٣ / ١٨٥ / ٢٨٢.

العقول ، وأما أنا وأمثالي فلسنا نحتاج في المعرفة إلى إرسال الأنبياء...
وإن كان المراد به ما كان مقبولاً بزعم المستدل به واعتقاده ، فلا يجوز لنا تكفير الحكماء والزنادقة ولا تفسيق المعتزلة والأشاعرة ولا الطعن على من يذهب إلى مذهب يخالف ما نحن عليه ،... مع أنّ الأصحاب رضوان الله عليهم ذهبوا إلى تكفير الفلاسفة ومن يحذو حذوهم ، وتفسيق أكثر طوائف المسلمين ، وما ذاك إلا لأنّهم لم يقبلوا منهم تلك الدلائل ولم يعدوها من دلائل العقل ».[١]

قدح البعض في شخصيّة إبن أبي جمهور الاحسائي إطّلاعه على الفلسفة والتصوّف و تضلّعه فيهما، فأجاب عنه المحدّث الجزائري على ما نقله المحدّث النوري:

« وأما اطّلاعه وكمال معرفته بعلم الفلسفة وحكمتها ، وعلم التصوف وحقيقته ، فغير قادح في جلالة شأنه ، فإن أكثر علمائنا من القدماء والمتأخرين قد حقّقوا هذين العلمين ، ونحوهما من الرياضي ، والنجوم ، والمنطق ، وهذا غني عن البيان ، وتحقيقهم لتلك العلوم ونحوها ليس للعمل بأحكامها وأصولها ، والإعتقاد بها ، بل لمعرفتهم بها ، والإطّلاع على مذاهب أهلها »[٢].

و هذا الكلام يفيد أنّ المرتكز عند فقهائنا هو أنّ العمل و الإعتقاد بمعطيات فلسفيّة قدح في الراوي، إلاّ أنّ تعلّمها من دون الإعتقاد كتعلّم السحر للنقض وتحصيل القدرة للمجادلة معهم لابأس به لمن كان له بضاعة علميّة بحيث لايقع في شبكة صيدهم.

---

(١) نقل عنه المحدّث البحراني في الحدائق الناظرة: ١ / ١٢٦ ـ ١٢٨.

(٢) خاتمة المستدرك ، الميرزا النوري: ١ / ٣٤٤.

٥٥ ـ السيّد علي خان الكبير المدني الشيرازي، المتوفىٰ سنة ١١٢٠

فقد ميّز رحمه الله بين المليين بأجمعهم و بين الفلاسفة حيث قال في شرحه علىٰ الصحيفة السجاديّة المباركة:

« في هذه الفقرة من الدعاء دلالة على بقاء النفوس الناطقة بعد خراب الأبدان، لأنّ الإضاءة المطلوبة ليست إلا للرّوح وإلا فالجسم يضمحلّ ويستحيل، وهو مذهب أكثر العقلاء من الملّيين والفلاسفة القائلين بأنّ الروح جوهر مجرّد أبدي لا يعتريه الزوال، ولا يتطرّق إليه الاختلال، ولم ينكره إلا شرذمة قليلون »[1].

٥٦ ـ الميرزا محمّد المشهدي، المتوفىٰ سنة ١١٢٥

قال في تفسيره:

« والمراد بالأنفس هنا ذواتهم. ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم. قيل: إن المختار عند المحققين من الفلاسفة وأهل الاسلام من الصوفية وغيرهم، أنها أي النفس »[2].

وتشهد هذه العبارة على ما ذكرناه من الإرتكاز على خروج الفلاسفة عن أهل الإسلام.

٥٧ ـ الميرزا عبد الله بن عيسى الأفندي، المتوفىٰ سنة ١١٣٠

قال في رياض العلماء في ترجمة ميرزا ابراهيم بن ملاصدرا:

« كان فاضلاً عالماً متكلماً فقيهاً جليلاً نبيلاً متديناً جامعاً لأكثر العلوم

---

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان الكبير: ١ / ٣٣١.

(٢) تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي: ١ / ١٢١.

ماهراً في أكثر الفنون سيما في العقليات والرياضيات، وهو في الحقيقة مصداق قوله: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّت ﴾[١] قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسلكه وكان على ضد طريقته في التصوف والحكمة ».[٢]

قال السيّد أمين العاملي إنّ هذا الوصف من أمض التشنيعات على ملاصدرا.[٣]

٥٨ ـ الشيخ محمد نبي بن محمد رحيم الجنابذي، كان حيا في سنة ١١٤٥

ففي الذريعة:

« إجازة الشيخ محمد نبي بن محمد رحيم الجنابذي المجاز من العلامة المجلسي لتلميذه الشيخ محسن، أولها: « الحمدلله الذي جعلنا من مقتبسي الأنوار الربانية النبوية » وهي كبيرة في سبع وستين ورقة بسط فيها القول في ردّ الفلاسفة في أثناء وصيّته للمجاز له بقوله: « وإياك يا محسن والتعدّي » ـ حتى خرجت عن وضع الإجازة ـ وفي آخرها إجازة العلامة المجلسي للمجيز كلتاهما في مجلد من وقف نادر شاه في سنة ١١٤٥، في الخزانة الرضوية كما في فهرسها ».[٤]

٥٩ ـ السيد عبد الله الجزائري، المتوفى سنة ١١٧٣

قال رحمه الله في بيان سبب انحراف العامّة و تشعبّهم في العقائد و نقاشهم في خلق القران:

« ثم لما اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري وقرّر عقايده في

---

(١) الأنعام: ٩٥.

(٢) عنه أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٢ / ٢٠٢.

(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ٣٢٦.

(٤) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١ / ٢٥٧ / ١٣٥٧.

العدل و الصفات وغيرهما، ونشأ بعده الشيخ أبو الحسن الأشعري واشتغل بالردّ عليه وإبطال مقالاته وتبع كلاً منهما من تبعه، وخرجوا من الطريقة الساذجة التي مشى عليها الصحابة والتابعون، وأعانهم على ذلك أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية فخاض فيها الفريقان و طفقوا في الإبرام والنقض و إبطال بعضهم مذهب بعض »[1].

و ميّز في موضع آخر من كتابه بين المليّين بأجمعهم و بين الفلاسفة فاعتبرهم فرقة متمايزة عن جميع المليّين:

« كلّ هذه إشارات إلى بقاء النفوس الناطقة بعد خراب الأبدان وهو مذهب أكثر العقلاء من المليين والفلاسفة »[2].

٦٠ ـ المحقّق محمد إسماعيل المازندراني الخواجوئي، المتوفىٰ سنة ١١٧٣

تخرّج من مدرسته جمع من الفحول والأعلام، منهم العالم النحرير الملا مهدي النراقي صاحب كتاب جامع السعادات، والعالم العارف الآقا محمد البيد آبادي، والمولىٰ محراب الجيلاني وغيرهم. وهو على ما ذكره معاصره العلامة الشيخ عبد النبي القزويني في كتابه تتميم أمل الآمل: «كان من العلماء الغائصين في الأغوار، والمتعمقين في العلوم بالأسبار، واشتهر بالفضل، وعرفه كل ذكي وغبي، وملك التحقيق الكامل حتى اعترف به كل فاضل زكي، وكان من فرسان الكلام، ومن فحول أهل العلم، وكثرة فضله تزري بالبحور الزاخرة عند الهيجان والتلاطم، والجبال الشاهقة والأطواد الباذخة إذا قيست إلى علو فهمه كانت عنده كالنقط، والدراري الثاقبة إذا نسبت إلى نفوذ ذهنه كأنها حبط. وكان رحمه الله

---

(١) التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية للفيض الكاشاني، السيد عبد الله الجزائري: ٨ و ٩.

(٢) التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية للفيض الكاشاني، السيد عبد الله الجزائري: ٣٥٨.

ذا بسطة كثيرة في الفقه والتفسير والحديث مع كمال التحقيق فيها».

قال رحمه الله في جامع الشتات بعد أن بيّن بطلان القول بحياة الأفلاك وأنّ القول به ينافي الشريعة المطهّرة:

« ومخالفة ما ذكرناه لقوانين الحكمة الفلسفية غير مضرة، لأنها نظريات لم تثبت ببرهان، فالقول بها وهمي شعري لا يعارض ظواهر النصوص الجلية الشرعية ».[١]

أقول: بيّن في هذه العبارة أنّ المقولات الفلسفيّة إنّما هي مقولات وهميّة شعريّة غير برهانيّة ولايمكن الركون اليها، وهي في جنب ظواهر الدين كالحجر في جنب الإنسان لايعبأبه. وكم تجد الفرق بين هذا الرأي وبين ما مرّ من ملاصدرا في مبحث الخلود حيث صرّح بأنّ نصوص الدين وإجماع المسلمين لايعبأ بهما، بل تحمل النصوص علىٰ غير المعنىٰ الموضوع له في اللغة لو خالف ما توصّل إليه هو من نتيجة.[٢]

نعم إن كان مراده من نفي الحياة عن الفلك نفي الشعور والمعرفة عنه فللمناقشة في ما أنكره وجه، إلا أنّ الظاهر من نقل العبارة غير ذلك.

وقال في موضع آخر:

« وهو ـ مع بعده، وابتنائه على قواعد الفلاسفة، ومخالفته لكثير من الأخبار ـ مخالف لما انعقد عليه إجماع المسلمين من ارتفاع الحياة عن الفلك وما اشتمل عليه من الكواكب، فإنها مسخرات مدبرات لا خلاف فيه بينهم، كما نقله السيد وكفى به ناقلاً في الغرر والدرر ».[٣]

---

(١) جامع الشتات، الخواجوئي: ٥٩.

(٢) تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازي: ٤ / ٣١٦.

(٣) جامع الشتات، الخواجوئي: ١٧٥.

وبيّن أيضاً أنّ القواعد الفلسفيّة مبتنية على خلاف الشرع الأنور، فقال:

« والأظهر أن المراد بالطينة هنا كما سبق شخص النطفة التي خلق منها الميت تبقى في القبر على هيأة الكرة إلى أن يعاد في القيامة، ولا استبعاد في بقائها بحالها بالنظر إلى قدرة الله القادر، فلا حاجة إلى تأويلها بالصورة البرزخية الباقية بعد الموت، ولا إلى القول بأنها إنما لا تبلى لأنها لا تقبل البلى، لأنه خلاف الأظهر بل هو خلاف الشرع الأنور، لابتنائه على القواعد الفلسفية ».[1]

وقال في الردّ على مبنى القدم في رسالته التي كتبها في تفسير الآية الشريفة ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء ﴾[2] :

« من قال بوجود العقل المجرّد ذاتاً وفعلاً فقد قال بقدمه، المستلزم لقدم العالم، والقائل بقدم ما سوى الله ـ وإن كان إماميّاً ـ كافر بإجماع المسلمين»[3].

٦١ ـ المحدّث البحراني صاحب الحدائق، المتوفى سنة ١١٨٦

فقد حسّن ما قاله السيّد نعمة الله الجزائري في عبارته المتقدّمة حيث قال:

« ولم أر من ردّ ذلك وطعن فيه سوى المحدّث المدقّق السيد نعمة الله الجزائري طيّب الله مرقده في مواضع من مصنّفاته: منها كتاب الأنوار النعمانية، وهو كتاب جليل يشهد بسعة دائرته وكثرة اطلاعه على الأخبار وجودة تبحره في العلوم والآثار. حيث قال فيه ونعم ما قال،

---

(١) جامع الشتات، الخواجوئي: ٦٧.

(٢) هود: ٧.

(٣) هذه الرسالة مطبوعة في ضمن الرسائل الإعتقاديّة للخواجوئي، بتحقيق السيد مهدي الرجائي: ٢ / ٤٧٠.

فإنه الحق الذي لا تعتريه غياهب الاشكال : إنّ أكثر أصحابنا... إلى آخر عباراته »[١].

وقد وصف ابن العربي في بعض مصنفاته بابن العربي الزنديق.[٢]

٦٢ ـ العالم العارف آقا محمّد البيد آبادي، المتوفّىٰ سنة ١١٩٧

وهو مع كونه مشتهراً بالفلسفة إلا أنّ له كلمات حادّة علىٰ الفلسفة والفلاسفة، ففيما كتبه في السير والسلوك في جواب المحقّق القمّي ما ترجمته:

« فأضاء قلوبنا بأنوار مصابيح مشكوة جوامع كلمه (رسول الله صلى الله عليه وآله) ولمعات أضواء اشراقات فهم مقاصد كلام نجوم هدايته، عن ظلمات شبهات مشاغبات الكتب الكلاميّة، ومتشابهات كلمات الحكماء المشائيّة والإشراقيّة.

وأغنانا بالحكمة الإلهيّة القرآنيّة عن تصحيح العقائد بالأدلّة الطبيعيّة والرياضيّة ومخترعات اصول المعتزلة والأشعريّة. ورزقنا النجاة والعافية بشفاء صحاح الأحاديث النبويّة وفتوحات درك المطالب العالية من آثار الإشارات الولويّة، عن الأمراض المزمنة الحاصلة من ملاحظة كلمات الفلسفة اليونانيّة، ومزاولة الأعمال الطبيعيّة الحيوانيّة، وتقليد الآباء والأسلاف في الجوانيّة والبرانيّة ».[٣]

ومن شعره:

اشعرى كيست ؟ چيست معتزلى ؟   تو برو از پى نبى و ولى

(١) الحدائق الناظرة، المحدّث البحراني: ١ / ١٢٦.

(٢) لؤلؤة البحرين، المحدّث البحراني: ١٣١.

(٣) آداب السير والسلوك، رسالة من آقا محمد البيد آبادي للميرزا القمي، وقد طبعت في كتاب «تاريخ و فرهنگ قم» بتحقيق على الصدرائى الخوئى.

هان بيند يش تا ز خود رايى — نكنى پيروى ز مشايى
نروى از پى فلاسفه چون — هست نعم البدل فسانه نخوان
رهنماى تو مصطفى كافى است — پيشواى تو مرتضى وافى است
مصحف آفتاب راه بس است — آل احمد در آن پناه بس است[1]

من أعلام القرن الثالث عشر:

٦٣ ـ آغا محمد باقر بن محمد باقر الهزار جريبي الغروي، المتوفىٰ سنة ١٢٠٥

قال الميرزا النوري:

«العالم الجليل آغا محمد باقر بن محمد باقر الهزار جريبي الغروي. قال بحر العلوم في إجازته للسيد حيدر اليزدي: وما أخبرنا به بالوجوه الثلاثة المذكورة شيخنا العالم العامل العارف، وأستاذنا الفاضل، الحائز لأنواع العلوم والمعارف، جامع المعقول والمنقول، ومقرّر الفروع والأصول، جمّ المناقب والمفاخر، محمد باقر بن محمد باقر الهزارجريبي... قال في آخر إجازته المبسوطة لبحر العلوم طاب ثراهما ـ وهي موجودة عندي بخطّه الشريف كسائر إجازات مشايخه رحمهم الله بخطوطهم في مجموعة شريفة ـ: وأوصيه أيّده الله بالكدّ

---

(١) حكيم متألّة بيد آبادي احياگر حكمت شيعي در قرن دوازدهم هجري، علي كرباسي: ٢٤٢.

يقول:

من هو الأشعري؟ ما هو المعتزلي؟ — اذهب أنت على أثر النبي والولي
ألا! فتأمّل لكي لا تتبع — المشائى بسبب الإستبداد برأيك
لا تذهب على أثر الفلاسفة فإنّه — حينما يوجد نعم البدل فلا تقرأ الأسطورة
يكفيك المصطفىٰ للهداية — ويكفيك المرتضى للإمامة
شمس القرآن كاف لإضائة الطريق — والإلتجاء بآل أحمد كاف في فهم القرآن

في تحصيل المقامات العالية الأخروية سيّما الجدّ في نشر أحاديث أهل بيت النبّوة والعصمة صلوات الله وسلامه عليهم، ورفض العلائق الدنيّة الدنيوية، وإيّاه وصرف نقد العمر العزيز في العلوم المموهة الفلسفية، فإنّها ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً ﴾[1].

٦٤ ـ السيّد محمّد مهدي بحر العلوم، المتوفىٰ سنة ١٢١٢

قال رحمه الله في إجازته للعالم العامل السيد عبد الكريم بن السيد محمد بن السيد جواد بن العالم الجليل السيد عبد الله سبط المحدث الجزائري، بعد كلام له في اعتناء السلف بالأحاديث ورعايتها دراية وروايةً وحفظاً، ما لفظه:

« ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات، جانبوا العلم والعلماء، وباينوا الفضل والفضلاء، عمروا الخراب وأخلدوا إلى التراب نسوا الحساب وطلبوا السراب، سكنوا البلدة الجلحاء وتوطّنوا القرية الوحشاء، اطمأنّوا بمسرّات الأيام الممزوجة بالهموم والآلام، واستلذّوا لذائذها المعجونة بأقسام السموم والأسقام. فهم بين من اتّخذ العلم ظهريّاً والعلماء سخريّاً، وأولئك هم العوام الذين سبيلهم سبيل الأنعام، فهم في غيّهم يتردّدون، وفي تيههم يعمهون. وبين من سمّىٰ جهالة اكتسبها من رؤساء الكفر والضلالة، المنكرين للنبوة والرسالة، حكمة وعلماً، واتّخذ من سبقه إليها أئمة وقادة، يقتفى آثارهم ويتبع منارهم، يدخل فيما دخلوا وإن خالف نصّ الكتاب، ويخرج عما خرجوا وإن كان ذلك هو الحق الصواب، فهذا من أعداء الدين، والسعاة في هدم شريعة سيد المرسلين، وهو مع ذلك يزعم أنه بمكان مكين، ولا يدري أنّه لا يزن عند الله جناح بعوض مهين.

---

(١) خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ٢ / ٦١.

وثالث: رضي من العلم بادعاء العجائب في الذات والصفات والأسماء والأفعال، والوصال المغني عن الأعمال، المشوش لقلوب الرعاع والجهال، وهؤلاء هم الباطنية من أهل البدع والأهواء، المنتمين إلى الفقر والفناء، وهم أضر شيء في البلاد على ضعفاء العباد... وحسب هؤلاء القوم من تحصيلهم هذا دعاء أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام باعماء الخبر وقطع الأثر أو بدق الخيشوم وجز الحيزوم. وقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار**». وكفاهم خزياً وذلاًّ تشبيههم في كلام الملك الجبّار تارة بالكلب، والأخرى بالحمار الذي يحمل الاسفار، ذلك الخزي الشنيع، والذلّ الفظيع، أعاذنا الله وجميع الطالبين من موجبات الآثام، ومن أخلاق هؤلاء اللئام»[١].

٦٥ ـ العلامة آقا محمد على الكرمانشاهي بن الوحيد البهبهاني، المتوفىٰ سنة ١٢١٦

اشتهر بالنكير على الفلاسفة والصوفيّة، وقد شنّ هجوماً عنيفاً ضدّهم في زمانه وأفتىٰ بكفر جماعة من الصوفيّة وارتدادهم، ولما كان يحظى به من موقعيّة المرجعيّة والصدارة والمقبوليّة عند الطائفة تمكّن من إجراء حد الإرتداد علىٰ عددٍ منهم فقتلهم في اصفهان، ولم يكن ليجترء أحد على الإعتراض عليه. وقد ألّف كتابه «خيراتيّة در ابطال طريقه صوفيّة» وملأه بذكر مطاعن المتصوّفة والمتفلسفة مرّ ذكر بعضها، وقال أيضاً ما ترجمته:

«اعلم أنّ من البدع المستحدثة بعد وفاة أشرف الكائنات صلّى الله عليه وآله،

---

(١) خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ٢ / ٦٢.

اختلاط مذهب الإسلام مع القواعد الفاسدة للفلاسفة الذين كانوا حكماء اليونان والملط. ومن أجل ذلك أوّلوا الآيات والأخبار تأويلات بعيدة غير سديدة...

وقد روّجوا عقائد الملاحدة والزنادقة اعتماداً علىٰ التأويل وتبعهم علىٰ ذلك البلهاء. إلىٰ أن آل الأمر أنّ ثلاثة من الزنادقة والملاحدة تشاوروا فيما بينهم وقالوا: لو أنكرنا التنزيل فلن يقبل منا أحد بل يقتلوننا، كما فعلوا في مقابل معارضة ابن المقفّع وأصحابه مع القرآن وهي قصّة مشهورة ومعروفة، فقالوا: علينا الإقرار بالتنزيل ثمّ تأويل الآيات والروايات. فقاموا بتأويل الاحاديث وأضلّوا السفهاء والبلهاء».[1]

وقال أيضاً ما معرّبه:

«ان قالوا: أنّ الفلسفة وإن دخلت بين المسلمين في زمن المأمون، وما كانت في صدر الإسلام، إلا أنّ لها التأثير التامّ في فهم الأحاديث النبويّة و وعي المعارف الدينيّة.

قلنا: كيف يفتقر في كمال الدين إلىٰ الفلسفة، مع أنّه نزلت هذه الآية في يوم الغدير: ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[2]... وكيف يكون تتبّع الفلسفة دخيلاً في فهم مقاصد الدين مع مخالفتها لجميع الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة».[3]

ثمّ ذكر جملة من موارد مخالفتهم لضرورة الدين.

---

(١) خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيه، آقا محمد علي الكرمانشاهي: ٢ / ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) مائده: ٣.

(٣) خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيه، آقا محمد علي الكرمانشاهي: ٢ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

وقال بعد ذكر كلام القائل بوحدة الموجود والتمثيل بالبحر وموجه ما تعريبه:

«لاشك في أنّ هذا الإعتقاد كفر وإلحاد وزندقة ومخالف لضروري الدين».[١]

وقال في موضع آخر:

« لايخفىٰ أنّ كفرهم أظهر و أعظم من كفر ابليس عند أرباب البصيرة ؛ لأنّهم ينكرون المغايرة بين الخالق والمخلوق وبطلان هذا القول من الضروريات والبديهيّات عند جميع المذاهب والملل ».[٢]

وذكر في موضع آخر إجماع المليين علىٰ إباء الفلاسفة عن متابعة الأنبياء وعدّهم ذلك عاراً عليهم، وقال: إنّه لم يرد عن أحد من الأنبياء تلك الكفريّات التي اعتقد بها الفلاسفة كالقول بقدم العالم، وقاعدة الواحد لايصدر عنه إلا الواحد، وكون جهنّم عبارة عن بقاء الأرواح تحت فلك الأثير، والجنّة عبارة عن عروج الأنفس إلىٰ السماوات ولحوقها بالنفس الكيّة ونظائرها.[٣]

٦٦ ـ السيد محمد جواد العاملي، المتوفىٰ سنة ١٢٢٦

قال فى مفتاح الكرامة فى عداد كتب الضلال:

« وهو معقد الإجماع ومصب الفتاوى، كالتوراة والإنجيل فإنه قد نص المصنف في التذكرة والمقداد والكركي والقطيفي على أنهما محرّفان، ومعلوم أنهما منسوخان. وككتب القدماء من الحكماء القائلين بقدم العالم وإيجاب الصانع وعدم المعاد وكتب عبدة الأصنام ومنكري الصانع ».[٤]

---

(١) خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيه، آقا محمد علي الكرمانشاهي: ٢ / ٥٧.

(٢) خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيه، آقا محمد علي الكرمانشاهي: ٢ / ٥٨.

(٣) خيراتيّه در إبطال طريقه صوفيه، آقا محمد علي الكرمانشاهي: ٢ / ٢٩٢.

(٤) مفتاح الكرامة، السيد محمد جواد العاملي: ١٢ / ٢٠٧.

٦٧ ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، المتوفىٰ سنة ١٢٢٨

قال في مبحث النجاسات:

«الكافر قسمان: أوّلهما: الكافر بالذات و هو كافر بالله تعالى أو نبيّه... ، القسم الثاني: ما يترتّب عليه الكفر بطريق الإستلزام، كإنكار بعض الضروريّات الإسلاميّة و المتواترات عن سيّد البريّة، كالقول بالجبر و التفويض و الإرجاء و الوعيد و قدم العالم و قدم المجرّدات و التجسيم و التشبيه بالحقيقة و الحلول و الإتّحاد و وحدة الوجود أو الموجود... »[1]

٦٨ ـ المحقّق الميرزا أبو القاسم القمي صاحب القوانين، المتوفىٰ سنة ١٢٣١

عرف الميرزا القمي رحمه الله بمخالفته للفلسفة والتصوّف، وقد ألّف عدّة رسائل يردّ علىٰ معتقداتهم. فمن جملة ذلك ما كتبه في جواب المسائل الركنيّة، عندما سأله السائل عن رأيه في أمثال محي الدين، و بايزيد و العطار والمولوي، فقال قدّس سرّه ما ترجمته:

« إنّ ما تواتر منهم من كلمات صدرت عنهم، إن أرادوا ظاهرها فهم كفّار قطعاً، ويستحقّون اللعن مع إتمام الحجّة عليهم وتخلّفهم عن الحقّ. نظير ما قاله محى الدين في أول الفتوحات: « سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها ». وقد قال الشيخ علاء الدولة السمناني مع كمال إخلاصه لمحي الدين في الحاشية علىٰ الفتوحات: « إنّ الله لايستحيي من الحق، أيّها الشيخ لو سمعت من أحد أنّه يقول فضلة الشيخ عين وجود الشيخ، لاتسامحه البتة، بل تغضب عليه فكيف يسوغ لك أن تنسب هذه الهذيانات إلى الملك الديّان؟ تب إلى الله توبة نصوحا لتنجو من هذه الورطة

---

(١) كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء: ١ / ١٧٣.

الوعرة التي يستنكف منها الدهريّون و الطبيعيّون و اليونانيّون و السلام على من اتبع الهدى ».

وكذا نقل عن الفصوص والفتوحات أنّه قال : « من عبد صنماً فقد عبد الله به ، ولما اتخذ السامري عجلاً ودعا الناس إلىٰ عبادته ، خذل الله هارون ولم ينصره ؛ لأنّه أحبّ أن يُعبَد في كلّ صورة. وانّه تعالىٰ لم يكفّر النصارىٰ لقولهم بألوهيّة المسيح ، بل كفّرهم لأنّهم حصروا الإله في عيسىٰ »... وقد نسب محى الدين مذهب الجبر إلىٰ جميع العرفاء. وهذه بعض المقاطع من كلمات هذا الشيخ.

كذلك منصور الحلاج وقوله :أنا الحقّ ، وساير ما نقل عن بايزيد نظير ما قال الملا الرومي في وصفه :

با مريدان آن فقير محتشم	بايزيد آمد كه نك يزدان منم
گفت مستانه عيان آن ذو فنون	لا إله إلاّ أنا ها فاعبدون[1]

وأما المولوي الملا الرومي ـ مع غض النظر عن أنّه لا يستفاد من أوّل كتابه المثنوي إلىٰ آخره سوىٰ التسنّن ـ فظاهر اعتقاده بمثل ما قاله محى الدين وبايزيد ، وكلامه صريح في وحدة الوجود في مواضع عديدة. وما حكاه عن ابن ملجم صريح في الجبر ، قال في بداية القصّة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال له :

هيچ نقصى نيست بر جانم زتو	زانكه اين را من نمى‌دانم زتو
آلت حقى تو فاعل دست حق	چون زنم بر آلت حق طعن و دق[2]

---

(١) أي: قال لمردته بايزيد البسطامي ذاك الفقير المتعفّف: فالآن أنا الله ، قال ذاك الخبير في الفنون المتعدّدة بشغف واعجاب: لا إله إلا أنا فاعبدون.

(٢) أي: ليس أنت الذي أحدثت نقصاً في حياتي ، لأنّي لا أرىٰ ذلك منك ؛ أنت آلة في يد الله وما كان الفاعل سواه ، فأنّىٰ لي أن ألوم آلة فعل الله !

وفي أواخرها يقول :أن الإمام عليه السلام قال له :

ليك بى غم شو شفيع تـو مـنم   خواجه روحم نه مملوك تنم[١]

ولو قال أحد : يظهر مما ذكره في أواخر السفر الخامس من المثنوي أنّه يبطل الجبر حيث ذكر محاورة الجبري والقدري ـ وهي قصّة مطوّلة ـ قلنا : قد ذكر في آخر القصة ما هدم كلّ ما ذكره حيث قال :...

وأمثال هذه الكلمات التي رأيتموها في الكتب ، ولا تحتاج إلى التكرار. والغرض هنا ، أنّهم لو أرادوا من هذه الكلمات ظواهرها التي نفهمه نحن ، فهم كفار وملعونون بلا إشكال. ولو كان مرادهم ما لا نفهمه ـ كما يدّعي ذلك محبّوهم وأتباعهم ـ فهم فسّاق وفجار ، حيث أظهروا الكفر وجعلوا أنفسهم مستحقّين للمؤاخذة والطعن واللعن من الناس وكذا عقاب الله تعالىٰ وعذابه.

وذلك أنّه كما يحرم الإعتقاد بالكفر ، كذلك يحرم التفوّه به ، وان أحكام الشرع المقدّس مبنيّة علىٰ الظاهر... فلو لعن أحد هذه الجماعة لما ظهر منهم ، فليس عليه شيء حتىٰ لو لم يكونوا كفاراً في الباطن... بل لو عُلم إسلامهم في الباطن يحكم بفسقهم لتظاهرهم بهذه الكلمات...

وبغض النظر عن ذلك كلّه ، فإنّ كثيراً من علماء الشيعة الذين يعتمد عليهم مذهب الشيعة في نقل الأحكام الإلهيّة عن أئمتهم ، قد نقلوا حكايات كثيرة عن الحلاج وذكروا التوقيع الصادر من الناحية المقدّسة بلعنه ، وقد عدّه الجميع من الكذابين ، وقد ألّف الشيخ المفيد كتاباً في الرد علىٰ طريقة أشياعه...

وعلىٰ أي تقدير ، فهده الجماعة من أولياء عرفاء أهل السنّة ، وقد قاموا بتأسيس هذا المبنىٰ لمواجهة ائمتنا عليهم السلام وليطفئوا نور الله... »[٢].

---

(١) أي : لا تحزن فإنّي شفيعك ، وذاك أني سلطان الروح ولست مملوكاً للبدن.

(٢) جوابات المسائل الركنيّة ، الميرزا القمي : ٣٢٩ ـ ٣٣٥.

و قال أيضاً في الجواب عن سؤال السائل من انّ الآخوند ملاً صدرا قال بالعقول العشرة، بينما العلامّة المجلسي يقول: إنّ القائل بالعقول العشرة منكر لضروري الدين. ففيما أجاب قدّس سرّه أن قال ما ترجمته:

« الحاصل أن طريقتهم مباينة لطريقة الإسلام يقيناً ، وانّهم بعد أن فهموا شيئاً من قواعدهم وأصولهم وبنوا عليها اعتقادهم ، يلصقون أنفسهم بأهل الإسلام حذراً من التكفير وطعن أهل الإسلام ، ويأوّلون النصوص الدينيّة بمثل هذه التأويلات. وليس هذا معنىٰ الإسلام ولا متابعة الشرع. مع أنّه لايوافق شيىء من قواعدهم مذهب الإسلام ، فلا المعراج الجسماني يوافق استحالة الخرق والإلتيام علىٰ الأفلاك ، ولا ركوب الملائكة مراكب بُلق ونصرتهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله بالحراب ، ولبسهم العمائم بطريقة خاصّة ، وتمثّل جبرئيل بصورة دحية الكلبيّ وجلوسه أمام النبي خاضعاً ، يوافق مع كون جميع الملائكة روحانيين بل مجردين وكون جبرئيل كناية عن العقل الفعال وكون الوحي عبارة عن اتصال نفس النبي بالعقل العاشر ، ولاحدوث العالم وكون ما سوىٰ الله مسبوقاً بالعدم في وقت خاص يلائم مع قدم العقول والأفلاك ، ولا الإخبار بفناء جميع الأشياء والسماوات مع قاعدة ما ثبت قدمه امتنع عدمه.

وقد سمعت من بعض المنتحلين للشريعة من هذه الطائفة أنهم قالوا :أنّىٰ خالفنا القرآن والحديث ؟ فإنّه ليس المستفاد من الحديث والآية سوىٰ حدوث العالم ،ولكن كيف يمكن اثبات كون هذا الحدوث هو الحدوث الزماني ولايراد منه الحدوث الذاتي ؟ بمعنىٰ تقدّمه تعالىٰ في مرتبة العليّة علىٰ ما سواه فإن هذا أيضاً حدوث.

فكأنّهم لم يقرأوا قول الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ

قَوْمِهِ ﴾[1] ، فمتىٰ فهم العرب من الحدوث هذا المعنىٰ ؟ ومتىٰ فهموا من قوله : «كان الله ولاشيء معه» هذا المعنىٰ ؟ ومتىٰ خطر ببالهم من لفظ خلق وأوجد هذا المعنىٰ ؟ ».[2]

وقد وجّه اليه من قبل سلطان القاجار سؤال مفاده: أنه ما هو حكم من قال بايمان فرعون وأنّه من الناجين، فهل هو مسلم أم كافر أم فاسق؟ وهل يستحقّ اللعن أم لا؟ وأنّ البعض يقول: بما أنّ هذا الكلام صدر من ملاصدرا فلاينبغي أن يساء الأدب معه، فهل الأمر كذلك أم أنّ القائل حتىٰ لو كان أكبر من ملاصدرا يجب لعنه والتبري منه ؟[3]

وقد كتب الميرزا القمي في جوابه عن هذه الأسئلة رسالة بسط فيها القول عن معتقدات ابن العربي وملاصدرا وغيرهما، وقد حذّر فيها السلطان القاجاري منهم ومن عقائدهم. ومما كتبه في هذه الرسالة أن قال ما ترجمته:

« من المتيقّن أنّ الله تعالىٰ أرسل رسله من لدن آدم إلىٰ اليوم فآمن بهم بعض وكفر آخرون. وقد مدح المؤمنين في الكتب السماويّة كما ذمّ الكفار. فلو قال أحد بعد ذلك أنّ المؤمن والكافر كلاهما مرضيان أو أنّ الكفار أعلم من المؤمنين، فهو إما جنون أو كفر مبطّن، كما أنّ المنافقين من أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله، أبطنوا كفرهم القديم وأظهروا الإسلام خوفاً أو طمعاً. ويجب أن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، فمن قال ذلك فهو إما كافر أو مجنون.

---

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) جوابات المسائل الركنية، الميرزا القمي: ٣٦٤ ـ ٣٦٦.

(٣) رسالة «ايمان فرعون» بالفارسيّة، المطبوعة مع رسالتين أخريين للميرزا القمي بعنوان «سه رساله در نقد عرفان» : ١٢٠.

وإعتقاد هذه الجماعة بالجبر أو وحدة الوجود أو الإتحاد يُلجئهم ليروا كلّ شيء مظهراً لواجب الوجود، فينبغي الكلام معهم في أصل هذه المسائل وإلا فإنّ اللازم من الجبر والإتحاد ليس غير هذا، وبطلان المسلكين في غاية الوضوح...

وقد أنبئ الأنبياء من آدم إلىٰ الخاتم وأوصياؤهم أنّ الله تعالىٰ مباين للخلق، و أنّ وجوده تعالىٰ غير وجود العبد، وقال في آيات كثيرة: خلقنا الإنسان ولم يك شيئاً. فكيف يجتمع هذا مع كون وجود المخلوقات ترشحات من فيض الله؟ أو أنّها وجوده المتشكّل بأشكال مختلفة؟... فعليه تكون جميع هذه الآيات والأخبار من الإساطير.

وفد نطقت الكتب الإلٰهيّة بالمعاد الجسماني وعودة البدن، والتألّم بالنار، والتنعّم بالنعيم الجسمانيين، وقد هتف به القرآن من أوله إلىٰ آخره كما قال: ﴿ **قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيم قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾[1]... فكيف يجمع هذا مع كون المراد من احياء العظام البالية خيال ومثال؟... ولو كانت المخلوقات مظاهر تجلي الله فيكون جميع أفعالهم فعل الله، فلايبقىٰ ثمّة حلال ولاحرام، ولا أمر ولانهي، ويكون القرآن والدين من الأساطير والقصص. »[2]

ثمّ ردّ عليهم قولهم انّ هذه المطالب من الأسرار ولايعرفها علماء الظاهر وقال:

« فهذه الجماعة لو لم يكونوا كفاراً فإنّهم فسّاق علىٰ أقلّ التقدير، بل من أفسق الفسّاق، بل من المفسدين في الأرض الذين يفسدون دين الناس ودنياهم ويلقون بينهم نيران العداوة والبغضاء، فكيف يعتمد علىٰ خبر الفاسق؟...

---

(١) يس: ٧٨ و ٧٩.

(٢) المصدر السابق: ١٢٧ ـ ١٣٢.

وأظنّ أنّ القائلين بتوبة فرعون انما استحيوا من المسلمين بل ومن اليهود وغيرهم أن يقولوا: انّ فرعون من أولياء الله... وإلا فإنّهم لايرون فرعون إلا رجلاً عرف نفسه وحقيقته، ولذلك سمّاه بعضهم بالأفلاطون الإلهي، كما قال بايزيد البسطامي: لا إله الا أنا و ليس في جبتي سوىٰ الله. وقال الحلاج: أنا الحق».[١]

ثمّ بدأ يبسط الكلام في ما يدّعىٰ من ايمان فرعون وتوبته فقال:

«انّ هذا الكلام إنما هو من محي الدين الشقي الضالّ المضلّ الذي ينبغي أن يسمّىٰ بمميت الدين وماحي الدين. فإنّ طاماته وهجرياته ودعاويه الباطلة أكثر من أن تذكر في هذا المجال».[٢]

ثمّ بعد أن أبطل كلام ابن العربي في ذلك قال:

«وملخّص الكلام؛ أنّ هذا الكلام من محي الدين إما لطف إلٰهي ليظهر كفره وفساد عقيدته عند المسلمين لكي لايغترّوا به ـ لاسيّما كلماته العرفانيّة الخداعة التي غرّت كثيراً من أهل المعرفة ـ أو جنون وفقدان للوعي فلايعلم ما قال وما كتب، وأمثال كلماته هذه كثير.

بل الظاهر أنّ ما تحمّلناه من تعب لإثبات عدم قبول توبة فرعون لاوجه له؛ فإنّه لايُعلم أنّ محي الدين يرىٰ فرعون طالحاً، ولو كان يراه كذلك فإنما لحصره الألوهيّة في ذاته كما قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي﴾[٣] بل هو وغيره كلهم عين الإله أو وجوده؛ لأنّهم يرون الوجود واحداً منحصراً بالله».[٤]

---

(١) المصدر السابق: ١٣٩ و ١٤٠.

(٢) المصدر السابق: ١٤٠.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) المصدر السابق: ١٥٥.

ثمّ ذكر أنّ كثيراً من أقواله يظهر منها هذا الإعتقاد، نظير ما ذكره في الفصّ الهاروني من عبادة العجل، وأنّ الله أحبّ أن يعبد في صورته، وأنّ عتب موسىٰ علىٰ أخيه هارون كان لأجل عدم دركه الأمر. وما ذكره في قوم نوح حيث قال: أنّ نوحاً انما دعاهم إلىٰ عبادة الله علىٰ وجه المكر والخديعة، حيث انّ المدعوين لم يفقدوا الحق حتىٰ يدعوا اليه؛ لأنّهم من مظاهر الهويّة الإلهيّة في بعض مراتب الوجود، فالحق معهم بل هم عين الحقّ. وقال ما ترجمته:

« انّه يظهر من بعض عباراته ،أنّ قوم نوح انما غرقوا في بحار رحمة الله، مع أنّ صريح القرآن وضرورة الدين تدلان علىٰ أنّ الله قد غضب عليهم وهم من أهل النار. ومن كان له أدنىٰ حظّ من علم اللغة العربية، إذا قرأ سورة نوح وتأمّل فيها سوف يقف علىٰ مدىٰ بعد كلام هذا الأحمق الزنديق، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[1] والحكمة تقتضي ذلك أيضاً.

فلم يوضع في لغة العرب لفظ السماء للأرض ولفظ الأرض للسماء! وفهم هذا الأحمق من الكلام الإلهي أبعد مما بين السماء والأرض. ومع هذا كلّه فأيّ وجه يبقىٰ لدعوىٰ الإسلام ومتابعة الرسول والقرآن ؟...

وعلىٰ كلّ حال، فإنّ ما يفهمه ابن العربي وينسبه إلىٰ الله تعالىٰ، محض افتراء وبهتان. فإنّ القرآن الذي هو من معجزات خاتم الرسل صلّى الله عليه وآله، ويعدّ بلاغته أحد وجوه إعجازه حيث عجزت أقوام العرب مع كمال فصاحتهم وبلاغتهم عن أن يأتوا بسورة من مثله، فآثروا علىٰ أنفسهم القتل والنهب والأسر، فهذا القرآن يكون مع تفسيرات ابن العربي في غاية الوهن والسخافة وينفر منه كلّ جاهل فضلاً عن العلماء ».[2]

---

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) المصدر السابق: ١٥٧ و ١٥٨.

ثمّ ذكر بعض عباراته التي تدلّ علىٰ مذهب الجبر، وأنّ عاقبة الجميع إلىٰ الخير ولايفرق في ذلك فيما بين فرعون وموسىٰ، ولابين ابن ملجم وأمير المؤمنين عليه السلام. ثمّ أشار إلىٰ حثّه الأكيد في مواضع متعددة من كتابه علىٰ عدم إنكار عبادة الأصنام، فإنّ جميعها مظاهر للهويّة الإلهيّة، وأنّ أشعار الملا جلال الدين الرومي مشحونة بهذه العقائد الفاسدة.

وقال ما ترجمته:

«انّ جملة من العقائد القلبيّة داخلة في الضروريات، كالمعاد الجسماني والسؤال في القبر ونظائرهما... فإذاانكر هذا المعنىٰ من المعاد أحد من المسلمين أوأنكر حشر الأجسام أوأنكر النار والجحيم والجنّة، ولم يحتمل عروض الشبهة في ذهنه، فهو كافر لأنّه أنكر الله ورسوله».[١]

وللميرزا القمّي رسالة أخرىٰ وجّهها إلىٰ السلطان القاجاري أيضاً، يحذّره من أن ينخدع بشبهات الصوفيّة والقائلين بوحدة الوجود، يذكر فيها جملة من عقائد محي الدين في الفصوص والفتوحات، وقال: انّه لايمكن الجمع بين ما ذكره محى الدين وبين ما بيّنه الشرع المبين مما لامجال لإنكاره. وقد بسط فيها الكلام حول عقيدة وحدة الوجود وزيّف الأدلّة التي قد تقام لإثباتها، وكذا بسط الكلام في بطلان قاعدة «الواحد لايصدر عنه الا الواحد» وقال: إنّ هذا القول يستلزم منه نفي قدرة الله تعالىٰ واثبات العجز له تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً، حيث لايقدر علىٰ ايجاد غير العقل الأول، وكذا يخالف هذا القول الدين والقرآن والسنة بل اجماع جميع المليين، فإنّ القرآن من اوله إلىٰ آخره يناقض هذا المبنىٰ الفلسفي.

ثمّ أطلق عنان الكلام في مسألة الحدوث، وقال: إنّ قول الفلاسفة بقدم العقل

---

(١) المصدر السابق: ١٧٦.

الأول مخالف لضرورة الشرايع، وأنّه لايجديهم القول بالحدوث الرتبي، فإنّه من البديهي لزوم وجود الخالق قبل المخلوق، وما يمثّل به من حركة المفتاح في اليد الذي هو متأخر عن حركة اليد رتبة ومتحد معها زماناً، مدفوع بأنّ حركة اليد والمفتاح كلتاهما معلولان لصاحب اليد، ومعلوم انّ صاحب اليد وإرادته متقدّمتان علىٰ حركة المفتاح وحركة اليد.

ثمّ نصح السلطان من أن لايغترّ بظاهر الصوفيّة والقائلين بقدم العقول ووحدة الوجود، ومن جملة نصايحه أن قال ما ترجمته:

« وعلىٰ كلّ حال فلا أدري ما أصنع ؟ فإنّه قد نسمع في بعض الأحيان أنّهم يريدون أن يلقّبوا السلطان بإسم «وليّ الأمر» الذي هو من مذهب أهل السنّة ومخالف لمذهب الشيعة، فيفتخر به أهل السنّة بأن سلطان الشيعة قد تبعهم. ومن جانب آخر يريدون أن يحرفوا السلطان الىٰ مذهب الصوفيّة الذي هو مذهب الإباحيّة، فيخرجونه من الدين وهو شرّ من التسنّن، وبما أنّ أصل التصوف مقتبس من النصارىٰ، فيفتخر النصارىٰ والغرب بأنّ سلطان الشيعة قد صار منّا، وقد يحاولون إثبات العقول القديمة التي تؤول إلىٰ الكفر ».[1]

ثمّ بيّن أنّ وصف أولي الأمر لايجوز إطلاقه عند علماء الشيعة أجمع علىٰ غير المعصومين عليهم السلام، وأنّ إطلاقه علىٰ كلّ من بايعه الناس انّما هو من مذهب أهل السنّة، الىٰ أن قال:

« وأما حكاية العقول العشرة وطريقة الفلاسفة، فإنّ ذلك بدأ من نحوسة المأمون الملعون، حيث أراد أن يثبت عدم أهليّة الإمام الرضا عليه السلام

---

(١) رسالة «رد بر صوفيه و وحدت وجود» بالفارسيّة المطبوعة مع رسالتين أخريين للميرزا القمي بعنوان «سه رساله در نقد عرفان» : ٢٦٣.

للإمامة، فجمع من علماء اليهود والنصارىٰ والصابئين والمجوس وغيرهم، وحينما غلبهم الإمام عليه السلام طلب المأمون كتب الفلاسفة من سلطان الروم فأرسلها اليه، فأمر المأمون بترجمتها إلىٰ العربيّة ونشروها بين الناس، لعل الناس يتراجعون عن الإمام الرضا عليه السلام.

وبمقتضىٰ مقولة أنّ الناس علىٰ دين ملوكهم، مال الناس إلىٰ طلب هذه العلوم، وقد مشىٰ السلاطين اللاحقون علىٰ درب السابقين، ورغب الناس فيها تقرّباً إلىٰ الحكّام. حتىٰ آل الأمر إلىٰ أن ظنّ الحمقىٰ من الطلبة أنّ العلم منحصر فيها، وأصرّوا علىٰ ذلك واستخفّوا بقواعد الشرع والدين، إلىٰ الحدّ الذي قد يبلغ عمر أحدهم الستين أو السبعين وهو لايعرف شيئاً من أحكام العبادات. وببركة جهود ثلّة من علمائنا في العصور الأخيرة، الذين نصحوا ملوك زمانهم وحذّروهم من خطر هذه العقائد، وهن أمر أولئك، وأصبحت الأمور علىٰ ما يرام والحمد لله.

والآن حيث وصلت الدولة والسلطة إلىٰ سلطاننا ـ الذي هو صفوة ملوك الدهر وصاحب العقائد الحقّة وناشر الدين والمذهب ـ حاول بعض شياطين الإنس أن يفسدوا عقيدته ويستميلوه إلىٰ طريقتهم الباطلة، لكي تفسد عقيدة الناس بمقتضىٰ مقولة الناس علىٰ دين ملوكهم».[1]

ثمّ بيّن رحمه الله أنّه لايستغرب من اجتماع جمع غفير ـ لاسيما بعض العلماء المشهورين ـ علىٰ تلك الآراء والمتبنيات الفاسدة والدين المبتدع الذي ليس له أصل ولا أساس. إذ أنّ الله قد امتحن الناس في دار الدنيا بهذه الإختلافات وأعطاهم العقول والافهام ليميزوا الخبيث من الطيب، كما جعل فيهم الهوىٰ والشهوات، وطلب منهم أن يجاهدوا في طلب الحقّ ولايتّبعوا الآباء والأجداد

---

(١) المصدر السابق: ٢٦٥.

والسادات والكبراء وعلماء القوم.

ثمّ ذكر نموذجاً لبيان كيفيّة انتشار العقائد الفاسدة والمذاهب المخترعة، لكي لايستغرب أحد من نشر عقائد الفلاسفة والمتصوّفة بين المسلمين والتي بدأت ـعلىٰ حدّ كلامه ـمن مأمون العباسي، وهي الفرقة الوهابيّة التي بدأت وانتشرت من محمد بن عبد الوهاب ذاك الرجل المجهول الساكن في الدرعيّة. فذكر أنّه كان في الثاني أو الثالث والعشرين من عمره حيث سمع ظهوره في بلاد نجد ثمّ هجرته إلىٰ العراق وإيران، فوضع أساس مذهبه علىٰ تكفير المسلمين ونصب العداء لأهل بيت الرسول عليهم السلام، ونصرهم علىٰ ذلك آل سعود، فوسّعوا سيطهم و تجاوزوا عن بلاد نجد و تبعهم علىٰ بدعتهم جمع كثير. فهاجموا بلاد المسلمين حتىٰ قتلوا آلاف الأبرياء من الشيعة والعلماء والصلحاء بجوار سيد الشهداء روحى فداه. ثمّ قال: انّ هذا المذهب بهذه الشدّة والنفوذ والإنتشار انما حدث من قبل رجل واحد وهو ذاك الملعون، وفي هذه المدّة القليلة ـوأنا في الثمانين ـ بلغ أمره إلىٰ ما بلغ. فانتشار جميع المذاهب الفاسدة ـالتي قد مرّ ذكر بعضها ـ يكون على هذا المنوال.

ثمّ نصح الملك وقال:

« أيها السلطان ! يا ملاذ الشيعة ! يا رجاء الضعفة ! انزل هذا الشيخ الهرم المنكسر منزل الوالد الشفيق، واقبل كلامي الصعب الذي يكون كالدواء المرّ غير هنيء في الذائقة، واجعله عندك هنيئاً مريئاً. واحذر ـ أشدّ الحذر ـ من حلاوة كلمات شياطين الزمان وشهدها التي تكون كالطعام اللذيذ المسموم، عسىٰ أن تنتفع ـ بحول الله وقوته ـ من ثمراته، ببركة ماكتبه هذا السعيد في الردّ علىٰ تلك العقائد الباطلة ».[1]

---

(١) المصدر السابق: ٢٦٧.

وللميرزا القمّي رسالة أخرىٰ ردّ فيها علىٰ الصوفيّة، كتبها في الجواب علىٰ استفتاء حول الذكر الفكري الذي ذهب اليه بعض فرق الصوفية، وأنّ معرفة الله تكون بتصور وجه الشيخ. حيث فنّد فيها أيضاً جملة من عقائدهم نظير قولهم بوحدة الوجود وكذا قولهم بانتهاء مدّة العذاب وأنه ينبت الجرجير في قعر جهنم[١]. وقال انّهم الكذابون الذين يكذبون علىٰ الأئمّة عليهم السلام.[٢]

٦٩ ـ العلامّة السيّد عبد الله الشبّر، المتوفّىٰ سنّة ١٢٤٢

أكثر من بيان عقائد الإماميّة الحقّة ومباينتها لما ذهب إليه الفلاسفة في تصانيفه القيّمة المتعدّدة، ومنها كتابه «حقّ اليقين» الذي زيّف فيه كثيراً من المعطيات الفلسفيّة والصوفيّة. فمن ذلك ما قال في مبحث الخلود:

« اعلم أنّه لا خلاف بين كافّة المسلمين في أنّ الكفّار الذين تمّت عليهم الحجّة مخلّدون في النار وفي العذاب، وقد تظافرت بذلك الآيات وتواترت به الروايات عن النبي والأئمّة الهداة، بل هو ضروري الدين لا خلاف فيه بين أحد من المسلمين. إلىٰ أن انتهت النوبة إلىٰ بعض من ينتحل الإسلام من المتصوّفة والمتفلسفين فتركوا التمسّك بكتاب الله الذي ﴿ لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ ﴾[٣] وبسنّة رسول الله الذي ﴿ وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾[٤] واستبدلوا بأوهامهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة فزعموا أنّ الكفار وإن كانوا مخلّدين

---

(١) ذكره ابن العربي وملا صدرا كما مرّ.

(٢) رسالة «اجازه ذكر» المطبوعة مع رسالتين أخريين للميرزا القمي بعنوان «سه رساله در نقد عرفان»: ٥٤ ـ ١١٥.

(٣) فصلت: ٤٢.

(٤) النجم: ٣ و ٤.

في النار إلىٰ ما لانهاية له، إلا أنّ عذابهم لابدّ له من انقطاع وزوال، فتكون النار عليهم برداً وسلاماً بعد ذلك. وأوّل من فتح هذا الباب فيما أظنّ محي الدين العربي في الفصّ اليونسي من فصوص الحكم... ».[١]

٧٠ ـ المحقق المولىٰ احمد النراقى، المتوفىٰ سنة ١٢٤٥

من أعلام الدهر، أستاذ الشيخ مرتضى الأنصاري، له تصانيف كثيرة نظير مستند الشيعة وعوائد الأيام ومعراج السعادة وأساس الأحكام وغيرها. ذكر فى رسالة اجازته إلى إبنه المولىٰ محمد النراقى:

« واعلم أنه لا نجاة إلا بتخلية الباطن من رذائل الصفات وتحليته بفضائل الأخلاق والملكات، فملاك الأمر وضامن النجاة هو التخلق بالأخلاق المرضية والتزين بالفضائل الخلقية، فإنها نفس البهجة والسعادة بتصريح النبيين وإجماع المسلمين وإطباق حكماء اليونان والفرس والهند والصين».[٢]

فهو يرىٰ حكماء اليونان والفرس والهند والصين بأجمعهم مباينون مع الأنبياء والمسلمين.

وقد رأى رحمه الله أنّ الفلسفة ليست من العلوم الدينيّة و لاتمتّ للشرع والايمان بصلة فلايجب تعلّمها و لايستحبّ، فقال:

« لو اشتغل عن التكسب بطلب العلم المانع عن الكسب، فإن كان العلم ممّا يجب تعلّمه عينا أو كفاية بشرط عدم قيام الغير به، فلا شك في جواز أخذ الزكاة، لأنّه مانع عن التكسب، وقد عرفت جواز الأخذ مع

---

(١) حقّ اليقين، السيد عبد الله الشبّر: ٢ / ١٧٨.

(٢) مقدمة تحقيق عوائد الأيام: ٨٤.

المانع. وإن كان مما لا يجب تعلّمه ولا يستحب ـ كالرياضيات، والفلسفة، وكثير من الكلاميات، والسير، والعروض والأدبية، لمن لا يريد التفقّه في الدين ـ فلا شك في عدم جواز أخذ الزكاة له، لصدق المحترف وعدم الدليل على التخصيص »[١].

وقال في كتابه معراج السعادة في بيان كيفيّة الحصول علىٰ حالة اليقين في العقائد ما ترجمته:

« ويجب أن تجعل العقائد الحقّة في قلوب الأطفال وساير العوام راسخة لاتتزلزل، وليس سبيل ذلك أن يتعلّم الجدل والمناظرة، أو يشتغل بقراءة كتب الكلاميّة والحِكَميّة. بل عليه أن يشتغل بتلاوة القرآن والتأمّل في تفسيره وقراءة الأحاديث ودراية معانيها، وأن يواظب علىٰ الواجبات والطاعات، فتقوى عقيدته يوماً بعد يوم بسبب ما يوقف عليه من الأدلّة القرآنيّة والحجج المعصوميّة، ولأجل ما يدخل في قلبه من النور أثر المواظبة علىٰ العبادات...

وعليه أن يحذر عن الإستماع إلىٰ الجدل والكلام وشبهات المتكلّمين الباطلة، فإنّ فساد مجادلة المتكلّمين ومناظرتهم أكثر من إصلاحها. والشاهد علىٰ هذه الدعوىٰ ما نشاهده من عقائد أهل الصلاح والتقوىٰ من عوام الناس أنّها صلبة كالجبال الراسيات لاتتزلزل ولاتتحرّك، وهم لايعتنون بشبهات أهل الجدل وتشكيكاتهم ولاتضطرب عقيدتهم من سماعها. بينما عقيدة من صرف عمره في طلب علم الكلام والحكمة المتعارفة واشتغل يومه ونهاره بالمجادلات والمباحثات الكلاميّة، تكون كحبل مُلقىٰ تجاه الرياح يحرّكه كلّ ساعة إلىٰ جهة من الجهات

---

(١) مستند الشيعة، المحقق النراقي: ٩ / ٢٦٨.

فتارة يذهب إلىٰ هنا وتارة هناك، وبرهة يميل إلىٰ الشمال وأخرىٰ إلىٰ اليمين، ويزيل عقيدتهم كلّ ما يسمعون، وبمجرّد عدم وعي شيء بعقلهم القاصر يتأمّلون في عقيدتهم، ولو كان لهم إعتقاد صحيح فهو ما أخذوه في الطفوليّة».[1]

وله كتاب «مثنوي طاقديس» الذي نظم فيه أشعاراً بالفارسيّة ساجل بها جلال الدين المولوي الرومي كتابه المثنوي، فبيّن فيه كثيراً من إعوجاجات الصوفيّة والفلاسفة بصورة شعريّة بديعة، فمن أشعاره قوله:

آن يكى گرديد محو فلسفه — خويش را دانا شمرده از سفه
فكر او تحديد اطراف و جهات — كار او تشريح حيوان و نبات
از قديم آمد جهان يا حادث است — آفريدش يا عرض يا عابث است
بى‌خبر ليكن ز احكام اله — مى‌ندارد جز نمازى گاه گاه
صد دليل آرد پى تجريد نفس — نفس او ليكن به صد زنجير حبس
اى خدو بر روى علم و فضل تو — تيره صد مَدْرَس بود از جهل تو
وهم و پندارى به هم آميختى — شورى از چون و چرا آميختى
نامش استدلال و برهان ساختى — مهر چيدى و قمارى باختى
صد خطا زين گونه استدلال ها — ديده‌اى در ماه‌ها و سال‌ها[2]

---

(١) معراج السعادة، ملا أحمد النراقي: ١١١ و ١١٢.

(٢) مثنوى طاقديس، ملا احمد النراقي: ١١٨ ـ ١١٩.

يقول:

انمحىٰ ذاك الرجل في الفلسفة — وظنّ أنّه عالم لشدّة سفاهته
يتفكّر في تحديد الأطراف والجهات — ويعمل في تشريح الحيوان والنبات
هل العالم قديم أم حادث — هل هو مصنوع أم عرض أم عبث

←

وأيضاً:

هيچ دانى چيست صوفى مشربى	ملحدى بنگى مباحى مذهبى
قيد شرع از دوش خود افكنده ايى	كهنه انبانى ز كفر آكندهايى
من ندانم چيست اين صوفى گرى	كه سراسر حقهاش چون بنگرى
راه و رسم صوفيان خواهى تمام	حلق و جلق و دلق باشد والسلام[1]

٧١ ـ الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، المتوفىٰ سنة ١٢٦٦

قال العلامة النمازي:

« في كتاب السلسبيل للعلامة الجليل الحاج ميرزا أبو الحسن الإصطهباناتي قال: سمعت عن بعض تلامذة صاحب الجواهر أنّه في مجلس درسه جاء بعض أهل العلم وفي يده كتاب من الفلسفة، فسأل عنه

←

لكنّه جاهل بأحكام الله	ولا يصلّي إلا بعض الأوقات
يقيم مائة دليل علىٰ تجرّد النفس	بينما نفسه محبوس بمائة أغلال
أيا أفّ على علمك وفضلك	قد أظلمت عشرات المدارس بجهلك
قد اختلطت الوهم بالظنّ	وصنعت خليطاً من لِمَ وبِمَ
وقد سمّيته إستدلالاً وبرهانا	وهو ليس إلا لعبة وقمارا
قد رأيت عشرات من الخطأ والإشتباهات	من هذه الإستدلالات في الشهور والسنين

(١) مثنوى طاقديس، ملا أحمد النراقي: ١٢٠.

يقول:

هل تعلم ما هي ديانة الصوفي	هي الإلحاد وفقد الوعي والإباحيّة
ألقيت من عاتقك قيد الشريعة	وأملأت كيسك الخَلِق من الكفر
لا أدري ما هو التصوّف	الذي لاترىٰ فيه سوىٰ المكر والخدعة
إذا أردت أن تعلم مذهب المتصوّفة بالتمام	فهو الحلق والجلق والدلق والسلام

عما في يده، فلما رآه صاحب الجواهر قال: والله ما جاء محمّد من عند الله إلا لإبطال هذه الخرافات والمزخرفات»[١].

و قال رحمه الله في عداد كتب الضلال نقلا عن استاذه:

«ككتب القدماء من الحكماء القائلين بقدم العالم وعدم المعاد، وكتب عبدة الأصنام ومنكري الصانع»[٢].

٧٢ ـ الشيخ الأعظم المرتضى الأنصاري، المتوفىٰ سنة ١٢٨١

قال في مبحث تعارض الدليلين العقلي والنقلي:

« وكلما حصل القطع من دليل نقلي، مثل القطع الحاصل من إجماع جميع الشرائع على حدوث العالم زمانا، فلا يجوز أن يحصل القطع على خلافه من دليل عقلي، مثل استحالة تخلف الأثر عن المؤثّر، ولو حصل منه صورة برهان كانت شبهة في مقابلة البديهة».[٣]

فقد اعتبر جميع براهين الفلاسفة علىٰ قدم العالم شبهة في مقابلة البديهة، وأنّهم قد خالفوا اجماع جميع الشرايع حيث نفوا الحدوث الزماني.

وقد أنبئ رحمه الله عن السيرة المستمرّة من الفقهاء في تكفير الفلاسفة المنكرين لبعض الضروريات، فقال:

« ويؤيّدها ما ذكرنا من أن التارك للتدين ببعض الدين خارج عن الدين، والسيرة المستمرّة من الأصحاب في تكفير الحكماء المنكرين لبعض

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ على النمازي: ٨ / ٢٩٧. وانظر: السلسبيل للإصطهباناتي: ٣٨٧، وقد ذكره أيضاً التنكابني في قصص العلماء: ١٠٥.

(٢) جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفي: ٢٢ / ٥٩.

(٣) فرائد الأصول، الشيخ الأنصاري: ١ / ٥٧.

الضروريات مع العلم أو الظن بأنه لم يكذب النبي صلّى الله عليه وآله في ذلك ، لا أقل من الأحتمال »[١].

وقال رحمه الله في مبحث حرمة حفظ كتب الضلال :

« وحينئذ فلا بد من تنقيح هذا العنوان وأن المراد بالضلال ما يكون باطلا في نفسه ؟ فالمراد الكتب المشتملة على المطالب الباطلة ، أو أن المراد به مقابل الهداية ؟ فيحتمل أن يراد بكتبه ما وضع لحصول الضلال ، وأن يراد ما أوجب الضلال وإن كان مطالبها حقة ، كبعض كتب العرفاء والحكماء المشتملة على ظواهر منكرة يدعون أن المراد غير ظاهرها ، فهذه أيضا كتب ضلال على تقدير حقيتها »[٢].

وكلامه هنا يضاهي ما مرّ من كلام المحقّق القمي ، أي أنّ كتب الفلاسفة والصوفية مشتملة علىٰ ظواهر منكرة ، فإن أرادوا هذه الظواهر فهم كفار بلاريب ، وان لم يريدوها فكذلك تكون كتبهم كتب ضلال ، للتمويه والتعتيم علىٰ الناس.

من أعلام القرن الرابع عشر :

٧٣ ـ السيد أبو الحسن الرضوي ، كان حياً سنة ١٣٠٨

جاء في ترجمته :

« أبو الحسن بن محمد الرضوي المشهدي ، لعله المترجم في « نقباء البشر » ص ٤٥ ، ونقول : له إلمام بعلم الكيمياء والصنعة ، رأيت مجموعة من الرسائل كتب المترجم له عليها تعاليق بين سنتي ١٣٠٨ ـ

---

(١) كتاب الطهارة ، الشيخ الأنصاري : ٢ / ٣٥٦.

(٢) كتاب المكاسب ، الشيخ الأنصاري : ١ / ٢٣٥.

١٢٩١، وتحامل فيها شديداً على ابن سينا وصدر الدين الشيرازي وغيرهما من الفلاسفة».[١]

٧٤ ـ المولىٰ محمد تقي الفراهاني، المتوفىٰ أوائل القرن ١٤

جاء في ترجمته:

«محمد تقي الفراهاني محدث فاضل متتبع، من أعلام أوائل القرن الرابع عشر، يذمّ الفلاسفة ويعتبرهم بعيدين عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام. له الايمان والولاية».[٢]

٧٥ ـ السيد محمد الملقب ببحر العلوم، المولود سنة ١٢٦٩

ألّف كتاباً يرد به على الفلاسفة، ذكره في الذريعة وقال:

«العرشية، رسالة فارسية في تحقيق العرش والكرسي من الآيات والاخبار والرد على الفلاسفة في ألفي بيت، للسيد محمد الملقب ببحر العلوم ابن ميرزا هبة الله بن الحاج ميرزا رفيع المجتهد القزويني، نزيل مشهد خراسان والمولود ١٢٦٩».[٣]

٧٦ ـ الفاضل القندهاري، المتوفىٰ سنة ١٣١١

ألّف كتاباً في ردّ الصوفيّة والفلاسفة سمّاه بمصارع الملحدين، ففي الذريعة:

«مصارع الملحدين في رد الصوفية والمتفلسفين، للفاضل القندهاري الحاج مولى عبد الله بن نجم الدين القندهاري المشهدي. المتوفى ١٣١١».[٤]

---

(١) تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني: ١ / ٣٣.

(٢) تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني: ٢ / ٦١٦.

(٣) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٥ / ٢٤٤ / ١٥٨٤.

(٤) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢١ / ٩٨ / ٤١١٤.

٧٧ ـ المحقّق محمّد باقر الخوانساري صاحب الروضات المتوفّىٰ ١٣١٣

قال في ابن العربي:

« من العرفاء بالباطل والمين والمتصوّفة الذين خسروا الدارين ، وهم... ومحي الدين الاشبيلي الأندلسي الذي هو في الحقيقة ماحي الدين ومجانب طريقة الملّيين ومدّعي الأفضليّة علىٰ خاتم النبيّين ، وأنّه ختم الولاية به من بين المهديّين وأنّ الفضيلة للأولياء علىٰ الأنبياء وأنّه أخذ المعارف والأحكام من الله بمثل الإيحاء ».[١]

وقال أيضاً:

« أخذ في جملة مصنّفاته من كلّ قريب وبعيد ونقل من كلّ قديم وجديد ، سوىٰ أهل بيت العصمة والطهارة وخزنة العلم والحكمة ، مثل شيخهم الغزالي والشيخ عبد القادر الجيلاني ومجد الدين البغدادي وأقرانهم المجدّين في اثبات ولاية الجهلة بآداب الدين وحملة أوزار السفلة والمشعبذين ، ولذا سمّاه بعض مشايخ عرفائنا المتأخرين بمميت الدين وبعضهم بماحي الدين ».

ثمّ قال ردّاً علىٰ من أخذ في تأويل كلماته الكفريّة مثل قوله بوحدة الوجود وكون عبادة الأصنام هي عبادة الله:

« لو كان الأمر كذلك لما بقي علىٰ وجه الأرض كافر ولا هالك ، ولا جاز إظهار البرائة من أحد من أهل الممالك في شيء من المسالك ، وهذا مما لا يقوله أحد من الملّيين ، فكيف بمن كان من أتباع النبيّين ومسافري العليّين ».[٢]

---

(١) روضات الجنات ، الخوانساري : ٣ / ١١٣.

(٢) روضات الجنات ، الخوانساري : ٨ / ٦١٠ و ٦١.

٧٨ ـ الشيخ محمد باقر الكجوري، المتوفىٰ سنة ١٣١٣

قال رحمه الله يشكوا أهل زمانه:

« فياله من زمان فاسد وأهله مفسدون، حيث ابتعدوا عن هذين المصدرين الأصيلين والأساسين النبيلين ـ أي علم التفسير وعلم الحديث ـ فهم بهما جاهلون، وعن فهمهما غافلون، ومع علمهم بأن التوغل والتعمق في هذين المسلكين الشريفين والمصدرين المنيفين نجاة من الهلكات في الدنيا والآخرة، إلا أنهم هجروا النهج المبين لميل نفوس جماعة من المنحرفين، فتباهوا وتفاخروا بحفظ اللغات الغريبة وضبط القوانين المنطقية والفلسفية والإستنباطات الخيالية والنظرات الوهمية؛ ولقد أجاد القائل:

كاف كفر أي دل بحق المعرفة   خوشترم آيد زفاى فلسفه »[١]

٧٩ ـ السيد علي البروجردي، المتوفىٰ سنة ١٣١٣

قال في طرائف المقال في ترجمة ملاصدرا:

« محمد بن إبراهيم صدر الدين المعروف بملا صدرا، كان حكيماً فلسفيّا صوفيّاً بحتاً، توفّي بالبصرة وهو متوجّه إلى الحج في سنة خمسين بعد الألف، وله كتب منها، الأسفار الأربعة والعرشية وغيرهما، وإبنه أماته وأحيى مذهب الحق »[٢].

وقال في ترجمة ولده:

« ميرزا إبراهيم بن الملا صدرا الشيرازي، كان عالما فاضلا متكلما جليلا

---

(١) الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري: ١ / ٨٦. يقول: أيا قلبي! أقسم بحق المعرفة، أنّ كاف الكفر هي أحلى عندي من فاء الفلسفة.

(٢) طرائف المقال، السيد علي البروجردي: ١ / ٨٠ / ٢٥٢.

نبيلا جامعا لأكثر العلوم ، سيما في العقليات والرياضيات. وعن بعض الأصحاب بعد الثناء عليه وهو في الحقيقة مصداق يخرج الحي من الميت ».[١]

وقد صرّح بامتياز الفلاسفة عن اهل الملل السماويّة وأنّهم فرقة مباينة ومضادّة لهم. فذكر في سبب إختلاف المذاهب:

« أن الناس ينقسمون أولا إلى فرقتين :

الأولى : أهل الديانات ، وهم اليهود والنصارى والمجوس والمسلمون.

الثانية : أهل الأهواء والآراء ، مثل الفلاسفة والدهرية وعبدة الكواكب والأوثان ، والبراهنة والصائبة »[٢].

٨٠ ـ المحدّث الكبير الميرزا النوري ، المتوفىٰ سنة ١٣٢٠

قال في ذكر مشايخ المحدّث الفاضل المولىٰ محسن الكاشاني :

« وسابعهم : الحكيم المتأله الفاضل محمد بن إبراهيم الشيرازي ، الشهير بملا صدرا ، محقّق مطالب الحكمة ، ومروجّ دعاوي الصوفية بما لا مزيد عليه ، صاحب التصانيف الشائعة التي عكف عليها من صدّقه في آرائه وأقواله ، ونسج على منواله ، وقد أكثر فيها من الطعن على الفقهاء حملة الدين ، وتجهيلهم وخروجهم من زمرة العلماء ، وعكس الأمر في حال إبن العربي صاحب « الفتوحات » ، فمدحه ووصفه في كلماته بأوصاف لا تنبغي إلاّ للأوحدي من العلماء الراسخين ، مع أنّه لم ير في علماء العامة ونواصبهم أشدّ نصباً منه.

أليس هو القائل في الفتوحات في ذكر بعض حالات الأقطاب ما لفظه :

---

(١) طرائف المقال ، السيد علي البروجردي : ١ / ٧٦ / ٢٣٠.

(٢) طرائف المقال ، السيد علي البروجردي : ٢ / ٢٧٥.

« ومنهم من يكون ظاهر الحكم ، ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكل ».

وهذا المتوكّل الذي عدّه من الأقطاب ، وممّن حاز الخلافة الظاهرة والباطنة ، هو الذي صرّح السيوطي الذي هو أيضاً من المتعصبين في « تاريخ الخلفاء » بأنّه أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وخرب وبقي صحراء ، وكان المتوكّل معروفاً بالتعصّب ، فتألّم المسلمون من ذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء ، ومما قيل في ذلك :

بالله إن كانت أمية قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	في قتله فتتبعوه رميما

وصرّح أيضاً فيه بأنّ أصل الضلالات من الشيعة. وصرّح في « مسامرة الأبرار » بأنّ الرجبيّين جماعة لهم رياضة ، من آثارها أنّهم يرون الروافض بصورة الخنزير. وصرّح في الفتوحات بعصمة ابن الخطاب ، وغير ذلك ممّا هو نصّ على كونه من نواصبهم. وتصريحه بكون المهدي الموعود صلوات الله عليه هو الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام ، كما عليه الإمامية ، لا ينافي النصب فضلاً عن التسنن ، كما أوضحناه في كتابنا « النجم الثاقب ». وله في هذا الإعتقاد شركاء من علمائهم ، ذكرنا أساميهم في الكتاب المذكور ، ومع ذلك كلّه كيف يقول الإمامي في حقه : المحقق العارف بالله ، ومن لا يجازف في القول ! وأمثال ذلك فيه وفي أضرابه.

ومن تصانيفه : « شرح أصول الكافي » ، شرحه على مذاقه وعقائده

وأصوله ومطالبه ،فاستحسنه من استصوبها ،واستحقره من استضعفها ، بل في « الروضات »: « فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الأصول: شروح الكافي كثيرة جليلة قدراً وأول من شرحه بالكفر صدرا ». انتهى. وفيه منه أوهام عجيبة، بل في كتاب التوحيد منه وهم لم يسبقه إلى مثله أحد، ولم يلحقه أحد... .

وعدد مواقع الأوهام في هذه الكلمات غير خفي على الناظر. وله في شرح حال مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه عند قوله عليه السلام : **« إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم »** كلام ينبئ عن اعتقاد له فيه عليه السلام غير ما عليه معاشر الإمامية. فراجع وتأمل .... .

وللمولى المتقدم رسالة في تفسير هذه السورة المباركة ، ولمّا عرضناها على تفسير الرازي لم نجد بينهما فرقاً إلاّ في بعض كلمات زائدة لا يضرّ إسقاطها في أصل المطالب »[1].

و نقل الميرزا النوري فقرات من شرحه على أصول الكافي ممّا يدلّ على غاية جهله بمعرفة الأحاديث بل بكلام العرب، وقد مرّ ذكرها.

٨١ و٨٢ ـ السيد محمد علي بن محمد مؤمن الطباطبائي والحاج الميرزا محمد هادي رحمهما الله كانا حيّين في سنة ١٣٢١

لهما كتاب الرّد على الصوفيّة والفلاسفة، ذكره في الذريعة وقال:

« الرد على الصوفية والفلاسفة ، للسيد محمد علي بن محمد مؤمن الحسني الحسيني الطباطبائي البهبهاني المولد الشيرازي المسكن. ألّفه

---

(١) خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٨، و قد نقل عنه المحدّث القمّي في سفينة البحار: مادّة حمد: ١ / ٧٢٢.

بإعانة العالم الفاضل الكامل الحاج الميرزا محمد هادي. وهو مبسوط فرغ منه يوم الجمعة ٥ صفر ١٣٢١، ونقل فيه عن « الخيراتية » للآقا محمد علي، وعن « نصيحة الكرام » للمولى معين الدين المشهور بعصام، ويكثر فيه من الطعن على المولى صدرا بل قد يسئ في التعبير عنه عند نقل كلامه في الاسفار والرد عليه.

ويذكر فيه أسماء كثير من كتب الردود على الصوفية مثل « ثقوب الشهاب في رجم المرتاب » و« نزول الصواعق في احراق المنافق »، و« أسرار الإمامة » و« بيان الأديان » و« الأديان والملل » و« تبصرة العوام » و« ايجاز المطالب » و « خرد روز افروز » و « هادي النجاة » و« قرة العيون » و« الفصول التامة » و « الوقيعة في سب المبتدعة » و« السهام المارقة » و« اثبات الحجة على أهل البدعة » و« ارغام الملحدين » و« السيوف الحادّة » و« عين الحياة » و« بضاعة مزجاة » و« درر الاسرار » و« مسلك المرشدين » و« معيار العقائد » و« مقصد المهتدين » و« الدرة الفاخرة » و« توضيح المشربين » و« أصول فصول التوضيح » و« سلوة الشيعة » و« تبصرة الناظرين » و« اعلام المحبين » و« تسلية الشيعة » و« زاد المرشدين » و« شهاب المؤمنين » إلى غير ذلك. والنسخة في موقوفة الفراهاني بكربلا، وقفت (١٣٠٧) وكانت عند السيد علي أكبر اليزدي في مدرسة حسن خان ».[١]

٨٣ ـ آقا رضا الهمداني، المتوفىٰ سنة ١٣٢٢

قال في مبحث نجاسة الكفّار:

« مثل ما حكى عن بعض الجهال من المتصوّفة من إنكار وجوب الصلاة

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٠ / ٢٠٨ / ٥٦٤.

ونحوها على مشائخهم الذين أكملوا نفوسهم بالرياضات بزعمهم مدّعياً أنّ المقصود بالعبادات تكميل النفوس فيسقط التكليف عنها بعد الكمال...
وتارة يأوّل كلامه بما ينافي الإذعان برسالته على كافة العباد، كما لو قيل مثلا بانّ المقصود ببعث الرسول اللطف واهداء القاصرين إلى ما يقرّبهم إلى الله، فرسالته مقصورة على غير الحكماء الذين يرشدهم عقولهم إلى ما يصلحهم و يفسدهم، فالمقصود بالعمومات الصادرة عن النبي صلّى الله عليه وآله من قوله: ﴿ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾ ونحوه يراد بها غير مثل هذه الاشخاص. وقد حكى عن بعض الفلاسفة محاجّته مع عيسى عليه السلام بمثل هذا القول. ونظير ذلك ما لو قيل بأنّه كان رسولا على الأعراب لا على عامّة العباد. وكيف كان فمثل هذا الإنكار كفر محض فإنه وان لم يكن منافيا للتصديق الاجمالي لأنه يعترف بصدقه على تقدير ادعائه العموم لكنّه يزعم أنه لم يدّع ذلك، إلاّ أنّه إنكار لرسالته في الجملة، وهو كإنكار أصل الرسالة سبب للكفر بالضرورة فضلا عن شهادة النص والاجماع عليه »[1].

٨٤ ـ الميرزا حبيب الله الخويي، المتوفىٰ سنة ١٣٢٤

قال في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:

« فاستمع لما يتلىٰ عليك من كلام قطب أقطابهم الزنديق اللعين ابن العربي في الفصوص ومن كلام القيصري في شرحه ».[2]

ثمّ قال بعد نقل كلامهما:

« و محصّل كلامهما ان قوم نوح في عبادتهم للاصنام كانوا محقّين لكونها مظاهر الحق، كما ان العابدين لها كذلك لانهم أيضاً كانوا مظهر الحق

---

(١) مصباح الفقيه، آقا رضا الهمداني: ٧ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الخوئي: ١٣ / ١٧٢.

وكان الحق معهم بل هو عينهم. و كان نوح أيضاً يعلم انهم علىٰ الحق ، إلا انه اراد علي وجه المكر و الخديعة ان يصرفهم عن عبادتها الي عبادته ! وإنّما كان هذامكرا منه عليه السلام لانه كان يقول لهم ما لم يكن معتقدا به و يموه خلاف ما اضمره و اعتقده ! اذ كان عالماً و علي بصيرة من ربه بانّ الأصنام مظاهر الحق و عبادتها عبادته ، إلا أنه عليه السلام أراد أن يخلّصهم من القيود حتي لا يقصّروا عبادتهم فيها فقط بل يعبدوه في كل معني و صورة ».

ثمّ قال:

« هذا محصّل كلام هذين الرجسين النجسين النحسين ، و كم لهما في الكتاب المذكور من هذا النمط و الاسلوب و سنشير الي بعضها فيما سياتي. فلينظر المومن الكيس البصير الي انهما كيف موّها الباطل بصورة الحق و أوّلاً كلام الله بآرائهم الفاسدة و احلامهم الكاسدة ، علي طبق عقايدهم الباطلة و قد قال النبي المختار صلي الله عليه و اله و سلم : « **من فسّر القران برايه فليتبوء مقعده من النار** ».

و لعمري انّهما و من حذا حذوهما حزب الشيطان و أولياء عبدة الطاغوت و الاوثان ، و لم يكن غرضهما الا تكذيب الانبياء و الرسل و ما جاؤوا به من البيّنات و البرهان و هدم اساس الاسلام و الايمان ، و ابطال جميع الشرايع و الاديان ، و ترويج عبادة الاصنام ، و جعل كلمة الكفر العليا و خفض كلمة الرحمن.

أقسم بالله الكريم ، وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم ، أنّهم المصداق الحقيقي لقول أمير المؤمنين عليه السلام :

« **اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتّخذهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم ونطق**

بألسنتهم فركب بهم الذّلل، وزّين لهم الخطل، فعل من شرّكه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل علىٰ لسانه».

ومع ذلك فالعجب كلّ العجب أنّهم يزعمون أنّهم الموحّدون العارفون الكمّلون ، وأنّ غيرهم لمحجوبون وبالحقّ جاهلون. بل يترقّى بعضهم ويدّعي الولاية والقطبيّة ، ويطغي آخرون فيدّعون لأنفسهم الألوهيّة والربوبيّة ، ويزعمون أنّ ربّهم تجلّى فيهم وظهر في صورهم المنحوسة.

فيقول إبن العربي في فتوحاته :إنّ الله تجلّى لي مراراً وقال : انصح عبادي.

ويقول البسطامي : سبحاني وما أعظم شأني : ولاإله إلا أنا.

ويقول الحلاج : ليس في جبّتي سوى الله.

ويقول :أنا الحقّ وأنا الله.

وبعضهم يبلغ الغاية ويجاوز النهاية فيقول ويهجر ، ويتكلّم تكلّم المجنون الذي لايشعر ، فيخاطب الربّ عزّوجل ـ والعياذ بالله ـ مخاطبة الموالي للعبيد ، وهو قطبهم أبو يزيد. فقد نقل عنه القيصري في شرح الفصّ النوحي أنّه قال في مناجاته عند تجلّي الحقّ له :ملكي أعظم من ملكك ؛لكونك لي وأنا لك ، فأنا ملكك وأنت ملكي ، وأنت العظيم الأعظم ،وملكي أنت ، فأنت أعظم من ملكك وهو أنا.

فلينظر العاقل إلى مهملات هذا الجاهل ، ثمّ لينظر إلى سوء أدبه وقبح خطابه ومناجاته ، حيث لم يرفع يده عن الأنانيّة فعبّر بلفظ أنا وأنت غير مرّة في مثل هذا المقام الذي هو الفناء والتجلّي ـ على زعمهم ـ وكيف يجتمع ذلك مع قولهم السائر :

بيني وبينك إنني ينازعني فارفع بلطفك إنني من البين

وإنّما أطنبنا الكلام في المقام تنبيهاً علىٰ ضلالة هذه الجهلة الذين زعموا أنّهم من أهل الكشف والشهود واليقين والموحّدين المخلصين ؛ مع أنّهم

من الضالّين المكذّبين للأنبياء والمرسلين، وتعالى الله عمّا يقول الظالمون والملحدون علوّاً كبيراً».[١]

٨٥ ـ السيد أبو القاسم الحسيني الإشكوري الجيلاني، المتوفىٰ سنة ١٣٢٥

قال السيّد محسن الأمين: والإشكوري نسبة إلى أشكور بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف وواو مفتوحتين وراء مهملة بلدة من نواحي جيلان. كان عالماً فاضلاً فقيهاً أصولياً محققاً ثقةً معروفاً بالورع والعدالة، أحد المدرسين في النجف الأشرف المسلم لهم بالفضيلة. انتقل هو وأخواه السيد جعفر والسيد مرتضى إلى النجف وجاوروها، وقلّد في جيلان بعد وفاة الميرزا الشيرازي. ومما يدل على تقواه وورعه إشارته إلى اتباع رأيه ومقلديه بالعدول عن تقليده بعد أن لحقه المرض وتعطلت بعض حواسه وقواه العقلية وأعلن أنه لا يجوز تقليده. أخذ عنه جماعة من الأساتذة منهم الميرزا الشيرازي والسيد حسين الترك وأكبر أساتيذه الميرزا حبيب الله الرشتي وكان من وجوه تلامذته ويروي عنه بالإجازة. وقد توفي يوم الأحد ١٧ شوال سنة ١٣٢٥ أو ٢٤ بعد مرض طويل وتعب بقواه العقلية فعرض له النسيان والسكوت وتعطلت حواسه ودفن في النجف في الحجرة التي بجنب الباب السلطاني على يمين الخارج من الصحن الشريف..[٢]

عن دار السلام:

«حدثني العالم الفاضل وقدوة أرباب الفضائل، الثقة النقي الصالح الزكي المولىٰ النبيل الرباني السيد أبو القاسم ابن السيد معصوم الحسيني الإشكوري الجيلاني ـ أصلح الله تعالى شأنه وصانه عما شانه ـ قال:

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الخوئي: ١٣ / ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٢ / ٤١٦ / ٢٨٨٩.

كنت في عنفوان الشباب في بلدة قزوين منذ أربع سنين مشغولاً بتحصيل الكلام وحكمة اليونانيين ، مجتنّباً عن كتب الفقهاء والأصوليين ، إلى أن ساعدني التوفيق إلى زيارة سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، فحضرت مجالس بحث الفقهاء والأصوليين ، وكنت أرى مطالبهم أوهن من بيت العنكبوت. فعزمت العود ثانيا على قراءة الحكمة ، فقرأت أياماً إلهيات الأسفار للمولى صدرا عند بعض المتألهين ، ثم ترددت في أمري فتفألت بالقرآن المبين ، فكان أول ما رأيت منه قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا** ﴾[1] ، فوهن عزمي أياماً من قراءتها. ثم أردت العود ثالثاً فرأيت في عالم الطيف أن القيامة قد قامت ، ورأيت لمّة من الناس حيارى وأخرى معذبين بأنواع العذاب ، وتبيّن أنّه لا بأس علي وعلى صاحب كان معي ، فقلت لصاحبي : أريد أن أنظر إلى الجحيم وعذابها الأليم. قال : إني أخاف منها ولا أصاحبك ، فبادرت عليها وسرت في الحشر حتى رأيت الجحيم كبئر عميق في أطرافها الأربعة أربعة من الملائكة على عواتقهم أعمدة تشتعل منها النار ، فدنوت إلى واحد منهم ، فصاح علي وقال : تنحّ عن الدار فليست هي مقامك. فاقشعرّ جلدي وقلت : أريد أن آخذ منها جذوة لرفع حاجة ، قال : لا تقدر على استخراجها منها ، وإنما كان غرضي النظر إليها والإطّلاع على من كان فيها ، فسعى معي في حاجتي فما قدرنا على إنجاحها ، ثم صاح علي ثانيا ، فرجعت قهقرى لهيبته إلى مسافة ، ثم استدبرته مقدارا آخر ، ثم استقبلتهم لأنظر ما يصنعون ، فرأيتهم أخرجوا من جهنم رجلا أسود طويلا مشوه الخلقة يخرج من منافذ أعضائه شعلات من نار ، ثم أسندوه إلى حائط وضربوا على رأسه وصدره

---

(١) الأحزاب : ٦٧.

ويده وسائر أعضائه مسامير من حديدة محماة، ثم شقوا صدره وأدخلوا إحدى يديه فيه، وأخرجوها من ظهره وناولوه من ظهره كتابا. فقالوا له: إقرأ. فقال لهم: كيف أقرأ والكتاب على ظهري. فوجأ عنقه واحد وقلبه إلى ظهره فشرع في قراءة الكتاب. فدنوت منه فسمعت منه حكاية الوجود والماهية، ثم ضربوا على رأسه أعمدة من نار وأسقطوه فيها. فقلت لهم: من كان هذا الرجل الخبيث؟ قالوا: هو بهمنيار. فانتقلت إلى المراد، وهجرت مموّهات أهل الفساد، وشرعت في تحصيل زاد المعاد، ومعرفة كلام شفعاء يوم التناد، أعاذنا الله تعالى من الجحد والعناد».[1]

٨٦ ـ السيّد الفقيه محمّد كاظم اليزدي، المتوفىٰ سنة ١٣٣٧

وجّه للسيد الفقيه اليزدي أعلى الله مقامه استفتاءان من ايران، واليك ترجمة السؤال والجواب بالعربيّة:

«من المسلمين من ينكر بعض الضروريات لشبهة أو بدونها، كبعض الحكماء الذين أنكروا المعاد الجسماني بالجسم العنصري أو المعراج الجسماني العنصري ونظائرهما مستدلّين بالبراهين العقليّة. وكذا الصوفيّة وأمثالهم، فهل يحكم بكفرهم أم لا؟ وعلىٰ تقدير الكفر، هل يدخلون في حكم المرتدّ الفطري وتجري عليهم جميع أحكامه، أم يوجد هناك فرق بينهم؟ فإن كان ثمّة فرق فتفضّلوا ببيانه.

وهل تقبل توبة المرتدّ الفطري، ويحلّ له العقد علىٰ زوجته في أثناء العدّة بعقد جديد أم لا؟ وهل يكون وطي زوجته في أثناء العدّة موجباً لحرمة العقد الجديد أم لا؟ وهل سترجع اليه أمواله؟ ولو اكتسب بعد التوبة هل يملك أم لا؟ وهل يمكن التمسّك باستصحاب الإسلام في

---

(١) نقل عنه مستدرك سفينة البحار: ٨ / ٣١٢.

الموارد المشتبهة من هذه الموضوعات أم لا، نظراً إلىٰ أنّ الشك يكون في المقتضى؟ »[١]

فاجاب قدس سره:

« الحكم بإسلامهم مشكل، ولو أنكروا من دون شبهة فلا إشكال في كفرهم. ولا فرق بين أقسام المرتد الفطري، نعم الأقوىٰ قبول توبة المرتدّ الفطري فيما بينه وبين الله، وإن وجب قتله وفصلت عنه زوجته، وعليها مراعاة عدّة الوفاة، وتخرج أمواله عن ملكه. وله أن يعقد علىٰ زوجته في العدّة وما بعدها بعقد جديد، وإن أشكل البعض ذلك في العدّة. ولا ترجع إليه أمواله، نعم لو اكتسب بعد التوبة مالاً جديداً يملكه، ولا مانع من جريان إستصحاب الإسلام في الموارد المشتبهة ».[٢]

---

(١) نصّ السؤال بالفارسيّة: « بعض از مسلمين كه انكار بعضى از ضروريات مينمايند لشبهة او بدونها، مثل بعضى از حكماء كه منكر معاد جسمانى عنصرى شدند يا معراج جسمانى عنصرى ونحو اينها از روى براهين عقليه، وهكذا صوفيه ونحو ايشان آيا محكوم بكفرند يا نه؟ وبر تقدير كفر ايشان داخل در مرتد فطرى اند نسبت بجميع احكام، يا اين كه فرق دارند؟ اگر در احكام فرق دارند احكام ايشان را بيان فرمائيد. ديگر اين كه مرتد فطرى توبه‌اش قبول است وزوجه خود را در بين عده ميتواند بعقد جديد بگيرد يا نه؟ وآيا مباشرت با زوجه‌اش در بين عدّه موجب حرمت عقد جديد ميشود يا نه؟ ويا اموال او باو بر ميكردد يا نه؟ واگر بعد از توبه كسب نمايد مالك ميشود يا نه؟ وآيا در موارد مشتبه اين گونه موضوعات استصحاب اسلام جارى ميشود يا نه بواسطه اين كه شك در مقتضى است ».

(٢) نصّ الجواب بالفارسيّة: « حكم باسلام ايشان مشكل است، واگر بدون شبه انكار كنند پس كفر ايشان بى اشكال است. وما بين اقسام مرتد فطرى فرقى نيست. بلى اقوى قبول توبه مرتد فطرى است بينه وبين الله اگر چه قتلش واجب است وزوجه او از زوجيت خارج شده است، وبايد عده وفات نگاه دارد، ومال او از مالكيت او خارج شده است ولكن بعد از توبه ميتواند زوجه خود را در عدّه وبعد از آن بعقد جديد بگيرد. اگر چه بعضى در عدّه اشكال كرده‌اند، واموال او باو برنميگردد بلى

←

و سُئِل أيضاً عن حكم قراءة الفلسفة مع الظن أو احتمال فساد العقيدة، فأفتىٰ بحرمتها، و اليك ترجمة الاستفتاء و الفتوى:

« هل يجوز قراءة الحكمة مع الإحتمال أو الظن بانجراره إلىٰ فساد العقيدة أم لا ؟ »

الجواب:

« لا يجوز تعليمها وتعلّمها مع الظنّ بل مع الخوف بانجراره إلىٰ الضلالة ، وكذا كلّ ما يكون من هذا القبيل كالسفر إلىٰ بلاد الكفر والمعاشرة مع الكفار ، مع الخوف المذكور ».[1]

وقد أفتىٰ بتحريم إعطاء الزكاة للفقير الذي يمنعه عن التكسب اشتغاله بتعلّم الفلسفة، حيث قال:

« لو اشتغل القادر على الكسب بطلب العلم المانع عنه يجوز له أخذ الزكاة إذا كان مما يجب تعلّمه عينا أو كفاية ، وكذا إذا كان مما يستحبّ تعلمه كالتفقه في الدين اجتهادا أو تقليدا ، وإن كان مما لا يجب ولا يستحب كالفلسفة والنجوم والرياضيات والعروض والأدبية لمن لا يريد التفقه في الدين فلا يجوز أخذه ».[2]

← اگر بعد از توبه مالى جديدى پيدا كند مالك ميشود ، ودر موارد مشتبه استصحاب اسلام مانعى ندارد. والله العالم ». الغاية القصوى ، فتاوىٰ السيد اليزدي بترجمة الشيخ عباس القمي: ٢ / ٣٣٠.

(١) نصّ الكلام بالفارسيّة: « خواندن حكمت با احتمال يا ظن بانجرار بفساد عقيده جايز است يا نه » ؟ با ظن بلكه با خوف انجرار بضلالت جايز نيست تعليم و تعلّم آن ، بلكه هر چه از قبيل اين باشد چنين است مثل مسافرت ببلاد كفر ومعاشرت با كفار با فرض خوف مذكور ». الغاية القصوى ، فتاوىٰ السيد اليزدي بترجمة الشيخ عباس القمي: ٢ / ٣٤١ / ٩٤.

(٢) العروة الوثقىٰ، السيد اليزدي: ٤ / ١٠٤.

ومعناه أنّ هذا العلم لادخل له بالشريعة أصلاً لا في العقائد ولافي غيره، ولادخل له في فهم الشرع أو الجدل مع الملحدين أبداً.

وقال في مبحث النجاسات في عداد الكفار:

« وأما المجسّمة والمجبّرة والقائلين بوحدة الوجود من الصوفيّة اذا التزموا بأحكام الاسلام فالأقوىٰ عدم نجاستهم، إلّا مع العلم بالتزامهم بلوازم مذاهبهم من المفاسد ».[1]

ومؤدى هذا الكلام أنّ للقول بوحدة الوجود كالقول بالجبر لوازم فاسدة وموجبة للكفر، فإن التفت القائل بوحدة الوجود والجبر بهذه اللوازم والتزم بها فلاشبهة في كفره ونجاسته، وأمّا لو غفل عنها أو لم يلتزم بها فلايحكم بنجاسته.

و قد أيّده على هاتين الفتويين كلّ من الأعلام المدرجة أسماؤهم أدناه، فلم يعلّقوا على كلام السيّد بشيء[2]، وهم:

٨٧ ـ الشيخ علي بن الشيخ باقر بن المرحوم صاحب الجواهر

٨٨ ـ و الشيخ عبدالله الغروي المامقاني، المتوفّىٰ سنة ١٣٥١

٨٩ ـ و المحقّق الميرزا حسين النائيني، المتوفّىٰ سنة ١٣٥٥

٩٠ ـ و الشيخ عبد الكريم الحائري، المتوفّىٰ سنة ١٣٥٥

٩١ ـ و السيّد الحاج آقا حسين الطباطبائي القمّي، المتوفّىٰ سنة ١٣٦٦

٩٢ ـ و الشيخ محمد رضا آل ياسين، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٠

٩٣ ـ و السيّد محمّد الحجّة الكوه كمرهاي، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٢

٩٤ ـ و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣

---

(١) العروة الوثقىٰ، السيد اليزدي: ١ / ١٤٥.

(٢) راجع العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر المكتبة العلميّة الإسلاميّة: ١ / ٦٨و٦٩ و ٢ / ٣٠٨، وأيضاً نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين: ١ / ١٤٠و١٤١ و ٤ / ١٠٤و١٠٥.

٩٥ ـ و السيّد يونس الأردبيلي، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٧

٩٦ ـ و السيّد ابراهيم الحسيني الإصطهباناتي، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٨

٩٧ ـ و السيّد علي البهبهاني، المتوفّىٰ سنة ١٣٩٥

٩٨ ـ و السيّد هادي الميلاني، المتوفّىٰ سنة ١٣٩٥

٩٩ ـ والسيد أحمد الخوانساري، المتوفّىٰ سنة ١٤٠٥

١٠٠ ـ والسيّد محمّد كاظم الشريعتمداري، المتوفّىٰ سنة ١٤٠٦

١٠١ ـ العلامة ميرزا جعفر الشهرستاني، المتوفىٰ سنة ١٣٤٤

ذكر المحقّق النمازي أنّه سمع من الشيخ الثقة علي اصغر الشاهرودى أنّه قال ما ترجمته:

« سمعت من العلامة الميرزا جعفر الشهرستاني أنّه قد طلب مني جماعة من الطلاب أن ألقى لهم درساً في شهر رمضان المبارك، فبنينا أن نبحث حول الحديث الشريف: «**لاجبر ولاتفويض بل أمر بين الأمرين**». ففي أثناء الشهر رأيت ليلة في المنام أنّى جالس على كرسي التدريس إذ دخل رجل و قرب منّي وألقى العمامة من رأسه. ففهمت أنّه عمر بن الخطّاب. فقلت له: لايحقّ لك أن تستشكل إلا بعد الفراغ من الدرس، فقبل. فشرعت في الدرس إذ هو اعترض على مطلب، قلت له: أما قلت لك ليس لك حقّ في ذلك ؟ فسكت. فما أن بدأت بالتدريس إلا وهو اعترض ثانياً حتى كررّ ذلك ثلاث مرّات، و في المرّة الثالثة ضربتُ على رأسه ضربات حتى سكت. فانتبهت ورأيت أنّه قد حان وقت الدرس، فذهبت وبدأت بالتدريس، إذ دخل رجل غريب فجلس قريباً منّي و ألقى العمامة من رأسه و حدث بينى و بينه ما رأيته في المنام، إلى أن قلت له في المرّة الثالثة: اسكت قطع الله لسانك، فسكت. ثمّ سألت بعد الدرس عن أحواله فقالوا: إنّه رجل فيلسوف ».[1]

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ على النمازي: ٨ / ٣٠٥.

١٠٢ ـ السيّد محمّد الفيروزآبادي، المتوفّى سنة ١٣٤٥

لم يعلّق على فتوى السيد اليزدي بحرمة الإرتزاق من الزكاة للمشتغل بالفلسفة، وقال في تعليقته على فتوى السيّد في نجاسة القائلين بوحدة الوجود:

« بالمعنى الذي ليس هو بكفر ».[١]

أي: أنّ الحكم بظاهر إسلامهم فيما لم يلتزموا بلوازم أقاويلهم الفاسدة إنّما يكون في القول بوحدة الوجود الذي ليس بكفر، وأمّا وحدة الوجود بالمعنى الذي هو كفر صراح فيحكم بنجاسة قائله سواء التزم بلوازمه أم لا.

١٠٣ ـ الميرزا محمد تقي الأصفهاني صاحب المكيال، المتوفى سنة ١٣٤٨

قال رحمه الله في ذكر جملة من فوائد البداء أنّ:

« منها التمحيص لقوم والامتحان لقوم آخرين، ليميز الله الخبيث من الطيب وهذا التمحيص والامتحان قد يقع في أصل الإذعان للمحو والإثبات فيؤمن به قوم مؤمنون وينكره قوم آخرون، كما زعمه قوم من الفلاسفة الزنادقة ».[٢]

١٠٤ ـ العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي، المتوفى سنة ١٣٥٢

بيّن رحمه الله أنّ الإعتقاد بالبداء هو الفارق بين الإلٰهيّين والطبيعيّين، وأنّ مزاعم الفلاسفة في العقول العشرة مبتنية على التقليد الأعمى للفلسفة اليونانيّة ومناف للحكمة الإلهيّة فقال:

« فالبداء، وأن الله يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب، يكون الإعتراف

---

(١) العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين: ١ / ١٤٠ و ١٤١ و ٤ / ١٠٤ و ١٠٥.

(٢) مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني: ٢ / ٣٢٥.

بحقيقتها المعقولة ومدلول الأحاديث ، هو الفارق بين الإلهية والطبيعية ، وهو الفارق بين الإعتراف بحقيقة الإلهية وبين المزاعم المستحيلة في مسألة العقول العشرة المبنية على التقليد الأعمى للفلسفة اليونانية ومزاعم أوهامها ، مع الخبط في أمر الإيجاد بالإرادة والتعليل الطبيعي ».(١)

وفي بيان مجانبة الفلاسفة للإلٰهيّين ومباينة طريقهم لمنهج الأنبياء ومقابلتهم معهم في مسألة المعاد قال في كتابه الرحلة المدرسيّة :

« رجل تبعثه نزعته إلى أمر فيتستر بأنه يقوم بأن يمثل دور واحد من الفلاسفة فيتكلّم بلسانهم وما عندهم من الشكوك إلى آخره. أفلا يشعر بأن الفلاسفة الذين يشير إليهم لا موقف لهم من الإلهيين في شأن المعاد ؟ فإن موقف الإلهيين في حقيقة المعاد إنما هو في مقام بعد الخطوة الأولى أعني الخطوة الأساسية أساس المعارف الدينية ، والنور الذي يوقف على الحقايق بأجلى مظاهرها ويدعم بنيانها بدعائم براهينه وحججه ، تلك خطوة العقل بدلائله الفطرية الأولية واعتباراته الحسية والوجدانية إلى اليقين بوجود الإله الخالق القادر واجب الوجود الغني العليم الحكيم ، وإنه بقدرته وحكمته وعلمه يرسل الرسل الصادقين العارفين بوحيه لكي يهدوا البشر إلى مناهج الصلاح ومواقف الحقائق ويكونوا لعقول البشر بمنزلة النظارات المكبرة والمقربة يجلون الحقائق بمجاليها.

تجد الممثل لأحد الفلاسفة يتكلّم في أمر المعاد بإحدى نزعتين : النزعة الأولى : وهي النزعة التي تغمز وترمز إلى جحود الإلهية والقدرة. النزعة التي يقول من جرائها أنه لا وسيلة لإدراك الحقائق الروحية سوى الحدس والافتراض ، وأنها ليست سوى بنات التعليل التي لم يقم على إثباتها دليل

---

(١) رسالتان في البداء ، البلاغي ، الخوئي : ٢٤.

حسي ، ولم تكتسب صفة الحقائق الراهنة إلا لإحجام العقول وعجزها عن تعليل ينافيه انتهى تلك النزعة التي يقول من جرائها في أمر المعاد الجسماني.

إن جمع تراب الانسان بعد موته لإعادته إلى حاله قبل الموت وإصعاده إلى أعالي السماوات ويبنى له مسكن في الفضاء كل واحد من هذه يحتاج افتراضه إلى افتراض أعجوبة سماوية ،ولكن الفيلسوف الذي يطلب الحقائق الملموسة لا يكتفي عن الأدلة بالأعاجيب.

يا رمزي ! هل ترى رجلاً لا يعرف أن الإلهي لا يقابل الفيلسوف في حجة المعاد بالأعاجيب ، وإنما يحتج عليه بدلالة الكتب الإلهية والأدلة النبوية بعد ما يمهد دلالتها بالحجة على الإلهية والنبوة ؟

فإن شاء الفيلسوف أن يروغ إلى الاستبعاد والاستهزاء الذي يضطهد الأدب والشرف ويضرب المثل بالعظام والرميم وجمع تراب الانسان وإعادته وإصعاده إلى أعالي السماوات وبناء مسكن له في السماوات ، فإنّ الإلهي حينئذ يداري استهزائه ويوبخ مغالطته ويروض من جحوده باستلفاته إلى أن ذلك كله ليس بعجيب ولا مستصعب ممن خلق الانسان والحيوان من نطفة ، وخلق السماوات والأرض وما فيهما بهذا النظام الباهر. ولم نتسرع إلى الاذعان به لمجرد إمكانه وعدم صعوبته على خالق البشر والسماوات والأرض وما فيهما ، بل دلّنا على ذلك كشف النبوات التي برهن الحس والعقل على صدقها في تعليمها.

والنزعة الثانية. هي التي من جرائها يقتحم التناقض والتقول على الكتب الإلهية وأهل الأديان المعروفة مع أن الأمر مكشوف لكل راء وسامع ».[1]

---

(١) الرحلة المدرسية ، الشيخ محمد جواد البلاغي : ٣ / ٥٣٤ ـ ٥٣٦.

١٠٥ ـ المحدّث الخبير الشيخ عباس القمّي، المتوفىٰ سنة ١٣٥٩

فقد ذمّ الفلسفة في سفينته وذكر بعض الروايات في ذمّها ونقل كلمات وحكايات عن أعيان العلماء قدّس الله أسرارهم في التحذير والتجنّب عنها فراجع[1].

١٠٦ ـ السيد مهدي علي بن حمايت علي الهندي

له كتاب في ردّ شبه الفلاسفة، ذكره في الذريعة وقال:

« الشهاب الثاقب في الكلام والمعارف ،وفيه الجواب عن شبهات إبليس السبع المشهورة التي هي عمدة شبهات الفلاسفة القدماء والمذكورة في الملل والنحل الشهرستانية... وطبع الشهاب بلغة أردو وهو للسيد مهدي علي بن حمايت علي الهندي ».[2]

١٠٧ ـ آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني، المتوفّىٰ سنة ١٣٦٥

قد أيّد فتوى السيّد اليزدي في العروة في مسألة نجاسة القائلين بوحدة الوجود مع الإلتزام بلوازم أقوالهم، ومسألة حرمة الإرتزاق من الزكاة لمن يشتغل بتعلّم الفلسفة.[3]

وقال في مبحث الوقف من كتاب الوسيلة:

« لو وقف على العلماء انصرف إلى علماء الشريعة فلا يشمل غيرهم كعلماء الطب والنجوم والحكمة ».

---

(١) سفينة البحار، الشيخ عباس القمي: مادّة فلسف ٣ / ٩٥٧.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٤ / ٢٥٣ / ٢٤٤٠.

(٣) العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر المكتبة العلميّة الإسلاميّة: ١ / ٦٨ و ٦٩ و ٢ / ٣٠٨.

قال العلامة النمازي رحمه الله بعد نقل عبارته:

« يظهر منه أن في نظره أن علماء الحكمة كعلماء النجوم ليسوا بعلماء الشريعة، وكتبهم ليست كتب الشريعة المقدسة »[١].

وقد اشتهر عنه أنّه حرّم الإرتزاق من الراتب الشهري الحوزوي لمن يشتغل بالفلسفة، فقد دعا في يوم من الأيام جميع أساتذة حوزة النجف وقال: إنّ الراتب الذي أدفعه للحوزة إنّما أدفعه من ملكي الخاصّ حيث إني استدين كلّ شهر لدفع الرواتب من بعض الموجّهين، ثم أبرئ ذمّتي من السهم المبارك أوغيره من التبرّعات، فهذا الراتب الذي يستلمه الطلبة في الحوزة إنّما هو من ملكي الشخصي. ولمّا أخذ من جميع الأعلام الإقرار بذلك، قال لهم: « فأنا لاأرضىٰ لمن يشتغل بالفلسفة أن يأخذ من الراتب ويستفيد من الشهريّة ».[٢]

١٠٨ ـ العلامة الميرزا مهدي الأصفهاني، المتوفىٰ سنة ١٣٦٥

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني:

« كان من قدماء تلامذة المحقّق النائيني ومحلاً لتوجّهه ».[٣]

وقد عرف بمخالفته للفلاسفة والصوفيّة عند الموافق والمخالف، ألّف كتباً في الردّ عليهم وفي بيان معارف القرآن والروايات وبيّن فيها كمال المباينة بين الإتجاهين: اتجاه الأنبياء والأوصياء واتجاه الفلاسفة والصوفيّة الذين قد يسمّون

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٨ / ٢٩٩.

(٢) القصّة مشهورة عن السيّد الإصفهاني، وقد ذكرها الكثير من تلامذته وغيرهم من الذين كانوا قاطنين في النجف الأشرف آنذاك، وقد سمعتها بطرق متعدّدة عن بعض أعاظم الثقات من تلامذة السيّد، منهم الشيخ محمد رضا البخارائي والسيّد الخلخالي.

(٣) نقباء البشر في القرن الرابع عشر، آقا بزرگ الطهراني: ٥ / ٤١٧.

بالحكماء والعرفاء. فمن جملة مؤلّفاته: أبواب الهدىٰ، ومعارف القرآن، ومصباح الهدىٰ، وغاية المنىٰ، ورسالة في الكرّ، واعجاز القرآن، والمواهب السنيّة في المعاريض والتورية. وتخرّج على يده ثلّة من الفقهاء والعلماء في حوزة مشهد المقدّسة.

قال الشيخ النمازي الذي كان من أبرز تلامذته:

«هو العالم العامل الكامل بالعلوم الإلهية، والمؤيد بالتأييدات الصمدانية، الورع التقي النقي المهذّب بالأخلاق الكريمة، والمتصف بالصفات الجليلة مولانا واستاذنا الآقا ميرزا مهدي الأصفهاني الخراساني المسكن والمدفن في دار الضيافة الرضوية على ساكنها آلاف الثناء والتحية، جمع الله تعالى بيننا وبينه في جوار أوليائه محمد وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم.

ولد رحمه الله في سنة ١٣٠٣ في أصفهان وتلمّذ عند أبيه حجة الإسلام الحاج شيخ إسماعيل وعند علماء أصفهان من الفقهاء الكرام حتى بلغ مرتبة كاملة جليلة في الفقه والأصول، فخرج منه عازماً إلى التشرف بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف. فلما تشرّف حضر درس الفقيه العلامة السيد محمد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى والعلامة الآخوند ملا كاظم الخراساني صاحب الكفاية في الأصول ثم حضر محضر العلامة المحقق الشيخ محمد حسين النائيني.

قال مولانا الأستاذ: أفاض لي العلامة النائيني مهمات الفقه والأصول واستفدت منه مدّة منفرداً، وأول من لحق بنا العلامة السيد جمال الگلپايگاني، ثم بعد مدة لحق بنا واحد بعد واحد حتى صرنا سبعة أفراد من الأوتاد. وتم لنا دورة الفقه والأصول في سبع نفرات وكنا في محضره الشريف إلى أربع عشرة سنة. وحين بلغ إلى خمس وثلاثين سنة سنه

الشريف نال أعلى مراتب الاجتهاد وأجازه العلامة النائيني وغيره أحسن الإجازات.

ومما عبّر به في إجازته المفصلة التي كتبها النائيني بخطه الشريف في شوال ١٣٣٨ هجري المزينة بخطوط جمع من الأعاظم المراجع الكرام وتكون عندي قال :

« العالم العامل والتقي الفاضل العلم العلام والمهذب الهمام ذو القريحة القويمة والسليقة المستقيمة والنظر الصائب والفكر الثاقب ، عماد العلماء والصفوة الفقهاء ، الورع التقي والعدل الزكي جناب الآقا ميرزا مهدي الأصفهاني أدام الله تعالى تأييده وبلغه الأماني ـ إلى أن قال : وحصل له قوّة الاستنباط وبلغ رتبة الاجتهاد وجاز له العمل بما يستنبطه من الأحكام » الخ.

وكان مشتغلاً بتعلم الفلسفة المتعارفة وبلغ أعلى مراتبها قال :

« لم يطمئن قلبي بنيل الحقائق ، ولم تسكن نفسي بدرك الدقائق ، فعطفت وجه قلبي إلى مطالب أهل العرفان فذهبت إلى أستاذ العرفاء والسالكين السيد أحمد المعروف بالكربلائي في كربلاء وتلمّذت عنده حتى نلت معرفة النفس وأعطاني ورقة أمضاها. وذكر اسمي مع جماعة بأنهم وصلوا إلى معرفة النفس وتخليتها من البدن ، ومع ذلك لم تسكن نفسي إذ رأيت هذه الحقائق والدقائق التي سموها بذلك لا توافق ظواهر الكتاب وبيان العترة ولابد من التأويل والتوجيه.

ووجدت كلتا الطائفتين كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، فطويت عنهما كشحاً وتوجهت وتوسّلت مجدّاً مكداً إلى مسجد السهلة في غير أوانه ، باكياً متضرعاً متخشعاً إلى صاحب العصر والزمان عليه السلام ، فبان لي الحق وظهر لي أمر الله ببركة مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه ووقع نظري في ورقة مكتوبة بخط جلي :

«**طلب المعارف من غيرنا**» أو «**طلب الهداية من غيرنا**» الشكّ مني «**مساوق لإنكارنا**» وعلى ظهرها مكتوب: «**أقامني الله وأنا الحجة ابن الحسن**».

قال: فتبرّأت من الفلسفة والعرفان وألقيت ما كتبت منهما في الشط، ووجّهت وجهي بكلّه إلى الكتاب الكريم وآثار العترة الطاهرة، فوجدت العلم كلّه في كتاب الله العزيز وأخبار أهل بيت الرسالة الذين جعلهم الله خزّاناً لعلمه وتراجمة لوحيه، ورغب وأكّد الرسول صلّى الله عليه وآله بالتمسّك بهما، وضمن الهداية للمتمسك بهما.

فاخترت الفحص عن أخبار أئمة الهدى والبحث عن آثار سادات الورى فأعطيت النظر فيها حقّه وأوفيت التدبّر فيها حظّه، فلعمري وجدتها سفينة نجاة مشحونة بذخائر السعادات، وألفيتها فلكاً مزيّناً بالنيرات المنجية من ظلمات الجهالات، ورأيت سبلها لائحةً وطرقها واضحةً وأعلام الهداية والفلاح على مسالكها مرفوعة، ووصلت في سلوك شوارعها إلى رياض نضرة وحدائق خضرة مزيّنة بأزهار كل علم وثمار كل حكمة إلهية الموحاة إلى النواميس الإلهية. فلم أعثر على حكمة إلا وفيها صفوها، ولم أظفر بحقيقة إلا وفيها أصلها، والحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

ثم خرج الأستاذ الأعظم من العراق عازما إلى إيران فاختار مجاورة الإمام الرؤوف علي بن موسى الرضا عليه السلام، وشرع في التعليم والتدريس مطالب الفقه والأصول ومعارف القرآن في مدة قريبة من ثلاثين سنة، وقوّم الأفاضل والأكارم بأحسن تقويم، وأفاض مطالب الأصول في ثلاث دورات: الأولى بنحو المفصل والمبسوط على المرسوم، والثانية في إثبات ما يختاره في ذلك بالأدلّة التامة، والثالثة

مهمّات مباحث الأصول التي يتوقف عليها الاستنباط. وكذلك أجاد فيما أفاد من الفقه ومعارف القرآن.

وكان قدس سره ساعياً مجدّاً في نشر العلوم والمعارف بحيث لم يكن له تعطيل في تمام السنة إلا أياماً قليلة قليلة لا تبلغ عشرة أيام، كل وقت على حسب ما يقتضيه ويرتضيه. فاستفاد من محضره الشريف الأفاضل والأماثل حتى بلغ أكثرهم رتبة الاجتهاد في الفقه والأصول والمعارف الإلهية، فبلغوا من ذلك أعلاها ووصلوا إلى أسناها. والحمدلله الذي وفّقني للتشرف بشرف محضره الشريف والاستفادة من مقامه الكريم مدّة تقرب من خمس عشرة سنة والحمدلله رب العالمين كما هو أهله ولا إله غيره.

وانتقل من هذه الدنيا الدنية إلى دار الكرامة والرحمة في صباح يوم الخميس التاسع عشر من ذي الحجة الحرام في سنة ١٣٦٥. ولقد ذكرت بعض كلماته الشريفة في البداء في بدء، ونفي الجبر في جبر، ووفاته في حجج في وقائع ذي الحجة. وله طاب ثراه مؤلفات ومصنفات في الفقه والأصول والمعارف وأصول الأصول كلها مخطوطة. قال العلم العلام حجة الإسلام الحاج شيخ محمود الحلبي الخراساني من أفاضل تلامذته في تاريخ فوته:

يوم الخميس تلو عيد الغدير	نال إلى لقاء حي قدير
قلت لعام فقد هادينا	غاب من الأعين مهدينا»[1]

١٠٩ ـ السيّد محسن الأمين العاملي، المتوفىٰ سنة ١٣٧١

مع أنّه مدح جملة من الفلاسفة في موسوعته أعيان الشيعة، إلا أنّ له مؤاخذات

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ١٠ / ٥١٧ ـ ٥٢٠.

حادّة على الفيلسوف المحقّق صدر الدين الشيرازي، فمن جملة كلامه ما نصّه:

« من الأمور التي سجّلت على المترجم تحامله على الفقهاء وتوهينه لهم، بل على كل من اشتغل في العلوم، عدا من لهم رسوخ في الحكمة العرفانية. قال صاحب المستدرك: « قد أكثر في كتبه من الطعن على الفقهاء وحملة الدين وتجهيلهم وخروجهم من زمرة العلماء ». والحق أن صاحبنا تجاوز الحد في الشكوى الثائرة والنقد القاسي الذي لا يطاق... حتى كلمة الفقهاء يريد أن يسلبها من علماء الفقه ويعطيها لأصحاب الشهود... بل لا يرى للفقهاء شانا في المعرفة والعلم والدين،... وما أقسى كلمته عنهم: « أكثرهم أشقى من الجهلاء » !... وعلى كل حال، فهو لم يختص بنقد الفقهاء، بل تجاوز إلى نقد جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وطرقهم، من الحكماء أصحاب البحث والمتكلمين إلى المتصوفين والأطباء وعلماء اللغة والمؤرخين. بل اعتبر جميع الناس هالكين، وإنّ الايمان الحقيقي في غاية الندرة بل لا يوجد في كل عصر إلا واحد أو اثنان. (أسرار الآيات له ص ٧) بل عنده أكثر أهل الاسلام ظاهرا أهل الكفر والشرك باطنا...

ومن تهكماته في المشتغلين بغير الحكمة العرفانية قوله في أسرار الآيات ص ٦٥: « إن كنت من أهله وإلا فغض بصرك عن مطالعة هذا الكتاب يعني أسرار الآيات والتدبر في غوامض القرآن. وعليك بممارسة القصص والأخبار والروايات وعلم السير والأنساب، وتتبع العربية واللغة وتحمل الرواية من غير دراية، وما هو عندك كالنتيجة للكل يعرض بما يذكره الفقهاء في علم الأصول من لزوم دراسة بعض العلوم مقدمة للفقه من البحث عن المسائل الفرعية الخلافية، ونوادر تفريعات الطلاق والعتاق والسلم والرهن والإجارة وقسمة المواريث ...إلى أن يقول: وقد نصب الله لها كسائر الأمور التي هي أدون منزلة منها أقواما

يعظمون الأمر فيها ويصرون عليها ويفرحون بها. وكل حزب بما لديهم فرحون. قيمة كل امرئ على قدر همته ». وهكذا ينقم على الفقهاء علمهم، كما ينقم على غيرهم. ولا يرضى بغير الحكمة علما وبغير الحكماء علماء.

وهذا كله غلو مفرط في فلسفته... ولا يبرر تحامله على الناس ذلك التحامل القاسي أنه لاقىٰ عنتاً منهم أشرقه بريقه، فان هذا ليس من شيمة العلماء الآلهيين الذين يتطلبون صلاح البشر وهدايتهم إلى الله تعالى، فلا ينبغي أن ينتقم لنفسه منهم. وإذا كان قصده إقلاعهم عما هو عليه وإقبالهم على الحكمة والمعرفة الفلسفية فليس هذا طريق ترغيب البشر وتحبيذ سبل النجاة لهم بالعنف والشتم والتحقير. بل يلزم للمرشد الهادي أن يأخذ بأيدي الناس إلى الخير بالرفق والشفقة والمحبة.

وأكبر الظن أن فيلسوفنا كان مصاباً بكبت عنيف نتيجة لحرمان قاس. وهو الذي دفعه فيما أظن إلى العزلة الطويلة في الجبال النائية خمسة عشر عاماً، كما تحدثنا عنه في الفصول السابقة، ودفعه إلى النفرة من الناس والنظر إليهم بمنظار أسود قاتم. وإن كنت لم أستطع أن أقف على ظروفه الخاصة، لأحكم على مصدر ذلك الكبت ونوع ذلك الحرمان. ولعل ذلك الكبت قد رافقه منذ الصغر، وهذا الذي حدد له اتجاهه الفلسفي وطريقته العرفانية الصوفية. وإن كان قد يعتقد هو أن تفكيره وعقله الواعي هو الذي ساقه إلى اختيار هذا السبيل. وقد نجد ما يشير إلى ذلك الكبت والحرمان إعلانه للتذمر والنقمة والقسوة في النقد كلما وجد لذلك مجالا على الفقهاء على المتكلمين، على الحكماء، على الصوفية. وتكاد تكون أكثر تلك الاندفاعات لا شعورية منبعثة من عقله الباطن ».[١]

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ٣٢٩ ـ ٣٣١.

وقال إنّه لم يفسّر القرآن ولا شرح أصول الكافي إلا لأن يحمّل على الكتاب والسنّة آرائه الفلسفيّة، فقال:

« حتى كتب التفسير التي ألفها على ما يظهر لغرض تطبيق فلسفته على القرآن الكريم... ويبالغ في التوفيق بين فلسفته والدين مبالغة تجعله أبعد ما يكون عن الرياء والدجل، حتى يكاد ان يجعل كتبه الفلسفية تفسيرا للدين، وكتبه الدينية كتفسير القرآن الكريم وشرح أصول الكافي تفسيرا للفلسفة. ولذا نقول إن كتبه في التفسير وشرح الحديث هي امتداد لفلسفته ».[1]

ولقد عاتبه على تعظيمه لابن العربي وتبجيله اياه الى أن جعله في مصافّ أهل العصمة، قال:

« يكثر من النقل عن محي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ في جميع كتبه ولا يذكره الا بالتقديس والتعظيم... فعده من أئمة الكشف والشهود وجعله في صف أمير المؤمنين عليه السلام، ووصف كلامه بالشريف يجعله أعظم من أن يصح في الاعتذار بأنه لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قيل ».[2]

و قال السيّد العاملي:

« كثر التشنيع على هذا الرجل بعد وفاته عند رجال الدين حتى كان اسمه ومؤلفاته مثار السخط والاشمئزاز. ويكفي أن نعرف أن الشيخ احمد الأحسائي المتوفى سنة ١٢٤٣ كفّره الناس لميله إلى بعض آراء المترجم... بل صاحبنا قد لاقىٰ من العنت في زمانه ما دفعه إلى اعلان تذمره من اهله والسخط عليهم في عدة تصريحات ثائرة عنيفة في أكثر كتبه، لا سيما في مقدماتها. بل ألجأه ذلك إلى أن يهرب بنفسه فينزوي

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ٣٢٤.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ٣٢٨.

في بعض النواحي البعيدة، على ما سبق.
ومن امض التشنيعات عليه في نظري أن يقال: في صدد الثناء على ولده ميرزا إبراهيم: « وهو في الحقيقة مصداق يخرج الحي من الميت » وعلل ذلك بأنه « كان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة »[1] بينما أن الوالد هذا لا يرى في غير الحكمة والعرفان حياة للنفس الانسانية، بل من يتجرد عن ذلك يقسو عليهم فيعبر عنهم باهل الجلود الميتة ».[2]

وذكر السيّد العاملي أنّ من جملة المؤاخذات عليه قوله بوحدة الوجود، وذكر أنّ له معان فما ذهب اليه العرفاء نظراء ابن عربي كفر صراح، فقال:

« إن الرأي المعروف بوحدة الوجود على اجماله يعتبر من سمات المتصوفين التي تدفعهم إلى دعوى الشطحات والمواجدة وعلم المغيبات وما إليها، ويعدّ من أكبر الوصمات فيهم الملازمة لطعنهم بالكفر والزندقة. وهو يساوق عند الناس مقالة الحلول والتناسخ. وهذه الكلمات وحدها مدعاة لإثارة الشعوربكراهية القائل بها، وللاستنكار لأقواله والتسرع بنسبته إلى الكفر، وأن لم تتحدد معانيها ومفاهيمها بالضبط، ولم تعرف العامة السر في التكفير بها. قال الشيخ احمد الأحسائي في شرحه للعرشية ناقداً المولى محسن الفيض ص ١٢: فإذا لم يكن قوله هذا قولا بوحدة الوجود إذن، وموضع الشاهد نقله الاجماع على تكفير معتقد وحدة الوجود.
اما السر في التكفير بها، فقد قيل: أن لازم هذه المقالة أن يكون أمير

---

(١) هذا الكلام للميرزا الأفندى صاحب رياض العلماء.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩ / ٣٢٦.

المؤمنين عليه السلام وقاتله ابن ملجم مثلاً ممدوحين ناجيين. وكذا موسى وفرعون، والحسين عليه السلام ويزيد، وهكذا الخلق كلهم سعيدهم وشقيهم اما لا شقي أو لا سعيد.

وقيل: أن لازمها أن يتصف الله تعالى بصفات الممكنات أو تتصف الممكنات بصفات الواجب، أو تكون هو إياها أو هي إياه، فتكون واجبة الوجود أو معبودة، فتصح العبادات لفرعون والأصنام والشمس والقمر وهكذا. قال الشيخ احمد الأحسائي في شرح العرشية ص ١٧ مخاطبا للمولى محسن الفيض متهكما: «قل أنا الله، ولا تخف فإنك بالتصريح تستريح وتريح».

وعلى كل حال فقد اقترنت مقالة وحدة الوجود بإطار من صفة المروق من الدين والكفر والزندقة، مع أن لها كما سيأتي عدة معان ربما لا يكون لأحدها تلك اللوازم الباطلة ولا غيرها. ولكن لا صبر للرأي العام على التفكير في ذلك، والتفكيك بين المعاني وتوجيه كلام القائل بها».[١]

ثمّ ذكر العاملي لوحدة الوجود الذي ذهب إليه ملاصدرا محملاً لا يستلزم منه الكفر، لكن صرّح بعد ذلك بإنّ الظاهر من بعض عباراته هو المعنى الذي يلزم منه الكفر.

وقد ذكر السيّد محسن الأمين رحمه الله كلاماً في الردّ علىٰ الفلاسفة ودعواهم ارتباط الشريعة بالفلسفة ـ وسنذكره فيما بعد ـ ثمّ قال:

«والكلام الذي حكاه أبو حيان عن شيخه محمد بن بهرام في الرد على اخوان الصفا في ربطهم الشريعة بالفلسفة كاف واف».[٢]

---

(١) نفس المصدر.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

وبعد أن ذكر كلاماً لبعض الفلاسفة[١] في الفرق بين الفلسفة والنبوّة وأنّ الشريعة طبّ المرضىٰ والفلسفة طبّ الأصحّاء، وأنّ الأول ظنّي تقليدي والثاني يقيني برهاني، عقّبه السيد محسن الأمين رحمه الله بقوله:

« وأما زعم المقدسي ان الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الأصحاء، فزعم فاسد، بل الشريعة طب المرضى والأصحاء، كزعمه الفرق بينهما بان هذه تقليدية وهذه برهانية الخ، فان جلّ ما ذكره من الصفات أو كله بعكس ما ذكره ».[٢]

١١٠ ـ آية الله السيد الزعيم حسين الطباطبائي البروجردي، المتوفّىٰ سنة ١٣٨٠

وافق السيد اليزدي في كلا الحكمين السابقين.[٣]

وقد كان له مواقف تجاه الفكر الفلسفي والصوفي في حوزة قم المقدّسة.

فلمّا شرعت المكتبه الاسلاميّة في تجديد طبع كتاب بحار الأنوار وطبع منه بعض المجلّدات بتعليقات فلسفيّة من العلامّة الطباطبائي والتي تحامل فيها علىٰ العلامة المجلسي ونسبه إلىٰ قصور الفهم في المطالب البرهانيّة وأنّه كان الأولىٰ له أن لايتدخّل فيما لاباع له من المسائل العقليّة، واجه السيّد البروجردي تلك الظاهرة بشدّة وسخط على العلامّة الطباطبائي وقال:

« إنّه لو استدام في كتابة تعليقاته فلامحيص من أن أتكلّم فيه بكلمة صارمة ».

كما اعترض علىٰ ذلك غير واحد من الأعلام والمراجع في النجف الأشرف

---

(١) وهو محمد بن معشر المقدسي الذي عدّه الشهرستاني من متأخّري فلاسفة الإسلام. الملل والنحل، الشهرستاني: ٢ / ١٥٨.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٣) العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر المكتبة العلميّة الإسلاميّة: ١ / ٦٨ و٦٩ و ٢ / ٣٠٨.

وطلبوا من السيّد البروجردي أن يمنع ذلك. وأرسل السيّد البروجردي إلى مدير المكتبة الإسلاميّة وحذّره من أن يدرج تلك التعليقات، وفعلاً امتنع من درج تعليقات العلامّة الطباطبائي بعد أن ادرجها إلى المجلّد السادس من تلك الطبعة.[١]

وواجه السيّد ظاهرة ترويج الفلسفة في حوزة قم المقدّسة وتدريسها ـ التي بدأت من العلامّة الطباطبائي وبعض آخر ـ فأراد أن يصدر فتوىٰ بتحريم تدريس الفلسفة ودراستها حفاظاً على الحوزة الشيعيّة من التأثّر بالأفكار المنحرفة الفلسفيّة، فتوسّط في ذلك بعض تلامذة السيّد الزعيم وأقرباءه وحذّروه من ذلك، خوفاً من أن تتّهم الحوزة الشيعيّة بعدم الحياديّة في مقابلة الآراء المخالفة[٢]، بل عن بعض آخر أنّ السلطة الحاكمة في طهران طلبت من السيّد الزعيم أن يهدّأ

---

(١) القصّة مشهورة ومعروفة وقد ذكرها غير واحد من الشاهدين للحدث، وقد احتمل الشيخ علي الدواني الذي كان من شهود العيان أنّ من جملة مراجع النجف الذين اعترضوا على هذه التعليقات السيّد محمود الشاهرودي، كما صرّح بأنّ منهم أيضاً العلامة الأميني. بل ذكر الدواني أنّ العلامّة الطباطبائي اغتاض من هذا الموقف لعلماء النجف لاسيما الشيخ الأميني، كما اشتكى من السيّد البروجردي لموقفه السلبي في قبال الفكر الفلسفي الذي كان يرأسه العلامّة الطباطبائي، حتى أرسل اليه أن يكتب اسمه في كتابه «اصول فلسفه وروش رئاليسم» بنحو لايشتبه مع اسمه «حسين الطباطبائى البروجردى»، فاغتاض العلامّة الطباطبائي وقال: ليطمئن السيد البروجردي أنّه لايعرفه أحد بالفلسفة كي يشتبه عليه الأمر. راجع: (زندگاني زعيم بزرگ تشيّع آيت الله بروجردى، على الدواني: ٣٨٣ و ٣٨٤، ومفاخر اسلام، على الدواني: ١٣ / ٢٣٧).

وراجع: (علامه مجلسي اصولى يا اخبارى، على الملكى الميانجي: ص ٨٧ و ٨٨). فقد ذكر أنّه سمع ذلك عن كثير من الأعلام ومن المقرّبين للسيّد البروجردي وذكر أسماءهم، كما ذكر أنّه استفسر في ذلك عن مدير المكتبة الإسلاميّة فقال: «دعاني السيّد البروجردي في بيته وكان مستاءً جدّاً عن درج التعليقات وقال لي: لاتدرج تلك التعليقات بعد ذلك في البحار».

(٢) نقل ذلك علي الملكي الميانجي في كتابه وقال أنّه سمعه عن آية الله الشيخ لطف الله الصافي الذي كان من تلامذة السيّد وبطانته. (علامه مجلسى اصولى يا اخبارى: ٨٥».

من شدّة موقفه تجاه العلامّة الطباطبائي[١].

وعن بعض آخر من تلامذة السيّد وبطانته أنّ السيّد الزعيم البروجردي قدّس سرّه قال:

« إنّ السيّد أبو الحسن الإصفهاني قد حرّم الإشتغال بالفلسفة وأنا أريد أن أفعل مثل ذلك ».

فقيل له: إنّ بعض الآذربايجانيّينن يدرّس الفلسفة في قم فيخاف أن يثار شجار وفتنة بين الطلاب. فقال السيّد حفاظاً على الحوزة من التشاجر والإختلاف:

« فأنا لا أفتي بتحريم الفلسفة رسميّاً ولكن لا أسوغ الاستفادة من الراتب الشهري الحوزوي لمن يشتغل بالفلسفة تدريساً أو تدرّساً ».[٢]

وعن بعض تلامذته أنّه قال: استشكل على السيّد أحد تلامذته بعد الفراغ من الدرس وأراد أن يستشهد بكلام من الفلاسفة، فما أن قال: إنّ الفلاسفة أو بعض الفلاسفة، حتىٰ قطع السيّد كلامه وردّ عليه مسرعاً وقال:

« لاتذكر عندي شيئاً عن الفلاسفة ».[٣]

---

(١) ذكره الملكي في كتابه المذكور عن بعض الأفاضل من تلامذة الميرزا محمّد على السرابي، كما ذكر أنّه سمع عن آية الله السيّد موسى الشبيري الزنجاني تلك الموقف من السيّد البروجردي ومحاولته تحريم الفلسفة فمنع عن ذلك بتوسّط بعض بطانته وحواشيه، وعن آية الله السيّد مصطفى الخوانساري أنّ علّة ذلك وساطة بعض تلامذة السيّد. (علامه مجلسى اصولى يا اخبارى: على الملكي الميانجي: ٨٥).

(٢) نقله عنه الشيخ محمد تقي الصديقين الاصفهاني من أعاظم تلامذة السيد البروجردي عن الشيخ محمد المقدّس الذي كان من المعروفين ومن أهل الوثوق وكان على ارتباط دائم مع السيّد البروجردي. ذكره في كتابه « چند خاطره از آية الله بروجردى » الذي ألّفه في أواخر حياته، والكتاب مخطوط موجود عند أحد أبنائه وقد نقلت عنه، والقصّة مشهورة لاتنكر.

(٣) والعبارة الفارسيّة التي قالها السيّد هي « حرف فلاسفه را نزد من نزن ». ذكره الشيخ محمد تقى ←

وقال أيضاً: المظنون ان لم يكن المقطوع أنّه قال في أثناء درسه:

« التصوّف منشأ لجميع المذاهب الباطلة »[١].

وكان يقول ما مضمونه:

« كنت أطالع كتاب المثنوي، فسمعت يوماً من الأيّام هاتفاً يقول :إنّه قد ضلّ عن السبيل ! فتركته وعطفت بعد ذلك على كتاب عدة الداعي لابن فهد الحلّي »[٢].

كما اعترض على ولده السيد أحمد حيث اشترى كتاب المنظومة للسبزواري في أوائل شبابه مع أنّه كان من الفضلاء، وقال:

« إنّ صرف المال في شرائه غير مسموح شرعاً »

وعلّل بأنّه غير مؤهل لقراءة هذا الكتاب.[٣]

١١١ ـ الشيخ محمّد رضا المظفّر، المتوفّىٰ سنة ١٣٨٣

مؤلّف كتاب المنطق وأصول الفقه من الكتب المتعارفة دراستها في الحوزات العلمية، وقد كان له دروس في الفلسفة يلقيها علىٰ جمع من تلامذته في كليّة الفقه التي أسّسها في النجف الأشرف. وقد جاء في تلك الدروس أنّ علم الكلام

← الصديقين الإصفهاني في كتابه « چند خاطره از آية الله بروجردى »، وقال: أنّ الواقعة كانت في مسجد عشقلى بعد درسه في الاصول، وقد كان يلقي درسه بعض الأيام في ذلك المسجد لقربه من بيته.

(١) الشيخ محمد تقى الصديقين الاصفهانى في كتابه المذكور.

(٢) ذكر ذلك بعض تلامذته كالشيخ لطف الله الصافي مد ظلّه في كلام دار بين سماحته ومجلّة «حوزه» وقد طبع في كتاب: چشم و چراغ مرجعيت: ١٤٢.

(٣) ذكر عنه هذه القصّة الشيخ محسني الملايري في الكلمة التي دارت بينه وبين مجلّة «حوزة» وقد طبع في كتاب چشم و چراغ مرجعيت: ص ٢٨٣.

إنّما نشأ لردّ عادية الفلسفة اليونانيّة عندما هاجمت عقائد المسلمين، وأن الفلسفة ليس فيها طابع ديني والفلاسفة لايبالون أن يخالف رأيهم ديناً أو مذهباً، ولأجل ذلك قد ينجرّ بهم الأمر إلىٰ الخروج عن دائرة الدين والمذهب واقعاً أو ظاهراً.

قال:

« الفلسفة تبحث عن الموجودات بما هي موجودة وثابتة من حيث هي في نفس الأمر والواقع، وتنقسم إلىٰ فلسفة عامّة وفلسفة إلهيّة، فالعامّة كالبحث عن العلّة والمعلول، والإلهيّة مثل البحث عن وجود الله تعالىٰ وصفاته. وتفترق الفلسفة عن علم الكلام، أنّ الكلام وضعه المسلمون للدفاع عن الدين، والفلسفة ليس فيها طابع ديني ولاتسلك مسلكاً معيّناً أو تتبع ديناً بخصوصه، بل تبحث عن الحقائق علىٰ ما هي عليه. وهذا التجرّد قد يحمل الفيلسوف علىٰ تبنّي رأي مخالف للشريعة الإسلاميّة أو لظاهر الشريعة الإسلاميّة ممّا يوجب الخروج عن الدين في واقع الأمر أو في نظر المسلمين، والفيلسوف لايبالي أن ينقض البرهان الذي أقامه ديناً أو مذهباً.

ولما انتشرت الفلسفة اليونانيّة قلّدها بعض العرب تقليداً أعمىٰ ومن غير نضج فأوجب بلبلة في الأفكار عند المسلمين وشعر المسلمون بأنّهم مهاجَمون من قِبَل الفلسفة اليونانيّة. ولمّا كانت طبيعة الفلسفة النظر إلىٰ حقائق الأشياء غير مقيّدة برأي ولاعقيدة، واصطدمت هذه الفلسفة اليونانيّة ببعض مواقف الدين الإسلامي وأفكاره تصدّىٰ المسلمون للدفاع عن عقائدهم بأسلوب البراهين الفلسفيّة وحاولوا التنسيق بين الآراء الرائجة في الفلسفة وبين نظريّات الإسلام فنشأ علم الكلام. فعلم الكلام انما نشأ للدفاع عن العقيدة الإسلاميّة عندما هاجمتها الفلسفة اليونانيّة... وأما علم الكلام فلايشبه الفلسفة لأنّه إنّما نشأ عند المسلمين

لردّ عادية الفلسفة المهاجِمة خوفاً من أن تؤثّر على العقيدة الإسلاميّة أو ما يرونه عقيدة إسلاميّة ».[١]

وقال أيضاً:

« لما هاجمت الفلاسفة أفكار المسلمين و أوجبت اضطرابهم وتبلبلهم وقد كان الناس في السابق يقدّسون الفلسفة ويتلقّون أفكارها كوحي منزل، نشأ من ذلك حالة من الإزدواجيّة تدعو إلىٰ التوفيق ـ مهما كلّف الأمر ـ بين ما جاء به الإسلام وما جاءت به الفلسفة ولو بتأويل ما جاء به الإسلام لصالح ما جاءت به الفلاسفة في الحالة التي يوجد فيها تغاير وتعارض بين الإثنين، فنشأت مذاهب ومدارس فكريّة مختلفة متنافرة نتج عنها فتن كثيرة وسالت فيها دماء كثيرة... ونتج عن ذلك مصادرة للحريات وصار البحث حول الأدلّة التي تؤيّد الأفكار المتبنّاة، لا البحث عن الواقع كما جاء في الأثر...

وابتعد الناس عن الينابيع الأصليّة للفكر الإسلامي ولم يراجعوا ما كان صدوره قطعياً من الآثار، ولم يهتمّوا بما جاء عن أهل البيت في تصحيح الأفكار. وقد كان هدف ائمّة الهدىٰ أن يذكّروا الناس بما جاء به جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله...

وكان سبب ظهور الفتن هو تبنّي آراء مغلوطة واعتبارها من الإسلام والتماس الأدلّة لها من القرآن والمصادر الأخرىٰ ولو بالتأويل والتمحّل. مع أنّ الصحيح هو أخذ أفكار الإسلام من ينابيعه الأصليّة الثابتة بطريق قطعي، حينذاك لا تحتاج تلك الأفكار إلىٰ البرهنة عليها إلا كوسيلة للإقناع ».[٢]

---

(١) الفلسفة الإسلاميّة، محمّد رضا المظفّر، إعداد السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي: ٧٥ و ٧٦.

(٢) المصدر السابق: ٧٧ و ٧٨.

وفي هذه العبارة تصريح بتمايز نهج أهل البيت عليهم السلام عن نهج الفلاسفة، وأنّ الفتن والمشاكل إنّما حدثت جرّاء حدوث حالة من الإنفعال والتقهقر للمسلمين تجاه الفلسفة التي بدأت تهجم بقوّة علىٰ عقائدهم، فحين رأوا أنّ معطيات الفلسفة لاتوافق معطيات الإسلام، و لم يكن عندهم قدرة علىٰ مكافحة ذلك الهجوم الفلسفي، فنشأ من ذلك حالة من الإزدواجيّة والإلتقاط وحاولوا التوفيق بين النهجين ولو بتأويل ما جاء به الوحي لصالح الفلسفة.

وحينذاك لم يكن يهتمّ الناس إلا بإقامة الأدلّة علىٰ الأفكار المتبنّاة، ثمّ حمل الكتاب والسنّة عليها ولو بالتأويل البعيد، فابتعدوا عن نهج أهل البيت عليهم السلام الذين لم يكن لهم همّ إلاّ تذكير الناس بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله.

وكان يرىٰ الشيخ المظفّر رحمه الله أنّ الفلسفة هي أساس الإختلافات بين المسلمين، وهي أعجز من أن يستند إليها الإنسان لأخذ العقيدة، بل هي أبعد ما تكون عن العقيدة الصافية المستقيمة. فقد جاء في تلك الدروس أيضاً:

« أساس الإختلاف بين المسلمين هو تأثّرهم الشديد بالأفكار الفلسفيّة التي سرت إليهم من هذه الفلسفة اليونانية... لابأس أن يقرأ الإنسان العلوم ولكن لا علىٰ أن يستقي منها عقيدته بالله واليوم الآخر، فالإنسان حين ينظر إلىٰ نفسه وأموره يجد لها خالقاً مدبّراً، ولكن ندرس الفلسفة لردّ الشبهات وللإقناع ولتوسيع أفق الذهن وزيادة المعلومات، و لانأخذ منها عقيدتنا، والفلسفة أبعد ماتكون عن العقيدة الصافية الخالصة الصحيحة.

ولا يجب أن نعتقد بالله علىٰ طريقة الفلاسفة لأنّ الله لم يكلّفنا بذلك، بل العقيدة العاميّة تكفي عند الله، ولكنّك لاتستطيع أن تفهم المصطلحات والبحوث الفلسفيّة دون أن يكون لك إلمام بالفلسفة. إنّ

الذي لاعقيدة له ويريد أن يستند في عقيدته إلىٰ مثل هذه الفلسفة فهو يضرب بحديد بارد».[1]

أقول: ما أبعد بين هذا الكلام وبين ما مرّ عن بعض المعاصرين حيث رأىٰ أنّه لاتتمّ للإنسان عقيدة ولايخرج عن الإلحاد إلىٰ الإيمان إلا بقراءة الفلسفة، أو أنّ طريق الفلسفة أكمل وأتم من طريق التفكر في آيات الكون الذي دعا لها القرآن في آيات عديدة، أو غير ذلك من الدعاوي التي مرّ ذكرها. ففي رؤية الشيخ المظفّر أنّ قراءة الفلسفة ليس لأجل التبنّي أو ثبات العقيدة، فإنّها بمعزل عن العقيدة الصحيحة.

وأمّا ما ذكره وجهاً لدراسة الفلسفة فغير وجيه؛ إذ أنّه كما مرّ لاتكون الدعوة تامّة بالغة حتىٰ تتصدّىٰ لدفع جميع الشبهات التي ترد عليها، فعلى الدعاة إلىٰ الله الذين هم النبي وأهل بيته المطهرين عليهم السلام أن يتصدّوا لإجابة تلك الشبهات التي قد ترد علىٰ دعوتهم، كما أنّ الدعوة إلىٰ الله لاتتمّ إلا بإقناع الملحدين الذين لم يقنعوا بالمذهب بعد. فهل شأن الدعوة إلىٰ الله فوّض إلىٰ الفلاسفة بعد أن اعتزل عنه الأنبياء والرسل والأوصياء؟

والظاهر أنّ مراده من الإقناع هو إسكات الخصم وإفحامه، دون الإقناع النفسي الذي يتبعه الإيمان والعقيدة، فإنّه الذي يناسب قوله عدم إمكان أخذ العقيدة من الفلسفة، وقد قال قبل ذلك أنّ الإستدلال بالفلسفة علىٰ العقائد الحقّة يكون نظير ما اذا أردنا أن نقنع بعض الغربيين بالصلاة، فنقول: انّها رياضة يمارسها المسلمون في اليوم خمس مرّات، لأنّ الرياضة عندهم أعلىٰ من جميع المقدّسات.

ولكن لا يعلم جواز مثل هذا الإفحام أو الإسكات الذي لايتبع قناعة و لا إيماناً، بل يزيد في اللجاج والعناد ولايستخدم إلا في الجدال والمراء المحرّم، ويفتح

---

(١) المصدر السابق: ٧٩ و ٨٠.

باب النقض علىٰ الحقّ. وقد ورد النهي عن هذه الكيفيّة من الجدال نظير ما قال أبو عبد الله عليه السلام لأحد أصحابه ينهيه عن الكلام:

«قيّاس روّاغ تكسر باطلاً بباطل إلا أنَّ باطلك أظهر».

كما نهىٰ غيره عن ذلك وقال:

«تمزج الحق مع الباطل، وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل».[1]

وفي كتابه أصول الفقه صرّح بأنّ نقل الفلسفة من اليونانيّة إلى العربيّة سبّب خفاء كثير من الألفاظ الشرعيّة و خروجها عمّا كانت عليه سابقاً، قال في بيانه حول آية النبأ، وتفسيره لكلمة الجهل الوارد في الآية:

« والذي يبدو لي من تتبع استعمال كلمة الجهل ومشتقاتها في أصول اللغة العربية: أن إعطاء لفظ الجهل معنى يقابل العلم بهذا التحديد الضيّق لمعناه جاء مصطلحاً جديداً عند المسلمين في عهدهم لنقل الفلسفة اليونانية إلى العربية الذي استدعى تحديد معاني كثير من الألفاظ وكسبها إطاراً يناسب الأفكار الفلسفية »[2].

١١٢ ـ الشيخ عبد النبي العراقي، المتوفّىٰ سنة ١٣٨٥

قال في شرحه على العروة الوثقى:

« إنّ وحدة الوجود يطلق على أنحاء و قد ذكر الحاجي السبزواري أنّها تطلق على أربعة أوجه، و جعل بعضها توحيد العوام، و بعضها توحيد الخواصّ، و بعضها توحيد خاصّ الخاصّ، و بعضها توحيد أخصّ الخواصّ. فيا ليت شعري إذا كان الأمر كما يزعمون فمن العابد و من المعبود، و من

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١ / ١٧٣.

(٢) أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر: ٣ / ٧٨.

الخالق و من المخلوق، و من الآمر و من المأمور، و من الناهي و من المنتهي، و من الراحم و من المرحوم، و من المثاب و من المعاقب، و من المعذِّب و من المعذَّب، و من الواجب و من الممكن ؟

إلى غير ذلك من الكفريّات التي أنكرها الشرايع برمّتهم، و خلاف ضرورة كلّ الشرايع.

مع أنّهم (أي الصوفية) طرّاً قائلين بوحدة الوجود، و معناه أنّ في الخارج ليس إلاّ وجود واحد و هو عين الأشياء، و يلزم أن يكون المبدأ عزّ اسمه عين الحيوانات النجسة و عين القاذورات و هكذا، تعالى الله عمّا يصف الظالمون، ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] إلى غير ذلك من لوازم المسئلة، فخذلهم الله فأنّى يؤفكون، فـ﴿ مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[2]، فـ﴿ سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[3]. و لذا قال الشيخ قدّس سرّه في طهارته في أمثال المقام بعين العبارة:

إنّ السيرة المستمرّة من الأصحاب قدّس سرّهم في تكفير الحكماء المنكرين لبعض الضروريّات و لولا يرجع إلى إنكار النبي صلى الله عليه و آله.

فلاريب في كفر القائل و نجاسته و لو التزموا بأحكام الإسلام. إذ ثبوت الكفر في أصول الدين من العقائد الخبيثة الملعونة و الإعتقاد بها و الإلتزام بها و الإذعان لايفيد الإلتزام بأحكام الإسلام لو أراد بها في الفروع، و لو أراد بها في الأصول فهما ضدّان أو متناقضان، كيف يمكن الالتزام و هل الخلف إلاّ ذلك ؟

---

(١) هود: ١٨.

(٢) الأنعام: ٩١.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

فالأقوى أنّ القائل بها خارج عن ربقة الإسلام و رجس و نجس، و قول الماتن من ذهابهم إلى عدم نجاستهم فرضٌ فرضه لا وجود له في الخارج، فكأنّه قدّس سرّه أراد التستّر مع وضوح المسئلة، و لذا قال إلاّ مع العلم بالتزامهم بلوازم مذهبهم الفاسدة »[١].

١١٣ ـ السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٦

له كتاب ذكرى الصوفيّة ردّاً عليهم وعلى الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، ففي الذريعة:

« ذكرى الصوفية، في الرد عليهم نظما لم يتم، خرج منه مأتا بيت، للسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني، ساجل بها فيلسوف مصر عبد الرحمن البدوي حول مبحث وحدة الوجود ».[٢]

وأيضاً ألّف في نقد آراء الحاجي السبزواري كتابه: فيض الباري في إصلاح منظومة السبزواري.

١١٤ ـ العلّامة الحاج الشيخ مجتبى القزويني، المتوفّىٰ سنة ١٣٨٦

تتلمذ في النجف الأشرف عند السيّد محمّد كاظم اليزدي والميرزا محمّد تقي الشيرازي والمحقّق النائيني، وبعد رجوعه من النجف تتلمذ عند الشيخ عبد الكريم الحائري وكذا عند السيد حسين القمّي، والسيّد موسىٰ زر آبادي، والميرزا مهدي الإصفهاني. وقد كان له نشاطات واسعة في مناقشة معطيات الفكر البشري والمواجهة مع التيار الفلسفي والصوفي، وقام بتدريس وتربية طلبة العلوم الدينيّة في حوزة مشهد المقدّسة زهاء أربعين سنة ميّز فيها بين معطيات الوحي

---

(١) المعالم الزلفى في شرح العروة الوثقى، عبد النبي العراقي: ١ / ٣٥٧.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ١٠ / ٤٠ / ٢٢٢.

ومعطيات الفلسفة والعرفان، وتخرّج على يده العديد من العلماء والأفاضل. وقد خلّف كتباً منها كتاب بيان الفرقان في خمسة مجلّدات، يناقش فيها الفلاسفة والعرفاء مع بيان معطيات الوحي في مسائل التوحيد والنبوّة والمعاد والمعرفة. وقد قال في سبب تأليف الكتاب ما ترجمته:

أنّه قد كانت في قديم الأيّام طريقة الفقهاء والتابعين للقرآن والسنّة مختلفةً عن طريقة الفلاسفة اليونانيين والعرفاء والصوفيّة، وكان كلّ يرى أنّ طريقه هو الحقّ وكان يتبرّى من المنهج الآخر، فإنّه كان من المسلّمات مخالفة منهج القرآن والسنّة مع منهج الفلاسفة. وترجمة الفلسفة اليونانيّة ونقلها إلى العربيّة قد تمّت في عصر الخلفاء.[١]

وقد ذكر في خاتمة المجلد الرابع منه كلمات العلماء في ذمّ الفلاسفة والعرفاء المتصوّفة والكتب التي صنّفت في ردّهم وذمّهم، فراجعه.

وقال بعد نقل كلام صاحب العروة في الحكم بنجاسة القائلين بوحدة الوجود إذا التزموا بلوازم مذهبهم من المفاسد ما ترجمته:

« ولا وجه لهذا التقييد، والأقوىٰ أنّ الحكم بالنجاسة والكفر بإطلاقه ثابت، كما حكم به مطلقاً جمع من أعاظم الفقهاء ».[٢]

١١٥ ـ الشيخ آقا بزرگ الطهراني، المتوفىٰ سنة ١٣٨٩

قال رحمه الله في بيان تاريخ اختراع قاعدة الواحد والأصل لها وكيفيّة دخولها في الأوساط المسلمة:

« الواحد لا يصدر منه الا الواحد، من الأصول الفلسفية عند الثنويين

---

(١) بيان الفرقان، الشيخ مجتبى القزويني: ١ / ٢.

(٢) بيان الفرقان في ميزان القرآن، الشيخ مجتبىٰ القزويني: ٤ / ١٦٤.

الفرس القدماء، وتخلصاً منه جاء النو أفلاطونيون في الإسكندرية بنظرية العقول العشرة لاثبات التوحيد، وعنهما أخذ الاشراقيون الصوفيون من المسلمون القائلون بوحدة الوجود، وألّفوا في الموضوع رسائل متعددة»[١].

وكذا قال في مسألة الوجود والماهيّة وأنّ الأصل في ذلك قول الثنويّة وكيفيّة تأثّر المعلم الثنوي على الفكر الفلسفي، فقال:

«الوجود من المسائل الفلسفية القديمة قبل الاسلام وبعدها، فبعد تبديل الأصلين الخير والشر، أو النور والظلمة، إلى الوجود والعدم، تبدّلت الثنوية الهنديّة الفارسية القديمة إلى توحيد إشراقي صوفي إسلامي، بأن قالوا: النور والخير والوجود مترادفات، والشر والظلمة عدمية فلا تحتاج إلى مبدء وجودي».[٢]

يظهر من هذه العبارات مدىٰ تأثّر أفكار الفلاسفة الإسلاميّة بالعقيدة الرائجة للملاحدة والزنادقة قبل الإسلام، وأنّها لاتمتّ إلىٰ شريعة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله بصلة.

وقد ذكر أنّ الفلسفة سبّبت تحريف كثير من الأديان السماويّة ونشأت منه ديانات منحرفة، فقال:

«لاشك أنّ العلوم دونت أولاً مختصراً مجموعاً، ثم شرحت وفصلت وانقسمت شيئاً فشيئاً، فالفلسفة في القرون السادسة والخامسة والرابعة قبل الميلاد كانت عند اليونانين علماً واحداً. ولمّا تأسّست الجامعة اليونانية الرومية في الإسكندرية بيد البطالسة ثم الرومان في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد انشعبت العلوم، ودامت في التوسع حتى القرن الثالث

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٥ / ٥.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٢٥ / ٣٤.

والرابع بعد الميلاد، حيث أخذ الدين المسيحي يتوسّع، وأرغمت العلم والفلسفة على التواضع امامها. ثم بعد اجتياح الجرمن لأروپا توقف سير الفلسفة في الغرب واتجهت نحو الشرق وامتزجت مع الأديان الشرقية وأفكارها، وأوجدت أدياناً أخر كالمانوية وغيرها».[1]

١١٦ ـ آية الله السيّد محسن الحكيم المتوفىٰ سنة ١٣٩٠

قد وافق السيّد اليزدي في فتواه بنجاسة القائلين بالجبر ووحدة الوجود من الصوفية إذا التزموا بلوازم مذهبهم من المفاسد، وكذا حكمه بحرمة الإرتزاق من الزكاة للفقير الذي يشتغل بالفلسفة عن التكسّب.[2]

وقال في مستمسكه على العروة الوثقى معلّقاً على كلام السيّد في نجاسة القائلين بوحدة الوجود:

« حسن الظن بهؤلاء القائلين بالتوحيد الخاص والحمل على الصحة المأمور به شرعاً، يوجبان حمل هذه الأقوال علىٰ خلاف ظاهرها، وإلّا فكيف يصح علىٰ هذه الأقوال وجود الخالق والمخلوق والآمر والمأمور والراحم والمرحوم؟! »[3].

١١٧ ـ المحقق الشيخ محمد تقي الآملي، المتوفّىٰ سنة ١٣٩١

وكان رحمه الله ـ مع كما إطلاعه على الفلسفة وتمهّره فيها ـ ناقداً لبعض المعطيات الفلسفية التي تمسّ العقيدة الصحيحة، وكان يرىٰ أنّ الفلاسفة الملتزمين بهذه المعطيات قد خالفوا إجماع المليين وضرورة الشرايع. قال في

---

(١) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٨ / ٣.

(٢) العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر المكتبة العلميّة الإسلاميّة: ١ / ٦٨ و٦٩ و ٢ / ٣٠٨.

(٣) مستمسك العروة العوثقىٰ، السيد محسن الحكيم: ١ / ٣٩١.

الردّ علىٰ مبنىٰ القدم الذي التزم به الفلاسفة:

« لابد لتصوّر مسبوقيّة وجود العالم عن عدمه الواقعي الفلكي الغير المجامع لوجوده من مخلص آخر ، إذ القول بحدوث العالم كذلك من ضروريات الدين ، بل المتفق عليه بين أهل الملل والنحل. فلا ينبغي القناعة في المقام بالقول بحدوث العالم ذاتا ـ بمعنى تأخره عن العدم المجامع مع وجوده كما عليه بعض الحكماء ـ لأنه مخالف مع قول المليّين »[1].

وقال في تعليقته علىٰ شرح المنظومة للسبزواري بعد توضيح مراد المصنّف في المعاد:

« هذا غاية مايمكن أن يقال في هذه الطريقة ، ولكنّ الإنصاف أنّه عين إنحصار المعاد بالروحاني ، لكن بعبارة أخفى... ولعمري انّ هذا غير مطابق مع ما نطق عليه الشرع المقدّس علىٰ صادعها السلام والتحيّة. وأنا أشهد الله وملائكته وأنبيائه ورسله في هذه الساعة ، وهي ساعة الثلاث من يوم الأحد الرابع عشر من شهر شعبان المعظّم سنة ١٣٦٨ ، في أمر المعاد الجسماني بما نطق به القرآن الكريم ، واعتقد به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين وعليه أطبقت الأمّة الإسلاميّة ».[2]

١١٨ ـ السيد عبد الهادي الحسيني الشيرازي ، المتوفّىٰ سنة ١٣٩٤

علّق على فتوى السيّد في نجاسة القائلين بوحدة الوجود قائلاً:

« إن لم يكونوا قائلين بالوحدة الشخصية ، وإلاّ فالأقوى نجاستهم ».[3]

---

(١) درر الفوائد ، تعليقة على شرح المنظومة ، الشيخ محمد تقى الآملي: ٢٦١.

(٢) درر الفوائد ، الشيخ محمد تقي الآملي: ٤٦٠.

(٣) العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين: ١ / ١٤٠ و ١٤١.

يعني إنّ القائلين بالوحدة الشخصيّة محكومون بالنّجاسة سواء التزموا بلوازم مذهبهم من المفاسد الإعتقاديّة أم لا، وأمّا غيرهم فلا يحكم عليهم بالنجاسة إلّا مع التزامهم بها.

وعلّق علىٰ فتوىٰ حرمة أخذ الزكاة لطالب الفلسفة أذا كان فقيراً فقال:

« لايبعد الجواز ».[١]

١١٩ ـ السيّد محمود الحسيني الشاهرودي، المتوفّىٰ سنة ١٣٩٤

أيّد السيّد اليزدي في فتواه بنجاسة القائلين بوحدة الوجود والجبر من الصوفية مع التزامهم بمبانيهم الفاسدة[٢]، وعلّق علىٰ فتواه بحرمة أخذ الزكاة للفقير المشتغل بتعلّم الفلسفة فقال:

« مع صدق عنوان الغني علىٰ القادر عرفاً أو لاأقل من الشك في صدق عنوان الفقير علىٰ المقتدر علىٰ الكسب، ففي هذا الفرض لايجوز أخذ الزكاة. وأما مع عدم صدق الغني عليه عرفاً فلا مانع من أخذ الزكاة، ولو لم يشتغل بالواجب المانع عن الكسب ».[٣]

وللسيّد الشاهرودي موقفاً صارماً للمشتغلين بالفلسفة في حوزة النجف المقدّسة آنذاك، حيث حرّم عليهم أخذ الراتب الشهري الحوزوي[٤]، كما أفتىٰ بتحريم ادراج تعليقات العلامّة الطباطبائي علىٰ الطبعة الجديدة من بحار الأنوار[٥].

---

(١) المصدر السابق: ٤ / ١٠٤.

(٢) العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر المكتبة العلميّة الإسلاميّة: ١ / ٦٨ و٦٩.

(٣) العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر المكتبة العلميّة الإسلاميّة: ٢ / ٣٠٨.

(٤) نقله عنه الشيخ محمد رضا البخارائي رحمه الله الذي كان من أعاظم تلامذة السيّد محمود الشاهرودي والسيّد أبوالحسن الإصفهاني ومن المختصين بهما، وكان متوليّاً للمدرسة البخارائيّة في النجف الأشرف.

(٥) ذكره الشيخ علي الدواني في كتابه آية الله بروجردي: ٣٨٤، وكذا آية الله السيّد موسىٰ الشبيري ←

١٢٠ ـ الميرزا أحمد الآشتياني، المتوفّىٰ سنة ١٣٩٥

وهو ـ مع كونه خبيراً في الفلسفة وعَلَماً لها ـ كان لايعجبه جملة من متبنيّات الفلاسفة لاسيّما مدرسة الحكمة المتعالية، وكان يراها مخالفةً لنصّ القرآن وضرورة الأديان. قال رحمه الله بعد مناقشته فيما أسّسه ملاصدرا في المعاد من تعلّق الأرواح بالأبدان المثاليّة دون المدفون في القبور:

« فإنكار المعاد الجسماني وعود الأرواح إلى الأجسام الذي يساعده العقل السليم يخالف نصّ القرآن، بل جميع الأديان وإنكار لما هو ضروري الإسلام، أعاذنا الله تعالى من زلات الأوهام وتسويلات الشيطان »[1].

من أعلام القرن الخامس عشر :

١٢١ ـ السيد حسن الحسيني اللواساني، المتوفّىٰ سنة ١٤٠٠

بيّن رحمه الله بطلان قاعدة الواحد و مبنى العقول العشرة، وأنّها تستلزم سلب القدرة عن الباري تعالى، وأدرج القائلين بهذا القول في زمرة ملاحدة الفلاسفة، فقال:

« وأنه سبحانه ينشئ بالقدرة الكاملة ما يختار لعباده من مصالحهم، خلافاً لبعض الملاحدة من الفلاسفة في قولهم باضطراره تعالى في وقوع الحوادث المختلفة في الكون، ودعواهم أنه لم يصدر منه جل وعلا إلا العقل الأول؛ احتجاجاً بأنّ الواحد البحت البسيط لا يصدر منه إلا الواحد، وأنه لا يمكن تعدد أثره. ولكنّك خبير: بأن ذلك على تقدير

← الزنجاني كما في: علامه مجلسى اصولى يا اخبارى، على الملكي الميانجي: ٨٨.

(١) لوامع الحقائق في أصول العقائد، ميرزا أحمد الآشتياني: ٢ / ٤٤.

تسليمه إنما يتم في المؤثر المضطر في ترتب أثره عليه، نظير النار والحرارة مثلا، حيث إنّها بذاتها علة لوجود أثرها، ولا يمكن اختلاف الأثر مع وحدة الذات. وأما في القادر المختار المنبعث فعله من إرادته وقدرته على طرفي الوجود والعدم كليهما لامن نفس ذاته وحدها فلا، ولا موقع للتوهم المذكور كما هو واضح».[١]

وردّ على الفلاسفة المنكرين لعلمه تعالى بالجزئيّات، فقال:

«و سيّان عنده تعالى ما يفعله الفاعل في مستقبل الأزمنة، وما فعل في أيامه الماضية. خلافا لبعض الفلاسفة حيث أنكروا علمه تعالى بالجزئيات المتبادلة في الأزمنة المتدرجة؛ احتجاجاً بأنّ... والجواب :... ».[٢]

وقال في ردّ معتقد الفلاسفة بالجبر:

«وهل ترى في وجدانك أنّ يخلق الربّ تعالى ثبوت الكفر والعصيان في من قد أثم، ويوجد فيه قهرا عليه، ما حصل الإثم به ثم يعذّبه وينتقم منه بذلك. وأنت خبير بأنّ أقسى ظالم لا يرضى بنسبة ذلك إليه، فكيف بخالق العدل الآمر بالقسط والناهي عن كل ظلم وقبيح. وربما ذهب بعض أذناب الرجل لترميم مذهبه إلى ما ذهب إليه بعض الفلاسفة من أن المؤثر في صدور الفعل من العبد إنما هو قدرته، ولكنّه مقهور في استعمال قدرته بجبر وإكراه من ربه له على ذلك. وفيه: أنّ ذلك قرين للجبر على نفس الفعل، بل هو عينه؛ فإنه لا فرق في صدقه بين الإكراه على نفس الفعل، أو الإكراه على سببه».[٣]

---

(١) نور الأفهام في علم الكلام، السيد حسن الحسيني اللواساني: ١ / ٨١.

(٢) نور الأفهام في علم الكلام، السيد حسن الحسيني اللواساني: ١ / ٨٩.

(٣) نور الأفهام في علم الكلام، السيد حسن الحسيني اللواساني: ١ / ٢٢٨.

ورداً عليهم في إنكارهم للمعاد الجسماني بيّن أنّ الفلاسفة غواة مضلّين وأنّ قولهم هو قول المكذّبين بيوم الدين وأنّ وجه إستغراب الكفّار هو حشر الجسم الدنيوي بعينه بعد فساده بعينه لاحشر النفوس المجرّدة، فقال:

« و هذا هو الذي أنكره الناس واستغربوه وردوا على سفراء الخالق تعالى ، وهم من بعثوا للاهتداء رسلا إلى الخلائق ، فأنكروا نشر العظام البالية وإعادة صورها الأولية عليها ، حال كونهامكسوة بلحمها وعصبها وعروقها كما كانت في النشأة الدنيوية بعينها هي هي. وذلك لوضوح أنه لو كان إخبار أولئك السفرة الكرام عليهم السلام ومن حذا حذوهم عن إعادة النفوس المجردة ـ على ما زعمه أولئك الغواة من الفلاسفة ـ لم يكن حينئذ وجه لاستعظام الكفار واستغرابهم ذلك ، وإنكار إمكان إعادتها بعد معلومية كونها خفيفة غير مرئية ، وكونها قابلة للبقاء على سبيل سائر المجردات الباقية ».

ثمّ ذكر آيات كثيرة دالّة على المعاد الجسماني بالبدن الدنيوي، وأعقبها بقوله:

« و هذا هو الذي نادى به خير البشر إجماعاً من الأمة ، بل ضرورة من الدين ، وأسمع الأمم به حتى الأصم منهم ، و أنثى وذكر والمؤمن منهم والجاحد ، حتى غدا وأصبح الأمر واضحا يعرفه الجميع من القبائل والفرق ، يعرفه الشريف والوضيع من الأمم ، وأصحاب الكتب والشرائع وغيرهم ، من عبدة الأوثان ، بحيث لم يبق لأحد منهم موقع للشك أو التأويل في قصده ومرامه صلّى الله عليه وآله وسلم من ذلك ، وقد بلغ ذلك أقصى مراتب التواتر.

وعليه ، فما أبشع وما أفسد ! تأويل بعض الغواة نداءه ذلك ، بأن مراده صلّى الله عليه وآله وسلم عن عود الأجسام إنما هو عود أجسام خفيفة مندكة في هذه الأجسام العنصرية ، مغايرة لها ، مستورة في بواطنها ،

غير مرئية بالأبصار الظاهرة، وهي شبيهة بأجسام الجن والملائكة، وليس فيها شيء من لوازم الأجسام: كاللون والثقل والطول والعرض والحجم، والحاجة إلى الحيز زمانا ومكانا وأمثالها، وليس لها فناء ولا تغيير، ولا يصيبها شيء من الآفات العنصرية والعوارض الجسمية، كالسمن والهزال والمرض والموت ونظائرها.

وقد ذهب إلى ذلك بعض أهل الضلال من الفلاسفة والنصارى وأصحاب التناسخ، ثم تبعهم في ذلك جمع من الصوفية والشيخية والغزالي وأتباعه من الأشاعرة وابن هيضم وأذنابه من الكرامية، وحملوا نداء الشرع كتاباً وسنةً في ذلك على عود تلك الأجسام الخفيفة المستورة دون الأجسام العنصرية التي تبلى بعد الموت.

يبقى على ما كان بعد ما انعدم ... أساس ما ركب من لحم ودم

فويل من يتبع ذلك المذهب الفاسد، أو يعتقد بصدق تلك الخرافات الواهية البعيدة عن التصور، فضلا عن التصديق. ويا ويل من يعرض عما عرفت من المذهب الحق العدل، و لمثله لا يهتدي ولا يتبصر فيبتغي جسما بتلك الأوصاف خلال الجسد العنصري... وأنت خبير بفساد تلك الخرافات وبشاعتها في الغاية...هذا، مع أن دعوى عوده لا تخلو أيضا من أن المراد منها إن كان عوده منفردا عن البدن العنصري منفصلا عن الجسد المشاهد المرئي مؤلفا مع النفس المجردة البسيطة، رجع ذلك إلى مذهب أولئك الملاحدة من الفلاسفة، وقولهم باختصاص الإعادة يوم المعاد بالنفس المجردة فقط، دون الجسد العنصري على ما عرفته مقروناً ببيان فساده».[1]

وأكّد على أنّ الفلاسفة جهّال يأوّلون محكمات الكتاب والسنّة على وفق

---

(١) نور الأفهام في علم الكلام، السيد حسن الحسيني اللواساني: ٢ / ٢٣٢ ـ ٢٣٦و

معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، وأنّ معتقداتهم الخرافيّة تكذّب الكتاب والسنّة فقال:

« و كذا ما ورد متواتراً في الكتاب و السنة القطعية ، وقام عليه إجماع الأمة من نعم الجنان التي لم تر عين مثلها ، ولم يخطر على قلب بشر ما أعد فيها ، من المأكل والمشرب والحور والقصور والغلمان المعدة لأهلها من الصلحاء السعداء. فإنّ كل ذلك أيضاً حق حقيقة بلا شك ولا تأويل ، ولا مجاز بنحو ماارتكبه بعض الجهّال المدّعين لأنفسهم الفلسفة والحكمة والمعرفة ، مع غاية قصورهم عنها جميعاً ، فأوّلوا تلك المحكمات المثبتة نقلاً وإجماعاً بأمور واهية حسب أهوائهم الكاسدة ، وآرائهم الفاسدة ، وعقولهم القاصرة ، بلا دليل شرعي ، ولا برهان قطعي ، وعدلوا فيها عن الحقائق إلى المجاز بمجرد الاستغراب ، وقصور أفهامهم عن إدراك المغازي فيها. فأوّلوا الجنة بحصول السرور بسبب نيلها بلذّاتها الحيوانية ، من حيث المأكل والمشرب والمنكح والمسكن والملبس وأمثالها ، أو بلذاتها الإنسانية من حيث اكتسابه العلوم الراقية والأخلاق المرضية الفاضلة. وكذا أوّلوا جهنم ونيرانها بكدورة النفس وظلمتها بالأخلاق الذميمة الدنية ، وعقبات الجهل المظلمة.

وأنت خبير بأن تلك الخرافات أشبه شيء بالهذيان والسفسطة ، بل مساوق لإنكار الكتاب والسنة ، فلا تصغ إليها ولا تعبأ بشيء منها ، واعتقد جزمياً بصحة الجنة والنار الحقيقيتين على نحو الإجمال ، واعلم قطعياً أنّ رب الجزاء ووليه بهما مجازي الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ».[1]

---

(١) نور الأفهام في علم الكلام، السيد حسن الحسيني اللواساني: ٢ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

١٢٢ ـ الشيخ علي النمازي الشاهرودي، المتوفى سنة ١٤٠٥

قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرا ﴾[1]:

« والمراد بها الحكمة التي آتاها الله تعالى أنبياءه ورسله وأولياءه لا الأباطيل التي لفّقتها الفلاسفة بأهوائهم وآرائهم ومقائسهم، فإن أباطيلهم التي سمّوها الحكمة لا تثمر الخوف من الله، بل تثمر الأمن من العذاب، لأنّها تثمر التطور والجبر وتوحيد الأفعالي، بخلاف الحكمة الإلهية فإنها تورث الخوف وعليها ينطبق الرواية المشهورة: « رأس الحكمة مخافة الله تعالى » المذكورة في خطبة النبي صلّى الله عليه وآله في تبوك »[2].

ثمّ ذكر عبارة السيّد المرعشي حيث قال: أنّ الحكمة ليست هي ما نسجته الفلسفة اليونانيّة ثمّ أعقبه بقوله:

« قد تبين ممّا ذكر معنى الحكمة الشرعية وأنها ليست إلا الحكمة التي أعطاها الله أنبياءه وأولياءه، وأشرفها وأعلاها ما أعطى لأشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين عليهم السلام. وأما الأراجيف التي لفّقتها الفلاسفة من آرائهم ومقائيسهم فهي الأباطيل التي تنهدم بها أساس شرائع الأنبياء، إذ نتيجتها اتحاد الخالق والمخلوق، وأن الأفعال فعل الله تعالى كما عليها الصوفية. وقد أوضحناها في كتاب تاريخ فلسفة وتصوف فراجع إليه »[3].

---

(١) البقرة: ٢٦٩.

(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٢ / ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٣) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٢ / ٣٦١.

وقال في مبحث المعاد:

« إعلم أن القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المليين ، وهو من ضروريات الدين ، ومنكره خارج عن عداد المسلمين ، والآيات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها ، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها ، وقد نفاه أكثر ملاحدة الفلاسفة تمسكا بامتناع إعادة المعدوم ، ولم يقيموا دليلا عليه ، وينقل عن جالينوس أنه كان من المتوقفين في أمر المعاد. وأن الرئيس أبا علي ينكر الجسماني »[١]

و من جملة كتبه «تاريخ فلسفة وتصوف» وقد عرّفه بقوله:

« كتاب يكشف الأسرار الخفية للمتصوفة ويبين عقيدتهم الفاسدة و يوضح الاتحاد بين ما تصل إليه مقالات المدعين للمكاشفة والشهود (اهل التصوف) والفلاسفة العرفانيين ، وان الطريقين في النتيجة طريق واحد ، وهو مأخوذ من القدماء قبل المسيح عليه السلام ، ولا ربط له بأي شريعة سماوية و انتسابهم إلى الشرع كذب ودجل ، فجميع الشرائع مخالفة ومباينة لعقائدهم ».[٢]

وقد أوردنا مقاطع من كلامه فيما مرّ، وراجع أيضاً إلى كتابه القيّم مستدرك سفينة البحار باب فلسف، فقد ذكر هناك قائمة بأسماء أعلام الطائفة الحقّة الذين خالفوا الفلسفة وقاموا بالرّد عليها، وكذا ذكر احاديث في الردّ عليهم وعدّد بعض مواضع مخالفتهم لضرورة الدين وغير ذلك. وقد نقل هناك بعض الحكايات لابأس بذكرها. قال:

« نقل عن كتاب الحبل المتين في معجزات أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٧ / ٤٦٧.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ١ / ١٤.

للسيد شمس الدين محمد الرضوي من علماء الدولة الصفوية عن ثقة، قال: ورد في أصبهان رجل من أهل گيلان لتحصيل العلم، فصرف عمره في كتاب الإشارات مدة اثنتي عشرة سنة، فرأى ليلة أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: بأي عمل يتقبّل الله دعاءك وأنت لم تهاجر لتحصيل العلم، وأي علم استفدته ولم يبق من عمرك إلا سبعة أيام؟ فانتبه من نومه مذعورا ومات بعد السبعة.

وعنه، عن ثقة فاضل قال: صرفت شطرا من عمري في تحصيل الفلسفة، وكان طبعي متنفّرا عن علم الحديث جدا، وكنت أطالع ليلة، فعثرت على مسألة من الفلسفة فأجلت فكري فيها، فلم أجد إليها سبيلا إلى أن ضاق صدري، فنظرت إلى الأرض فرأيت ورقة من علم الشرائع، فقلت: سبحان الله هذا سبب عدم إدراكي المسألة، فأخذت سكينا فمحوته. فرأيت تلك الليلة في المنام أمير المؤمنين عليه السلام وقد أعرض وجهه المبارك عنّي، فسألته عن شيء فقال ما معناه: «إني لا أتقبّل شيئا ممن يعرض عن الشرائع»، فانتبهت فزعاً تائباً ولم يكن شيء أحبّ إلي من علم الحديث، وأعرضت عن الفلسفة».[1]

١٢٣ ـ الشيخ الميرزا جواد الطهراني، المتوفّىٰ سنة ١٤١٠

أقرّ بعلمه وفضله وتقواه المخالف والمؤالف، وكان لايأخذه في المجابهة مع الفكر الفلسفي والصوفي لومة لائم، وله قضايا معروفة مشهورة. وقد ألّف رحمه الله كتباً في ذلك، نظير كتاب «ميزان المطالب» الذي زيّف فيها كثيراً من القواعد الفلسفيّة من المبدأ الىٰ المعاد، ويعدّ من إحدىٰ كتب الدراسيّة في جملة من الحوزات العلميّة، وكذا كتابه «عارف و صوفي چه مى‌گويد» الذي هدّم فيها كثيراً من القواعد الأساسيّة لمدرسة الحكمة المتعالية مع بيان معطيات الوحي في ذلك.

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٨ / ٣١٤.

١٢٤ ـ السيّد هاشم الحسيني الطهراني، المتوفىٰ سنة ١٤١١

قال في مقدّمة توحيد الصدوق في بيان منهج الوصول إلى المعرفة، و لنعم ما قال:

« ثم إنّ الباب الذي لا ينبغي الدخول لهذا المغزى في غيره هو الباب الذي فتحه الله عز وجل بعد رسوله المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلم على العباد، وحثّهم على الإتيان إليه لكل أمر في المبدء والمعاد. فإنّك إن أمعنت النظر ودقّقته، وأعطيت فكرك حقّه وتأمّلت بالغور في كلماتهم عليهم السلام، وانتجعت في رياضها، ورويت من حياضها، وجدت ما طلبت فوق ما تمنّيت خالصاً عن كدورات أوهام المتصوفة، وزلالاً عن شبهات المتفلسفة، كافياً بل فوقه في هذا السبيل، مروياً لكل غليل، شافياً من داء الجهل كلّ عليل، مغنياً عنك كل برهان ودليل، بل أعلى من ذلك وفوقه. وكلّ ما صدر عن غيرهم لا يصل إلى ما دونه، بل النسبة نسبة الظلمة والضحى، لأنّ كلّ حكمة وعلم من الحق صدرت فمن طريقهم إلى الخلق وصلت، وكل رحمة من الله انتشرت فبهم انتشرت، وكل عناية منه على الخلائق وقعت فبسببهم تحقّقت، لأنّهم عيبة علمه، ومعدن حكمته، وسبب خيره، ووسائط فيضه، ويده الباسطة، وعينه الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق، والمخلوقون من نوره، والمؤيّدون بروحه وبهم يقضي في الخلق قضيته، وإليهم تهبط في مقادير أموره إرادته.

بلى، بلى، أيّها السالك سبيل الحكمة والطالب بالعرفان طريق السعادة، إليهم، إليهم فإن عندهم الحكمة، وباتباعهم تحصل السعادة، وبهم عرف الله وبهم عبد الله، ولولاهم لا »[1].

---

(١) مقدّمة تحقيق توحيد الصدوق، السيد هاشم الحسيني: ٤.

وقال في شرح الحديث الشريف حين سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن التوحيد فقال:

«إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله عز وجل ﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَد اللّٰهُ الصَّمَد ﴾[١] والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُور ﴾[٢]. فمن رام ما وراء هنالك هلك».[٣]

فقال:

« وغيرهما من الآيات ليتعمقوا ويتفكروا فيها ويعرفوا ربهم ويستغنوا عن وصف الواصفين وأقاويل المتكلمين المتكلفين وكلمات المتفلسفين ».[٤]

وقد أفصح في كتابه توضيح المراد عن إنكار الفلاسفة لقدرة القادر، وقال: انّ ذلك يستتبع إنكار كثير من ضروريات الدين الحنيف وموجب للكفر والإلحاد، وأنّ الفلاسفة إنّما اعترفوا في ظاهر اللفظ بها لأجل الفرار عن رميهم بالكفر والإلحاد من أهل الملّة، لكن ذلك تمويه وتدليس على العوام. قال رحمه الله:

« والحاصل انّ من نظر في كلمات الفريقين (المتكلّمين والفلاسفة) لا يرتاب في أنّ الفلاسفة يقولون بوجوب صدور العالم عنه تعالى، على النظام العلّي والمعلولي المذكور في كتبهم. لأنّه تعالىٰ تامّ الفاعليّة وتخلّف الأثر وإمكان صدوره عن الفاعل ممتنع. ولازم ذلك أزليّة العالم وأبديّته، وامتناع الفناء عليه، وامتناع التغيّر والتحوّل فيه

---

(١) الإخلاص: ١ و ٢.

(٢) الحديد: ٦.

(٣) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٨٤.

(٤) تعليقة السيد هاشم الطهراني على توحيد الصدوق: ٢٨٤.

عما هو عليه الا ما يقع تحت الحركة والزمان من الماديات... وامتناع الدار الآخرة على النحو الذي ورد في كلمات الوحي ، وامتناع بعض معجزات المنقولة عن نبيّنا صلّى الله عليه وآله والأنبياء السالفين سلام الله عليهم أجمعين ، وامتناع المحو والإثبات عن الواح السماويّة الملكوتيّة... والقول بذلك حكم بعجزه تعالىٰ عن هذه الأمور ، لأنّ مناط القدرة والإختيار كما قلنا هو امكان الأثر من حيث الصدور ، وعلم الفاعل بالأثر وإرادته التي هي عين علمه علىٰ مذهب الحكماء لا يصحّح الإختيار.

فالقول بأنّ الله تعالىٰ قادر ، بمعنىٰ أنّه عالم ومريد بالإرادة الذاتية لأثره الذي يجب عنه وجوده ويمتنع عدمه إنكار لقدرته ، وإن كان في ظاهر اللفظ اعترافاً بذلك.

وتفسير القدرة بمفهوم الشرطيتين (إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، لكنّ المشيّة في الأولىٰ ضروري الوجود وفي الثاني ضروري العدم) تمويه للأمر لئلا يصيبهم رمي التكفير والتلحيد من أهل الملّة...

وبالجملة انّ الفلسفي يقول : انّ كلّ موجود... من الأفلاك والكواكب والملائكة والعقول المجرّدة والنفوس الكليّة وغيرها يتطاول في قبال الربّ جلّ وعلا ويقول له : أنا وإن كنت من حيث الوجود منك وأنت أصلي فيه ، لكن متحصّن في حصن الوجوب ، قائم في مقام الأمن من إرادتك لإفنائي وإزالتي عن مقامي ، وأجد لما تصف به من أزليّة الكون وامتناع الفناء ، لأنّ في فنائي فنائك ، وفي إزالتي عن مقامي زوالك وأنت لابد لك في شؤونك منّي ، ولا يستقرّ أمرك دوني. تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً ».[1]

---

(١) توضيح المراد ، تعليقة على شرح تجريد الإعتقاد ، السيد هاشم الطهراني : ٤٣١.

١٢٥ ـ السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، المتوفّىٰ سنة ١٤١١

وافق السيّد اليزدي في ما أفتاه بحرمة الإرتزاق من الزكاة لمن يشتغل بالفلسفة، وكذا نجاسة القائلين بوحدة الوجود إذا التزموا بلوازم مبناهم الفاسد ثمّ علّق على كلام السيّد فقال:

« و القائلون بوحدة الوجود فقط أو وحدة الموجود أيضاً ».(١)

أي أنّ الحكم بالنجاسة عام لكليهما.

وقال في تعليقته على إحقاق الحق:

« وعندي أنّ مصيبة الصوفية على الاسلام من أعظم المصائب، تهدّمت بها أركانه وانثلمت بنيانه، وظهر لي بعد الفحص الأكيد والتجوّل في مضامير كلماتهم والوقوف على ما في خبايا مطالبهم والعثور على مخبياتهم بعد الاجتماع برؤساء فرقهم؛ أنّ الداء سرى إلى الدين من رهبة النصارى فتلقّاه جمع من العامّة كالحسن البصري والشبلي ومعروف وطاوس والزهري وجنيد ونحوهم، ثم سرى منهم إلى الشيعة حتى رقى شأنهم وعلت راياتهم، بحيث ما أبقوا حجرا على حجر من أساس الدين، أوّلوا نصوص الكتاب والسنة، وخالفوا الأحكام الفطرية العقلية، والتزموا بوحدة الوجود بل الموجود، وأخذ الوجهة في العبادة والمداومة على الأوراد المشحونة بالكفر والأباطيل التي لفّقتها رؤسائهم!

والتزامهم بما يسمّونه بالذكر الخفي القلبي شارعا من يمين القلب خاتما بيساره معبّراً عنه بالسفر من الحق إلى الخلق تارة، والتنزّل من القوس الصعودي إلى النزولي أخرى وبالعكس معبّراً عنه بالسفر من الخلق إلى

---

(١) راجع العروة الوثقى مع تعليقات المراجع العظام، نشر المكتبة العلميّة الإسلاميّة: ١ / ٦٨و٦٩. وأيضاً نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين: ١ / ١٤٥و١٤٦.

الحق والعروج من القوس النزولي إلى الصعودي أخرى.

فيا لله من هذه الطامات ! فأسروا ترهاتهم إلى الفقه أيضا في مبحث النية وغيره ، ورأيت بعض مرشديهم يتلو أشعار المغربي العارف من ديوانه ويبكي ويعتني به كالاعتناء بآيات الكتاب الكريم. فتعساً لقوم تركوا القرآن الشريف وأدعية الصحيفة الكاملة زبور آل محمّد صلى الله عليه و آله وكلمات موالينا وساداتنا الأئمة عليهم السلام ، واشتغلوا بأمثال ما أومأنا إليها ، ورأيت بعض من كان يدعي الفضل منهم يجعل بضاعة ترويج مسلكه أمثال ما يعزي إليهم عليهم السلام : « لنا مع الله حالات فيها هو نحن ونحن هو » وما درى المسكين في العلم والتتبع والتثبت والضبط أن كتاب مصباح الشريعة وما يشبهه من الكتب المودعة فيها أمثال هذه المناكير مما لفّقتها أيادي المتصوفة في الأعصار السالفة وأبقتها لنا تراثاً.

وخلاصة الكلام : أنه آل أمر الصوفية إلى حد صرفوا المحصّلين عن العلم بقولهم : إن العلم حجاب وأن بنظرة من القطب الكامل يصير الشقي سعيدا بل وليا ، وبنفحة في وجه المسترشد والمريد أو تفلة في فمه تطيعه الأفاعي والعقارب الضارية وتنحل تحت أمره قوانين الطبيعة ونواميس نشأة الكون والفساد ، وأن الولاية مقام لا ينافيها ارتكاب الكبائر بل الكفر والزندقة معلّلين بأنه لا محرم و لا واجب بعد الوصول والشهود.

ثم إن شيوع التصوف وبناء الخانقاهات كان في القرن الرابع حيث إن بعض المرشدين من أهل ذلك القرن لما رأوا تفنن المتكلمين في العقائد ، فاقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتابعيه في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات أهل الكتاب والوثنيين جملاً وألبسوها لباساً إسلامياً فجعلوها علماً مخصوصاً ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن أو الفقر أو الفناء أو الكشف والشهود وألفوا وصنفوا في ذلك كتباً ورسائل ، وكان الأمر كذلك إلى أن حل القرن الخامس وما يليه من

القرون فقام بعض الدهاة في التصوف فرأوا مجالاً و رحباً وسيعاً لأن يحوزوا بين الجهال مقاما شامخا كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والغوثية والقطبية بدعوى التصرف في الملكوت بالقوة القدسية فكيف بالناسوت، فوسّعوا فلسفة التصوف بمقالات مبنية على مزخرف التأويلات والكشف الخيالي والأحلام والأوهام، فألّفوا الكتب المتظافرة الكثيرة ككتاب «التعرف»، و«الدلالة»، و«الفصوص»، و«شروحه»، و«النفحات»، و«الرشحات»، و«المكاشفات»، و«الإنسان الكامل»، و«العوارف»، و«المعارف»، و«التأويلات» ونحوها من الزبر والأسفار المحشوة بحكايات مكذوبة، وقضايا لا مفهوم لها البتة، حتى ولا في مخيلة قائليها، كما أن قارئيها أو سامعيها لا يتصوّرون لها معنى مطلقاً وإن كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويقول بأن للقوم اصطلاحات، لا تدرك إلا بالذوق الذي لا يعرفه إلا من شرب من شرابهم وسكر من دنهم وراحهم. فلما راج متاعهم وذاع ذكرهم وراق سوقهم تشعّبوا فرقا وشعوبا وأغفلوا العوام والسفلة بالحديث الموضوع المفترى: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»، وجعل كل فرقة منهم لتمييزها عن غيرها علائم ومميزات بعد اشتراك الجميع في فتل الشوارب وأخذ الوجهة والتجمع في حلقات الأذكار. عاملهم الله وجزاهم بما فعلوا في الاسلام. وأعتذر من إخواني الناظرين عن إطالة الكلام حيث إنها نفثة مصدور وتنفس صعداء و شقشقة هدرت غصص وآلام وأحزان بدرت، عصمنا الله وإياكم من تسويلات نسجة العرفان وحيكة الفلسفة والتصوف وجعلنا وإياكم ممن أناخ المطية بأبواب أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ولم يعرف سواهم آمين آمين».[1]

---

(١) ملحقات إحقاق الحق، السيد المرعشي: ١ / ١٨٣.

وقال رحمه الله:

« يا ليت شعري كيف يجتمع التصوف مع الحق؟ أهل يجتمع القول بوحدة الوجود والوجهة والبدع في العبادات والأوراد مع الحق؟ وأرجو من الناظر المنصف أن يقضي بالحق و يسلك مهيع العدل و يأخذ بشرع الانصاف ».[١]

وبيّن رحمه الله أنّ الحكمة ليست هي الفلسفة اليونانيّة بل ما به شفاء النفوس من أخبار أهل بيت العصمة عليهم السلام:

« وليس المراد من الحكمة في الآية الشريفة والخبر الومي إليه الفلسفة التي هي تراث اليونانيين، ولا الغربية التي أهدتها إلينا الأورباويون، بل المراد العلم الذي به حياة الأرواح وشفاءها من الأسقام، وهل هي إلا العلوم الدينية الإسلامية والمعتقدات الحقة وأسرار الكون بشرط اتخاذها عن الراسخين في العلم الذين من تمسّك بذيلهم فقد نجى، كيف وعلومهم مستفادة من المنابع الإلهية، واستنادت من أنوار الأنبياء والمرسلين والسفراء المقربين، فهي التي لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار. ولله در العلامة المحقق خادم علوم الأئمة الهداة المهديين المولىٰ محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي ثم القمي قده حيث أبان الحق في كتابه الموسوم بحكمة العارفين وأثبت أن الحكمة الحقة هي المتخذة عن آل الرّسول صلى الله عليه وآله، لا ما نسجته النساجون والحيكة التي تتبدل بتلاحق الأفكار والأزمنة ».[٢]

ولسيّدنا المرعشي كلمات في تعريف الفلسفة وأقسام الفلاسفة وطريقة كلّ

---

(١) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ١ / ١٩١.

(٢) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ١ / ٩٧.

واحد منهم وذكر مختصر من كلماتهم في ذلك، قال:

« وليعلم أنه اختلفت طرق الحكماء، فمنهم من رام إدراك المطالب بالبحث والنظر، وهم الباحثون والمشائيون والاستدلاليون، وقدوتهم أرسطو، وذهب إلى أن هذا الطريق أنفع للتعلم وأوفى بجملة المطالب. ومنهم من سلك طريق تصفية النفس بالرياضة حتى وصلوا إلى أمور ذوقية ادعوها بالكشف والعيان بحيث تجلّ عن أن توصف باللسان. ومنهم من ابتدء بالبحث والنظر وانتهى إلى التجريد وتصفية النفس فجمع بين الفضيلتين وينسب هذا إلى سقراط والسهروردي والبيهقي. ثم اعلم أن من النظر رتبة تناظر طريق التصفية ويقرب حدها من حدها وهو طريق الذوق ويسمونه الحكمة الذوقية. وممن يعد قدوة في هذا الشأن الشيخ السهروردي، وكتابه حكمة الاشراق يحكي عن هذا المعنى، وكذا الفناري الرومي، والشيخ صدر الدين القونوي، والمولىٰ جلال الدين الدواني وغيرهم.

ثم إن علم الحكمة عرف بتعاريف، فمنها: إنه العلم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. ومنها: إنه علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. ومنها: التشبّه بالآلة علما وعملا وغيرها مما يقف عليها الباحث في كتب الفلسفة.

وقسّموا الحكمة على أقسام باعتبارات شتى من النظرية والعملية وغيرها... ».

ثمّ بيّن رحمه الله أن ما كتبه هنا إنّما هو حسب ميول أبناء العصر، وإلاّ فإنّ الحكمة الحقّة لاتوجد إلا في أبواب الأئمّة الهادين خزنة علم الله وتراجمة وحيه، ثمّ دعا الله أن يجنّبه عمّا زيّنه الفلاسفة وسمّوه بالحكمة ليقطعوا طريق السالكين إلى الله، ثمّ نصح القارى بأن لايغترّ بما زخرفه الفلاسفة في آثارهم، وجعل عدم

حسن الظنّ بهم شرط النجاة من المهالك، قال:

« هذا ما اقتضته الصروف والظروف بمقالة أوردناها حسب ميول أبناء العصر، وأما الحكمة الحقّة هي التي أخذت من معادن العلم وخزنة الوحي الذين من تمسّك بذيلهم فقد نجى، اللهم اجعلنا من التابعين لهم ومن المعرضين عن كل وليجة دونهم وكلّ مطاع سواهم، وإياك إياك أيها القارئ الكريم بما أبرزتها الفلاسفة مزبرجة، فلا تغترّ بما أودعوها في زبرهم، ولا تحسن الظن بكلماتهم حتى تنجو من المهالك عصمنا الله وإياك ».[1]

وقال رحمه الله في لزوم الجدّ و الجهد في فهم الأحاديث، وشكواه من أهل زمانه ونبذهم كتب الحديث وراء ظهورهم وإشتغالهم بحيكة فلاسفة اليونان وصرف العمر العزيز في منسوجات أهل العرفان، ممّا سبّب بعدهم عن فهم الحديث والإستنارة من أنوار أهل البيت عليهم السلام:

« وفي الخبر عنهم عليهم السلام أن لكلامنا معاريض، ومن ثم ترى المحققين من علمائنا الكرام يؤ كّدون الجد والجهد في فقه الحديث وكانت كتب الروايات المأثورة عن الأئمة عليهم اللسام مركز الإفادة والاستفادة والإجازة والمناولة والعرض والقراءة اهتماماً بشأن الأثر، والأسف كل الأسف في نبذها وراء الأظهر والاشتغال بما حاكته حيكة يونان ونسجته أرباب العرفان، فترى الرجل المتوغّل في وليدات تلك الأدمغة راجلاً في فهم الخبر، كيف والاستفادة من كلامهم عليهم السلام والاستنارة من أنوار بياناتهم تحتاج إلى أنس بتلك الدراري واليواقيت، بعد كون المستفيد صيرفيا في الرجال والدراية، وأرجو من

---

(١) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ١ / ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

فضله تعالى أن يوقضنا من سنة الغفلة حتى نصرف الأعمار العزيزة فيما أومأنا إليه والله المعين ».[١]

١٢٦ ـ السيّد أبو القاسم الخوئي، المتوفىٰ سنة ١٤١٣

قال في كتابه البيان بعد ما عنونه بقوله: « أثر الفلسفة اليونانية في حياة المسلمين »:

« وقد كان المسلمون بأسرهم على ذلك، ولم يكن لهم أي اختلاف فيه، حتى دخلت الفلسفة اليونانية أوساط المسلمين، وحتى شعّبتهم بدخولها فرقاً تكفّر كلّ طائفة أختها، وحتى استحال النزاع والجدال إلى المشاجرة والقتال، فكم هتكت في الإسلام من أعراض محترمة، وكم اختلست من نفوس بريئة، مع أنّ القاتل والمقتول يعترفان بالتوحيد، ويقرّان بالرسالة والمعاد. أليس من الغريب أن يتعرّض المسلم إلى هتك عرض أخيه المسلم و إلى قتله؟ وكلاهما يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الله يبعث من في القبور. أولم تكن سيرة نبي الاسلام وسيرة من ولي الأمر من بعده أن يرتبوا آثار الإسلام على من يشهد بذلك؟ فهل روى أحد أنّ الرسول أو غيره ممّن قام مقامه سأل أحدا عن حدوث القرآن وقدمه، أو عمّا سواه من المسائل الخلافية، ولم يحكم بإسلامه إلا بعد أن أقرّ بأحد طرفي الخلاف؟!! ولست أدري ـ وليتني كنت أدري ـ بماذا يعتذر من ألقى الخلاف بين المسلمين وبم يجيب ربه يوم يلاقيه، فيسأله عما ارتكب؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون ».[٢]

قال أيضاً في بيان وجه الفرق بين العلوم الإلهيّة والعلوم البشريّة:

« تعرض القرآن الكريم لمواضيع كثيرة العدد، متباعدة الأغراض من

---

(١) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ٢ / ٢٤٩.

(٢) البيان في تفسير القرآن، السيّد الخوئي: ٤٠٦.

الإلهيات والمعارف، وبدء الخلق والمعاد، وما وراء الطبيعة من الروح والملك وإبليس والجن، والفلكيات، والأرض، والتاريخ، وشؤون فريق من الأنبياء الماضين، وما جرى بينهم وبين أممهم، وللأمثال والاحتجاجات والأخلاقيات، والحقوق العائلية، والسياسات المدنية، والنظم الاجتماعية والحربية، والقضاء والقدر، والكسب والاختيار، والعبادات والمعاملات، والنكاح والطلاق، والفرائض، والحدود والقصاص وغير ذلك. وقد أتى في جميع ذلك بالحقائق الراهنة، التي لا يتطرّق إليها الفساد والنقد في أية جهة من جهاتها، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. وهذا شيء يمتنع وقوعه عادة من البشر ـ ولا سيما ممن نشأ بين أمة جاهلة لا نصيب لها من المعارف، ولا غيرها من العلوم ـ ولذلك نجد كل من ألّف في علم من العلوم النظرية، لا تمضي على مؤلفه مدة حتى يتضح بطلان كثير من آرائه.

فإن العلوم النظرية كلما ازداد البحث فيها وكثر، ازدادت الحقائق فيها وضوحا، وظهر للمتأخر خلاف ما أثبته المتقدم، والحقيقة ـ كما يقولون ـ بنت البحث، وكم ترك الأول للآخر، ولهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين، ومن تأخر عنهم من أهل التحقيق والنظر قد صارت عرضة لسهام النقد ممن تأخر، حتى أن بعض ما اعتقده السابقون برهانا يقينيا، أصبح بعد نقده وهما من الأوهام، وخيالا من الأخيلة. والقرآن مع تطاول الزمان عليه، وكثرة أغراضه، وسمو معانيه، لم يوجد فيه ما يكون معرضا للنقد والاعتراض، اللهم إلا أوهام من بعض المكابرين، حسبوها من النقد. وسنتعرض لها، ونوضح بطلانها إن شاء الله تعالى »[1].

---

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ٦٦ ـ ٦٧.

و قال رحمه الله في كتاب الطهارة في البحث عن نجاسة الكفّار:

« وإن أراد من وحدة الوجود ما يقابل الأوّل وهو أن يقول بوحدة الوجود والموجود حقيقة ، وأنّه ليس هناك في الحقيقة إلاّ موجود واحد ،ولكن له تطوّرات متكثّرة ، واعتبارات مختلفة ، لأنّه في الخالق خالق ، وفي المخلوق مخلوق ، كما أنّه في السماء سماء ، وفي الأرض أرض وهكذا ، وهذا هو الذي يقال له توحيد خاص الخاص . . . وحكي عن بعضهم أنّه قال : « ليس في جبّتي سوى الله » ... فإنّ العاقل كيف يصدر عنه هذاالكلام ؟ وكيف يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقه ويدعي اختلافهما بحسب الاعتبار ؟ ! وكيف كان فلا إشكال في أنّ الإلتزام بذلك كفر صريح ، وزندقة ظاهرة ، لأنّه إنكار للواجب والنبي صلى الله عليه و آله ، حيث لا إمتياز للخالق عن المخلوق حينئذ إلاّ بالإعتبار ، وكذا النبي صلى الله عليه و آله وأبو جهل مثلاً متّحدان في الحقيقة على هذا الأساس ، وإنما يختلفان بحسب الإعتبار ».(١)

وقال أيضاً:

« ودعوى أن الملك من عالم المجردات فليس له مادة ، كما اشتهر في ألسنة الفلاسفة دعوى جزافية ، فإنه مع الخدشة في أدلة القول بعالم المجردات ما سوى الله ، كما حقّق في محله ، أنه مخالف لظاهر الشرع ، ومن هنا حكم المجلسي رحمه الله في اعتقاداته بكفر من أنكر جسميّة الملك ، وتفصيل الكلام في محله »(٢).

إستفتاء عن السيد الخوئي:

« هل إنّ دراسة الفلسفة لازمة لطالب العلوم الدينية الذي يضع نفسه في

(١) التنقيح ، تقرير أبحاث السيّد الخوئي بقلم الميرزا علي الغروي: ٢ / ٨١ ـ ٨٢.

(٢) مصباح الفقاهة ، تقرير أبحاث السيد الخوئي: ١ / ٣٦٤.

موضع الأخذ والرد بالنسبة إلى سائر العقائد والأديان، وهل هناك وجوب كفائي على طلاب العلوم الدينيّة في القيام بهذا الدور، وهل يمكن إدخال هذا تحت عنوان كونه (أي الفلسفة) مقدمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو كونه مقدمة للحفاظ على الدين أو كليهما، وإن لم تكن لازمة لطلاب العلوم الدينية فهل فيها رجحان أو لا رجحان فيها أصلا. ثمّ إنّ دراسة الفلسفة على من تكون غير جائزة أرجو أن توضحوا لنا جواب هذه الفقرة تماما. ولو فرضنا أنّ فهم علم أصول الفقه أو بعض أبوابه ـ فهماً صحيحاً كاملًا ـ كان متوقّفاً عليها فهل هناك رجحان في دراستها عموماً، أو بقيد أنّ هذا الطالب يكون له مستقبل جيّد في الإفادة إن شاء الله » ؟

أجاب السيّد:

« لم يتّضح لنا توقّف ما ذكر على دراسة الفلسفة وقد تعرّضوا للمقدار اللازم منها في طي أصول الدين والفقه، وإذا خاف من الضلال إثر دراستها حرم وإلا فلا مانع منه في حدّ نفسه، والله العالم ».[١]

وفي ما اصدره السيّد الخوئي من البيان حول عقيدة الشيوعيّة ما ترجمته:

« عقيدة الشيوعيّة نظير عقيدة الفلسفة مضادّة تماماً مع اصول الإسلام، فهذا المعتقد كفر وشرك »[٢].

١٢٧ ـ السيد عبد الأعلىٰ السبزواري، المتوفّىٰ سنة ١٤١٤

قال رحمه الله:

« وأمّا القائلون بوحدة الوجود... منها: الوحدة في عين الكثرة أو وحدة

---

(١) صراط النجاة: ١ / ٤٥٨.

(٢) عنه مستدرك سفينة البحار: ٨ / ٣٠٠.

الوجود وكثرة الموجود، ولاريب في أنّ الله تبارك وتعالىٰ منزّه عن هذه التصوّرات... ومنها: الوحدة الواقعيّة الشخصيّة بأن يكون الله تبارك وتعالىٰ عين الكلّ والكلّ عينه، ولاريب في أنّه إنكار للضروري».[1]

وفي تفسيره لقوله تعالىٰ ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرا ﴾[2] بعدَ أن بيّن أنّ الحكمة الحقيقيّة هي ما تؤخذ من القرآن والسنّة الشريفة، و أنّه لامناص للحكيم والعارف إلا الوقوف على الكتاب والسنّة والإتصال بالتراث الوحياني قال:

«قال بعض الأعاظم من الحكماء المتألهين: «إنّ غاية ما للإنسان من الكمال هو الإتصال بالعقل الفعال المسيطر على الملك والملكوت، تسيطر الروح على الجسد».

وهذا صحيح إذا كان المراد بذلك روح القرآن والشريعة الأحمديّة المنبعثة عن الحقيقة المطلقة الأحديّة، لأنّ الإحاطة بالواقعيات صعبة جداً إن لم تكن ممتنعة مهما بلغت فطنة العقول في الحدّة والذكاء والدقّة، ولاسيما بالنسبة إلى المعارف وأسرار القضاء والقدر التي لايمكن أن يحيط بها غير علاّم الغيوب وقد ورد النهي عن الخوض في جملة منها وأنّه لايزيد الخوض فيها إلا تحيّراً. فلا مناص للحكيم إلا الوقوف على ظواهر الكتاب والسنّة المقدّسة، وهي تحتوي على معادن العلم والحكمة والمعارف وما يكفي لتكميل النفوس الناقصة وإيصالها إلى أوج الكمال والمعرفة، وهي الحكمة الحقّة التي تفيد لجميع النشآت. قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شِيء﴾ أي الكتاب المشروح بالسنّة

---

(١) مهذّب الأحكام، السيد السبزواري: ١ / ٣٨٨.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

أو السنّة الشارحة للكتاب، وقال تعالى: ﴿لا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلاّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهو مصدر كلّ علم ومعرفة، هذا بالنسبة إلى الحكمة العلميّة. وأمّا الحكمة العمليّة فلا بدّ وأن تكون مطابقة للشريعة المقدّسة الختميّة وإلا كانت لغواً محضاً».(١)

ثم عقّبه بقوله:

«ثمّ انّه غلب إستعمال الحكمة على الفلسفة المتوارثة عن اليونان، وقد اصطلح على قدماء الفلاسفة بالحكماء، وقسّموهم إلىٰ الإشراقيين والمشائيين والرواقيين، كما أنّهم قسّموا الحكمة الإصطلاحيّة (الفلسفة) إلى علميّة وعمليّة . . .ولكن كلّ من نظر في الحكمة الإصطلاحيّة، يرىٰ أنّها كالغبار على اللجين.
ولو فرض فيها شيء صحيح فهو مستلهم من الوحي المبين أو السنّة المقدّسة، وغيره ليس إلا من الأوهام والتخيّلات والمغالطات، وكلّ منها حجاب عن الوصول إلى الواقع. ولذلك كثر الخلاف وقلّ الوصول إلى المراد، وقد ذكرنا أنّ الحكمة بمعزل عن البطلان والتكذيب ومنزّهة عن جميع ذلك. وإذا كانت الحكمة ما ذكروه فليست هي إلا العلم بالمصطلحات فقط، فهي كعلم اللغة مثلاً وهي صنعة وفنّ لاتزيد على سائر الصنايع والفنون، بل ربما يكون بعضها أفضل منها كما هو المحسوس».(٢)

١٢٨ ـ الشيخ محمّد جواد الخراساني

ألّف كتابه هداية الأمّة إلىٰ معارف الأئمّة وقد أبطل فيها كثيراً من عقائد

---

(١) مواهب الرحمان في تفسير القرآن، السيد السبزواري: ٤ / ٣٨٣ و ٣٨٤.

(٢) مواهب الرحمان في تفسير القرآن، السيد السبزواري: ٤ / ٣٨٤ و ٣٨٥.

الفلاسفة والصوفيّة وبيّن زيفها، فمن جملة ذلك ما قال بعد إبطاله لعقيدة وحدة الوجود:

وبعد ذا التفصيل في إبطالها	ليس مجال الريب في ضلالها
واتضح الحقّ لمن تقبّله	من يضلل الله فلا هادي له
فاشهد بكفر القول ان لم تشهد	بكفر بعض من تراه الأوحدي
فقل بأنّ القول كفر و ردى	وشبه الحقّ علىٰ من اهتدى
والحقّ عن تعصّب لاتدعا	فانّه أحقّ أن يتّبعا
لاتكتم العلم ولا الشهادة	في حجّة ولو علىٰ جرادة

وقال في شرحه:

« وبعد ذا التفصيل في ابطالها أي ابطال مقالة وحدة الوجود ، ليس مجال الريب في ضلالها. ولعمري ! إنّ ظهور كفرها أشدّ من كفر ابليس واتضح الحقّ لمن تقبّله ولم ينكل عنه ، ولكن من يضلل الله فلا هادي له. فاشهد بكفر القول خاصّة ان لم تشهد بكفر بعض من تراه من الأوحدي ، تعللاً بأنّ كفر القول لا يستلزم كفر القائل.

وهذه وصيّة مني لمن ظهر لديه الحقّ بأن لا يستنكف عن الحكم بكفرها صريحاً ، وذلك لأنّهم يرون كثيراً ممن يذعنون بتشيّعهم ـ وهم الأوحديّون في العلوم والفنون ـ قد ابتلوا بهذه الفتنة ، ويعظم عليهم تكفير هؤلاء ، فيستنكفون عن الحكم الصريح مخافة أن ينقض عليهم بأمثالهم ، أو يشملهم فكانوا قد استخفّوا بإجلالهم ، وفيهم من يتأبىٰ عن الشهادة تعصّباً وذلك أخزىٰ ، فيفرّق بين الشيعة وغير الشيعة ﴿ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾[1].

وقد تكلّفت للأولين سبيلاً للتخلّص عن هذه الوسوسة فقلت : فان

---

(١) النجم: ٢٢.

لم تشهد بكفر القائل فقلت : فقل بأن القول في نفسه كفر وردى ، ولكن شبّه الحقّ علىٰ من اهتدى ، فإنّ الحدود تدرأ بالشبهات.

ومع ذلك لي فيه نظر ، فإنّ شبهة الكفر ليس كسائر الشبهات مما يعذر صاحبها.

وأمّا المتعصّبون فقد أنذرتهم بقولي :والحقّ عن تعصب لاتدعا فإنّه أحق أن يتبعا ، بأن يراعى حقّه ، يعني أنّ الحقّ أولىٰ بالرعاية في إظهاره وإعلانه ممن يدخل في أهل الحقّ فيستر عليه باسراره وكتمانه ، فإنّ في كتمان الحقّ ضرر عظيم وفساد كبير ، وإظهاره أيضاً وان كان ضررياً إلا أنّه أهون لأنّ ضرره شخصي وضرر الكتمان نوعي لما فيه من اغراء العوام بالجهل وشيوع الفتنة ، ومع ذلك مخالف لنصّ القرآن كما أشرت إليه بقولي :لاتكتم العلم ولاالشهادة في حجّة ولو علىٰ جرادة ، أي ولو كان العلم والشهادة في أمر جرادة. قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلْنٰا مِنَ الْبَيِّنٰاتِ وَ الْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّٰاهُ لِلنّٰاسِ فِي الْكِتٰابِ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّٰعِنُونَ ﴾ ».[1]

١٢٩ ـ السيّد محمد رضا الگلپايگاني ، المتوفىٰ سنة ١٤١٥

وافق السيّد اليزدي في فتوىٰ نجاسة القائلين بوحدة الوجود والجبر مع التزامهم بمفاسد مذهبهم[2]، وعلّق علىٰ فتواه في عدم جواز اخذ الزكاة لمن يشتغل بالفلسفة عن التكسّب فقال:

« لااشكال في جواز ترك التكسّب للقادر عليه مع اشتغاله بطلب العلم

---

(١) البقرة : ١٥٩. هداية الأمّة إلىٰ معارف الائمّة ، الشيخ جواد الخراساني : ٥١١ و ٥١٢.

(٢) العروة الوثقىٰ ، السيد اليزدي مع تعاليق الفقهاء العظام ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة : ١ / ١٤٥و١٤٦.

الواجب أو المستحبّ بل المباح، مع التمكّن من تأمين نفقته ونفقة عياله ولو من الزكاة. لكن الإشكال في جواز أخذها بمجرّد الإشتغال مع بقاء القدرة، والأحوط ترك الأخذ إلا بعد العجز».[١]

وقال في مبحث نجاسة الكفار والغلاة والمجبّرة والمفوّضة:

« ثم إن بعضاً ممن اعتنق تلك المبادئ الفاسدة، والمذاهب والمقالات الكاسدة ـ التي أمضينا الكلام فيها ـ وغيرها قد يتمسك بآيات أو روايات، فيفسّرها بحيث تطابق تلك المعتقدات الباطلة، فهنا نقول: قد يكون التفسير والتوجيه واضح الفساد والبطلان وأقبح من طرح الآية أو الرواية.

ومن هذا القبيل قول بعض الفلاسفة إنّ المعاد روحاني والجنة والنار ليستا جسمانيتين، وإن المراد من الجنة والنعم المعدّة في الآخرة هو النشاط الروحي وانبساط النفس وابتهاجها في النشأة الآخرة وسرورها بالأعمال الصالحة التي قد تزود بها الانسان من دنياه، والمراد من نار الجحيم والعذاب الأليم هو الآلام النفسانية، إلى غير ذلك من الترّهات والأقاويل الكافرة. وعلى الجملة فهذا النوع من التفسير والتأويل واضح الفساد وموجب للكفر والنجاسة فإنه خلاف الآيات الكريمة الناطقة بالمعاد البدني الناصّة في ذلك.

أضف إلى ذلك أنّ من يفسر الآيات بهذا النحو والنسق وفقاً لعقيدته الفاسدة فكأنّه يتخيل ويزعم أن أحداً من الأكابر والأصاغر لا يعرف ولا يفهم معناها وإنما هو وحده قد فهمه، ومآل ذلك نزول القرآن لأجله فقط، كما أنه يستلزم لغوية نزوله بالنسبة إلى غيره من الناس حيث إنهم

---

(١) العروة الوثقى، السيد اليزدي مع تعاليق الفقهاء العظام، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة: ٤ / ١٠٤.

لا يفهمون معنى الآيات ولا يفقهون مغزى معارف الكتاب ومستلزم لاغراء الله تعالى عباده بالجهل. نعم الحكم بكفر القائل بالأمور المزبورة موقوف على علمه والتفاته إلى تلك اللوازم »[١].

وللسيّد رحمه الله مواقف مشهورة في الوقوف أمام الموج الفلسفي في حوزة قم المقدّسة، كما منع من تدريس الفلسفة في المدرسة التي أسّسها للعلوم الدينيّة، وهي من أهمّ مراكز التدريس في الحوزة، وفعلاً يمنع من تدريس الفلسفة فيها منعاً باتاً إلى اليوم.

١٣٠ ـ الشيخ محمّد علي الأراكي، المتوفّىٰ سنة ١٤١٥

قال في مبحث الكافر من النجاسات:

« و أمّا القائلون بوحدة الوجود من الصوفيّة فحكمهم من حيث الطهارة والنجاسة مبنيّ على معرفة مذهبهم. فنقول: مقالة هؤلاء أنّ الموجود هو الله فقط وغيره معدومات صرفة وليس لهم حظّ من الوجود أصلا، بل هم وجودات توهّميّة فماترى أنّه وجود مجرّد توهّم نظير الحركة في ظلّ الشمس المتحرّك حيث يتوهّم أنّه شيء مع أنّه لا شيء ومعدوم، وليس إلاّ من عدم إشراق الشمس في مقدار من المكان... وإلى هذا أشار المولوي في ما قاله بالفارسيّة:

چونكه بيرنگى اسير رنگ شد　　موسيى با موسيى در جنگ شد
چونكه اين رنگ از ميان برداشتى　　موسى با موسى كرد آشتى[٢]

---

(١) نتائج الأفكار، السيد الگلپايگاني: ٢٢٧.

(٢) يقول: لما صار فاقد اللون أسيراً للألوان، ثارت نائرة الحرب بين موسى وموسىٰ، وإن رفعت هذه الألوان يتصالح موسىٰ مع موسىٰ. يريد: أنّ النزاع بين موسىٰ وفرعون كان لأجل كونهما أسيراً ←

ومراده بـ« رنگ » هو القيود العدميّة، ومقصوده أنّه إذا ارتفعت القيود العدميّة فليس إلاّ الوجود الواحد البحت البسيط وهو الله تعالى... فإذا تبيّن مقالتهم نقول : لهذه المقالة لوازم فاسدة كثيرة فإنّه على هذا لايكون في البين من يعاقِب ومن يعاقَب، ومن يُنعِم ومن يُنعَم عليه، ومن يُرسِل النبيّ ومن يُرسِل الرسل إليهم.

وبالجملة فلازمه بطلان الثواب والعقاب والجنّة والنار والإنبياء وإنكار المنعم وهذا إنكار للضروري في جميع الأديان من الاعتراف بجميع ذلك، فإن كانوا ملتزمين بذلك فلا إشكال في كفرهم ونجاستهم ».[١]

١٣١ ـ الشيخ محمد أمين زين الدين، المتوفّىٰ سنة ١٤١٩

قال رحمه الله:

« إذا قال : وقفت هذه الضيعة على العلماء، اختصّ بعلماء الشريعة من أهل مذهب الواقف إذاكان شيعيّا، ولم يشمل علماء العلوم الأخرى من طب وهندسة وفلسفة وغير ذلك »[٢].

١٣٢ ـ العلامة الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي، المتوفّىٰ سنة ١٤١٩

من أجلّ تلامذة الميرزا مهدي الإصفهاني، ربّىٰ جيلاً من العلماء، وكان رحمه الله شديد الردّ علىٰ المتفلسفة والمتصوّفة وقد ألّف كتباً عديدة كشف فيها عن انحرافهم في العديد من الآراء والمتبنيات، كما تصدّىٰ لبيان المعارف الإلهيّة

← للماهيات العدميّة التي هي بمنزلة الألوان، وهي تحجبهما عن حقيقتهما الذي هو الوجود وهو الله تعالىٰ، وإلا فإنّ فرعون هو موسىٰ وموسىٰ هو فرعون، فلو رفعت هذه الألوان لتجدهما متحدان وليس بينهما خلاف ولانزاع.

(١) كتاب الطهارة، الشيخ محمد على الأراكي: ١ / ٥٥٢.

(٢) كلمة التقوى، الشيخ محمد أمين زين الدين: ٦ / ١٤٣.

ومباينتها للمعارف البشريّة. فمن ذلك كتابه القيّم «توحيد الإماميّة» وتفسيره «مناهج البيان» في عدّة مجلدات.

١٣٣ ـ السيد محمد الحسيني الشيرازي، المتوفّىٰ سنة ١٤٢٣

قال رحمه الله في نجاسة القائلين بوحدة الوجود ما نصّه:

«و القائلين بوحدة الوجود من الصوفية والحكماء ايضاًكذلک كافر نجس بناء على نجاسة كلّ كافر، فإنّ هذا القول حقيقة الكفر لأنّه انكار للضروري، وأيّ كفر أعظم من القول بانّ كلّ شيء إله و انما الإختلاف بالمهيّات كاختلاف صور امواج البحر، مع أنّ الجميع في الحقيقة بحر، أو كاختلاف الأعداد مع أنّ الجميع مؤلّف من وحدات، أو كذات الإنسان عند حديث النفس الذي هو متكلّم وهو سامع، أو كالمصدر في المشتقّات، أو كالنوع البسيط المنحلّ إلى الجنس و الفصل، أو كالمداد في الحروف والكلمات أو غير ذلك مما مثّلوه لوحدة الوجود حقيقة، و انما تختلف بالظهورات المختلفة. بل قال النسفي كما حكاه في أنيس الأعلام: انّ الطبيب و المريض والمتكلّم و السامع و الآكل و المأكول و هكذا كلّها رب، تعالى عما يقول الملحدون.

و فيه: قال بعضهم:

فإن قلت بالتشبيه كنت محدّدا	و إن قلت بالتنزيه كنت مقيدا
و ان قلت بالأمرين كنت مسددا	وكنت اماماً في المعارف سيدا

إلى غير ذلك من كلماتهم الفاسدة التي مضافاً إلى كونها موجبة للكفر قطعاً، لايستند إلى دليل و برهان. بل أوهام يظهر للممعن في كتب الفلسفة والحكمة انّ كثيراً من كلماتهم كفر صريح و منها القول بالعقول العشرة المساوقة لكونه تعالى فاعلاً بالجبر.

و مماذكرنا يظهر النظر في كلام المصنّف رحمه الله: (اذاالتزموا بأحكام

الإسلام فالأقوى عدم نجاستهم إلا مع العلم بالتزامهم بلوازم مذاهبهم من المفاسد) فإنّ ذلك إنّما يتمّ على القول بكون الكفر و الشرك ليسا ملازمين للنجاسة، اما على القول بالتلازم فلا».(١)

و قال في مناقشة آراء الفلاسفة في وحدة الوجود و التجلّي و قاعدة الواحد و بسيط الحقيقة:

«فمن قال بالفيض كفيضان الحوض مما يستلزم السنخيّة أو أنّ الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، أو أنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء و ليس بشيء منها كما قاله بعض الفلاسفة، لم يستدلّوا عليها بدليل برهاني بل قد عرفت الدليل على خلافها... و على كلّ حال فالقول بوحدة الوجود أو الموجود أم ما أشبه ذلك خلاف الأدلّة عقلاً و نقلاً.

ومما تقدّم ظهر الإشكال فيما استنبطه الأسفار حيث قال في بعض كلامه:

فكما وفقني الله على الهلاك السرمدي...

إلى اخر كلامه الذي يظهر للملاحظ فيها إشكالات و إشكالات و لا يطابق ما ورد من الآيات و الروايات الشريفة و الأدلّة العقليّة مما نحن بصدد ذكره الآن.

و حيث انّ العقل كما ذكرناه سابقاً مضافاً الى الآيات و الروايات الصريحة يرى بالضرورة الإثنينيّة و عدم و عدم الوحدة للبراهين المتعدّدة، فإذا فرض تمسّكهم بما استظهروه من بعض الايات أو الروايات مما هو قريب من قولهم فانّها تفسّر بغيرها من الايات و الروايات و الادلّة العقليّة القطعيّة كما ذكره كما ذكره العلامة الحلي قدس سره بمناسبة في شرح التجريد».(٢)

---

(١) الفقه، السيد محمد الشيرازي: ٤ / ٢٥٦ - ٢٥٨.

(٢) فقه العقائد، السيد محمد الشيرازي: ٢٢٨ - ٢٤٧.

و قال بعد ذكر جملة من الاخبار الدالة على البينونة بين الخالق و المخلوق:

«الى غير ذلك مما ظاهرها بل نصّها يدلّ على قول الموحّدين لا قول القائلين بوحدة الوجود أو الموجود».(١)

و قال:

«أمّا قول بعضهم بأنّ المراد تجلّي الحقيقة الواحدة بأطوارها وأشكالها كتجلّي ماء البحر بصورة الأمواج فهذا لامعنى له بالنسبة إلى الله تعالىٰ اطلاقاً، بل الدليل العقلي و النقلي كلاهما ينفيانه».(٢)

١٣٤ ـ الشيخ الميرزا حسنعلي المرواريد، المتوفّىٰ سنة ١٤٢٥

كانت له رحمه الله نشاطات واسعة في مقابلة الفكر الفلسفي والصوفي في حوزة مشهد المقدّسة، وقد تخرّج علىٰ يده العديد من الفقهاء والعلماء. كما ألّف كتابه «تنبيهات حول المبدأ والمعاد» وزيّف فيها كثيراً من المعطيات الفلسفية لاسيما ماتبنّته مدرسة الحكمة المتعالية، نظير قولهم في حقيقة العلم والعقل، وقاعدة الواحد، وقاعدة بسيط الحقيقة، والسنخيّة، ووحدة الوجود، وقولهم بقدم العالم، وقاعدة الشيء ما لم يجب لم يوجد، وقولهم بتجرّد النفس، وقولهم بالجبر، وانكارهم للمعاد الجسماني وغيرها من معطيات الفكر الفلسفي. وقد بيّن فيها وجه الفرق بين المعارف الإلهيّة الربانيّة والفلسفة البشريّة. وهذ الكتاب يعدّ من الكتب الدراسيّة في بعض الحوزات العلميّة.

١٣٥ ـ شيخنا الأستاذ الميرزا جواد التبريزي، المتوفّىٰ سنة ١٤٢٧

وافق أستاذه السيّد الخوئي في جواب الإستفتاءات السالف ذكرها.

---

(١) فقه العقائد، السيد محمد الشيرازي: ٢٣٤.

(٢) فقه العقائد، السيد محمد الشيرازي: ٢٣٧.

وقد سئل شيخنا التبريزي رحمه الله عن بعض معتقدات الفلاسفة ممّا يبتني عليها كثير من إعتقاداتهم الفاسدة، فأجاب بكلّ صراحة و قلع الشبهة من أساسها.

السؤال:

« هل الكون الامكاني (ما سوى الله سبحانه) مسبوق بالعدم ، إذا كان الجواب نعم ، فيأتي سؤال : أين قدم الفيض (أي لا بخل في ساحته سبحانه) وأين قولهم إن ذاته تعالى ـ علّة تامة ـ والمعلول لا يتخلّف عن علّته ، وإذا كان الجواب لا ، وليس مسبوقا بالعدم ، فما معنى الرواية المتقدمة ، ومعنى أنّه تعالى مختصّ بالقدم ، وما معنى أن الله خلقه ، إذا كان الكون غير مسبوق بالعدم. وهل توافقون أنّ ذاته سبحانه علّة تامة ، لا يتخلّف عنها معلولها ، أو ليس هذا جبر ، وهم يسمّونه جبرا فلسفيّا حيث قالوا : الشئ ما لم يجب لم يوجد » ؟

الجواب:

« أما مسألة العلّة والمعلول فهو غير صحيح ، فإن الله سبحانه فاعل ومكوّن للأشياء بإرادته ومشيئته ، من باب صدور الفعل عن الفاعل ، ومشيئته أمر حادث كما يستفاد ذلك من الروايات ، نعم العلم بمشيئته الحادثة أزلي ، لأنّه عين القدرة كما ذكرنا ، وأنّ المقام يقتضي بسط في المقال لا يسعه المجال ، والله العالم ».[1]

١٣٦ ـ المرجع الديني الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني

عرف دام ظلّه بمخالفته للإتّجاه الفلسفي والعرفاني وله كتب و مقالات في الردّ

---

(١) صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي: ٢ / ٥٦٤ / ١٧٤٦.

عليهم ونقد مبانيهم، كما منع من تدريس الفلسفة في حوزته التي هي أهمّ مركز للتدريس في حوزة قم المقدّسة. وقال في نهاية رسالة البداء:

« هذا آخر ما وفقنا بتحريره حول البداء، والحمدلله رب العالمين، وصلواته وسلامه على رسوله الأمين وأهل بيته الطاهرين. وقد تم تحرير ذلك في شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ١٤٠٥ الهجرية القمرية، وقد تجنّبنا في هذه الرسالة عن الإستشهاد بمخترعات الفلاسفة أذناب اليونانيين واتباعهم من المنتحلين إلى المذاهب الاسلامية، أولئك الذين لم يهتدوا بهدى أهل بيت الوحي والنبوة عليهم السلام، وسلكوا سبلا متشعّبة أبعدتهم عن التمسك بالثقلين ».(١)

وقال أيضاً ما ترجمته:

« ليس لمن يشتغل بالفلسفة أن يرىٰ نفسه مصوناً من الإلحاد في نهاية جهوده الفلسفيّة، ولا يمكن إعطاء ضمانة الحصانة له عن الإنحراف في معارف الإسلام ومسائله في شتّى جوانبها التي يبحث عنها في الفلسفة بكلّ حريّة وسهولة. فهذا الجمع الكثير من الفلاسفة الذين ألحدوا، أو قالوا بوحدة الوجود بالمعاني التي هي مخالفة لضروريات الأديان ـ التي مرّت الإشارة إليها ـ وسائر العقائد الباطلة، نظير إنكار المعاد الجسماني، هل أرادوا أن ينحرفوا حين بدأوا في الفلسفة ؟

أو الذين أنكروا المعاد والنشأة بعد الموت والجنّة والنار، هل كانوا يريدون أن يصلوا إلى إنكار هذه الأمور ؟

أو ذاك الفيلسوف والعارف الشهير الذي اختار القول بالتجسّم، وعبّر عنه

---

(١) مجموعة الرسائل، الشيخ لطف الله الصافي: ٢ / ١٣٦.

بالجسم الإلهي[١]، وغيره من الذين وقعوا في الإنحرافات، هل أرادوا من البداية أن يقعوا في مثل هذه الإنحرافات ؟ »[٢]

١٣٧ ـ شيخنا الاستاذ المرجع الديني الشيخ حسين الوحيد الخراساني

قال دام عزّه في مقدّمة منهاجه في شرح قوله عليه السلام في الحديث الشريف في بيان مقامات الإمام: «وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه»:

« الغرض من خلق عقل الانسان الوصول إلى حقيقة العلم والمعرفة، والإنسان يستدعي بلسان جبلته وخلقته من واهب العقل والإدراك ويناجيه: إلهي أرني الأشياء كما هي، وعرّفني نفسي، وأنّها من أين، وفي أين، وإلى أين. وتعطّش الإدراك الإنساني لا يرتفع إلا بالوصول إلى عين الحياة من العلم الإلهي، وإلا فإن عاقبة الفلسفة البشرية أيضا حيرة الكمّل، بأن يعلموا أنهم لا يعلمون. لهذا كان من الضروري وجود انسان له الطريق إلى عين الحياة وينابيع العلم والحكمة، ليروي بيده العطاشى إلى الحقيقة، فيتحقق

---

(١) وهو ملاصدرا الشيرازي كما في شرحه على أصول الكافي: باب نفي الجسم والصورة عنه تعالى: ٣ / ٣٧٤ ـ ٣٧٧. وقد مرّ كلامه في الفصل الأوّل من هذا الكتاب.

(٢) نصّ عبارته بالفارسيّة: «نمى توان فردى را كه به فلسفه مشغول شده از اين كه در پايان تلاش وكاوشهايش به الحاد نرسد مصون دانست. نمى توان او را از انحراف از مسائل ومعارف اسلام در رشته‌هاى مختلف، كه در فلسفه به طور آزاد بررسى مى‌شود بركنار شمرد. اين همه فلاسفه ايى كه به الحاد گرائيده‌اند، يا قائل به وحدت وجود به همان معناهايى كه مخالف ضرورت اديان است ـ وبه آن اشاره شد ـ وعقائد باطله ديگر، مثل انكار معاد جسمانى شده‌اند، مگر از اول مى‌خواستند ملحد يا منحرف شوند؟ يا آنها كه منكر معاد وعالم پس از مرگ وبهشت و جهنم شده‌اند، مگر مى‌خواستند به انكار اين امور برسند؟ يا آن فيلسوف وعارف مشهورى كه قول به تجسم را اختيار كرد، واز آن تعبير به جسم الهى نمود، وديگران از آنها كه به انحرافاتى افتادند از اول مى‌خواستند در اين انحراف واقع شوند؟». نگرشى در فلسفه و عرفان، الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني: ٩٤.

بذلك الغرض من خلق العقل والإدراك ،كما قال الإمام عليه السلام في النص المعتبر : «**من زعم أن الله يحتجّ بعبد في بلاده، ثم يستر عنه جميع ما يحتاج إليه، فقد افترى على الله**». نعم إن الظن بأن الله جعل إنسانا حجة على العباد ، ثم يحجب عن حجته ما يحتاج إليه العباد ولا يعلمه ،افتراء على الله تعالى نشأ من عدم المعرفة بالعلم والقدرة والحكمة غير المتناهية ، ومن هنا قال : «**وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه**».[١]

وقال في بيان ظهور الله تعالى وبطونه ما ملخصّه:

« أنّه تعالى ظاهر بآياته وبيّناته في جميع ذرات الوجود بما أظهر فيها من آثار الحكمة والقدرة والتدبير ، فخلق من ماء مهين بشراً يكشف أسرار السماوات. وباطن لأنّه خفي عن حواسّ كلّ ذي حسّ ، وبعد عن وهم كلّ متوهّم ،ونأى عن خيال كلّ متخيّل ،وأطفأ شمس العقول دونه. فليس بمحسوس ولا موهوم ولامتخيّل ولامعقول ، وكلّ ما يحسّه الحواسّ وما يتوهمّه الوهم وما يتخيّله الخيال وما يتعقّله العقل ، مخلوق مثلكم مردود إليكم.[٢] ذاك ظهوره و هذا بطونه.

ولكنّا ما عرفناه لأنّا لم نعرف جعفر بن محمّد عليه السلام ،فلو كنّا عرفناه لما ابتلعنا ما مضّغته فلاسفة اليونان ، ولاهضمنا نفايات عرفان اكسيوفان. فانّما المذهب مذهبه ، والسبيل سبيله ، والمقصود هو الله تعالى ، والذاهب عقلنا ،ونحن لم نسلك ذلك السبيل فما بلغنا إلى المقصود ».[٣]

---

(١) منهاج الصالحين ، آية الله الوحيد الخراساني : ١ / ٢٠٨.

(٢) اقتباساً من قول الإمام الصادق عليه السلام : «كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم».

(٣) قاله في مجلس درسه في المسجد الأعظم ، بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٤٢٨ بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الصادق عليه السلام.

وقال في بيان الحديث النبوي: «من طلب العلم في غيره (القران) أضلّه الله» والعلوي: «من طلب الهدى في غيره أضلّه الله» ما مضمونه:

«إنّه قد تكرّر في القرآن قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاء ﴾[1]، وتكرّر بيان هذا المطلب في الكتاب العزيز والتأكيد على تعلّق الهداية والضلالة على مشيّته تعالى في آيات عديدة ينبئ عن أهميّة الموضوع وكونه من الحتميّات. ثمّ نبّه في آيات أخرى على أهميّة هذا الإضلال، فصرّح في غير موضع من كتابه ـ من سورة إبراهيم الى سورة المزمّل ـ: ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ ﴾[2] مما يدلّ على أنّه لو اجتمعت الأولين والآخرين على أن يهديه فلن يتيسر ذلك لهم أبدا. وقال في موضع آخر أنّه ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلاٰ هٰادِيَ لَه ﴾[3] والمودّى واحد وإن كان بينهما إختلاف في بعض النقاط.

ثمّ إنّ الموضوع لهداية الله وإضلاله هو الذي تعلّقت به المشيّة الإلهيّة، فمن شاء الله إضلاله فلن يستطيع أحد أن يهديه. والسؤال الذي يطرح نفسه: أنّه لِمَ يتعلّق مشيّة القدّوس المتعال الرحمن الرحيم اللطيف بعباده بإضلال أحد؟ وأنّه هل ينافي ذلك مع إختيار الإنسان أم لا؟

وقد أجاب الباري تعالى عن هذا التساؤل في قوله عز وجل: ﴿ وَ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ ﴾[4] فبيّن أنّ مشيّته يتعلّق بإضلال الظالمين، فليس هو الذي يضلّ أحدا إبتداء من غير علّة، فإنّ شأنه هي الهداية، لكن لمّا أن وصلت تلك الهداية إلىٰ البشر فظلمها فليس جزاء

---

(١) النحل: ٩٣، فاطر: ٨.

(٢) الرعد: ٣٣.

(٣) الأعراف: ١٨٦.

(٤) ابراهيم: ٢٧.

هذا الظالم إلا الإضلال.

ولكلّ ظلم مقداراً من الجزاء يتناسب معه، فإن النظام قائم على أساس الحكمة ﴿ وَ نَضَعُ الْمَوٰازِينَ الْقِسْطَ ﴾(١) ﴿ وَ السَّمٰاءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ الْمِيزٰانَ ﴾(٢) فكلّ ما في العالم من الجواهر والأعراض والأعمال و الأفكار ولوازمها وما يترتبّ عليها مقدّر بقدر وموزون بوزن. فالظلم لايتسامح ولو كان بقدر قيراط ولايغسّله حتى دم الشهيد الذي يغسّل أوّل قطرة منه جميع ذنوبه ومعاصيه، وأمّا الدرهم من حقّ الناس فلا، هذا هو الحساب الدقيق في مظالم العباد.

فلو كان هذا أثر الظلم في درهم من مال الغير، فما سيكون أثر الظلم بكتاب الله ؟

وهذا معنى الحديث: «من ابتغى العلم من غيره أضلّه الله».

فإذا أنزل الله ذلك النور الأعظم المتجلي في القرآن الحكيم بتوسّط ذلك المختار من خلقه لأن يوصل البشر إلى منتهى درجة كماله العلمي ﴿ كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّٰاسَ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(٣).

فإذا جاء مثل هذا الكتاب ثمّ يترك ويقدّم عليه كتاب زيد و عمرو، أفلا يعدّ هذا ظلماً بالكتاب ؟

هل تفحص عن ضالّة المبدأ والمعاد في كتاب أرسطو وإشراق شيخ الإشراق وأفلاطون، أم تطلب ضالّة المعرفة في كتاب الله ؟

فهنا يكون ﴿ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ ﴾(٤).

---

(١) الأنبياء: ٤٧.

(٢) الرحمن: ٧.

(٣) ابراهيم: ١.

(٤) ابراهيم: ٢٧.

ومن نماذج هذا الإضلال ما ذكره ابن سينا في علم الباري تعالى من انتقاش الصور المرتسمة في الذات، وليس يعتنىٰ في المقام بالمتفلسفين، إنما الواصلين إلى مخّ الفلسفة في الدنيا يعلمون ما معنى هذا الكلام من بو علي، فيظهر لديهم معنى الحديث: من ابتغى العلم من غير القرآن أضلّه الله.

فيجب تقديم القرآن على كلّ كتاب في المعرفة والهداية، والظلم هو أن يجعل كتاب فلان وفلان ميزاناً يوزن به كتاب الله، والعدل هو أن يجعل القرآن ميزاناً يوزن به أفكار جميع العالمين. فإن كان الأول يكون ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[1] وإن كان الثاني يكون ﴿ وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[2].

والنتيجة أنّ العلم في كلام النبي والهداية في كلام الوصي كلاهما منحصران في القرآن، وطلب العلم والهداية من غيره يساوي إضلال الله تعالى ومن أضلّه الله فما له من هاد، وهذا الإضلال أثر ذلك الظلم الأعظم».[3]

١٣٨ ـ المرجع الديني السيد علي الحسيني السيستاني

وجّه إستفتاء إلى السيد السيستاني حول المنهج العرفاني لمحى الدين العربي صاحب الفصوص، فأجاب بمخالفة طريقة صاحب الفصوص لآيات القرآن وأحاديث أهل البيت عليهم السلام وبمباينتها مع منهج أكابر علماء الإماميّة. وإليك تعريبها:

سماحة آية الله العظمىٰ السيد السيستاني دام ظله العالي

بعد أداء السلام والتحيات نتقدّم إلى حضرتكم:

---

(١) الرعد: ٣٣.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) قال ذلك خلال درس تفسيره الذي ألقاه في المسجد الأعظم بتاريخ: ٨ ذي الحجة ١٤٢٨.

بناء على ما نسب إليكم في بعض مواقع الإنترنت من يدون المنهج العرفاني لصاحب الفصوص، نرجو من سماحتكم ـن تعسوا عـن رأيكم الشريف حول هذا الموضوع.

الجواب:

بسمه تعالى. أنا ألتزم في المعارف الإعتقاديّة بمنهج أكابر علماء الإماميّة قدس الله أسرارهم الموافق لآيات القرآن المجيد وروايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، و لا أؤيّد الطريقة المذكورة أعلاه.

محل الختم الشريف، على الحسيني السيستاني.[١]

استفتاء آخر موجّه الىٰ سماحة السيد السيستاني دام ظلّه من قبل جمع من طلاب الحوزات العلميّة.

«سماحة المرجع الديني الأعلىٰ آية الله العظمىٰ السيد علي السيستاني دام ظلّه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فإنّه يظهر بين الحين والآخر أشخاص في وسط الشباب في الحوزات العلميّة أو غيرها يدّعون أنّهم

---

(١) نص الفتوىٰ بالفارسية:

محضر مبارك آية الله العظمىٰ آقاى سيستانى دام ظله العالي

با اهداء تحيات وافره به عرض عالى مى‌رساند: با توجه به مطالب منسوب به حضرت عالى در بعضى از سايتها مبنى بر تاييد عرفان صاحب فصوصى، تقاضا مى شود نظر شريف را در اين رابطه اعلام فرمائيد.

بسمه تعالى.

اين جانب در ارتباط با معارف اعتقادى به روش اكابر علماى اماميه قدس الله اسرارهم كه مطابق با آيات قرآن مجيد وروايات اهل بيت عصمت و طهارت عليهم السلام مى‌باشد معتقد بوده، و روش فوق الذكر را تاييد نمى‌نمايم.

محل مهر. على الحسينى السيستاني، ٨ محرم الحرام ١٤٣٣.

يتّصفون بالعرفان و صفاء الباطن، ويزعمون لأنفسهم مقامات في القرب من الله سبحانه ويقولون إنّ رسالتهم هي توجيه المجتمع الى الله بالأذكار والأوراد والمجالس الخاصّة، ولوحظ أنّه قد يستجيب لهم جمع من الشباب تصديقاً لدعاويهم، في حين ينظر آخرون الى هذه التصرّفات والحركات بعين الريبة والشك. فهل يجوز الإعتماد على أصحاب هذه الدعاوي والثقة بهم والعمل بوصاياهم والإستجابة لهم، أو يجب الحذر منهم والإبتعاد عنهم؟ أفتونا مأجورين وحفظكم الله عزاً ومناراً».

فأجاب سماحته:

«بسمه تعالى: لاشك في أنّه ينبغي لكلّ مؤمن العناية بتزكية النفس و تهذيبها من الخصال الرذيلة والصفات الذميمة، وتحليتها بمكارم الأخلاق و محامد الصفات، إستعداداً لطاعة الله و حذراً من معصيته، إلا أنّ السبيل الىٰ ذلك ما ورد في الكتاب العزيز والسنّة الشريفة، من إستذكار الموت وفناء الدنيا وعقبات الآخرة من البرزخ والنشور والحشر والحساب والعرض على الله تعالىٰ، و تذكّر أوصاف الجنّة ونعيمها وأهوال النار وجحيمها وآثار الأعمال ونتائجها، فإنّ ذلك مما يعين على تقوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وطاعته والتوقي عن الوقوع في معصيته وسخطه، كما أصىٰ به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وعمل به العلماء الربانيون جيلاً بعد جيل. وهذا طريق واضح لا لبس فيه و لاعذر لمن تخلّف عنه.

وانما يعرف حال المرء بمقدار تطابق سلوكه مع هذا النهج وعدمه، فإنّ الرجال يعرفون بالحق، ومن عرف الحقّ بالرجال وقع في الفتنة وضلّ عن سواء السبيل. وقد حذّر أمير المؤمنين عليه السلام عن بعض أهل الجهل ممن يبتدع بهواه أموراً ويزعم أنّه من العلماء فيجمع حوله فريقاً من

الجهال قائلاً:

«إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله و يتولى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحق خلص من لبس الباطل إنقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنىٰ».

ومن علائم أهل الدعاوي الباطلة مبالغتهم في تزكية أنفسهم علىٰ خلاف ما أمر الله تعالىٰ به، وتوجيه الآخرين الى الغلو فيهم والإستغناء عن المناهج المعروفة لدىٰ الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعيّة، ودعوىٰ الوقوف عليها وعلىٰ ملاكاتها من طريق الأمور الباطنيّة، والتصدّي للفتيا من غير استحصال الأهليّة لها، واستغلال المبتدئين في التعليم والتعلّم، والموالاة الخاصّة لمن أذعن بهم، والمعاداة مع من لم يجر علىٰ طريقتهم، والوقيعة فيمن انسلخ منهم بعد الإيمان بهم، وسلوك سبل غير متعارفة للإمتياز عن غيرهم من أهل العلم وعامّة الناس، والمبالغة في الإعتماد على المنامات وما يدّعون ترائيه لهم في الحالات المعنويّة، والتميز في اللبس والزي والمظهر عن الآخرين تمسّكاً في بعضه بأنّه عمل مأثور من غير ملاحظة الجوانب الثانويّة التي يقدّرها الفقهاء في مثل ذلك.

ومن تلك العلائم الإبتداع في الدين والتوصية بالرياضات التي لم تعهد من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، والإعتماد فيما يدّعي استحبابه إلىٰ ما ورد في مصادر غير موثوقة تذرّعاً بالتسامح في أدلّة السنن، وأيضاً التأثّر بأهل الملل والأيان الأخرىٰ، والتساهل في ما يعدّ ضرباً من الموسيقي والألحان الغنائيّة المحرّمة، و وجوه اختلاط الرجال بالنساء،

والإعتماد علىٰ مصادر ماليّة غير معروفة وارتباطات غامضة مريبة إلىٰ غير ذلك مما لا يخفىٰ علىٰ المؤمن الفطن.

وإنّنا نوصي عامّة المؤمنين وفّقهم الله تعالىٰ لمراضيه بالتثبّت وعدم الإسترسال في الإعتماد علىٰ هذه الدعاوي، فإنّ هذا الأمر دين يدان الله تعالىٰ به، فمن اتّبع امام هدى حشر خلفه وكان سبيله إلىٰ الجنّة، ومن اتبع إمام ضلال حشر معه يوم القيامة وساقه إلى النار. وليتأمّل الجميع في هذا حال من كانوا قبلهم كيف وقع الكثير منهم في الضلال لاتّباع أمثال من ذكر.

نسأل الله تعالىٰ أن يجنّب الجميع من البدع والأهواء ويوفّقنا للعمل بشرعه الحنيف مقتدين بسيرة العلماء الربانيين إنّه ولي التوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محل الختم الشريف. على الحسيني السيستاني.(١)

١٣٩ ـ المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم

وجّه إلىٰ سماحته سؤال حول متقمّصي العرفان والمقامات الروحانيّة، فأجاب بلزوم الحذر عن تلك الدعاوي التي لاتستقي من معارف أهل البيت عليهم السلام، وأنّ أرباب تلك الدعاوي لايمثّلون الحوزة العلميّة بل إنّهم خدّاعون ان لم يكونوا مخدوعين، وإليك نصّ الفتوىٰ:

السؤال:

تنتشر بين الشباب المؤمن الآن ظاهرة العرفان، والروحانيات، والعالم بالله، والعارف بالله، والسالك وغيرها من الألفاظ التي تجذب الشاب المؤمن. ما معنى هذه الألفاظ؟ وهل سلوك هذا الطريق واجب على

---

(١) صدر هذه الفتوىٰ بتوقيع من السيد و ختمه الشريف بتاريخ ٢٨ / ربيع الأول / ١٤٣٢.

المكلفين أم لا؟ وإن لم يكن واجب فهل سلوكه صحيح؟ وكيف يكون السلوك؟ وغيرها من الأسئلة حول هذا الموضوع.

الجواب:

هذه ألفاظ تبتني على دعاوى لا برهان عليها، ولا تستقي من معارف أهل البيت عليهم السلام بوجه يصلح الإحتجاج عليه، فاللازم الحذر ممن يدعي ذلك، فإنّهم بين مغفل مغلوب على أمره، ومضلّل مفتر يخشىٰ منه على الدين والمؤمنين، وربما يصل بهم الأمر إلى تحليل المحرمات وانتهاك الحرمات، كما وصل إلى ذلك غيرهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فإنّه لا سوق لهذه الدعاوى إلا بين الناس البعيدين عن المعارف الحوزوية الأصلية، بسبب ضعف الحوزة وقلّة الممثّلين الصحيحين لها.[1]

١٤٠ ـ المرجع الديني الشيخ اسحاق الفياض

وجّه سماحته دام ظله كلمة توجيهيّة لفضلاء وطلبة البحث الخارج في النجف الأشرف، وقال فيها:

سمعنا انّ في هذه الحوزة المباركة يدرس العرفان على ضوء كتاب ابن عربي، وهذا خطر على الحوزة ولا سيما على شبابنا، فإنّ كتاب ابن عربي كل من قراء من هذاالكتاب يعتقد انّه زنديق ولا ايمان له في الله تعالى وتقدس. فالعرفان هو الأحكام الإلهية، العرفان حقيقة هو معرفة فقة آل محمد عليهم السلام، هذا هو العرفان الحقيقي. ولهذا الإلتزام بالعرفان الحقيقي هو معرفة الأحكام الإلهية وفقه آل محمد عليهم السلام، والعمل بها هو حقيقة التقوى الذي أشار اليه الله تعالى اليه ﴿إنّ أَكرَمَكُم

---

(١) الفتوىٰ موجودة علىٰ صفحة سماحة السيّد الحكيم في الإنترنت.

عِندَ اللهِ أَتقاكُم﴾[١] وقد فسر في الروايات حقيقة بالالتزام بالواجبات الالهية والاجتناب عن المحرمات، هذه هي حقيقة التقوى. والعرفان بمعنى كشف الحقائق ورفع الستار عن الحقائق كما هو مصطلحهم بمعنى كشف الحقائق والعلم بالغيب، مجرد وهم ولا حقيقة له ولا واقع له وخلاف النص لقوله تعالى ﴿عالِمُ الغَيْبِ فَلايُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إلاّ مَنِ ارتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾[٢]. ومن هنا يكون هذا الدرس خطر على الحوزة ولا سيما على شبابنا، وعلينا أن نكون في يقضة وحذر من هذه الأمور.[٣]

وقد وجّه إلىٰ سماحته سؤال:

ما رأي سماحتكم حول دراسة الفلسفة والعرفان ونسألكم الدعاء.

فأجاب:

العرفان الحقيقي الواقعي فقه آل محمّد عليهم السلام، وما عداه وهم وخيال، وأما دراسة الفلسفة فلا فائدة فيها وتضييع للعمر.

محل الختم الشريف. محمد اسحاق الفياض.[٤]

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الجن: ٢٥ و ٢٦.

(٣) ألقيت هذه الكلمة ضمن توصيات التي صدرت من سماحته بعد نهاية الدرس قبل تعطيلات الحوزة بمناسبة شهر محرم الحرام في ٢٦ ذي الحجّة ١٤٣٢.

(٤) الفتوىٰ موقّع بتوقيع الشيخ الفياض في تاريخ ٦ ربيع الثاني ١٤٣٣.

جدليّة الدين والفلسفة في الرأي العام

بعد أن قضينا شطراً من الزمن مع أعلام الطائفة وفقهائها الكرام من القرن الثاني للهجرة النبويّة إلى عصرنا الراهن، وأوصلنا سفينة البحث من أعماق التاريخ الى زماننا الحاضر، نرىٰ أنّه تكوّنت لدىٰ القارىء صورة أخرىٰ عن الفلسفة غير ما كان يتوهّمه بدواً، من كونها من العلوم الإسلاميّة التي تناقلتها أيدي علمائنا الأبرار من لدن ظهورها في مسقط رأسها في القصور الأمويّة والعباسيّة الى زماننا هذا. كلاّ ثمّ كلاّ! فليس هذا إلا توهّم ناشئ من قلّة التتبّع والإلمام بكلمات الأعلام، فإنّ علماءنا الأبرار -الذين وصفهم الإمام الصادق عليه السلام بالمرابطين في الثغر الذي يلي ابليس وعفاريته[1] -ما فتروا منذ أن صدرت الروايات من الأئمّة المعصومين عليهم السلام تجاه هذا الفكر الدخيل، إلا و وقفوا صفاً واحداً في مقابل هذا الغزو الفكري الثقافي فأصدروا بياناتهم وفتاواهم ممّا مرّ عليك شطراً منها.

وكم تجد الفرق بين ذاك الزعم الخاطئ وبين كلام الشيخ الأعظم الأنصاري

---

(١) الإحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١ / ١٧.

حيث أنبأ عن السيرة المستمرّة من الأصحاب في تكفير الفلاسفة المنكرين لبعض الضروريات، فقال:

« ويؤيّدها ما ذكرنا من أن التارك للتدين ببعض الدين خارج عن الدين، والسيرة المستمرّة من الأصحاب في تكفير الحكماء المنكرين لبعض الضروريات مع العلم أو الظن بأنه لم يكذب النبي صلّى الله عليه وآله في ذلك، لا أقل من الأحتمال »[1].

والآن نريد أن نثير نكتة أخرىٰ وهي أنّه يظهر من خلال كلمات الأعلام وكذا سائر القصاصات التاريخيّة التي مرّ ذكرها، أنّ هناك نوعاً من الجدليّة والتنافر بين الفلسفة وبين جميع الشرايع السماويّة، حيث بات التقابل بين النهجين مرتكزاً في أذهان الجميع، سواء الفلاسفة أم غيرهم. وما كان هذا الإرتكاز يفرّق بين المناهج الفلسفيّة المتعدّدة، ولابين أطوار الفلسفة في أجوائها، فكان يرىٰ الفلسفة بإطلاقها منهجاً مغايراً لمنهج الأنبياء برمّتهم.

فإنّه قد يقال: أنّ ما ورد من هذا الذمّ والنّكير الشّديد ـ بحيث وصل إلى حدّ التّقابل بين الإسلام كدين وشريعة وبين الفلسفة ـ إنّما يختصّ بقسم من الفلسفة دون غيره. وذاك انّ للفلاسفة مسالك شتّىٰ فإنّه قد تكون فلسفة إلحاديّة وقد لا تكون، والذموم إنّما توجّهت للفلسفة الإلحاديّة وللفلاسفة الملحدين دون غيرهم من الفلاسفة الإسلاميين.

لكنّه يلاحظ عليه: مضافاً إلىٰ أنّ غالب هذه الذموم إنّما صدرت من أربابها مذيّلة بذكر بعض العقائد والمتبنيات التي اعتنقتها جملة من المدارس الفلسفيّة أو الصوفيّة المنتسبة إلىٰ الإسلام، وهي فاسدة ومخالفة لضروريات الشرايع

---

(١) كتاب الطهارة، الشيخ الأنصاري: ٢ / ٣٥٦.

الإلهيّة عندهم، ومن ثمّ حكموا بكفر من يعتقدها وأنّه ضالّ مضلّ خارج عن الملّة، بل قد صرّحوا في بعض تلك العبارات بأسماء جملة من أعاظم تلك المدارس مما لايبقىٰ مجالاً لإحتمال حملها علىٰ المدارس الإلحاديّة للفلسفة، وقد مرّ شطر منها.

فمضافاً إلىٰ هذا، أنّه قد كانت الصورة العامّة في الأذهان قائمة على التّنافر بين الفلسفة بقول مطلق مع الدّين والشّريعة. فمهما أطلق لفظ الفلسفة كان يتبادر إلى الأذهان عنوان المخالفة مع ضروريات الأديان والشّرائع الالهيّة وتكذيب الأنبياء، و كان يعدّ اتجاه الفلاسفة إتّجاهاً آخر غير اتجاه المليّين في الرأي العام، فكان يرىٰ الفلسفة مذهباً آخر غير اليهوديّة والنّصرانيّة والإسلام. وهم في إرتكازهم ما كانوا يميّزون بين أنحاء الفلسفة ومدارسها وتطوّراتها كأن يكون أحدها شيطانيّة الحاديّة ماديّة، والأخرى إلهيّة إسلاميّة.

وهذا الإرتكاز ـ رغم تضارب أفكار الفلاسفة وإختلافهم الشديد، حتى قيل: أنّهم لم يتّفقوا على رأي واحد ـ يفصح عن أنّ هذا التسالم والركيزة كان لأجل وضوح الفرق بين طريق سلوك الفلاسفة في الوصول إلى حقائق المبدأ والمعاد وطريقة الأنبياء ومنهجهم. وهذا يؤيّد ما ذكرناه في مدخل هذا الكتاب من أنّ القاسم المشترك بين الفلسفات المتعدّدة رغم تضاربها في الأفكار هو إستبداد الفلاسفة بطاقاتهم المحدودة البشريّة في الوقوف علىٰ حقائق المبدأ والمعاد، وعدم الإستعانة بالقدرات التي تفوق قدرة البشر.

وإليك بعض الشواهد على هذا الإرتكاز:

١ ـ قال إبن النديم:

«كانت الفلسفة ظاهرة في اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح عليه السلام. فلما تنصّرت الروم منعوا منها، وأحرقوا بعضها، وخزنوا

البعض، ومنع الناس من الكلام في شيء من الفلسفة إذ كانت بضدّ الشرائع النبوية. ثم إن الروم ارتدت عائدة إلى مذاهب الفلاسفة».[١]

فترىٰ أنّ المواجهة بين إتّجاه النصارىٰ واتّجاه الفلاسفة ظهرت كصراع ظاهر في الساحة، آل الأمر فيها إلىٰ عدّ التفلسف ارتداداً عن النصرانيّة.

ثمّ يذكر ابن النديم أنّه بعد ما عاد الروم إلىٰ النصرانيّة مرّة أخرىٰ، عاد المنع من كتب الفلسفة، فخزنت تلك الكتب و منع من تداولها وبقيت إلى ما عليه إلى الآن[٢].

٢ ـ وصرّح في موضع آخر أيضاً بكون الفلسفة مذهباً يعدّ الإعتقاد بها إرتداداً عن الدين، قال في ذكر أحد الفلاسفة المفسّرين لكتب أرسطو:

« ثامسطيوس وكان كاتب ليوليانس المرتد إلى مذهب الفلاسفة عن النصرانية، بعد جالينوس. وقد ذكرنا ما فسره من كتب أرسطاليس في موضعه ».[٣]

٣ ـ قد مرّ في حديث توحيد المفضّل أنّه كان المرتكز عند ابن ابى العوجاء وصاحبه، وكذا عند المفضّل هو مجانبة الفلاسفة للأنبياء، وقد عدّ ابن أبي العوجاء الفيلسوف عنواناً مقابلاً للنبي ولم يردعهم الإمام الصادق عليه السلام عن هذا الإرتكاز. فمن أجل ذلك وصفوا النبي الأكرم بالفيلسوف محاولة لإنكار رسالته و نبوّته.

قال المفضل بن عمر:

« كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا

---

(١) فهرست إبن النديم: ٣٠٢.

(٢) فهرست إبن النديم: ٣٠٢ و ٣٠٣.

(٣) فهرست ابن النديم: ٣١٤.

مفكر فيما خصّ الله به سيدنا محمدا صلّى الله عليه وآله من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرفه به وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته، فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقرّ به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العوجاء فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله، فقال له صاحبه: إنه كان فيلسوفاً ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلت فيها الأحلام... »[1]

ثمّ بيّن الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل براهين التوحيد، ولكنّه ما خطّأ الملحد في دعواه التقابل بين النبوّة والفلسفة.

٤ ـ قال الشيخ المفيد بعد ذكر قصّة صاحب الحمار الذي أحياه الله بعد مائة عام:

« هذا منصوص في القرآن مشروح في الذكر والبيان لا يختلف فيه المسلمون وأهل الكتاب، وهو خارج عن عادتنا وبعيد من تعارفنا، منكر عند الملحدين ومستحيل على مذهب الدهريين والمنجّمين وأصحاب الطبائع من اليونانيين وغيرهم من المدّعين الفلسفة والمتطببين »[2].

فترى أنّه قد أخرج الفلاسفة عن زمرة المليّين وأدرجهم في قائمة الملحدين.

٥ ـ قال قطب الدين الراوندي رحمه الله:

« اعلم أنّ الفلاسفة أخذوا أصول الاسلام ثم أخرجوها على رأيهم،

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣ / ٥٧.

(٢) الفصول العشرة، الشيخ المفيد: ٨٧.

فقالوا في الشرع والنبي : إنّما أريدا كلاهما لإصلاح الدنيا. فالأنبياء يرشدون العوام لإصلاح دنياهم ، والشرعيات تهذّب أخلاقهم ، لا أنّ الشرع والدين كما يقول المسلمون ، من أنّ النبي يراد لتعريف مصالح الدين تفصيلا وإنّ الشرعيات ألطاف في التكليف العقلي. فهم يوافقون المسلمين في الظاهر ، وإلا فكل ما يذهبون إليه هدم للاسلام وإطفاء لنور شرعه ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[1].

٦ ـ وقال أيضاً مصرّحاً بمفارقة جميع الفلاسفة لأهل الأسلام:

« من الفلاسفة من يقول لمجاملة أهل الاسلام »[2].

٧ ـ و قال رحمه الله:

« إنّ قوماً من الذين أقرّوا بظاهرهم بالنبوات ، جحدوا في الإمامة كون المعجزات، فضاهوا الفلاسفة والبراهمة الجاحدين في النبوّة الاعلام الباهرات »[3].

٨ ـ وقال الكراجكي ـ تلميذ السيد المرتضى ـ في كتاب كنز الفوائد في بيان عقيدة الفلاسفة بقدم العالم:

« اعلم ـ أيدك الله ـ إن من الملاحدة فريقا يثبتون الحوادث ومحدثها... اعلم إنّ الملاحدة لمّا لم تجد حيلة تدفع بها تقدم الصانع على الصنعة ، قالت : إنّه متقدّم عليها تقدّم رتبة لا تقدّم زمان »[4].

---

(١) الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي : ٣ / ١٠٦١.

(٢) الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي : ٣ / ١٠٥٤.

(٣) الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي : ١ / ١٧.

(٤) كنز الفوائد : ١ / ٣٣ ـ ٤١.

٩ ـ قال الشيخ الطبرسي في تفسير سورة الفيل:

« وفيه حجّة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة والملحدين ،المنكرين للآيات الخارقة للعادات »[١].

فترى أنّه ساوىٰ بين الفلاسفة والملحدين في إنكارهم للمعجزات، الأمر الذي اتّفق على ثبوتها جميع المليّين، فهم خارجون عن إطارهم.

١٠ ـ قال المحقق خواجة نصير الدين الطوسي في ردّ مبنىٰ القدم:

« و لا قديم سوى الله تعالىٰ لما يأتي ».[٢]

وقال العلامة الحلي في شرح كلامه:

« أقول: قد خالف في هذا جماعة كثيرة: أما الفلاسفة فظاهر لقولهم بقدم العالم ».

ثمّ بعد ذلك تعرّض العلامة إلىٰ بيان من قال بالقدم من المسلمين فقال:

« و أما المسلمون فالأشاعرة ... ».[٣]

وفي العبارة إشارة واضحة إلىٰ خروج الفلاسفة عن فرق المسلمين.

١١ ـ قال الخواجة أيضاً رداً علىٰ مبنىٰ استحالة المعاد الجسماني:

« و وجوب إيفاء الوعد والحكمة يقتضي وجوب البعث ، و الضرورة قاضية بثبوت الجسماني من دين النبي صلّى الله عليه وآله مع إمكانه ».[٤]

---

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٠ / ٤٤٧.

(٢) تجريد الاعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي المطبوع مع كشف المراد: ٨٢.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٨٢.

(٤) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٤٠٤.

وقال العلامة الحلّي رحمه الله في شرح كلامه:

« أقول: اختلف الناس هنا فذهب الأوائل إلى نفي المعاد الجسماني، وأطبق المليّون عليه... و استدل على ثبوت المعاد الجسماني بأنه معلوم بالضرورة من دين محمد صلّى الله عليه وآله، والقرآن دلّ عليه في آيات كثيرة بالنص، مع أنه ممكن، فيجب المصير إليه. »[1]

وفي هذه العبارة إشارة واضحة إلىٰ خروج الفلاسفة المنكرين للمعاد الجسماني عن المليين ومخالفتهم لضرورة الدين.

١٢ ـ صرّح العلاّمة الحلّي قدّس سرّه بالفرق بين الإسلام والفلسفة وبيّن أنّ الفارق هو مسألة الإرادة:

« وهذا هو الكفر الصريح، إذ الفارق بين الإسلام والفلسفة هو هذه المسألة ».[2]

وهذه العبارة نصّ صريح من العلامة في مفارقة الفلاسفة للمسلمين، بل جعل هذه المفارقة أمراً مسلّماً لايكاد يتطرّق اليها شك وشبهة، وتصدّىٰ لوجه المفارقة. وما ذكره من الوجه هو المبنىٰ السائد في الفلسفة لاسيما المسمّاة بالإسلاميّة منها، وقد مرّ بعض الكلام في ذلك.

١٣ ـ ونظير ذلك قال في موضع آخر:

« من اعتقد قدم العالم فهو كافر بلا خلاف، لأن الفارق بين المسلم والكافر ذلك، وحكمه في الآخرة حكم باقي الكفار بالإجماع ».[3]

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٤٠٥.

(٢) نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي: ١٢٤ و ١٢٥.

(٣) أجوبة المسائل المهنائية، العلامة الحلّي: ٨٩ـ٨٨.

ومراده من القدم هو القدم الذاتي المقابل للحدوث الزماني الذي قال به الفلاسفة كما مرّ في عبارته قدّس سرّه.

١٤ ـ وقال فيما ذكره من الدليل على حسن البعثة ما يشهد على خروج الفلاسفة عن أهل الملّة وأرباب الملل جميعاً:

« المسألة الأولى في حسن البعثة اختلف الناس في ذلك، فذهب المسلمون كافة وجميع أرباب الملل وجماعة من الفلاسفة إلى ذلك ومنعت البراهمة منه »[1].

١٥ ـ كما يظهر من عبارته هذه أيضاً مجانبتهم للإماميّة:

« وخالفت الأشاعرة كافة العقلاء في هذه المسألة، حيث حكموا بأن الله تعالى يرى للبشر. أما الفلاسفة، والمعتزلة، والإمامية، فإنكارهم لرؤيته ظاهر لا يشك فيه ».[2]

١٦ ـ وقد مرّ عنه رحمه الله فتوى وجوب الجهاد مع الفلاسفة المنكرين للضروريات ممّا يشهد على خروجهم عن طوائف المسلمين.[3]

١٧ ـ قال المحقّق الدواني:

« وقد خالف في الحدوث الفلاسفة أهل الملل الثلاث، فإنّ أهلها مجمعون على حدوثه بل لم يشذّ من الحكم بحدوثه من أهل الملل مطلقاً إلاّ بعض المجوس، وأما الفلاسفة فالمشهور أنّهم مجمعون على قدمه على التفصيل الآتي، ونقل عن أفلاطون القول بحدوثه وقد أوّله بعضهم بالحدوث الذاتي »[4].

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٤٦٨.

(٢) نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلي: ٤٧.

(٣) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ٩ / ٤١.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٤ / ٢٥٢.

١٨ ـ كما قال الشهيد الثاني:

« المعاد الجسماني اتفق المسلمون قاطبة على إثباته ، وذهب الفلاسفة إلى نفيه وقالوا بالروحاني »[١].

فترىٰ أنّه يفرّق بين الفئتين: المسلمين قاطبة ، والفلاسفة بقول مطلق.

١٩ ـ وقد حكم المحقق الكركي قدس سرّه بمخالفة الفلاسفة لأهل الملل قاطبة ، فقال في رسائله:

« المسألة الثانية عشرة في اثبات الغرض في أفعال الله تعالى. اعلم أنّ أهل الملل قاطبة قالوا باختياره ، وبأنّ فعله معلّل بالغرض ، إذ لو لم يفعل للعلم بالفائدة لكان فعله عبثا ، والفطرة الصحيحة تحكم بذلك وتشهد بذلك الروايات. غير أن الأشاعرة وافقوا الحكماء في أن أفعاله ليست معللة بالغرض لوجهين على ما سيجئ. وإنما قلنا أنهم وافقوا الحكماء ، فإن الحكماء وإن قالوا بأن أفعال الله تعالى معللة بالغرض ، صرحوا بأن غرض فعله وغايته إنما هو ذاته تعالى ».[٢]

٢٠ ـ قال العلاّمة المجلسي رحمه الله:

« هذه قواعد فلسفية غير مسلّمة عند المليّين ، ولا صحيحة عند القائلين باسناد الحوادث إلى القادر المختار »[٣].

٢١ ـ وقال:

« إنّي لمّا ألفيت أهل دهرنا على آراء متشتّتة و أهواء مختلفة... ، فمنهم

---

(١) حقائق الإيمان ، الشهيد الثاني: ١٥٩.

(٢) رسائل الكركي: ٣ / ١٥٥.

(٣) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ٨ / ٣٥٠.

من سمّى جهالة أخذها من حُثالة[١] من أهل الكفر والضلالة ،المنكرين لشرائع النبوة وقواعد الرسالة حكمة »[٢].

٢٢ ـ وقال ايضاً:

« وما يشاهد في بعض الناس من نفي بعض الضروريات كحدوث العالم والمعاد الجسماني ونحو ذلك مع الاقرار في الظاهر بنبوة نبينا صلّى الله عليه وآله واعترافهم بسائر الضروريات وما جاء به النبي صلّى الله عليه وآله ، فذلك لاحد الامرين :

إمّا لكونهم ضالّين لشبهة اعترتهم فيما زعموه ، كتوهّمهم كون أباطيل بعض الفلاسفة وسائر الزنادقة برهاناً يوجب تأويل الأدلة السمعية ونحو ذلك.

أو لكونهم منكرين للنبوّة في الباطن ولكن لخوف القتل والمضار الدنيوية لا يتجرّؤن على إنكار غير ما كشفوا عن إنكاره من الضروريات. وأما إظهارهم إنكار ذلك البعض فلارتفاع الخوف في إظهاره لاختلاط عقائد الفلاسفة وغيرهم بعقائد المسلمين بحيث لا تتميز إحداهما عن الأخرى إلا عند من عصمه الله سبحانه »[٣].

٢٣ ـ قال الفاضل الهندي في كشف اللثام في معنى زنديق:

« وقيل : أصله زند دين ، أي يتديّن بذلك الكتاب. وقيل : أصله زن دين ، أي دينه دين المرأة. وفي شمس العلوم : أنّه العالم من الفلاسفة ، وأنه يقال : معناه زن ودنق ».[٤]

---

(١) الحثالة بالضم: الردي من كل شيء.

(٢) مرآة العقول، العلامة المجلسي: ١ / ٢.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٠ / ٤٨٣.

(٤) كشف اللثام، الفاضل الهندي: ١٠ / ٥٢٣.

٢٤ ـ قال السيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانيّة:

« إنّ أكثر أصحابنا قد تبعوا جماعة من المخالفين من أهل الرأي والقياس ومن أهل الطبيعة والفلاسفة وغيرهم من الذين اعتمدوا على العقول واستدلالاتها، وطرحوا ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام حيث لم يأت على وفق عقولهم، حتى نقل أن عيسى على نبينا وآله وعليه السلام لما دعا أفلاطون إلى التصديق بما جاء به أجاب بأنّ عيسى رسول إلى ضعفة العقول، وأما أنا وأمثالي فلسنا نحتاج في المعرفة إلى إرسال الأنبياء... مع أنّ الأصحاب رضوان الله عليهم ذهبوا إلى تكفير الفلاسفة ومن يحذو حذوهم ».(١)

٢٥ ـ وقال الميرزا محمّد المشهدي في تفسيره:

« والمراد بالأنفس هنا ذواتهم. ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم. قيل: إن المختار عند المحققين من الفلاسفة وأهل الاسلام من الصوفية وغيرهم، أنها أي النفس »(٢).

و تشهد هذه العبارة بالإرتكاز على خروج الفلاسفة عن أهل الإسلام.

٢٦ ـ قال السيّد محمّد مهدي بحر العلوم رحمه الله في إحدى إجازاته بعد ذكر إعتناء السلف الصالح بالحديث:

« ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات،... فهم بين... وبين من سمّ جهالة اكتسبها من رؤساء الكفر والضلالة، المنكرين للنبوة والرسالة، حكمة وعلماً، واتّخذ من سبقه إليها أئمة

---

(١) نقل عنه المحدّث البحراني في الحدائق الناظرة: ١ / ١٢٦ ـ ١٢٨.

(٢) تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي: ١ / ١٢١.

وقادة، يقتفي آثارهم ويتبع منارهم، يدخل فيما دخلوا وإن خالف نصّ الكتاب، ويخرج عما خرجوا وإن كان ذلك هو الحق الصواب، فهذا من أعداء الدين، والسعاة في هدم شريعة سيد المرسلين، وهو مع ذلك يزعم أنه بمكان مكين، ولا يدري أنّه لا يزن عند الله جناح بعوض مهين »[١].

٢٧ ـ وفي مقدّمة كتاب الحق اليقين في اصول الدين للمولى محمّد طاهر القمّي، أنه ألّفه على مذهب النبيين ومخالفاً لمذهب المتفلسفة والمتكلمين المبتدعين[٢]، وهذا ظاهر في تباين النهجين.

٢٨ ـ قال مولي محمد صالح المازندراني في باب حدوث العالم من شرح الكافي:

« قد اختلف الناس فيه فذهب المسلمون واليهود والنصارى والمجوس إلى أنّ الأجسام حادثة بذواتها وصفاتها، وذهب أرسطو وأتباعه إلى أنّها قديمة بذواتها وصفاتها، وذهب أكثر الفلاسفة إلى أنّها قديمة بذواتها ومحدثة بصفاتها »[٣].

وهو ظاهر في مفارقة الفلاسفة لجميع الملّيين.

٢٩ ـ قال العلّامة الحاج شيخ مجتبى القزويني رحمه‌الله ما محصّله:

« أنّه قد كان في قديم الأيّام طريقة الفقهاء والتابعين للقرآن والسنّة ممتازاً عن طريقة الفلاسفة اليونانيّة والعرفاء والصوفيّة، وكان كلّ يرى أنّ طريقه هو الحقّ وكان يتبرّى من المنهج الآخر، فإنّه كان من

---

(١) خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ٢ / ٦٢.

(٢) الذريعة، آقا بزرگ الطهراني: ٧ / ٤٠ / ٢٠٧.

(٣) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٣ / ٣.

المسلّمات مخالفة منهج القرآن والسنّة مع منهج الفلاسفة. وترجمة الفلسفة اليونانيّة ونقلها إلى العربيّة قد تمّت في عصر الخلفاء »[١].

٣٠ ـ وفي ما اصدره السيّد الخوئي من البيان حول عقيدة الشيوعيّة ما ترجمته:

« عقيدة الشيوعيّة نظير عقيدة الفلسفة مضادّة تماماً مع اصول الإسلام، فهذا المعتقد كفر وشرك »[٢].

٣١ ـ وقد صرّح بذلك الفيلسوف المحقّق صدر الدين الشيرازي حيث قال:

« القول بقدم العالم إنما نشأ بعد الفيلسوف الأعظم أرسطو بين جملة رفضوا طريق الربانيين والأنبياء، وما سلكوا سبيلهم بالمجاهدة والرياضة والتصفية وتشبثوا بظواهر أقاويل الفلاسفة المتقدمين من غير بصيرة ولا مكاشفة، فأطلقوا القول بقدم العالم. وهكذا أوساخ الدهرية والطبيعية من حيث لم يقفوا على أسرار الحكمة والشريعة، ولم يطلعوا على اتحاد مأخذها واتفاق مغزاهما.

ولشدة رسوخهم فيما اعتقدوا من قدم العالم وزعمهم أن هذا مما يحافظ على توحيد الصانع وانثلام الكثرة والتغيير على ذاته، وأن قياساتهم مبتنية على مقدمات ضرورية هي مبادي البرهان، لم يبالوا بأن ما اعتقدوا مخالف لما ذهب إليه أهل الدين بل أهل الملل الثلاث من اليهود والنصارى والمسلمين من أن العالم بمعنى ما سوى الله وصفاته وأسمائه حادث، أي موجود بعد أن لم يكن بعدية حقيقية وتأخرا زمانيا، لا ذاتيا فقط، بمعنى أنه مفتقر إلى الغير متأخر عنه في حد ذاته، كما هو شأن كل ممكن بحسب حدوثه الذاتي وهو لا استحقاقية الوجود ولا عدم من نفسه.

---

(١) بيان الفرقان، الشيخ مجتبى القزويني: ١ / ٢.

(٢) عنه مستدرك سفينة البحار: ٨ / ٣٠٠.

ومنهم، وإن كان ممن التزم دين الإسلام لكنه يعتقد قدم العالم، ويظن أن ما ورد في الشريعة والقرآن واتفق عليه أهل الأديان في باب الحدوث للعالم، إنما المراد منه مجرد الحدوث الذاتي والافتقار إلى الصانع. وذلك القول في الحقيقة تكذيب للأنبياء من حيث لا يدري، ولا يخلص قائله، ولا يأمن من التعذيب العقلي والحرمان الأبدي، لأن الجهل في الأصول الإيماني إذا كان مشعوفاً بالرسوخ يوجب العذاب الروحاني في دار المآب»[1].

يستفاد من كلامه أنّ القول بالحدوث الذاتي بمعنىٰ الإفتقار إلى الصانع مخالف لما ذهب إليه أهل الملل الثلاث من الحدوث الزماني، بمعنىٰ مسبوقيّة العالم بالعدم وأنّ له أولاً وابتداءً. وأنّ الفلاسفة القائلين بالحدوث الذاتي لم يبالوا مخالفة المليين. ثمّ حكم بأنّ تأويل ما ورد في الشريعة واتفق عليه أهل الإديان من حدوث العالم علىٰ الحدوث الذاتي في الحقيقة تكذيب للأنبياء من حيث لايدري، ولايخلص قائله من العذاب الأبدي.

وهذا الذي عدّ الإعتقاد به مخالفاً لما عليه أهل الملل الثلاث ـ اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام ـ قد التزمه كثير من الفلاسفة، بل التزم به ملا صدرا نفسه قبل غيره.

فإنّه كيف يبقىٰ مجال للقول بالحدوث، بعد نفي حدوث الإرادة ودعوىٰ اتّحادها مع الذات الربوبية، وبعد القول بكون فاعليّته تعالىٰ بالعليّة أو الرشح والفيضان أوالتجلّي بمعناه الخاطئ؟ وكلّ هذه مما تبنّاه الفيلسوف الشيرازي وكثير من الفلاسفة لاسيما أبناء مدرسته، مدرسة الحكمة المتعالية، كما مرّ في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

---

(١) رسالة في الحدوث، صدر الدين الشيرازي: ١٥ ـ ١٧.

٣٢ ـ وقال العلامّة الطباطبائي:

« وأما تقسيمهم سير الحياة الانسانية إلى أربعة عهود فما بأيدينا من تاريخ الدين والفلسفة يكذبه فإن طلوع دين إبراهيم إنما كان بعد عهد الفلسفة بالهند ومصر وكلدان ودين عيسى بعد فلسفة يونان وكذا دين محمد صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وهو الاسلام ـ كان بعد فلسفة يونان وإسكندرية، وبالجملة غاية أوج الفلسفة كانت قبل بلوغ الدين أوجه. وقد مر فيما مر أن دين التوحيد يتقدم في عهده على جميع الأديان الاخر ».[1]

وهذه العبارة كما ترىٰ ظاهرة في تلك الجدليّة بين الفلسفة والدين، حيث أنّه كلما تكثر زمن الفترة بين مجيء رسول ومجيء رسول آخر، كلما تكثر الفلسفة وتزداد أوجاً وشرفاً، وبمجرّد مجيء دين جديد تخمد وينتهي دورها وأمدها.

٣٣ ـ ومن الشواهد علىٰ هذا الإرتكاز أنّ بعض الفلاسفة كانوا يخفون أسماءهم ويعيشون في خوف و وجل حذراً من التشهير والتكفير، كما مرّ من هروب فلاسفة يونان وخوفهم من أتباع الأنبياء و الشرايع، ونظير ما قد يقال بالنسبة إلى كتاب «اخوان الصفا» وأنّ مؤلّفي هذه الرسائل إنّما أخفوا أسماءهم لأنّ الإنتساب إلى الفلسفة كان مرادفاً للإنتساب إلى الكفر والزندقة، لما شاهدوا من إبتلاء المنتسبين إلى الفلسفة، فقد ورد في أعيان الشيعة:

« اخوان الصفا وخلان الوفا، هم جماعة اجتمعوا على تأليف كتاب فيه احدى وخمسون رسالة واشتهر الكتاب باسم رسائل اخوان الصفا...وقد كتموا فيه أسماءهم ،...وربما كان سبب كتمانهم ما يقال من أن الإنتساب إلى الفلسفة كان مرادفا للانتساب إلى التعطيل، وشاعت النقمة على

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١ / ٤٢٤.

المأمون لأنه كان السبب في نقل الفلسفة إلى اللغة العربية... وربما كان كتم أسمائهم لأن كتابهم هذا كتاب زندقة وتعطيل كما قد يفهم من بعض مواضع منه ونسب ذلك بعض العلماء اليه كما ستعرف فخافوا من اظهار أسمائهم ان يؤخذوا بذلك فيقتلوا وكانوا يجتمعون سرا والله أعلم ».[1]

٣٤ ـ ولبعض الفلاسفة كلام يكشف عن نظرهم إلى الوحي والنبوّة ومدى تعظيمهم للفلاسفة وكلماتهم في مقابل تحقيرهم للأنبياء و تعاليمهم، فذاك يقيني و هذا ظنّي، و ذاك برهاني و هذا تقليدي، و ذاك روحاني و هذا جسماني، وهذا يؤكّد ما أكّدنا عليه من الإرتكاز على تباين النهجين نهج الأنبياء و نهج الفلاسفة، ولغاية ظهور هذا التباين صار مرتكزاً حتى عند الفلاسفة أنفسهم.

ففي أعيان الشيعة عن محمد بن معشر المقدسي الذي عدّه الشهرستاني من متأخّري فلاسفة الإسلام[2]:

« الشريعة طب المرضى، والفلسفة طب الأصحاء، والأنبياء يطبون المرضى حتى لا يتزايد مرضهم وحتى يزول المرض بالعافية فقط. وأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها حتى لا يعتريهم مرض أصلا. وبين مدبّر المريض ومدبّر الصحيح فرق ظاهر، لان غاية تدبير المريض ان ينتقل به إلى الصحة، وهذا إذا كان الدواء ناجعا والطبع قابلا والطبيب ناصحا، وغاية تدبير الصحيح ان يحفظ الصحة، وإذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرغه لها وعرضه لاقتنائها، وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى، وقد صار مستحقّاً للحياة الآلهية والحياة الإلهية هي الخلود والديمومة. وان كسب من يبرأ من المرض

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣ / ٢٢٦.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني: ٢ / ١٥٨.

بطب صاحبه الفضائل أيضا فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل ، لأن إحداهما تقليدية والأخرى برهانية ، وهذه مظنونة وهذه مستيقنة ، وهذه روحانية وهذه جسمية وهذه دهرية وهذه زمانية ».[١]

قال السيد محسن الأمين رحمه الله عقيب هذا الكلام، ونعم ما قال:

« وأما زعم المقدسي ان الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الأصحاء ، فزعم فاسد ، بل الشريعة طب المرضى والأصحاء ،كزعمه الفرق بينهما بان هذه تقليدية وهذه برهانية الخ ،فان جلّ ما ذكره من الصفات أوكله بعكس ما ذكره ».[٢]

٣٥ ـ ولبعض الأطبّاء أيضاً كلام في الفلسفة و ربطه بالدين حين عرض عليه رسائل إخوان الصفا، لابأس بنقلها. ففي أعيان الشيعة عن كتاب اخبار الحكماء باخبار العلماء للقطيفي المتوفى: ٦٤٦، أنّه لما عرض على أبى سليمان محمّد بن بهرام المنطقى السجستاني[٣] رسائل إخوان الصفا نظر فيها أيّاماً و تبحّرها طويلا ثمّ ردّها و قال:

« تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهللوا ومشطوا ففلفلوا ، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ، ظنّوا أنّه يمكنهم ان يدسّوا الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقي الذي هو

---

(١) أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين : ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذكره في عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء وقال : أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي ،كان فاضلاً في العلوم الحكمية متقناً لها ، مطّلعاً على دقائقها ، واجتمع بيحيى بن عدي ببغداد وأخذ عنه. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة : ٤٢٧.

معرفة النغم والايقاعات والنقرات والأوزان والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات في الشريعة ، وأن يربطوا الشريعة في الفلسفة ، وهذا مرام دونه حدد. وقد تورك على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحدّ أنياباً ، وأحصر أسباباً ، وأعظم أقداراً ، وأرفع أخطاراً ، وأوسع قوى ، وأوثق عرى ، فلم يتمّ لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا منه ما أمّلوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات واضحة موحشة وعواقب مخزية ».

فأعترضه شخص و قال: ولم ذلك أيها الشيخ ؟ فقال:

« ان الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل بوساطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة ، وشهادة الآيات وظهور المعجزات ، وفي أثنائها ما لا سبيل إلى البحث عنه والغوص فيه ، ولا بد من التسليم المدعو اليه والمنبّه عليه ، وهناك يسقط لم ، ويبطل كيف ، ويزول هلا ، ويذهب لو وليت في الريح ، لأن هذه المواد محسومة ، وجملتها مشتملة على الخير ليس فيها حديث المنجم في تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك ، ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها وما يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وما الفاعل وما المنفعل منها وكيف تمازجها وتنافرها ، ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقادير الأشياء ولوازمها ، ولا حديث المنطقي الباحث عن مراتب الأقوال ومناسب الأسماء والحروف والافعال.

قال : فعلى هذا كيف يسوّغ لإخوان الصفا أن ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوة تجمع حقائق الفلسفة في طريق الشريعة. على أنّ وراء هذه الطوائف جماعة أيضاً لهم ماخذ من هذه الاغراض كصاحب العزيمة وصاحب الكيمياء وصاحب الطلسم وعابر الرؤيا ومدعي السحر ومستعمل الوهم.

قال : ولو كانت هذه جائزة لكان الله تعالى نبّه عليها وكان صاحب الشريعة يقوم شريعته بها ويكملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التي تجدها في غيرها ، أو يحضّ المتفلسفين على إيضاحها بها ويتقدّم إليهم بإتمامها ، ويفرض عليهم القيام بكل ما يذبّ عنها حسب طاقتهم فيها ، ولم يفعل ذلك بنفسه ولا وكله إلى غيره من خلفائه والقائمين بدينه ، بل نهى عن الخوض في هذه الأشياء ، وكره إلى الناس ذكرها ، وتوعّدهم عليها ، وقال : « من أتى عرّافا أو كاهنا أو منجّما يطلب غيب الله منه فقد حارب الله ، ومن حارب الله حرب ، ومن غالبه غلب » وحتى قال : « لو أن الله حبس عن الناس القطر سبع سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح ».

ولقد اختلفت الأمة ضروباً من الاختلاف في الأصول والفروع ، وتنازعوا فيها فنوناً من التنازع في الواضح والمشكل من الاحكام والحلال والحرام والتفسير والتأويل والعيان والخبر والعادة والاصطلاح ، فما فزعوا في شيء من ذلك إلى منجم ولا طبيب ولا منطقي ولا هندسي ولا موسيقى ولا صاحب عزيمة وشعبذة وسحر وكيمياء ، لأن الله تعالى تمّم الدين بنبيه صلّى الله عليه وآله ولم يحوجه بعد البيان الوارد بالوحي إلى بيان موضوع بالرأي.

وقال : كما لم نجد هذه الأمة تفزع إلى أصحاب الفلسفة في شيء من أمورها ،فكذلك ما وجدنا أمّة موسى عليه السلام تفزع إلى الفلاسفة في شيء من دينها ، وكذلك أمة عيسى عليه السلام ، وكذلك المجوس.

قال : ومما يزيدك وضوحاً أنّ الأمة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافاً فيها وفرقاً ، كالمعتزلة والمرجئة والشيعة والسنية والخوارج ، فما فزعت طائفة من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا حقّقت مقالتها بشواهدهم وشهاداتهم ، وكذلك الفقهاء الذين

اختلفوا في الاحكام من الحلال والحرام منذ أيام الصدر الأول إلى يومنا هذا لم نجدهم تظاهروا بالفلاسفة واستنصروهم. وقال: أين الآن الدين من الفلسفة ؟ وأين الشئ المأخوذ بالوحي النازل من الشئ المأخوذ بالرأي الزائل ؟

فإن أدلوا بالعقل فالعقل من هبة الله جل وعز لكلّ عبد، ولكن بقدر ما يدرك به، وليس كذلك الوحي فإنّه على نوره المنتشر وبيانه المتيسر. ولو كان العقل يكتفى به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء. على أنّ منازل الناس متفاوتة في العقل وانصباؤهم مختلفة فيه، فلو كنّا نستغني عن الوحي كيف كان نصنع، وليس العقل بأسره لواحد منّا، فإنما هو لجميع الناس.

فان قال قائل بالعنت والجهل: كل عاقل موكول إلى قدر عقله وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره.

قيل له: كفاك عاراً في هذا الرأي انّه ليس لك فيه موافق، ولو استقلّ انسان واحد بعقله في دينه ودنياه، لاستقلّ أيضا بقوّته في جميع حاجاته في دينه ودنياه، ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف، وكان لا يجتمع إلى أحد من نوعه وجنسه، وهذا قول مرذول ورأي مخذول ».

وعقّب السيد محسن الأمين رحمه الله على كلام السجستاني بقوله:

« والكلام الذي حكاه أبو حيان عن شيخه محمد بن بهرام في الرد على اخوان الصفا في ربطهم الشريعة بالفلسفة كاف واف ».[1]

٣٦ ـ ورد في جملة من المعاجم اللغويّة في بيان معنى الفلسفة أنّه:

« قد يراد بها سوء العقيدة في الدين ».[2]

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) أقرب الموارد، الشرتوني: ٤ / ١٢٧، محيط المحيط، بطرس البستاني: ٥٠٧، قطر المحيط، ←

وبما أنّ المعاجم اللغويّة تتصدّىٰ لبيان المعاني التي استعملت فيها الألفاظ لدى العرف، فهذا يكشف عن أنّ من موارد إستعمال كلمة الفلسفة هو سوء العقيدة في الدين، وهذا الإستعمال من العرف مبني علىٰ وجود إرتكاز مسبق بتنافي الدين والفلسفة كما هو واضح.

٣٧ ـ قال ابن أبي الحديد في تفصيله فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

« وما أقول في رجل يحبّه أهل الذمّة على تكذيبهم بالنبوّة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة »[١].

٣٨ ـ وقال شارحاً لقوله عليه السلام: «لا توارى عنه سماء سماء»:

« فلقائل أن يقول: ولا يتوارى شيء من السماوات عن المدركين منا، لأنها شفافة، فأي خصيصة للباري تعالى في ذلك؟ فينبغي أن يقال هذا الكلام على قاعدة غير القاعدة الفلسفية، بل هو على قاعدة الشريعة الاسلامية التي تقتضي أن السماوات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسة، وإنها ليست طباقا متراصة، بل بينها خلق من خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره. واتباع هذا القول واعتقاده أولى »[٢].

٣٩ ـ و يدلّ أيضاً على الأرتكاز المذكور ما ذكره عقيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾[٣]:

« واعلم أنه لا تعلّق للمرجئة ولا جدوى عليهم من عموم لفظ الآية،

← بطرس البستاني: ٤٥٤، معجم النفائس الكبير، باشراف احمد أبو حاقة: ٢ / ١٤٩٣، معجم النفائس الوسط: ١٤٢٨، معجم النفائس المدرسي: ٥٨٥.

(١) شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ١ / ٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ٣٠٤.

(٣) النساء: ٤٨ و ١١٦.

لأنهم قد وافقونا على أن الفلسفي غير مغفور له وليس بمشرك، فإذا أراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ ومن جرى مجرى المشركين، قيل لهم: ونحن نقول: إن الزاني والقاتل يجريان مجرى المشركين كما أجريتم الفلاسفة مجرى المشركين، فلا تنكروا علينا ما لم تنكروه على أنفسكم »[1].

وهذا يدلّ على أنّ خروج الفلاسفة عن عموم المؤمنين والمسلمين كان من المسلّمات لدى جمهور المسلمين ومن المسلّمات لدى الطرفين في الجدال.

وليعلم أنّما نذكر أقوال غير الإماميّة هنا لمجرّد بيان هذا الإرتكاز لديهم، أي الإرتكاز على خروج الفلسفي بقول مطلق عن جميع فرق المسلمين.

٤٠ ـ وامتيازهم عن اليهود والنصارى والمسلمين كان من المسلّمات التي بها تضرب الأمثال، فهذا إبن أبي الحديد ينقل عن أستاذه أبي جعفر يحيى بن محمّد نقيب البصرة آنذاك قوله:

« ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان عاقلا كامل العقل، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنّه حكيم تام الحكمة، سديد الرأي، أقام ملة، وشرع شريعة، فاستجدّ ملكاً عظيما بعقله وتدبيره »[2].

٤١ ـ وقال التفتازاني في شرح المقاصد في الجواب عن أنّ الملائكة روحانيّات مجرّدة:

« أنّ مبنى ذلك على قواعد الفلسفة دون الملّة »[3]

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠ / ٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ٢٤٨.

(٣) شرح المقاصد، التفتازاني: ٣ / ٢١.

٤٢ ـ ويشهد أيضاً على هذا الإرتكاز ما حكي عن إبن الأعرابي حيث ادّعى إجماع المسلمين على كون الجن أجسام هوائيّة وأنّ الفلاسفة خالفوا المسلمين بأجمعهم فهم فرقة متمايزة عن المسلمين، فعن الشيخ الطريحي أنّه قال:

« حكى ابن الأعرابي إجماع المسلمين على أنهم يأكلون ويشربون وينكحون، خلافا للفلاسفة النافين لوجودهم ».[١]

٤٣ ـ وحكي عن الشيخ أبو حيان أنّه أنشد في ذمّ من ينتمي إلى الفلاسفة:

وما انتسبوا إلى الاسلام إلا لصون دمائهم أن لا تسالا

فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى[٢]

٤٤ ـ وذكر الشربيني أنّه:

« لا يكفي شهادة الفلسفي، وهو النافي لاختيار الله تعالى أن الله علة الأشياء ومبدؤها حتى يشهد بالاختراع والاحداث من العدم ».[٣]

٤٥ ـ وقال المازري:

« أكثر المتشرعين وأقل الفلاسفة على أن النية في القلب، وأقل المتشرعين وأكثر الفلاسفة على أنها في الدماغ ».[٤]

٤٦ ـ وقال الدسوقي:

« وقد يقال إن هذا تعريف للمناطقة التابعين فيه للفلاسفة، وأهل الشرع لا يقولون بتدقيقاتهم ».[٥]

---

(١) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ١ / ٤١٥.

(٢) مغني المحتاج، محمد بن أحمد الشربيني: ١ / ١٨١.

(٣) مغني المحتاج، محمد بن أحمد الشربيني: ٤ / ١٤١.

(٤) مواهب الجليل، الحطاب الرعيني: ١ / ٣٣٣.

(٥) حاشية الدسوقي، الدسوقي: ١ / ٢٨٤.

٤٧ ـ وذكر ابن نجيم المصري:

« السحر والفلسفة لا يقصد ما فيها لأهل الديانة ».[١]

٤٨ ـ وقال الحصفكي:

« لان الكفر مبيح للدم ، قيد بإسلام المرتد لان الكفار أصناف خمسة : من ينكر الصانع كالدهرية ، ومن ينكر الوحدانية كالثنوية ، ومن يقربهما لكن ينكر بعثة الرسل كالفلاسفة ، ومن ينكر الكل كالوثنية ، ومن يقر بالكل ،لكن ينكر عموم رسالة المصطفى (ص) كالعيسوية ».[٢]

٤٩ ـ وقال ابن عابدين:

« أن المشهور أن الخلاف في مسألة الجزء الذي لا يتجزأ بين المسلمين وحكماء الفلاسفة ، فنفاه الفلاسفة وبنوا عليه قدم العالم وعدم حشر الأجساد وغير ذلك من أنواع الالحاد ، وأثبته المسلمون لرد ذلك ».[٣]

وهذه العبارات ينبئ عن إرتكاز مستقرّ في أذهان الجميع علىٰ وجود تلك الجدليّة بين الفلسفة والدين، حيث عدّ الفلاسفة بقول مطلق متمايزون عن المسلمين و عن سائر المليين.

وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله علىٰ سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، و اللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأوّلين و الآخرين.

---

(١) البحر الرائق، ابن نجيم المصري: ٥ / ٩٢.

(٢) الدر المختار، الحصكفي: ٤ / ٤١١.

(٣) حاشية رد المحتار، ابن عابدين: ١ / ٢٠٢.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

المصادر الحديثيّة

٢ ـ **الأصول الستة عشر**، جمع من المحدّثين، دار الشبستري للمطبوعات قم المقدسة ١٤٠٥.

٣ ـ **الأمالي**، الشيخ محمّد بن عليّ بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، مؤسسة البعثة.

٤ ـ **الإحتجاج**، ابومنصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (القرن ٦)، تعليقات و ملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٣٨٦.

٥ ـ **الإختصاص**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، تعليق و تصحيح: على اكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين بقم المشرفة.

٦ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، الشّيخ المفيد محمّد بن محمد بن النّعمان العكبري (ت ٤١٣)، تحقيق مؤسّة آل البيت لإحياء التراث، اللجنة الخاصّة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ١٤١٤.

٧ ـ **إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ**، فضل بن حسن الطبرسي (ت ٥٤٨)، دار الكتب الإسلامية تهران ١٣٩٠.

٨ ـ **بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار أئمة الأطهار**، العلامة محمّد باقر المجلسي (ت ١١١١)، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣.

٩ ـ **البرهان في تفسير القرآن**، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٠ ـ **بشارة المصطفى لشيعة المرتضىٰ**، محمد بن ابي القاسم الطبري الإمامي (القرن ٦)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤٢٠.

١١ ـ **بصائر الدرجات الكبرى في فضل آل محمّد عليهم السّلام**، محمّد بن حسن بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠)، تحقيق و تعليق: ميرزا محسن كوچه باغی، منشورات الأعلمي ١٤٠٤.

١٢ ـ **تحف العقول عن آل الرسول**، ابن شعبة الحرّاني (القرن ٤)، تصحيح و تعليق: على اكبر الغفارى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤٠٤.

١٣ ـ **تفسير الإمام العسكري عليه السلام**، تحقيق و نشر: مدرسة الإمام المهدي قم المقدّسة ١٤٠٩.

١٤ ـ **تفسير القمي**، على بن ابراهيم القمي (القرن ٣ و ٤)، تحقيق: سيد طيّب الموسوي الجزائري، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم ١٤٠٤.

١٥ ـ **تفسير العياشي**، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، تحقيق: سيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة الإسلامية ١٣٨٠.

١٦ ـ **تفسير فرات الكوفي**، فرات بن ابراهيم الكوفي، الطبعة الرابعة طهران ١٤١٠.

١٧ ـ **تفصيل وسائل الشيعة لتحصيل مسائل الشريعة**، الشيخ حر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤١٤.

١٨ ـ **التوحيد**، الشيخ محمّد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق و تعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم ١٣٩٨.

١٩ ـ **تهذيب الأحكام**، شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠)، تحقيق و تعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية ١٣٩٠.

٢٠ ـ **جامع أحاديث الشيعة**، ألّف تحت اشراف السيد البروجردي، طبع مطبعة العلميّة ١٣٩٩.

٢١ ـ **جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع**، السيد رضى الدين على بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس (ت ٦٦٤)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة الآفاق ١٤١٠.

٢٢ ـ **حلية الأبرار**، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧)، تحقيق: الشيخ غلامرضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلاميّة قم المقدّسة ١٤١١.

٢٣ ـ **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣)، تحقيق و نشر: مؤسسة الإمام المهدي قم المقدسة.

٢٤ ـ **الخصال**، الشيخ محمد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، تعليق: على اكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة قم المقدسة ١٤٠٣.

٢٥ ـ **دلائل الإمامة**، محمد بن جرير الطبري الإمامي (القرن ٥)، تحقيق: قسم الدراسات الاسلاميّة في مؤسسة البعثة قم ١٤١٣.

٢٦ ـ **سفينة البحار**، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩)، تحقيق ونشر بنياد پژوهشهای آستان قدس رضوی.

٢٧ ـ **الصحيفة السجادية الكاملة**.

٢٨ ـ **الصحيفة السجادية الجامعة**، السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، تحقيق و نشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم ١٤١١.

٢٩ ـ **صفات الشيعة**، الشيخ محمد بن علي بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١).

٣٠ ـ **علل الشرايع**، الشيخ محمّد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، المكتبة الحيدرية النجف الأشرف الطبعة الأولى.

٣١ ـ **عوالي اللئالي**، محمد بن على بن ابراهيم المعروف بابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق: مجتبىٰ العراقي، مطبعة سيد الشهداء قم ١٤٠٣.

٣٢ ـ **عيون اخبار الرضا عليه السّلام**، الشيخ محمّد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٤.

٣٣ ـ **عيون المعجزات**، حسين بن عبد الوهاب (القرن ٥)، منشورات المطبعة الحيدريّة النجف الأشرف ١٣٦٩.

٣٤ ـ **غرر الحكم ودرر الكلم**، الآمدى (ت ٥٥٠) بشرح الخوانساري، تصحيح و تعليق: السيد جلال الدين محدث الأرموي، منشورات دانشگاه تهران.

٣٥ ـ **الغيبة**، الشيخ محمد بن ابراهيم بن جعفر المعروف بابى زينب النعماني (ت ٣٦٠)، تحقيق: فارس حسون الكريم، منشورات أنوار الهدىٰ قم ١٤٢٢.

٣٦ ـ **فضائل الشيعة**، محمّد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١).

٣٧ ـ **فضل الكوفة و مساجدها**، محمد بن جعفر المشهدي الحائري (القرن ٦)، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، دار المرتضیٰ بيروت.

٣٨ ـ **الكافى**، ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩)، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية ١٣٨٨.

٣٩ ـ **كامل الزيارات**، ابو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمى (ت ٣٦٨)، دار الفقاهة ١٤١٧.

٤٠ ـ **كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر**، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي (القرن ٤)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمرى، انتشارات بيدار قم ١٤٠١.

٤١ ـ **كمال الدين و تمام النعمة**، محمّد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق: على اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٠٥.

٤٢ ـ **كنز الفوائد**، أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩)، تحقيق: الشيخ عبد الله نعمه، الطبعة الأولى قم.

٤٣ ـ **المحاسن**، ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي، تعليق: السيد جلال الحسيني، دار الكتب الإسلامية.

٤٤ ـ **المحتضر**، أبو محمد حسن بن سليمان بن محمد الحلي (القرن ٨)، تحقيق: سيد علي الأشرف، انتشارات المكتبة الحيدريّة ١٣٨٢.

٤٥ ـ **مختصر البصائر**، أبو محمد حسن بن سليمان بن محمد الحلي (القرن ٨).

٤٦ ـ **المزار**، محمد بن جعفر المشهدي الحائري (القرن ٦)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٩.

٤٧ ـ **مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر و دلائل الحجج على البشر**، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧)، تحقيق: عزة الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١٣..

٤٨ ـ **مسائل علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام**، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام مشهد المقدسة ١٤٠٩.

٤٩ ـ **مستدرك سفينة البحار**، الشيخ على النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥)، تحقيق: حسن النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥٠ ـ **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، الميرزا حسين النوري (ت ١٣٣٠)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤٠٨.

٥١ ـ **مستطرفات السرائر**، ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة الطبعة الثانية ١٤١١.

٥٢ ـ **معاني الاخبار**، محمّد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق: على اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٣٧٩ ش.

٥٣ ـ **مناقب الامام اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام**، محمّد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠)، مجمع احياء الثقافة الاسلامية قم ١٤١٢.

٥٤ ـ **من لا يحضره الفقيه**، محمّد بن على بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق: على اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٣٩٢.

٥٥ ـ **نهج البلاغة**، السيد شريف الرضي (ت ٤٠٦)، شرح محمد عبده. دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٥٦ ـ **الهداية الكبرىٰ**، ابي عبدالله الحسين بن حمدان الحضيني (ت ٣٣٤)، مؤسسة البلاغ بيروت ١٤١١.

سائر المصادر

٥٧ ـ **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، أبو ريحان البيروني، تحقيق: پرويز اذكائي، دار الفكر بيروت.

٥٨ ـ **إثنا عشر رسالة**، السيد مير محمد باقر المحقق الداماد الحسيني الأستر آبادي (ت ١٠٤١). مع مقدمة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

٥٩ ـ **الإثناعشرية في الرد على الصوفية**، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤)، تعليق: السيد محمد اللازودي الحسيني، دار الكتب العلمية قم ١٤٠٠.

٦٠ ـ **الإجتهاد والتقليد في علم الرجال وأثره في التراث العقائدي**، تقرير أبحاث الشيخ الأستاذ محمّد السند، بقلم محمّد عيسىٰ آل مكباس وحسن الكاشاني ومجتبىٰ الإسكندري، مكتبة فدك قم المقدّسة ١٤٣١.

٦١ ـ **أجوبة المسائل المهنائية**، حسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلّي (ت ٧٢٦).

٦٢ ـ **أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، أبو الحسن على بن عبد الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦)، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٦.

٦٣ ـ **الأخبار الطوال**، أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٨٢)، تحقيق: عبد المنعم العامر، دار احياء الكتب العربي بيروت ١٩٦٠ م.

٦٤ ـ **إدراء الغافلين واخزاء المجانين**، السيد محمد بن محمد المير لوحي الحسيني السبزواري (ت بعد ١٠٨٣).

٦٥ ـ **أسرار الآيات**، محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي، (ت ١٠٥٠)، دار الوفاق بيروت.

٦٦ ـ **أصول الفقه**، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة.

٦٧ ـ **اصول فلسفة وروش رئاليسم**، السيّد محمّد حسين الطباطبائي مع تعليقات الشيخ مرتضى المطهري، انتشارات صدرا.

٦٨ ـ **الإعتقادات**، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١).

٦٩ ـ **الإعتقادات في دين الإمامية**، الشيخ محمّد بن علي بن حسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق: عصام عبد السيد، اللجنة الخاصّة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ١٤١٤.

٧٠ ـ **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم الملايين بيروت ١٩٨٠ م.

٧١ ـ **اعلام المحبين**، السيد محمد بن محمد المير لوحي الحسيني السبزواري (ت بعد ١٠٨٣).

٧٢ ـ **أعيان الشيعة**، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات بيروت.

٧٣ ـ **الإقتصاد الهادي إلىٰ طريق الرشاد**، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠)، منشورات مكتبة چهلستون طهران ١٤٠٠.

٧٤ ـ **أقرب الموارد في فصح العربيّة والشوارد**، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، دار الأسوة للطباعة والنشر ١٤١٦.

٧٥ ـ **الأمالي**، أبو القاسم الشريف السيد علي بن طاهر المرتضى (ت ٤٣٦)، تصحيح: سيد محمّد بدر الدين النعماني الحلبي، مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي قم ١٤٠٣.

٧٦ـ **الإمامة الإلهيّة**، تقرير أبحاث الأستاذ الشيخ محمد السند، بقلم قيصر التميمي، دار الغدير للطباعة والنشر.

٧٧ـ **أمل الآمل**، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب النجف الأشرف.

٧٨ـ **أوائل المقالات**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، مع تعليقات إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئيني، اللجنة الخاصّة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ١٤١٤.

٧٩ـ **البحر الرائق**، في شرح كنز الدقائق، زين العابدين بن ابراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري الحنفي (ت ٩٧٠)، دار الكتب العملية بيروت ١٤١٨.

٨٠ـ **البيان في تفسير القرآن**، السيّد ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣)، دار الزهراء بيروت ١٣٩٧.

٨١ـ **بداية الحكمة**، السيّد محمّد حسين الطباطبائي (١٤١٢)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٨.

٨٢ـ **البداية والنهاية**، اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤)، تحقيق: علي شيرى، دار احياء التراث العربي بيروت ١٤٠٨.

٨٣ـ **بشارات الشيعة**، ملامحسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١).

٨٤ـ **بيان الفرقان**، الشيخ مجتبى القزويني (ت ١٣٨٦).

٨٥ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، محب الدين السيد محمد مرتضىٰ الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٠٥)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر بيروت ١٤١٤.

٨٦ـ **تاريخ ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨)، دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الرابعة.

٨٧ـ **تاريخ الإسلام**، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧.

٨٨ـ **تاريخ فلسفه وتصوف**، العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥).

٨٩ـ **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب (ت ٢٨٤)، دار الصادر بيروت.

٩٠ ـ **تاريخ و فرهنگ قم**، مجموعة من الكتب والرسائل منها: آداب السير والسلوك وهي رسالة من آقا محمد البيد آبادي (ت ١١٧٩) للميرزا القمي (ت ١٢٣١)، انتشارات السيّدة المعصومة قم المقدسة.

٩١ ـ **التبيان في تفسير القرآن**، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٩.

٩٢ ـ **تجريد الاعتقاد**، الخواجة نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢)، المطبوع مع كشف المراد للعلامة الحلي.

٩٣ ـ **تحفة الأخيار**، محمد طاهر بن محمد حسين القمي (ت ١٠٩٨).

٩٤ ـ **التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية لملا محسن الفيض الكاشاني**، السيد عبد الله الجزائري (ت ١١٧٣)، مخطوط كتابخانه آستان قدس رضوي ١١٧٠.

٩٥ ـ **تراجم الرجال**، السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي قم ١٤١٤.

٩٦ ـ **تذكرة الفقهاء**، العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (ت ٧٢٦)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث ١٤١٤.

٩٧ ـ **تصحيح اعتقادات الإمامية**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، تحقيق: حسين درگاهي، اللجنة الخاصّة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ١٤١٤.

٩٨ ـ **تفسير الآلوسي** (ت ١٢٧٠).

٩٩ ـ **تفسير ابن أبي حاتم الرازي** (ت ٣٢٧)، تحقيق: السعد محمد الطيب، مطبعة الصيدا المكتبة العصرية.

١٠٠ ـ **تفسير ابن كثير**، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤)، دار المعرفة بيروت ١٤١٢.

١٠١ ـ **تفسير البحر المحيط**، أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة بيروت ١٤٢٢.

١٠٢ ـ **تفسير السمرقندي**، أبو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر بيروت.

١٠٣ ـ **تفسير القرآن الكريم**، محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠).

١٠٤ـ **تفسير كنز الدقائق**، الميرزا محمد المشهدي (ت حدود ١١٢٥)، تحقيق: حاج آقا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤٠٧.

١٠٥ـ **تفسير مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي (ت ٦٠٦).

١٠٦ـ **تفسير النسفي** (ت ٥٣٧).

١٠٧ـ **تقريب المعارف**، أبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي (ت ٤٤٧)، تحقيق ونشر: فارس حسون تبريزيان ١٤١٧.

١٠٨ـ **تنبيهات حول المبدأ والمعاد**، الميرزا حسنعلي المرواريد (ت ١٤٢٥)، بنياد پژوهشهاى آستان قدس رضوي.

١٠٩ـ **تنبيه الغافلين**، السيد محمد بن محمد المير لوحي الحسيني السبزواري (ت بعد ١٠٨٣)، النسخة الخطيّة الموجودة في مكتبة آية الله العظمىٰ الگلپايگاني.

١١٠ـ **التنبيه والإشراف**، علي بن حسين المسعودي (ت ٣٤٦)، دار صعب بيروت.

١١١ـ **تنزيه المعبود في الرد علىٰ وحدة الوجود**، السيد قاسم علي أحمدي، انتشارات السيدة معصومة قم.

١١٢ـ **التنقيح في شرح العروة الوثقىٰ**، الميرزا علي الغروي تقريراً لابحاث السيّد الخوئي، دار الهادي للمطبوعات قم.

١١٣ـ **توحيد الإمامية**، الشيخ محمّدباقر الملكي الميانجي (ت ١٤١٩)، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

١١٤ـ **توضيح المراد**، تعليقة على شرح تجريد الإعتقاد، السيد هاشم الطهراني (ت ١٤١١).

١١٥ـ **تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي**، السيد محمد على الأبطحي، الطبعة الثانية قم المقدسة ١٤١٧.

١١٦ـ **جامع الرواة وإزاحة الشبهات عن الطرق والإسناد**، محمد علي الأردبيلي (ت ١١٠١)، مكتبة المحمدي.

١١٧ـ **جامع الشتات**، محمد اسماعيل بن الحسين المازندراني الخواجوئي (ت ١١٧٣)، تحقيق: السيد مهدى الرجائي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨.

١١٨ـ **جوابات المسائل الركنية**، الميرزا القمي (ت ١٢٣١)، المطبوع ضمن رسائل ومتون حول مدينة قم المسمى بقم نامه، حسين المدرسي الطباطبائي، منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي.

١١٩ـ **جوك باسشت**، من كتب المقدّسة للديانة الجوكيّة.

١٢٠ـ **جواهر الكلام**، الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦)، تحقيق: الشيخ عباس القوچاني، دار الكتب الإسلاميّة ١٤٠٩.

١٢١ـ **جوامع الجامع**، الشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسى (ت ٥٤٨)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٨.

١٢٢ـ **چشم و چراغ مرجعيت**، عدة مقالات حول السيد البروجردي.

١٢٣ـ **چند خاطره از آية الله بروجردى**، الشيخ محمد تقى الصديقين الاصفهانى.

١٢٤ـ **حاشية رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب ابي حنيفة**، محمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٤١٥.

١٢٥ـ **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، شمس الدين محمد عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠)، دار إحياء الكتب العربية بيروت.

١٢٦ـ **الحاشية على أصول الكافي**، السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي (ت ١٠٢٠)، جمعها و رتّبها: السيد محمد تقي الموسوي (ت ١٠٩٤)، تحقيق: علي الفاضلي، دار الحديث ١٤٢٥.

١٢٧ـ **الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة**، المحدّث الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٢٨ـ **حديقة الشيعة**، أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلي (ت ٩٩٣)، انتشارت أنصاريان قم.

١٢٩ـ **الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال من الصحيفة السجادية**، الشيخ محمد بن الحسين العاملي البهائي (ت ١٠٣٠)، تحقيق: السيد علي الموسوي الخرسان، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤١٠.

١٣٠ـ **حقّ اليقين**، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، دار ذوي القربى قم.

١٣١ـ **حقّ اليقين**، السيد عبد الله الشبّر (ت ١٢٤٢).

١٣٢ ـ **حقائق الايمان**، الشهيد الثاني زين الدين علي بن احمد العاملي (ت ٩٦٥)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي ١٤٠٩.

١٣٣ ـ **الحكايات في مخالفات المعتزلة من العدليّة والفرق بينهم وبين الشيعة الإماميّة**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، تحقيق: السيد محمد رضا الجلالي، المجلد العاشر من مجموعة مصنفات الشيخ المفيد رحمه الله.

١٣٤ ـ **حكمة الإشراق**، الشيخ شهاب الدين السهروردي، المطبوعة في مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق.

١٣٥ ـ **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، صدرالدين محمّد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠)، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٨١ م.

١٣٦ ـ **حكيم متألّة بيد آبادي احياگر حكمت شيعى در قرن دوازدهم هجرى**، علی كرباسى، پژوهشگاه علوم انساني و مطالعات فرهنگی ١٣٨١ ش.

١٣٧ ـ **خاتمة مستدرك الوسائل**، الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤١٥.

١٣٨ ـ **الخصائص الفاطمية**، الشيخ الواعظ محمد باقر الكجوري (ت ١٣١٣)، انتشارات الشريف الرضي ١٣٨٠ ش.

١٣٩ ـ **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال**، العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الفقاهة قم ١٤١٧.

١٤٠ ـ **خيراتيّة در ابطال طريقه صوفيّه**، آقا محمد على الكرمانشاهي ابن العلامه وحيد البهبهاني (ت ١٢١٦)، منشورات مؤسسة علامه مجدد وحيد بهبهانى.

١٤١ ـ **درر الفوائد**، تعليقة على شرح المنظومة، الشيخ محمد تقي الآملي (ت ١٣٩١)، مؤسسة اسماعيليان قم.

١٤٢ ـ **الدر المختار في شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة النعمان**، محمد علاء الحصكي (ت ١٠٨٨)، دار الفكر بيروت ١٤١٥.

١٤٣ ـ **الدروس الشرعية في فقه الإمامية**، الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٢.

١٤٤ ـ **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة**، الشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩)، نشر دار الأضواء بيروت ١٤٠٣.

١٤٥ ـ **ذيل كشف الظنون**، تعليقات جاد بها قلم سماحة الشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩)، رتّبها و هذّبها و أضاف إليها السيد حسن الموسوي الخرسان، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٤٦ ـ **رجال الطوسي**، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٥.

١٤٧ ـ **رجال النجاشي**، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي (ت ٤٥٠)، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٤٨ ـ **الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدىٰ**، الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢)، دار الزهراء للطباعة والنشر و التوزيع بيروت ١٤١٤.

١٤٩ ـ **الرسائل الإعتقاديّة**، المحقق ملا إسماعيل الخواجوئي (ت ١١٧٣)، تحقيق السيد مهدي الرجائي.

١٥٠ ـ **رسائل الشريف المرتضى**، السيّد مرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦)، إعداد: السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم ١٤٠٥.

١٥١ ـ **الرسائل العشر**، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٥٢ ـ **رسائل المحقّق الكركي**، الشيخ علي بن الحسين الكركي (ت ٩٤٠)، تحقيق: محمد الحسّون، مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي ١٤٠٩.

١٥٣ ـ **رسالة «اجازه ذكر»** المطبوعة في كتاب «سه رساله در نقد عرفان» للميرزا القمّي (ت ١٢٣١)، بنياد پژوهشهاى آستان قدس رضوي.

١٥٤ ـ **رسالة «ايمان فرعون»** المطبوعة في كتاب «سه رساله در نقد عرفان» للميرزا القمّي (ت ١٢٣١)، بنياد پژوهشهاى آستان قدس رضوي.

١٥٥ ـ **رسالة «رد بر صوفيه ووحدت وجود»** المطبوعة في كتاب «سه رساله در نقد عرفان» للميرزا القمّي (ت ١٢٣١)، بنياد پژوهشهاى آستان قدس رضوي.

١٥٦ ـ **رسالة في الحدوث**، صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠)، تحقيق دكتر سيد حسين موسويان.

١٥٧ ـ **رسالتان في البداء**، الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢) والسيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣)، إعداد: السيد محمد علي الحكيم.

١٥٨ ـ **روضات الجنات**، المحقق محمد باقر الخوانساري (ت ١٣١٣).

١٥٩ ـ **رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه**، السيد علي خان المدني الكبير (ت ١١٢٠)، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة الدرسين بقم المشرّفة ١٤٠٧.

١٦٠ ـ **زندگاني زعيم بزرگ تشيّع آيت الله بروجردی**، علی دوانی.

١٦١ ـ **سدّ المفرّ على القائل بالقدر**، تقرير أبحاث الشيخ الأستاذ محمد باقر علم الهدىٰ، بقلم أمير الفخاري والسيد على الرضوي وحسن الكاشاني، انتشارات ميقات طهران.

١٦٢ ـ **السلسبيل**، الميرزا أبو الحسن الإصطهباناتي (ت ١٣٧٨).

١٦٣ ـ **سلسة الينابيع الفقهية**، علي أصغر مرواريد، دار إحياء التراث ـ الدار الإسلاميّة بيروت ١٤١٠.

١٦٤ ـ **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق وإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة الطبعة التاسعة ١٤١٣.

١٦٥ ـ **سير حكمت در اروپا**، محمد على فروغى، انتشارات زوار تهران ١٣٨١ ش.

١٦٦ ـ **شجره الهية**، المحقق ميرزا رفيع النائيني (ت ١٠٨٢)، المطبوع مع رسالة مبدأ ومعاد لصدر الدين الشيرازي.

١٦٧ ـ **شرح الأسماء الحسنىٰ**، الحاج ملا هادي السبزواري (ت ١٣٠٠)، منشورات مكتبة البصيرتي قم الطبعة الحجريّة.

١٦٨ ـ **شرح الأربعين**، القاضي سعيد القمي (ت بعد ١١٠٣).

١٦٩ ـ **شرح أصول الكافي**، مولي محمد صالح المازندراني، مع تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢١.

١٧٠ ـ **شرح أصول الكافي**، صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠)، پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى.

١٧١ ـ **شرح الإشارات**، الخواجة نصيرالدين الطوسي (ت ٤٢٨)، دفتر نشر كتاب ١٤٠٣.
١٧٢ ـ **شرح التهذيب**، المحدّث شيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦).
١٧٣ ـ **شرح توحيد الصدوق**، القاضي سعيد محمد بن محمد سعيد القمي (ت بعد ١١٠٣)، نشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
١٧٤ ـ **شرح المقاصد في علم الكلام**، التفتازاني (ت ٧٩١)، دار المعارف النعمانية باكستان.
١٧٥ ـ **شرح نهج البلاغة**، إبن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة ١٣٧٨.
١٧٦ ـ **الشواهد الربوبيّة في المناهج السلوكية**، صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠)، تحقيق: جلال الدين الآشتياني.
١٧٧ ـ **الشيعة في الإسلام**، السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريب: جعفر بهاء الدين.
١٧٨ ـ **الشيعة في الميزان**، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠)، دار الشروق بيروت ١٣٩٩.
١٧٩ ـ **صراط النجاة**، استفتاءات عن آية الله الخوئي مع ملحق للميرزا جواد التبريزي، دفتر نشر برگزيده ١٤١٦.
١٨٠ ـ **الصراط المستقيم**، علي بن يونس العاملي البياضي (ت ٨٧٧)، تصحيح و تعليق: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية ١٣٨٤.
١٨١ ـ **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس (ت ٨٧٧)، مطبعة خيام قم ١٣٩٩.
١٨٢ ـ **طرائف المقال**، السيد علي البروجردي (ت ١٣١٣)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامّة قم المقدّسة ١٤١٠.
١٨٣ ـ **عارف و صوفى چه مى‌گويد**، الميرزا جواد آقا الطهراني (ت ١٤١٠).
١٨٤ ـ **العرشية**، صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠)، تحقيق: محمد خليل فؤاد.
١٨٥ ـ **العروة الوثقىٰ**، السيّد محمّد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧) مع تعليقات خمسة عشر من المراجع العظام، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.
١٨٦ ـ **العروة الوثقىٰ**، السيّد محمّد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧) مع تعليقات عشرة من المراجع العظام، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، تهران.

١٨٧ـ **العقائد الجعفريّة**، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠)، المطبوع مع جواهر الفقه للقاضي ابن البراج، تحقيق: ابراهيم البهادري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤١١.

١٨٨ـ **علي بن موسى الرضا والفلسفة الإلهيّة**، عبدالله الجوادي الآملي، المطبوع ضمن مقالات مؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السّلام.

١٨٩ـ **عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب امام الأبرار**، يحيى بن الحسن الأسدي المعروف بابن البطريق (ت ٦٠٠)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤٠٧.

١٩٠ـ **عمدة القاري في شرح البخاري**، محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥)، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٩١ـ **عوائد الأيام**، المحقّق ملا أحمد النراقى (ت ١٢٤٥)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، مركز النشر الإعلام الإسلامي ١٤١٧.

١٩٢ـ **العين**، خليل بن أحمد الفراهيدي.

١٩٣ـ **عين الحيوة**، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١).

١٩٤ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨)، تحقيق: دكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت.

١٩٥ـ **الغاية القصوى**، السيد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧)، ترجمة الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩)، المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة طهران.

١٩٦ـ **غرر الفرائد في فن الحكمة المعروف بشرح المنظومة**، الحاج ملا هادي السبزواري (ت ١٣٠٠)، تعليق: حسن حسن زاده الآملي.

١٩٧ـ **الغلوّ والفرق الباطنيّة**، تقرير أبحاث الشيخ الأستاذ محمد السند، بقلم حسن الكاشاني ومجتبىٰ الإسكندري، مكتبة فدك قم المقدّسة.

١٩٨ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (م ١٢٥٠)، نشر عالم الكتب.

١٩٩ ـ **الفتوحات المكيّة**، محي الدين العربي (ت ٦٣٨)، دار الصادر بيروت.

٢٠٠ ـ **فرائد الأصول**، الشيخ مرتضى الأنصاري (م ١٢٨١)، تحقيق و نشر: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم.

٢٠١ ـ **فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم**، السيد رضى الدين على بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس (ت ٦٦٤)، منشورات الشريف الرضي قم ١٣٦٣.

٢٠٢ ـ **فصوص الحكم**، محي الدين العربي (ت ٦٣٨).

٢٠٣ ـ **الفصول العشرة**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، تحقيق الشيخ فارس حسّون، اللجنة الخاصّة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ١٤١٤.

٢٠٤ ـ **فقه العقائد**، السيد محمّد الحسينى الشيرازي (ت ١٤٢٣).

٢٠٥ ـ **الفقه**، السيد محمّد الحسينى الشيرازي (ت ١٤٢٣)، دار العلوم بيروت.

٢٠٦ ـ **الفلسفة الإسلاميّة**، الشيخ محمّد رضا المظفّر (ت ١٣٨٣)، كرّاسات وزّعها المؤلّف على تلاميذه أثناء تدريسه الفلسفة الإسلاميّة في السنوات الثلاث الأولىٰ لتأسيس كليّة الفقه في النجف الأشرف، إعداد السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي.

٢٠٧ ـ **الفوائد الرضوية**، القاضي سعيد الطباطبائي القمي (ت بعد ١١٠٣).

٢٠٨ ـ **فهرس العلوم المعروف بفهرست ابن النديم**، أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق الشهير بابن النديم البغدادي (ت ٣٨٥)، تحقيق: رضا تجدّد.

٢٠٩ ـ **الفهرست**، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠)، تحقيق ونشر: دار الفقاهة.

٢١٠ ـ **الفهرست**، الشيخ منتجب الدين علي بن بابويه الرازي (القرن ٦)، تحقيق: السيد جلال الدين محدث الأرموي، مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي العامة ١٣٦٦ ش.

٢١١ ـ **فهرست مكتبة مجلس الشورى في طهران**.

٢١٢ ـ **فهرست نسخ خطي كتابخانه آية الله العظمىٰ گلپايگاني**.

٢١٣ ـ **الفوائد المدنية**، محمد أمين الإسترآبادي (ت ١٠٣٣)، المطبوعة مع الشواهد المكيّة للسيد نور الدين الموسوي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٢٤.

٢١٤ ـ **قاموس الرجال**، الشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٩.

٢١٥ ـ **القرآن في الإسلام**، السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريب: السيد أحمد الحسيني.

٢١٦ ـ **قرة العين**، ملا محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١).

٢١٧ ـ **قصص العلماء**، محمد بن سليمان التنكابني، دار المحجّة البيضاء بيروت.

٢١٨ ـ **قطر المحيط**، المعلّم بطرس البستاني (ت ١٨٨٣ م)، مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٥ م.

٢١٩ ـ **قواعد المرام في علم الكلام**، ابن ميثم البحراني (ت ٦٩٩)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ١٤٠٦.

٢٢٠ ـ **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، نشر دليل ما.

٢٢١ ـ **كتاب الطهارة**، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ٨١)١٢، تحقيق و نشر: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم.

٢٢٢ ـ **كتاب الطهارة**، الشيخ محمد على الأراكي (ت ١٤١٥).

٢٢٣ ـ **كتاب المعرفة**، محي الدين بن العربي (ت ٦٣٨) المطبوعة في ضمن رسائل ابن العربي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح.

٢٢٤ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨)، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٥.

٢٢٥ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الشهير بملاكاتب الجلبي والحاج خليفة (ت ١٠٦٧)، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٦.

٢٢٦ ـ **كشف الغطاء عن مبهمات شريعة الغراء**، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨)، انتشارات مهدوي اصفهان الطبعة الحجرية.

٢٢٧ ـ **كشف اللثام**، الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسن الإصفهاني المعروف بالفاضل الهندي (ت ١١٣٧)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٦.

٢٢٨ ـ **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦)، تصحيح و تعليق: حسن حسن زاده الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٧.

٢٢٩ ـ **الكشكول**، الشيخ محمد بن الحسين العاملي البهائي (ت ١٠٣٠)، دارالحكمة قم.

٢٣٠ـ **كفاية المهتدي في معرفة المهدي**، السيد محمد بن محمد الميرلوحي الحسيني السبزواري (ت بعد ١٠٨٣).

٢٣١ـ **كلمة التقوى**، الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩)، **مطبعة مهر قم ١٤١٣**.

٢٣٢ـ **الكليني والكافي**، الشيخ عبد الرسول الغفار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤١٦.

٢٣٣ـ **كنز الفوائد**، أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩)، مكتبة المصطفوي قم ١٣٦٩ ش الطبعة الحجرية.

٢٣٤ـ **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١)، نشر أدب حوزه قم ١٤٠٥.

٢٣٥ـ **لوامع الحقائق في أصول العقائد**، ميرزا أحمد الآشتياني (ت ١٣٩٥)، تحقيق: حسين الروشن الگلپايگاني، دار التعارف بيروت ١٣٩٩.

٢٣٦ـ **لؤلؤة البحرين في الإجازات و تراجم رجال الحديث**، المحدّث يوسف بن أحمد البحراني (ت ١١٨٦)، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم.

٢٣٧ـ **المبدأ والمعاد**، صدرالدين محمّد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠)، تصحيح: جلال الدين الآشتياني، مكتبة الإعلام الإسلامي قم ١٤٢٢.

٢٣٨ـ **مجمع البحرين**، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٥٨)، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة فما بعده: محمود عادل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة النشر للثقافة الإسلاميّة ١٤٠٨.

٢٣٩ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، الشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (ت ٥٤٨).

٢٤٠ـ **مجموعة الرسائل**، الشيخ لطف الله الصافي.

٢٤١ـ **محيط المحيط**، المعلم بطرس البستاني (ت ١٨٨٣ م)، مكتبة لبنان ناشرون ١٩٧٩ م.

٢٤٢ـ **مرآة العقول**، العلامة محمّد باقر المجلسي (ت ١١١١)، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٤٣ـ **مذاهب الإسلاميين المعتزلة والإسماعيليّة والقرامطة والنصيريّة**، عبد الرحمن البدوي.

٢٤٤ـ **المسائل العكبرية**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، اللجنة الخاصّة المشرفة على مؤتمر الفيّة الشيخ المفيد ١٤١٤.

٢٤٥ ـ **مستدركات علم رجال الحديث**، الشيخ علي النمازي (ت ١٤٠٥)، نشر حسينيّة عماد زاده اصفهان ١٤١٢.

٢٤٦ ـ **مستمسك العروة الوثقىٰ**، السيّد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠)، مطبعة الآداب النجف الأشرف ١٣٩١.

٢٤٧ ـ **مستند الشيعة**، المحقق ملا أحمد النراقي (ت ١٢٤٥)، تحقيق مؤسسّة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٤١٥.

٢٤٨ ـ **مصباح الفقاهة**، تقريرات السيد الخوئي بقلم الميرزا محمد على التوحيدي، مكتبة الداوري قم ١٣٧٧ ش.

٢٤٩ ـ **مصباح الفقيه**، المحقّق آقا رضا الهمداني (ت ١٣٢٢)، تحقيق مؤسّسة الجعفريّة لإحياء التراث قم المقدّسة.

٢٥٠ ـ **مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم**، داود بن محمود القيصري الرومي، تحقيق وتعليق: السيّد جلال الدين الآشتياني، شركت انتشارات علمى و فرهنگى ١٣٧٥ ش.

٢٥١ ـ **المعالم الزلفى في شرح العروة الوثقى**، الشيخ عبد النبي العراقي (ت ١٣٨٥).

٢٥٢ ـ **معالم العلماء**، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨)، المطبعة الحيدريّة النجف الأشرف ١٣٨٠.

٢٥٣ ـ **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة**، يوسف اليان سركيس (ت ١٣٥١)، منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي ١٤١٠.

٢٥٤ ـ **معجم النفائس الكبير**، جماعة من المختصيّن باشراف أ. د. أحمد أبو حاقة، دار النفائس بيروت ١٤٢٨.

٢٥٥ ـ **معجم النفائس الوسط**، جماعة من المختصيّن باشراف أ. د. أحمد أبو حاقة، دار النفائس بيروت ١٤٢٨.

٢٥٦ ـ **معجم النفائس المدرسي**، إختصار و تهذيب: روبين حسين، دار النفائس بيروت ١٤٣٠.

٢٥٧ ـ **معراج السعادة**، ملا أحمد النراقي (ت ١٢٤٥)، مؤسّسه انتشارات هجرت.

٢٥٨ ـ **مغني المحتاج إلىٰ معرفة ألفاظ المنهاج**، محمد بن أحمد الشربيني (ت ٩٧٧)، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٧.

٢٥٩ ـ **مفاخر اسلام**، على دواني.

٢٦٠ ـ **مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامّة**، السيد محمد جواد العاملي (ت ١٢٦٦)، تحقيق: محمد باقر الخالصي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤١٩.

٢٦١ ـ **المقنعة**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤١٠.

٢٦٢ ـ **مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم**، ميرزا محمد تقي الأصفهاني (ت ١٣٤٨)، تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٢١.

٢٦٣ ـ **المكاسب**، الشيخ مرتضىٰ الأنصاري (ت ١٢٨١)، تحقيق ونشر: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم.

٢٦٤ ـ **ملحقات احقاق الحق**، السيّد شهاب الدين المرعشي (ت ١٤١١)، منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي قم.

٢٦٥ ـ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستانى (ت ٥٤٨)، تحقيق: محمد سعيد گيلانى، دار المعرفة بيروت.

٢٦٦ ـ **ممدّ الهمم في شرح فصوص الحكم**، حسن حسن زاده الآملي.

٢٦٧ ـ **مناقب آل أبي طالب**، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨)، المكتبة الحيدريّة النجف الأشرف.

٢٦٨ ـ **مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام**، محمّد بن سليمان الكوفي (القرن ٣)، تحقبق: محمد باقر محمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ١٤١٢.

٢٦٩ ـ **مناهج البيان في تفسير القرآن**، الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي (ت ١٤١٩)، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي.

٢٧٠ ـ **منتهى المطلب في تحقيق المذهب**، العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (ت ٧٢٦)، تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضويّة المقدّسة.

٢٧١ ـ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، الميرزا حبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٤)، دار الكتب الإسلامية طهران.

٢٧٢ ـ **منهاج الصالحين**، الشيخ حسين الوحيد الخراساني دام ظله.

٢٧٣ ـ **منية المريد في أدب المفيد والمستفيد**، الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت ٩٦٥)، تحقيق: رضا مختاری، مكتبة الاعلام الإسلامي.

٢٧٤ ـ **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل**، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني (ت ٩٥٤)، تخريج: زكريا عميرات، دار الكتب العلميّة بيروت ١٤١٦.

٢٧٥ ـ **مواهب الرحمان في تفسير القرآن**، السيد عبد الأعلىٰ السبزواري (ت ١٤١٤)، انتشارات دار التفسير.

٢٧٦ ـ **الموسوعة الفلسفيّة شرح كتاب الأسفار الأربعة**، تقريراً لأبحاث السيد كمال الحيدری، بقلم شيخ قيصر التميمی.

٢٧٧ ـ **الميزان في تفسير القرآن**، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة.

٢٧٨ ـ **ميزان المطالب**، الميرزا جواد الطهراني (ت ١٤١٠).

٢٧٩ ـ **ناسخ التواريخ**، ميرزا محمد تقي سپهر.

٢٨٠ ـ **نتائج الأفكار**، تقرير أبحاث السيّد الگلپايگاني (ت ١٤١٥)، الشيخ علي الكريمي الجهرمي، دار القرآن الكريم ١٤١٣.

٢٨١ ـ **النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم**، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (م ٨٤٥)، تحقيق: السيد علي عاشور.

٢٨٢ ـ **نظرات في التصوف والكرامات**، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠)، منشورات المكتبة الأهليّة بيروت.

٢٨٣ ـ **النكت الإعتقادية**، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، اللجنة الخاصّة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ١٤١٤.

٢٨٤ ـ **نگرشی در فلسفه و عرفان**، الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني دام ظله.

٢٨٥ ـ **نهاية الحكمة**، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢)، تعليق: عباس علي الزراعي السبزواري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤١٧.

٢٨٦ ـ **نهاية المرام في علم الكلام**، العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلي.

٢٨٧ ـ **نهج الحق وكشف الصدق**، العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦)، تعليق: عين الله الحسيني الارموي، دار الهجرة قم ١٤١٤.

٢٨٨ ـ **نور الأفهام في علم الكلام**، السيد حسن الحسيني اللواساني (ت ١٤٠٠)، تحقيق: السيد ابراهيم اللواساني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٢٥.

٢٨٩ ـ **الوافي بالوفيات**، الصفدي (ت ٧٦٤)، تحقيق: أحمد الارناووط و تركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٠.

٢٩٠ ـ **الوضاعون وأحاديثهم من كتاب الغدير**، الشيخ أحمد الأميني، إعداد: السيد رامي يوزبكي، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة ١٤٢٠.

٢٩١ ـ **وضوء النبي**، السيد علي الشهرستاني، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥.

٢٩٢ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان (ت ٦٨١)، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة بيروت.

٢٩٣ ـ **هداية الأمّة إلىٰ معارف الائمّة**، الشيخ جواد الخراساني.

الفهرست

الفصل الخامس: نظام الأسماء في معرفة الله / ١٦١

الفصل السادس: موقف أعلام الطائفة من الفلسفة / ٣١١

. . . و رغم ما يكثّف من دعايات في هذه الآونة لترجيح بعض تلك النظريّات في علاقة الدين بالفلسفة و طمس بعضها الآخر ، حتى أوهم لدى البعض ما يكذّبه التاريخ المدوّن و التراث المتبقي من الفريقين ، بل كاد أن تنقلب الواقعيات عمّا هي عليه ، فرغم هذه الدعايات المكثّفة ـ التي قد تأخذ طابعاً سياسياً في بعض الظروف ، وتضيّع على الباحثين فرصة البحث العلمي الحرّ ـ إلا أنّ لإستعلام العلاقة الواقعيّة التي كانت بينهما من لدن ظهورهما غاية الأهميّة ، حيث يرسم الصورة الواضحة عن المنهج الذي سوف نتّخذه لإستثمار العقل ـ تلك الموهبة الإلهيّة العظمى ـ في سبيل الوصول إلى المعارف التي لاقيمة للإنسان دونها . . .

من مقدمة الكتاب